

# قصص العرب

تأليف

عبد المجيد بن عبد الله بن أبي

عبد المجيد بن عبد الله بن أبي

عبد المجيد بن عبد الله بن أبي

ابن عبد الله بن أبي







# قصص العرب

تأليف

محمد أحمد جاد المولى      محمد أبو الفضل إبراهيم      علي محمد البجاوي

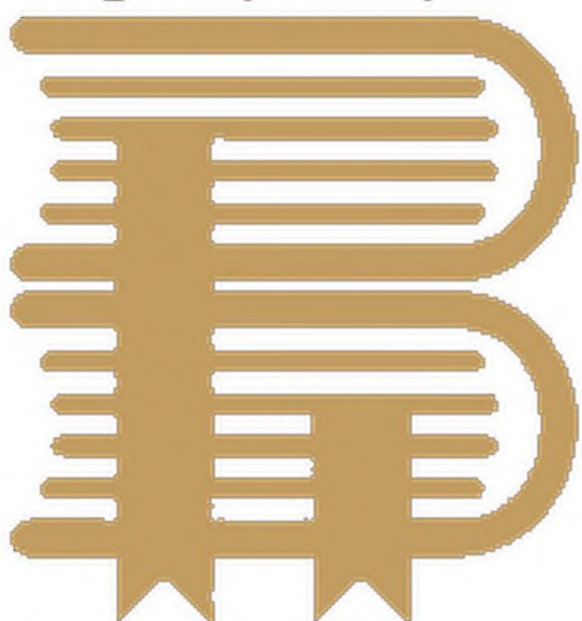
المجلد الثاني

الطبعة الرابعة

[ فيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق ]

١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م

شبكة كتب الشيعة



بإشراف اللجنة العلمية  
عيسى البابي الحلبي وشركاه

(Arab)

PT 1601

٢٥٦

2 al-juz'

## البَابُ الْأَوَّلُ

في القصص التي تشرح ما أثر عنهم من عادات وشماثل  
في الأسباب الدائرة بينهم، وتبين ما انتهجوه في مواسمهم  
وأعيادهم وأفراحهم وأعراسهم، مما يمثل حياتهم الاجتماعية  
أصدق تمثيل.

الكتاب قصص العرب

المؤلف محمد أحمد

على أحمد

محمد أبو الفضل إبراهيم

الناشر منشورات الرضى - قم

القطع وزيري

المطبعة مطبعة أمير - قم

المطبوع ١٠٠٠ نسخة

الطبعة الخامسة

سنة الطبع ١٣٦٤ هـ - ش

عدد الأجزاء أربعة

عدد الصفحات ١٨٦٧ صفحة



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

الطبعة الأولى

تُعَدُّ القصة أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصوير العادات ، ورسم خَلَجَات النفوس ؛ كما أنها - إذا شرف غرضها ، ونُبِّل مقصدُها ، وكرمت غايتها - تُهذَّب الطباع ، وتُرَقِّق القلوب ، وتدفع الناس إلى المثل العليا : من الإيمان بالواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار .

وقد كانت القصة - ولا تزال - ذاتَ الشأن الأسمى في آداب الأمم قديمها وحديثها ، فقد وردت في التوراة ، وجاءت في الإنجيل ، وزخرت بها آيُ الذكر الحكيم . ثم هي في شعر الإغريق ومخلفات الرومان وآثار المصريين القدماء .

والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل ، وأثّرَ عنها فيضٌ من ذلك الأدب الرفيع ؛ بيد أن بعضاً من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبهم من هذا الفن ، وهضموم حقهم في ذلك الباب ، ووصموم بالخيال العقيم ، وعابوا عليهم الفكر القريب ؛ ولكن النصفين منهم قد هالهم هذا الجحود ، ولم يرقهم ذلك النكران ، فاعترفوا للعرب بالقصص التي ترجموها عن الفرس والهنود ، وتزيدوا عليها في القاهرة وبغداد ، وتحدثوا للناس عن قصص عنتره وذات الهمة ، وجلّوا عليهم ألف ليلة وليلة وأخبار ابن ذي يزن .



وهذه القصص - وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوير العصور التي وُضِعَتْ فيها، وَرَسَمَتْ لنا البيئة التي نبتت منها - كثير منها تافه الغرض مُبْهِمُ القصد، ردىُّ اللغة والأسلوب . وفي قصر قصص العرب عليها جَحْدٌ للآداب العربية فضلها ، وإنكار عليها مفاخرها . . . وإلا فإن هناك قصصاً زخرت بها مجالس الخلفاء ، وسواهم الأمراء ، وملأت الكتب التي انحدرت إلينا عن المؤلفين القدماء : وما مَنَعَ الناس أن يرِدُوا شريعتها ، أو يمجنوا أطايبها ، إلا مأمُنيّة به هذه الكتب من اضطراب الترتيب ، وردى الطبع ، وتحريف النسخين .

وكتابتنا هذا جمعنا فيه هذه القصص : ما انتبذ منها وما شرّد ، وألقنا ما تنافر وافترق ، وجعلناه أقساماً ، وقسمناه أبواباً ؛ جمعنا كلّ قصة إلى مثلها ، وضممنا كل طُرُقة إلى شبيهها ؛ ليجتمع إلى غرض القصة - من تهذيب الطباع وترقيق النفوس - عَرَضٌ شامل لحياة العرب : مدنيّتهم وحضارتهم ، وعلومهم ومعارفهم ، وأدبائهم وعقائدهم ، وذكر ألعواندهم وشمائلهم ، وما طُبِعوا عليه من كريم الغرائز ، وحدة الذكاء ؛ ثم ما كان للمرأة عندهم من سامي المسكنة وعظيم المنزلة ، وما أثرَ عنهم من أخبارٍ صوّروا بها حبّهم العفيف ، وغزلهم الرقيق ، وعشقهم الشريف ؛ ولم يخلُ كتابنا مما كان لهم من محاورات ومساجلات ، ومطايبات ومناقلات ، وما نقله الرواة من أحوال العامة وللوك ، وطُرُف القضاة والولاة ، وأخبار الأيام والحروب ، وغير هذا مما سيعرض مفصّلاً في أبواب الكتاب .

ولم نقف في اختيار القصة على تعريف خاص ، أو حدّ مرسوم ؛ ففما اخترناه ما ذكرناه من طريف الأخبار وشائق الأحداث ، وما وضعوه مصوِّرين به المجالس والأشخاص ، وما صنعوه على ألسنة الطير والحيوان ، وما تخيّلوه من أخبار الشياطين والجان ؛ إذ كان الغرض تثقيف الأذهان بذكر الطرائف ؛ وانشراح الصدور بعرض اللطائف ،



مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .  
ولعل القارىء يروقه ماتدسّى فيها من شريف الخصال فيحتذيه ، أو تعجبه  
كرأى العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بحث فصيح الألفاظ ، وإحياء  
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئ صالحة وأسس قويمه لمن يريد أن ينشئ  
قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .

وكان من همنا أن نحرص على اختيار القصص كما وضعوها ؛ إلا ما كان من  
زيادة اقتضاها اختلاف الروايات ، أو تفسير لكلمات لا تألفها الآداب ، أو حذف  
عبارات لاغناء فيها .

ولقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعانى ، وتراجم  
الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنّى الكتاب قريباً ، ومنهله  
عذباً ، وورده سائغاً ، وطريقه سهلاً معبداً .

ونسأل الله أن ينفع به ؛ على ما صدقنا في النية ورجونا من الخير .

المؤلفون

{ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨  
( يولية سنة ١٩٣٩ ) }



## مقدمة الطبعة الرابعة

هذا كتابنا « قصص العرب » تقدمه إلى أدباء العربية في طبعته الرابعة ، بعد أن نفذت طبعته الثالثة ، وازداد الأدباء إقبالاً على اقتنائه وتقديره له . وكنا قد تلقينا رسائل من بعض أفاضل الأدباء يرغبون إلينا فيها أن نذلل الطريق إلى قراءة الكتاب ؛ فنكثر من ضبط الكلمات ، ونزيد من شرح المفردات ، فعملنا على تحقيق رغبتهم ، وبذلنا غاية الجهد في تحريره وتحقيقه . وزدنا في شرح كلماته وضبط أعلامه .

ونرجون أن يكون ذلك كفاء لما تلقينا من رسائل الأدباء ، ولما تفضلت به صحف الشرق العربي من إشادة .

ونسأل الله أن يزيد به النفع بقدر ما بذلنا من جهد ، ورجونا من خير .

المؤلفون

المحرم سنة ١٣٨٢  
يونيه سنة ١٩٦٢



القاهرة  
( جميع الحقوق محفوظة )



## ١ — شبٌ عمرو عن الطُّوق\*

كان جَذِيمة<sup>(١)</sup> الأبرش ملكُ الحيرة قد جمع غلماناً من أبناء الملوك يخدمونه ؛  
منهم عدى بن نصر بن ربيعة اللّخميّ ، وكان له حظٌ من الجمال ؛ فقالت له رَقَاشِ  
أخت جَذِيمة : إذا سَقَيْتَ الملكَ فيسكر فاخطُبني إليه ؛ فسقى عدى جَذِيمةَ ليلةً ،  
والطفَ له في الخدمة ، ولما أسرعَ الخمرُ فيه ، قال له : سَلِّني ما أَحْبَبْتَ ، فقال :  
أَسْأَلُكَ أن تزوجني رَقَاشِ أختك . قال : ما بها عنك رغبةٌ ، قد فعلت !

فدخل بها ، وأصبح في ثياب جُدِّ وطيب . فلما رآه جَذِيمةُ قال : يا عدى ! ما هذا  
الذي أرى ؟ قال : زَوَّجْتَنِي أختك رَقَاشِ البارحة ، قال : ما فعلت ! ثم وضع  
يده في التراب ، وجعل يضرب بها وجهه ورأسه ، وأقبل على رَقَاش فقال :

حدثيني وأنت غيرُ كذوب      أبحرِي زَنَيْتِ أم بهَجِينِ  
أم بَعْدِي وأنت أهلٌ لعبدٍ      أم بدُونِ وأنت أهلٌ لدونِ  
فأجابته رَقَاش :

أنتَ زَوَّجْتَنِي وما كنتُ أدري      وأتاني النساءُ للزِينِ  
ذاك من شُرْبِكَ المَدَامَةِ<sup>(٢)</sup> صِرْفاً      وتماديك في الصُّبَا والمَجُونِ<sup>(٣)</sup>

فأطرق جَذِيمة ، فلما رآه عدى قد فعل ذلك خافه على نفسه فهرب منه ، ولحقَ  
بقومه وبلاده ، فمات هناك .

\* الأمثال : ٢ - ٧٥ ، القاموس المحيط - مادة طوق ، بلوغ الأرب : ٢ - ١٧٧ ،  
السعودي : ١ - ٧٥ .

(١) جَذِيمة الأبرش ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق ، عاش في الجاهلية عمراً طويلاً ، وكان  
يقال له الوضاح والأبرش لبرس فيه ، وهو الذي جاء إلى الزباء فقتله بثأر أبيها (٢) المدامة : الخمر .  
وصرف : غير ممزوج (٢) المجون : الهزل .



ثم ولدت رَقَاشَ غلاماً ، فسماه جَذِيمَةً عمراً وتبناه ، وأحبه حباً شديداً . وكان جَذِيمَةُ لا يُولَدُ له .

فلما بلغ الغلامُ ثمانى سنين كان يخرج في عدةٍ من خدم الملكِ يجتنون له الكُمَّاءَ ، فكانوا إذا وجدوا كُمَّاءَ خياراً أكلوها وراحوا بالباقي إلى الملك . وكان عمرو لا يأكلُ مما يجنى ، ويأتى به جَذِيمَةُ فيضعه بين يديه ، ويقول :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

ثم إنه خرج يوماً وعليه ثيابٌ وحلٌّ ، فاستطير وفقد زماناً ، وضربَ في الآفاق فلم يوجد ، وأتى على ذلك ما شاء الله .

ثم وجدته مَالِكٌ وَعَقِيلٌ ابنا فارجٍ ، وهما رجلان كانا متوجهين إلى الملك بهدايا وتحف ، فبينما هما بوادٍ في السَّامَوَةِ انتهى إليهما عمرو بنُ عَدَى ، وقد عَفَتْ<sup>(١)</sup> أظفارهُ وشعره ، فقالا له : من أنت ؟ قال : ابنُ التَّنُوخِيَّةِ ؛ فَلَهَيَا عنه ، وقالا لجاريةٍ معهما : أطعينا فأطعتهما ؛ فأشار عمرو إلى الجارية أن أطعيني فأطعته ، ثم سقتهما ، فقال عمرو : اسقيني . فقالت الجارية : لا تُطعمُ<sup>(٢)</sup> العَبْدَ الكِرَاعَ قَيْطَمَعٍ فِي الذَّرَاعِ<sup>(٣)</sup> .

ثم إنهما حملاه إلى جَذِيمَةِ فمرفه ، ونظر إلى فتى ما شاء من فتى ! فضمه وقبله وقال لهما : حَكْمْتُكُمَا . فسألاه منادته ، فلم يزالا نَدِيمِيهِ حَتَّى فَرَّقَ الْمَوْتُ بَيْنَهُمَا ؛ وبعثَ عمراً إلى أمه ، فأدخلته الحمام ، وألبسته ثيابه ، وطوّقته طوقاً كان له من ذهب ، فلما رآه جَذِيمَةُ قال : كَبِرَ عمرو عن الطوقِ<sup>(٤)</sup> !

(١) عفا الشعر وغيره : كثر (٢) ذهبت مثلاً (٣) الكراع في البقر والضم كالوظيف في الفرس ، والبعر وهو مستدق الساق . والذراع أفضل من الكراع لأنه في اليد ، والكراع في الرجل . (٤) ذهبت مثلاً ، يضرب للابس ما هو دونه .



## ٢ — الحديث ذو شُجُون\*

كان لَضَبَّةُ بن أَدْرِ ابْنان ؛ يقال لأحدهما سعدٌ وللآخر سُعَيْدٌ ؛ فنفرت إبل لَضَبَّة تحت الليل ؛ فوجه ابنه في طلبها ؛ ففترقا . فوجدها سعد ، فردها . ومضى سُعَيْد في طلبها ؛ فلقى الحارث بن كعب — وكان على الغلام بُرْدان — فسأله إياها ، فأبى عليه ، فقتله ، وأخذ بُرْدِيَه .

فكان ضَبَّة إذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال : أسعد أم سعيد<sup>(١)</sup> ؟ فكث ضَبَّةُ كذلك ما شاء الله أن يمكث . ثم إنه حجج ؛ فوافى عُكَّاز ، فلقى بها الحارث بن كعب ؛ ورأى عليه بُرْدَى ابنه سُعَيْد ، فعرفها ، فقال : هل أنت تُخْبِرِي : ما هذان البردان اللذان عليك ! قال : لقيت غلاماً وهما عليه ؛ فسأله إياها فأبى عليّ فقتلته ؛ وأخذتُ بُرْدِيَه هذين .

فقال ضَبَّة : بسيفك هذا ؟ قال : نعم ! فقال : فأعطنيهِ أنظر إليه فأبى أظنه صارماً ، فأعطاه الحارثُ سيفه ، فلما أخذه من يده هزّه ، وقال : الحديث<sup>(٢)</sup> ذو شُجُون ، ثم ضربه به حتى قتله ؛ فقيل له : يا ضَبَّة ؛ أفى الشهر الحرام ؟ فقال : سبق السيفُ العَدْل !

\* اللسان — مادة شجن ، أمثال المبداني : ١ — ١٨٠  
(١) ذهبت مثلاً ، ويضرب في النجاح والخيبة (٢) ذهبت مثلاً .



### ٣ - جَوَّعَ كَلْبُكَ يَتَّبِعَكَ\*

كان أحدُ ملوكِ حمير عفيفاً على أهل مملكته ، يَفْصِيهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَيَسْلُبُهُمْ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وكانت الكهنة تُخبره أنهم سَيَقْتُلُونَهُ ، فلا يحفل بذلك .

وسمعت امرأته أصواتَ السُّؤال ؛ فقالت : إني لأرحمُ هؤلاء ؛ لما يلقون من الجهدِ ، ونحن في العيش الرغد ، وإني لأخاف عليك أن يصيروا سِباعاً ، وقد كانوا لنا أتباعاً ؛ فرد عليها وقال : جَوَّعَ كَلْبُكَ يَتَّبِعَكَ<sup>(١)</sup> !

فلبث بذلك زماناً ، ثم أغزاهم ، فغنموا ، ولم يقسم فيهم شيئاً ، فلما خرجوا من عنده قالوا لأخيه - وهو أميرهم : قد ترى مانحنُ فيه من الجهدِ ، ونحنُ نكره خروجَ الملكِ منكم - أهل البيت - إلى غيركم ؛ فساعدنا على قتل أخيك ، واجلسْ مكانه .

وكان قد عرف بغيه واعتدائه عليهم ؛ فأجابهم إلى ذلك ؛ فوثبوا إليه فقتلوه ! فرَّ به عامر بن جذيمة - وهو مقتول - وقد سمع بقوله : جَوَّعَ كَلْبُكَ يَتَّبِعَكَ - فقال : ربما أكل الكلبُ مؤدَّبه إذا لم ينل شبعه !



٤ — عند جُهَيْنَةَ الْخَبَرِ الْيَقِينِ \*

أحدث الأخنسُ بن كعب في قومه حَدَثًا ، فخرج هاربًا ، فلقيه الحصين بن عمرو الكلابي ، فقال له : من أنت ؟ تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ ! فقال له الأخنس : بل من أنت تَكَلَّمْتَ أُمَّكَ ! فردد هذا القول حتى قال الأخنس : أنا الأخنس بن كعب ، فأخبرني مَنْ أنت ، وإلا أنفذت قلبك بهذا السَّنان . فقال له الحصين : أنا الحصين ابن عمرو الكلابي .

فقال له الأخنس : فما الذي تريد ؟ قال : خرجتُ لِمَا يخرج له الفتيان . قال الأخنس : وأنا خرجتُ لمثل ذلك . فقال له الحصين : هل لك أن تتعاقد ألا نلتقي أحداً من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه ؟ قال : نعم ؛ فتعاقدا على ذلك ؛ وكلاهما فاتك يحذرُ صاحبه !

فلقيا رجلاً فسلبَاهُ ، فقال لهما : هل لكما أن تردَّا عليَّ بعضَ ما أخذتما مني وأدلكما على مغم ؟ قالا : نعم . فقال : هذا رجل من نلحم ، قد قدم من عند بعض الملوك بمغم كثير ، وهو خَلْفِي في موضع كذا وكذا . فردَّا عليه بعضَ ماله ، وطلبا اللَّخْمَ ، فوجداه نازلاً في ظل شجرة وقُدَّامه طعام وشراب ، فحياها وحياهما ، وعرض عليهما الطعام ، فكره كلُّ واحدٍ أن ينزل قبل صاحبه فيفتك به ، فنزلا جميعاً ، وأكلا وشربا مع اللَّخْمِ .



ثم إنَّ الأخنس ذهب لبعض شأنه ، فرجع واللخمى يتشحط في دمه<sup>(١)</sup> . فقال  
الجهنى - وهو الأخنس - وسل سيفه لأن سيف صاحبه كان مسلولاً : ويحك !  
فصكتَ برجلٍ قد تحرمنا بطعامه وشرابه ، فقال : اقعد يا أخا جهينة ؛ فلهذا وشبهه  
خرجنا . فشرِّبنا ساعةً وتحدثنا .

ثم إن الحصين قال : يا أخا جهينة ؟ أتدرى ماصلةُ وما صعل<sup>(٢)</sup> ؟ قال الجهنى :  
هذا يوم شرب وأكل ؛ فسكت الحصين حتى إذا ظن أنَّ الجهنى قد نسي ما يُراد به  
قال : يا أخا جهينة ؛ هل أنت للطير زاجر ! قال : ماذا ؟ قال : ماتقول هذه العقاب  
الكاسر ؟ قال الجهنى : وأين تراها ؟ قال : هي ذه ، وتطاول ورفع رأسه إلى السماء ،  
فوضع الجهنى بادرَةَ السيف في نحره ، فقال : أنا الزاجر والناحر ! واحتوى على  
متاعه ومتاع اللخمى ، وانصرف راجعاً إلى قومه .

فر بيطنين من قيس يقال لهما : مراح وأنمار ، فإذا هو بامرأة تنشدُ الحصين ،  
فقال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا صخرة أخت الحصين ، قال : أنا قتلته . قالت :  
كذبت ! مامثلك يقتلُ مثله ، أما والله لو لم يكن الحى خِلواً ماتكلمت بهذا . فانصرف  
إلى قومه فأصلح أمرهم ، ثم جاءهم ، فوقف حيث يسمعهم وقال :

وكم من ضيفمٍ وزدٍ<sup>(٣)</sup> هموس<sup>(٤)</sup>      أبى شبلين مسكنه العرين  
علوت يياض مفرِّقه<sup>(٥)</sup> بعضبٍ      فأضحى في الفلاة له سكونُ  
وأضحت عرسه ولها عليه -      بعيد هـدوء ليلتها - رنينُ  
وكم من فارس لا تزدرية إذا شخصت لموقعه الصيون

(١) يتشحط في دمه : يتخبط فيه ويضطرب ويتمرغ (٢) الصلة : النعامة ، والصل : الظلم .  
(٣) الورد : الأسد ، ولونه بين الكيت والأشقر (٤) هموس : السيار بالليل (٥) المفرق :  
وسط الرأس .

كصخرة إذ تُسائلُ في مراح وأنمار وعلُمها ظنونُ  
تسائل عن حصين كلِّ ركبٍ وعند جهينة الخبرُ اليقين  
فمن يكُ سائلاً عنه فعندى لصاحبه البيان المستبين  
جهينةُ معشرى وهو ملوك إذا طلبوا المالى لم يهونوا

هـ — يَحْمَى الصَّحَابُ إِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً\*

تزوج أبو كبير<sup>(١)</sup> الهذلى أمَّ تابط شراً<sup>(٢)</sup> — وكان غلاماً صغيراً — فتذكر له ،  
وعرف ذلك أبو كبير في وجهه ، إلى أن ترعرَعَ الغلامُ ، فقال أبو كبير لزوجته :  
وَيْحَكَ ، قد واللهِ رابى أمرُ هذا الغلامِ ، ولا آمنه . قالت : فاحتلّ دلياً  
حتى تقتله .

فقال له ذات يوم : هل لك أن تغزو ؟ فقال : ذاك من أمرى . قال : فامضِ  
بنا ، فخرجنا غازيين ولا زادَ معها ، فسارا ليلتهما ويومهما من الغد ، حتى ظنَّ  
أبو كبير أن الغلامَ قد جاع . فلما أمسى قصدَ به أبو كبير قوماً كانوا له أعداء ، فلما  
رأوا نارهم من بُعد قال له أبو كبير : ويحك ، قد جُعنا ! فلو ذهبتَ إلى تلك النار  
فالتست لنا منها شيئاً !

\* خزانة الأدب ٣ — ٤٦٧ ( طبعة بولاق ) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٦٥٢ ، شرح  
ديوان الحماسة : ١ — ١٩

(١) أبو كبير الهذلى : اسمه عامر بن الحليس . (٢) هو ثابت بن جابر ، كان أسمع العرب  
وأبصرهم وأكيدهم ، وكان أعدى رجل ؛ ينظر إلى الظباء فينتقى على نظره أسمها ، ثم يعدو خلفه  
فلا يفوته . وأخباره في هذا الباب كثيرة . توفي نحو سنة ٨٠ ق . هـ



فمضى تَابُطَ شراً ، فوجد على النار رجلين من أَلَصٍّ مَنْ يكون من العرب  
— وإنما أَرْسَلَهُ إليهما أبو كبير ليقتلاه — فلما رآياه قد غَشِيَ نَارَهَا وَثَبَا عَلَيْهِ ، فرمى  
أَحَدَهُمَا وَكَرَّ عَلَى الْآخَرِ فرماه ، فقتلها ، ثم جاء إلى نَارِهَا فَأَخَذَ الْخَبْزَ مِنْهَا ، فجاء  
به إلى أبي كبير ، فقال له : كل ، لا أَشْبَعَ اللهُ بطنك ! ولم يأكل هو ، فقال :  
وَيْحَكَ ! أَخْبَرَنِي عَنْ قِصَّتِكَ ، فَأَخْبِرْهُ ، فإزداد خوفاً منه .

ثم مضيا في ليلتهما فأصابا إبلاً ، وكان يقول له أبو كبير ثلاث ليالٍ : اختر  
أَيَّ نِصْفِ اللَّيْلِ شئتَ تحرسُ فيه وأنام ، وتنام النصف الآخر ، فقال : ذلك إليك ،  
اختر أيهما شئتَ ، فكان أبو كبير ينامُ إلى نصفِ اللَّيْلِ ويحرسُه تَابُطَ شراً ،  
فإذا نام تَابُطَ شراً نام أبو كبير أيضاً لا يحرسُ شيئاً حتى استوفى الثلاث .

فلما كان في الليلة الرابعة ظَنَّ أن النعاس قد غلب على الغلام ، فنام أول الليل  
إلى نصفه ، وحرسه تَابُطَ شراً ، فلما نام الغلام قال أبو كبير : الآن، يستقل نوماً  
وتمكّني فيه الفرصة ؛ فلما ظنَّ أنه استقل أخذ حَصْبَةً صغيرة ؛ فحذف <sup>(١)</sup> بها ؛  
فقام كقيامه الأول ، فقال : ما هذا الذي أسمعُ ؟ قال : والله ما أدري لعل بعض  
الإبل تتحرك ؛ فقام وطاف فلم ير شيئاً ، فعاد فنام ، فأخذ حصاة أصغر من تلك ،  
فرمى بها فوثب ، فطاف ورجع إليه ، فقال : يا هذا ؛ إني قد أنكرتُ أمرَكَ :  
والله لئن عدتُ أسمعُ شيئاً من هذا لأقتلنك ! قال أبو كبير : فبتُ والله أحرسه خوفاً  
أن يتحرك شيء من الإبل فيقتلني !

فلما رجعا إلى حَيْثُمَا قال أبو كبير :

ولقد سرّيتُ على الظلام بِنَفْسِي جَلَدٍ مِنَ الْفَتَيَانِ غَيْرِ مَثْقَلٍ <sup>(٢)</sup>

(١) حذف بها : رمى (٢) المغمى : الذي لا يثنيه شيء . والجلد : القوى . وغير منقل : أى  
حسن القبول محبب إلى القلوب .

مِمَّنْ حَمَلْنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدُ حُبِّكَ النَّطَاقِ فَشَبَّ غَيْرُ مُهَبِّلٍ <sup>(١)</sup>  
 حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْهُودَةٍ <sup>(٢)</sup> كَرَّهَا وَعَقْدَ نِطَاقِهَا لَمْ يُحَلِّلْ  
 فَاتَتْ بِهِ حَوْشَ الْفَوَادِ مُبْطِنًا سُهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجِلِ <sup>(٣)</sup>  
 وَإِذَا نَبَذَتْ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ يَنْزُو لَوْقَعَهَا طَمُورَ الْأَخْيَلِ <sup>(٤)</sup>  
 وَإِذَا يَهْبُ مِنْ الْمَنَامِ رَأَيْتَهُ كَرْتُوبَ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمْلٍ <sup>(٥)</sup>  
 مَا إِنْ يَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا مِنْكِبٌ مِنْهُ وَحَرْفُ السَّاقِ طَى الْحَمْلِ <sup>(٦)</sup>  
 وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفِجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي مَخَارِمَهَا هَوًى الْأَجْدَلِ <sup>(٧)</sup>  
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أُسْرَةٍ وَجْهَهُ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمَهْلِلِ <sup>(٨)</sup>  
 يَحْمِي الصَّحَابَ إِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا فَمَاوَى الْعَيْلِ <sup>(٩)</sup>

(١) الضمير للنساء ، وإن لم يجر هن ذكر ، وضمن حملن معنى علقن فتعدى بالباء ، وعواقد جمع عاقدة ، والحبك جمع حباك : وهو ما يشد به النطاق ، والنطاق شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة ، والأسفل ينجر على الأرض . والمهبل الذي يدعى عليه بقولهم : هبلته أمه ، أى ثكلته ، أو الكثير اللحم . والمعنى أن هذا الغلام حملت به أمه وهى متعبة من الخدمة فنشأ محمداً مرضياً ، لم يدع عليه بالشكل والهبل ، وهذا في زعم العرب (٢) مزهودة : مروعة ، والعرب تزعم أن المرأة تنجب إذا حملت مفضبة (٣) حوش الفؤاد : ذكى كيس ، والبطن : الخيمص البطن . والسهد : قليل النوم ، والهوجل : الثقيل الكسلان ، والأهوج . (٤) ينزو : يقفز ، والطمور : الوثب ، والأخيل : الشاهين ، وهو من الطيور الجارحة (٥) رأيت : أى رأيت رنوبه ، ورتوب الكعب انتصابه ، والزمل : الضعيف ، والمعنى : أنه إذا استيقظ من منامه انتصب انتصاب الساق (٦) يقول : إنه مدمج الخلق إذا اضطجع لا ينبسط على الأرض ولا يتمكن منها بأعضائه كلها وإنما يمس الأرض بمنكبه ، فبرز في ذلك مثل حراة السيف حين تطوى (٧) الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع في الجبل أو غيره . الهوى : القصد إلى أسفل ، والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أثف الجبل . والأجدل : الصقر . وهذا الكلام كناية عن كونه صاحب همه إذا نيطت به الصواب ذلها (٨) الأسرة : الخطوط التي في الجبهة ، يقول : إذا نظرت في وجهه رأيت أسارير وجهه تشرق لإشراق السحاب المتشقق بالبرق . يصفه بحسن البشر وطلاقة الوجه (٩) العيل : جمع عائل وهو الفقير ، يصفه بأنه شجاع كريم .



## ٦ - تَابِطُ شَرًّا وَابْنُ بَرَّاقِ\*

أغار تَابِطُ شَرًّا ومعه ابن <sup>(١)</sup> بَرَّاقِ على بَجِيلَةَ ، فأطردا لهما نعمًا ، ونذرت <sup>(٢)</sup> بهما بَجِيلَةَ فخرجت في آثارهما ، ومضيا هاريين في جبال السَّراة ، وركبا الحزن ، وعارضتهما بَجِيلَةُ في السهل ، فسبقوها إلى الوَهْطِ <sup>(٣)</sup> ، فدخلوا لهما في قصبة العين ، وجاءا - وقد بلغ العطش منهما - إلى العين .

فلما وقما عليها ، قال تَابِطُ شَرًّا لابن بَرَّاقِ : أَقِلَّ من الشرب فإنها ليلة طرُد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذي أَعْدُو بطيره <sup>(٤)</sup> ، إني لأسمع وجيبَ <sup>(٥)</sup> قلوب الرجال تحت قدمي - وكان من أسمع العرب وأكيدهم - فقال له ابن بَرَّاقِ : ذاك وجيبُ قلبك . فقال له تَابِطُ شَرًّا : والله ما وجبَ قط ولا كان وجابًا ، وضرب يده عليه ، وأصاخ نحو الأرض يستمع ، فقال : والذي أَعْدُو بطيره ؛ إني لأسمع وجيبَ قلوب الرجال . فقال له ابن بَرَّاقِ : فإني أنزل قلبك .

فنزّل فبرك وشرب ، وكان أكلَ القوم عند بَجِيلَةَ شوكةً ، فتركوه وهم في الظلمة . ونزل ثابت <sup>(٦)</sup> ، فلما توسط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفًا ، وابن بَرَّاقِ قريبٌ منهم لا يطمعون فيه لما يطمعون من عَدُوّه . فقال لهم ثابت : إنه من أصلف الناس وأشدّهم عُجْبًا بعَدُوّه ، وسأقولُ له استأْسر <sup>(٧)</sup> معي ،

\* الأغاني : ١٨ - ٢١١ ( طبعة الساسي ) ، بلوغ الأرب : : ٢ - ١٤٣

(١) اسمه عمرو بن بَرَّاقِ (٢) نذره : علم (٣) الوهط : ماء بالطائف (٤) يقال : طير الله لا طيرك . أي فعله وحكمه (٥) وجب القلب : اضطرب (٦) ثابت : اسم تَابِطُ شَرًّا (٧) استأْسر : كن أسيرًا .

فسيدغوه عجبته بعدوه إلى أن يعدو بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق <sup>(١)</sup> ؛ أولها كالريح الهابة ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث يكبو فيه ويعثر . فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه ؛ فإنني أحب أن يصير في أيديكم كما صرتُ إذ خالفني ، قالوا : فافعل .

فصاح به تأبط شراً : أنت أخي في الشدة والرخاء ، وقد وعدني القوم أن يمتنوا عليك وعلى ، فاستأمر ووَاسني بنفسك في الشدة كما كنت أخي في الرخاء ؛ فضحك ابنُ براقٍ و علم أنه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أيستأمر من عنده هذا العدو ؟ ثم عدا ، فعدا أول طلق مثلَ الريح كما وصف لهم ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث جعل يكبو ويعثر ويقع على وجهه ؛ فقال ثابت : خذوه ؛ فعدوا بأجمعهم ، فلما أن أن نفسوا عنه شيئاً عدا تأبط شراً في كتافه ، وعارضه ابنُ براقٍ فقطع كتافه وأفلتاً جميعاً ، فقال تأبط شراً قصيدته القافية في ذلك :

يا عيد <sup>(٢)</sup> مالك من شوقٍ وإيراقٍ      ومرطيفٍ على الأهوال طَراقٍ  
بسرٍ على الأئين <sup>(٣)</sup> والحيات محتفياً      نفسي فداؤك من سارٍ على ساقٍ

---

(١) الطلق : الشوط (٢) العيد : ما اعتاده الإنسان من هم أو شوق أو مرض ، ومالك من شوق : يعني ما أعظمك ، والإيراق مصدر آرقه ، وطراق : أي يأتي ويطلق في الليل .  
(٣) الأئين : الذكر من الحيات ، ومحتف : حاف غير متمل .



## ٧ — أَتَتِكَ بِحَاثِنِ رِجْلَاهُ\*

كان المنذر بن ماء السماء <sup>(١)</sup> يناديهم رجالان من العرب : خالد بن المضلل ، وعمر بن مسعود الأسديان ، فشرب ليلتهما ، فراجعا الكلام ، فأغضباه ، فأمر بهما فقتلا وجعلا في تابوتين ، ودُفنا بظاهر الكوفة .

فلما أصبح وصحا سأل عنهما فأخبر بذلك ، فندم وركب حتى وقف عليهما ؛ فأمر بينيات الفرّيتين <sup>(٢)</sup> ، وجعل لنفسه في كل سنة يومين : يوم بؤس ، ويوم نعيم .

فكان يضع سريره بينهما ؛ فإذا كان يوم نعيمه فأول من يطلع عليه — وهو على سريره — يعطيه مائة من إبل الملوك ، وأول من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه رأس ظريبان <sup>(٣)</sup> ويأمر به فيذبح ، ويغرمي بدمه الغريبان . فلم يزل كذلك ماشاء الله .

فبينما هو ذات يوم من أيام بؤسه ، إذ طلع عليه عبيد بن الأبرص <sup>(٤)</sup> ، فقال له الملك : ألا كان الذَّبْحُ <sup>(٥)</sup> غيرك يا عبيد ! فقال : أَتَتِكَ بِحَاثِنِ رِجْلَاهُ .

فقال له الملك : أو أجل قد بلغ إناه ! ثم قال يا عبيد : أنشدني فقد كان يعجبني

---

\* مذهب الأغاني : ٢ - ٣٠٧ ، بلوغ الأرب : ١ - ١٢٨ ، ذيل الأمالى ١٩٩ (الطبعة الأميرية) الشعر والشعراء : ١٤٤ (طبعة أوروبا) .

(١) في كتاب المعارف أن الذي قتل عبيدا هو النعمان بن المنذر ، وهو صاحب الغريين ( راجع صفحة ٢٨٣ ، وانظر القصة رقم ٦٥ من الجزء الأول من هذا الكتاب ) (٢) الغريان : سميا بذلك لأنه كان يقربهما بدم من يقتله يوم بؤسه (٣) دويبة شبه الكلب أصم الأذنين طويل الخرطوم منتن الرائحة (٤) عبيد بن الأبرص : شاعر جاهلي قديم من المعمرين : كان شاعر بني أسد غير مدافع (٥) الذبح : ما يذبح .

شِمْرُكَ ، فقال : حال الجريضُ دون القريض<sup>(١)</sup> ، وبلغ الحزامُ الطَّبِيَّينَ<sup>(٢)</sup> ،  
فقال : أنشدني :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ<sup>(٣)</sup>      قَالِقَطَبِيَّاتٍ<sup>(٤)</sup>      قَالِدَ نُوبٍ<sup>(٥)</sup>  
فقال :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَيْدٌ      قَالِيَوْمَ لَا يُبْدَى وَلَا يُعِيدُ  
عَنْتَ لَهُ مِغْنَةٌ<sup>(٦)</sup>      نَكُودٌ      وَحَانَ لَهُ مِنْهَا      وَرُودٌ  
فقال : أنشدني هيلتك أمك ! فقال : المنايا عَلَى الحوايا<sup>(٧)</sup> . فقال  
بعضُ القوم : أنشد الملك ؛ هيلتك أمك ! فقال : لَا يَرْحَلُ رَحْلَكَ مَنْ  
لَيْسَ مَعَكَ .

فقال له آخر : مَا أَشَدَّ جَزَعَكَ مِنَ الْمَوْتِ ! فقال :

لَا غُرُورَ مِنْ عَيْشَةٍ نَافِدَةٍ      وَهَلْ غَيْرُ مَا مُيْتَةٍ وَاحِدَةٍ  
فَأَبْلَغُ بَنِي وَأَعْمَامِهِمْ      بَأَنَّ الْمَنَايَا هِيَ الرَّاصِدَةُ  
لَهَا مَدَّةٌ فَنفُوسُ الْعَبَادِ      إِلَيْهَا ، وَإِنْ كَرِهَتْ ، قَاصِدَةٍ  
فَلَا تَجْزَعُوا لِجَمَامِ دُنَا      فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةَ  
فقال له المنذر : لَا بَدَّ مِنَ الْمَوْتِ ! وَلَوْ عَرَضَ لِي أَبِي فِي هَذَا الْيَوْمِ لَمْ أَجِدْ بُدًّا  
مِنْ ذَنْبِهِ . فَأَمَّا إِذْ كُنْتَ لَهَا وَكَانَتْ لَكَ ، فَاخْتَرْ خَصْلَةً مِنْ ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِنْ  
شُتَّ مِنَ الْأَكْحَلِ<sup>(٨)</sup> ، وَإِنْ شُتَّ مِنَ الْأَبْجَلِ<sup>(٩)</sup> ، وَإِنْ شُتَّ مِنَ الْوَرِيدِ<sup>(١٠)</sup> .

(١) مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق . والجريض : الفصص . والقريض : الشعر (٢) مثل  
يضرب إذا اشتد الأمر وتفاقم . والطبي : حلمات الضرع (٣) ملحوب : موضع  
(٤) القطبيات : جمع قطبية ، وهي ماء (٥) الذنوب : موضع . (٦) أصل المنة : المرأة تعترض في  
كل شيء (٧) الحوية : كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب ، ومضاه : قد تأتي المنية الشجاع  
وهو على سرجه . (٨) الأكحل : عرق في اليد (٩) الأبجل : عرق غليظ في الرجل أو في  
اليد يآزاء الأكحل (١٠) الوريد : عرق في العنق .



فقال : ثلاث خصال ؛ مَقَادُهَا شَرُّ مَقَاد ، وحاديها شَرُّ حَاد ، ولا خيرَ فيها  
لمُرْتَاد ؛ فإن كنت لابدَّ قاتلي فاسقني الخمرَ حتى إذا ذهلتُ لها ذَوَاهلي ، وماتت  
لها مفاصلي ؛ فشأنك وما تريد !

فأمر المنذر له بمحاجته من الخمر ، فلما أخذتُ منه وقُرب ليذبح قال :  
وخيرني ذو البؤس في يوم بُؤسه      خِلَالاً أَرَى في كلِّها الموت قد بَرَقَ  
كما خُيِّرْتُ عادٌّ من الدهر مرّة      سحائبَ مافيها لذي خيرةٍ أُنَقَّ (١)  
سحائب ربيعٍ لم تَوَكَّلْ بيسلدة      فتتَرُكها إلا كما ليلةَ الطَّلَقِ (٢)  
وأمر به ففُصِدَ ، فلما مات طُلِيَ بدمه الغريان .

---

(١) الأُنق : الإعجاب بالشيء (٢) الطلق : سير الليل لو رد الفب ، وهو أن يكون بين الإبل  
وبين الماء ليلتان ؛ فالليلة الأولى يغلي الراعي لإبله إلى الماء ويهركها مع ذلك ترعى وهي تسير ليلتئذ ؛  
فهي ليلة الطلق ، واليلة الثانية ليلة القرب ، وهو السوق الشديد .

## ٨ - السُّلَيْكُ بن السُّلَكَةِ ورفيقاه\*

كان السُّلَيْكُ<sup>(١)</sup> من أشدَّ رجال العرب وأنكرهم<sup>(٢)</sup> وأشعرهم ، وكان أدلَّ الناس بالأرض ، وأعلمهم بمسالكها ، وأشدَّهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل ، وكان يقول : اللهم إنك تهبي ما شئتَ لما شئتَ إذا شئتَ ، اللهم إني لو كنتُ ضعيفاً كنتُ عبداً ، ولو كنتُ امرأة كنتُ أمةً ، اللهم إني أعوذُ بك من الخيبة ، أما الهيبة فلا هيبة<sup>(٣)</sup> .

ذكروا أنه أُمْلِقُ<sup>(٤)</sup> مرّةً حتى لم يبق له شيء فخرج على رجله رجاء أن يصيب غرّةً من بعض من يمرُّ به ، فيذهب بإبله ، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة ، فاشتعل الصَّماء<sup>(٥)</sup> ، ثم نام .

فبينما هو نائم إذ جثم عليه رجل فقمعد على جنبه ، وقال : استأثر<sup>(٦)</sup> ! فرفع السُّلَيْكُ إليه رأسه ، وقال : الليلُ طويل وأنت مقمر<sup>(٧)</sup> ؛ فجعل الرجل يلهزه<sup>(٨)</sup> ويقول : يا خبيث ، استأثر ، فلما آذاه بذلك أخرج السليكَ يده ، وضم الرجلَ إليه ضمةً صرخ منها ، وهو فوقه ، ثم قال : من أنت ؟ فقال : أنا رجل افتقرتُ ،

\* الأغاني : ١٨ - ١٣٤ ( طبعة الساسي ) ، الأمثال : ١ - ٤١٨

(١) كان السليكَ من تميم ، وأمه أمة سوداء اسمها السلَكَة ، وهو من أشدَّ رجال العرب وأنكرهم ، وأكثرهم علماً بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وله في ذلك أخبار كثيرة . قتله أسد بن مدرك سنة ١٧ ق ه تقريباً (٢) النكارة : الدهاء . (٣) أي : هاب أحداً (٤) أُمْلِقُ : افتقر (٥) اشتعل الصَّماء : اشتعل الصَّماء أن يرد فضلة ثوبه على عضده اليمنى ثم ينام عليها (٦) استأثر : كن لي أسيراً (٧) ذهب مثلًا ، وأقر الرجل : ارتقب طلوع القمر (٨) يلهزه : يلصقه .



قلت : لأخرجنّ فلا أرجعُ إلى أهلي حتى أستغني فأتبهم وأنا غني . قال الرجل : انطلقْ معي .

فانطلق فوجدا رجلاً قِصَّتهُ مثل قصتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوفَ<sup>(١)</sup> ، جَوْفٌ مراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نَمَمٌ<sup>(٢)</sup> قد ملأ كلَّ شيء من كثرتِه ، فهابوا أن يغيروا فيطردوا<sup>(٣)</sup> بعضها ، فيلحقهم الطلب ، فقال لهما سُلَيْك : كُونَا قَرِيباً مني حتى آتي الرِّعاء<sup>(٤)</sup> ، فأعلم لكما علم الحى : أقرب أم بعيد ، فإن كانوا قريباً رجعتُ إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أوحى إليكما به فأغيروا .

فانطلق حتى أتى الرِّعاء فلم يزل يتسقطهم<sup>(٥)</sup> حتى أخبروه بمكان الحى ، فإذا هم بعيد ، إن طَلَبُوا لم يُذَرَكُوا ؛ فقال السُّلَيْك للرِّعاء : ألا أغنيكم ؟ فقالوا : بلى ! غننا ، فرفع صوته وغنى :

يا صاحبي ألا لا حى بالوادي      سوى عبيدٍ وآمٍ بين أذوادٍ<sup>(٦)</sup>  
أتنظران قريباً ريثَ غفلتَهم      أم تفدوان فإن الرِّيحَ للغادى  
فلما سمعا ذلك أتيا السُّلَيْك ، فأطردوا الإبل ، فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصَّرِيخُ<sup>(٧)</sup>  
الحى ؛ فأتوهم بالإبل .

(١) موضع بأرض مراد (٢) النعم : واحد الأنعام ، وهي الإبل والشاء .

(٣) قال في اللسان : طردت الإبل : أى ضممتها من نواحيها (٤) الرعاء : الرعاة (٥) تسقطه :

عاجله ليروح بما عنده (٦) أذواد : جم ذود ، ثلاثة أبعرة إلى عشرة (٧) الصرِيخ . المستغيث كالصارخ .

## ٩ - السُّلَيْكُ يقتل وينهب!

زعموا أن السُّلَيْك بن السُّلَكَة خرج يريد أن يغير في ناسٍ من أصحابه ؛  
فرَّ على بني شيبان ، في ربيع ، والناس مخصبون في عَشِيَّة فيها ضباب ومطر ؛ فإذا  
هو بيت قد انفرد عن البيوت عظيم ، وقد أمسى .

فقال لأصحابه : كونوا بمكان كذا وكذا حتى آتى هذا البيت ، فلعلى أصيبُ  
خيراً ، أو آتيكم بطعام . فقالوا له : افعل .

فانطلق إليه وجنَّ عليه الليل فإذا البيت يت يزید الشيباني ، وإذا الشيخ  
وامراته بفناء البيت ؛ فاحتال السليك حتى دخل البيت من مؤخره ؛ فلم يلبث  
أن أراح<sup>(١)</sup> ابنُ الشيخ يابله في الليل ، فلما رآه الشيخ غضب ، وقال : هلا كنت  
عشيتها ساعةً من الليل ! فقال ابنه : إنها أبتِ العشاء ! فقال يزيد : إن العاشية  
تهيجُ الآية<sup>(٢)</sup> !

ثم نفّض الشيخ ثوبه في وجهها ، فرجعت إلى مراتمها ، وتبعها الشيخ حتى  
مالت لأدنى روضة ؛ فرتمت فيها ، وقعد الشيخ عندها يتعشى ، وقد خنس<sup>(٣)</sup> وجهه  
في ثوبه من البرد .

### • الأمثال : ١ - ٤١٧

(١) الإراحة : رد الإبل والفرس من المشى إلى مراحها ، حيث أرى إليه ليلاً ، وقد أراحها راعيها

(٢) أى إذا رأت التي تأبى الرعى<sup>١</sup> التي تتعشى حاجتها للرعى ، فرجت معها .

(٣) خنس . قبض .



وتبعه السليك حين رآه انطلق ؛ فلما رآه مُعْتَزِلاً<sup>(١)</sup> ضرب به من ورائه بالسيف ،  
فأطار رأسه ، وأطرده إبله .

وبقى أصحاب السليك - وقد ساء ظنهم ، وخافوا عليه ، فإذا به يُطْرَد  
الإبل ، فأطردوها معه !

## ١٠ - السخيُّ العداء \*

قال رجلٌ من بني تميم :

كنتُ عند المهاجر بن عبد الله وإلى اليمامة ؛ فَأَتَيْتُ بأعْرَابِي قد كان معروفاً  
بالسَّرَقِ<sup>(٢)</sup> ؛ فقال له : أخبرني عن بعضِ عجائبك . قال : إنها لكثيرةٌ ، ومن  
أعجبها :

أنه كان لي بَعِيرٌ لَا يُسَبِّقُ ؛ وكانت لي خَيْلٌ لَا تُلَحِّقُ ، فكنتُ لا أخرج  
فأرجع خائباً ، فخرجتُ يوماً ، فاحترشتُ<sup>(٣)</sup> ضَبًّا ، فعلقته على قَتَبِي<sup>(٤)</sup> ، ثم  
صررتُ بِخَبَاءِ سَرِيِّ<sup>(٥)</sup> ليس فيه إلا عجوز ، فقلت : أخلق بهذا الخباء أن يكون له  
رائحةٌ من غَنَمٍ وإِبِلٍ ، فلما أُمِسْتُ إِذْ يَابِلُ مائة ، فيها شيخٌ عظيم البطن ،  
مُثَدَّنٌ<sup>(٦)</sup> اللحم ، ومعه عبد أسود وَغَدٌ<sup>(٧)</sup> .

(١) اعتز : تنحى .

\* عيون الأخبار : ١ - ١٨٧

(٢) السرقة : السرقة (٣) احترش الضب : اصطاده (٤) القتب : الإكاف الصغير على قدر  
صنام البعير (٥) السرى : من له مروءة في شرف (٦) مثدن اللحم : كثيره (٧) الوغد : الدنيء  
الذي يخدم بيطنه .

فلما رآني رحب بي ، ثم قام إلى ناقة فاحتلبها ، وناولني العلبة فشربت ما يشرب الرجل ، فتناول الباقي ، فضرب به جبهته ، ثم احتلب نسم أينق ، فشرب البانن ، ثم نحر حوَّاراً<sup>(١)</sup> فطبخه ، ثم ألقى عظامه بيضا ، وحنَّ كومة من بطحاء<sup>(٢)</sup> وتوسدها ، وغط غطيطة البكر .

فقلت : هذا والله الغنيمة ! ثم قت إلى فعل إبلة فخطمته<sup>(٣)</sup> ، ثم قرنته إلى بعيرى ، وصيحت به ، فاتبعني الفعل ، واتبعته الإبل ، فسارت خلفي كأنها حبل ممدود ، فضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للسريع ، فلم أزل أضرب بعيرى بيدى مرة ، وأقرعه برجلي أخرى ، حتى طلع الفجر .

فأبصرت الثنية ، فإذا عليها سواد ، فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعداً وقوسه في حجره ، فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم ! قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل ؟ قلت : لا .

فأخرج سهماً كان نصله لسان كلب ، ثم قال : أبصر بين أذنى الضب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، وقال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأي الأول ! قال : انظر هذا السهم الثانى فى فقره ظهره الوسطى ! ثم رمى به ؛ فكأنما قدره بيده ، ثم وضعه بإصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا السهم الثالث فى عكوة<sup>(٤)</sup> ذنبه ، والرابع والله فى بطنك . ثم رماه فلم يخطىء العكوة ، فقلت : أنزل آمناً ؟ قال : نعم . فنزلت ؛ فدفعت إليه خطام فحله ، وقلت : هذه إبلك لم يذهب منها وبرة - وأنا أنتظر متى

(١) الحوار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه (٢) البطحاء : مسيل واسع فيه دقاق الحصى

(٣) خطمه : وضع فيه الخطام : وهو ما وضع فى آف البعير ليقاد به .

(٤) العكوة : أصل الذنب .



يرميني بسهمٍ ينتظمُ قلبي . فلما تنحيت قال لي : أقبل ، فأقبلتُ والله خوفاً من شره ،  
لا طمعاً في خيره .

فقال : أيُّ هذا ؛ ما أحسبك جَشِمْتَ الليلةَ ما جَشِمْتَ إلا من حاجة . قلت :  
أجل ! قال : فاقْرُنْ من هذه الإبل بعيرين وامضِ لِطَيْتِكَ ، قلت : أما واللهِ حتى  
أخبرك عن نفسك قبلاً !

ثم قلت : والله ما رأيت أعرابياً قط أشدَّ ضِرْساً ، ولا أعدى رجلاً ، ولا أزمى  
يداً ، ولا أكرم عفواً ، ولا أسخى نفساً منك !

## ١١ — زَيْدُ الْخَيْلِ (١) \*

أخبر شيخ من بني كَبْهَان قال :

أصابت بني شَيْبَانَ سَنَةٌ ذَهَبَتْ بِالْأَمْوَالِ ؛ فخرج رجلٌ منهم بِعِيَالِهِ حَتَّى  
أَنْزَلَهُمُ الْحَيْرَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ : كُونُوا قَرِيبًا مِنَ الْمَلِكِ يُصْنِبْكُمْ خَيْرَهُ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ ،  
وَأَلَى أَلْيَةٍ (٢) ؛ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَكْسِبَهُمْ خَيْرًا أَوْ يَمُوتَ .

فَنَزَّوْدٌ زَادًا ثُمَّ مَشَى يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ ، فَإِذَا هُوَ بِمَهْرٍ مَقِيدٍ ، حَوْلَ خَبَاءٍ ، فَقَالَ :  
هَذَا أَوَّلُ الْغَنِيمَةِ ، وَذَهَبٌ يَحُلُّهُ وَيَرْكَبُهُ ، فَتَوَدَّى : خَلُّ عَنْهُ وَاعْتَمِ نَفْسُكَ . فَتَرَكَهُ .

وَمَضَى سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَطْنٍ (٣) إِبِلٌ مَعَ تَطْفِيلٍ (٤) الشَّمْسِ ، فَإِذَا  
خَبَاءٌ عَظِيمٌ وَقُبَّةٌ مِنْ أَدَمَ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا لِهَذَا الْخَبَاءِ بُدٌّ مِنْ أَهْلِ ، وَمَا لِهَذِهِ الْقُبَّةِ  
بُدٌّ مِنْ رَبٍّ ، وَمَا لِهَذَا الْعَطْنِ بُدٌّ مِنْ إِبِلٍ . فَنَظَرَ فِي الْخَبَاءِ فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ  
اخْتَلَفَتْ تَرْقُوتَاهُ كَأَنَّهُ نَشْرٌ .

قَالَ : فَجَلَسْتُ خَلْفَهُ . فَلَمَّا وَجِبَتْ (٥) الشَّمْسُ إِذَا فَارِسٌ قَدْ أَقْبَلَ لَمْ أَرَ فَارِسًا  
قَطَّ أَعْظَمَ مِنْهُ وَلَا أَجْسَمَ . وَمَعَهُ أَسْوَدَانِ يَمْشِيَانِ جَنْبَيْهِ ، وَإِذَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ مَعَ

\* الْأَغَانِي : ١٦ - ٤٧ ( طَبْعَةُ السَّاسِي ) .

(١) هُوَ زَيْدُ بْنُ مَهْلَهْلٍ ، كَانَ فَارِسًا مَفْوَارًا مَظْفَرًا شَجَاعًا بَعِيدَ الصِّيتِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ شَاعِرًا  
عَسَنًا خَطِيبًا لَسَنًا ، كَرِيمًا ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ ، وَوَفَدَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ تِسْعٍ ، وَسَرَّ بِهِ  
وَقَرَّظَهُ وَسَمَّاهُ : زَيْدَ الْخَيْرِ . وَسَمِيَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِزَيْدِ الْخَيْلِ لِكَثْرَةِ خَيْلِهِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٩ هـ (٢) آلى  
أَلْيَةٍ : حَلَفَ بِمِثْلِهَا (٣) الْعَطْنُ : مَبْرَكُ الْإِبِلِ (٤) تَطْفِيلُ الشَّمْسِ : مِثْلُهَا لِلْفُرُوبِ (٥) وَجِبَتْ  
الشَّمْسُ : مَالَتْ لِلْفُرُوبِ .

فَحَلَبَهَا ، فَبَرَكَ الْفَعْلُ ، وَبَرَكَتْ حَوْلَهُ ، وَنَزَلَ الْفَارِسُ ؛ فَقَالَ لِأَحَدِ عِبْدَيْهِ : احْلُبِ الْفُلَانَةَ <sup>(١)</sup> ، ثُمَّ اسْقِ الشَّيْخَ ، فَحَلَبَ فِي عُسْرٍ حَتَّى مَلَأَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ ، وَتَنَحَّى ، فَكْرَعَ مِنْهُ الشَّيْخُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ نَزَعَ <sup>(٢)</sup> ، فَثُرْتُ إِلَيْهِ فَشَرِبْتَهُ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْعَبْدُ فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ ؛ قَدْ أَتَى عَلَى آخِرِهِ . فَفَرَحَ بِذَلِكَ وَقَالَ : احْلُبِ الْفُلَانَةَ ، فَحَلَبَهَا ، ثُمَّ وَضَعَ الْعُسْرَ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ ، فَكْرَعَ مِنْهُ وَاحِدَةً ، ثُمَّ نَزَعَ ، فَثُرْتُ إِلَيْهِ فَشَرِبْتُ نَصْفَهُ ، وَكَرِهْتُ أَنْ آتِيَ عَلَى آخِرِهِ فَأَتَاهُمْ ، فَجَاءَ الْعَبْدُ فَأَخَذَهُ ، وَقَالَ لِمَوْلَاهُ : قَدْ شَرِبَ ، فَقَالَ : دَعَهُ .

ثُمَّ أَمَرَ بِشَاةٍ فَذَبَحَتْ ، وَشَوَى لِلشَّيْخِ مِنْهَا : ثُمَّ أَكَلَ هُوَ وَعَبْدَاهُ . فَأَمَهَلْتُ حَتَّى إِذَا نَامُوا وَسَمِعْتُ الْغَطِيطَ <sup>(٣)</sup> ثُرْتُ إِلَى الْفَعْلِ ، فَحَلَلْتُ عِقَالَهُ وَرَكِبْتُهُ ، فَأَنْدَفَعْتُ بِي وَتَبِعْتُهُ الْإِبِلَ . فَشِيتُ لَيْلَتِي حَتَّى الصَّبَاحَ .

فَلَمَّا أَصْبَحْتُ نَظَرْتُ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ، فَسَلَّطْتُهَا سَلًّا عَنيفًا ، حَتَّى تَعَالَى النَّهَارُ ، ثُمَّ التَفْتُ التَّفَاتَةَ ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْءٍ كَأَنَّهُ طَائِرٌ ، فَمَا زَالَ يَدْنُو حَتَّى تَبَيَّنْتُهُ ، فَإِذَا هُوَ فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ ، وَإِذَا هُوَ صَاحِبِي بِالْأَمْسِ ، فَفَعَلْتُ الْفَعْلَ ، وَثَلَّثْتُ كُنَانَتِي ، وَوَقَفْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِبِلِ ، فَقَالَ : احْلُلْ عِقَالَ الْفَعْلِ . فَقُلْتُ : كَلَّا وَاللَّهِ ، لَقَدْ خَلَّفْتُ نُسَيَّاتٍ بِالْحَيْرَةِ ، وَآلَيْتُ أَلِيَّةً لَا أَرْجِعُ حَتَّى أَفِيدَهُنَّ خَيْرًا أَوْ أَمُوتَ ، قَالَ : فَإِنَّكَ لَمَيِّتٌ ؛ حَلَّ عِقَالَهُ لَا أَمَّ لَكَ ! فَقُلْتُ : مَا هُوَ إِلَّا مَا قُلْتُ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّكَ لَمُغْرُورٌ ، أَنْصَبْ لِي خِطَامَهُ ، وَاجْعَلْ فِيهِ خَمْسَ عُجَرَ <sup>(٤)</sup> ؛ فَقَعَلْتُ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ أَنْ أَضَعَ سَهْمِي ؟ فَقُلْتُ : فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . فَكَأَنَّمَا وَضَعَهُ بِيَدِهِ .

---

(١) الْفُلَانَةُ : كُنْيَاةٌ عَنْ غَيْرِ الْإِنْسَانِ (٢) نَزَعَ : انْتَهَى (٣) غَطِيطُ النَّائِمِ : نَحِيرُهُ .  
(٤) الْمُعْجَرَةُ : الْعُقْدَةُ .



ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم ، فرددت نبل<sup>(١)</sup> ، وحططت قوسي ، ووقفت مستسلما ؛ فدنا مني وأخذ السيف والقوس ثم قال . ارتدِفْ<sup>(٢)</sup> خلني ، وعرف أني الرجل الذي شربت اللبن عنده ؛ فقال : كيف ظنك بي ؟ قلت : أحسن ظن . قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بي . فقال : أترانا كنا نهيجك وقد بت تتادم مهلهلا<sup>(٣)</sup> ؟ قلت : أزيد الخيل أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل ، فقلت : كن خير آخذ . فقال : ليس عليك بأس . ومضى إلى موضعه الذي كان فيه . ثم قال : أما لو كانت هذه الإبل لي لسلّمتها إليك ، ولكنها لبنت مهلهل ، فأقم على فاني على غارة .

فأقت أياما ، ثم أغار على بني نمير فأصاب مائة بعير ، فقال : هذه أحب إليك أم تلك ؟ قلت : هذه . قال : دونكها ، وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بي الحيرة ، فلقيني نبطي فقال : يا أعرابي ، أيسرك أن لك يابلك بستانا من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قُربٌ يخرج نبي يخرج فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ، حتى إن أحدهم ليباع البستان من هذه البساتين بثمان بعير .

قال : فاحتملت بأهلي حتى انتهيت إلى موضع ، فبينما نحن على ماء لنا ، جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمنا ، وما مضت أيام حتى اشتريت بثمان بعير من إبلي بستانا بالحيرة .

(١) النبل : السهام المرمية ، ولا واحد لها (٢) المرتدِف : الراكب خلف الراكب

(٣) مهلهل : أبو زيد الخيل .

## ١٢ — وَأَذُ الْبَنَاتِ \*

روت الرواة أن صَعَصَعَةَ بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال : يا رسول الله ؛ إني كنت أعمل عملاً في الجاهلية ، أفينفعني ذلك اليوم ؟ قال : ما عملك ؟ قال : أَضَلَلْتُ<sup>(١)</sup> نَاقَتَيْنِ عُسْرَاوِينَ<sup>(٢)</sup> فَرَكِبْتُ جُمَلًا ، ومضيت في بُغَايِهِمَا ، فرفع لي بيتٌ حَرِيدٌ<sup>(٣)</sup> ، فقصدته ؛ فإذا شيخٌ جالس بفناء الدار ، فسألتُه عن النَاقَتَيْنِ ، فقال : ما نارُهما<sup>(٤)</sup> ؟ قلت : مِيسَمُ بنى دارم ، فقال : هما عندي ، وقد أحيا الله بهما قومًا من أهلك من مُضَرٍّ ؛ فجلستُ معه لتُخْرِجَا إلىَّ ، فإذا عجوز قد خرجت من كِسر البيت ، فقال لها : وضعت ؟ فإن كان سَقْبًا<sup>(٥)</sup> شاركني في أموالنا ، وإن كانت حَائِلًا<sup>(٦)</sup> وَأَذُنَاها . فقالت العجوز : وضعتُ أُنثى ، فقلت : أُنَيِّمُها ؟ قال : وهل تبيع العربُ أولادها ؟ قلت : إنما أشتري منك حياتها ، ولا أشتري رقبها . قال : فبكم ؟ قلت : احتَكِم . قال : بالنَاقَتَيْنِ والجمال . قلت : ذلك لك ، على أن يبلغني الجملُ وإيَّاهَا . ففعل .

فَأَمَنْتُ بِكَ يا رسول الله ، وقد صارت لي سُنَّةٌ في العرب ، على أن أشتري كل موءودة بنَاقَتَيْنِ عُسْرَاوِينَ وجمال ، فعندي إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة ، قد أنقذتها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ينفعك ذلك ؛ لأنك لم تبغ به وجهَ الله ، وإن تعمل في إسلامك عملاً صالحاً تثب عليه .

\* الكامل للمبرد : ١ - ٢٨٩ ، أمثال الميداني : ١ - ٣٨٩

(١) أضلت : صادفتها ضالتين (٢) عسراوين : العسراء : الناقة التي قد أتى عليها منذ حملت عشرة أشهر (٣) بيت حريد : متنح عن الناس (٤) ما نارها : ما وسمها (٥) السقب : الذكر من ولد الناقة ساعة يولد (٦) الحائل : الأنثى من أولاد الإبل ساعة توضع .

### ١٣ - أعجب السرقات \*

قال أبو الهيثم :

اجتمع مالك بن <sup>(١)</sup> الرب وأبو حردابة وشيظاظ يوماً ، فقالوا : نعالوا نتحدث  
بأعجب ما عملناه في سرقتنا ، فقال أبو حردابة :

أعجب ما صنعتُ وأعجب ما سرقتُ أني صحتُ رققةً ، فيها رجلٌ على  
رَحْلِ فأعجبني ، فقلت لصاحبي : والله لأسرقنَّ رَحْلَهُ ، ثم لا رضيتُ أو آخذ عليه  
جِمالَةً <sup>(٢)</sup> .

فرمقته حتى رأيتُه قد خَفَقَ برأسه ، فأخذتُ بِحُطَامٍ <sup>(٣)</sup> جملهُ فَقَدْتُهُ ،  
وعدلت به عن الطريق ، حتى إذا صيرتُه في مكان لا يثا فيه إن استفاثُ أَنْخَتُ  
البير وصرعته ، فأوثقتُ يديه ورجليه وقدتُ الجمل ففببته ، ثم رجعتُ إلى الرُققة ،  
وقد فقدوا صاحبهم فهم يسترجمون <sup>(٤)</sup> ، فقلت : مالكم ؟ فقالوا : صاحبُنا فقدناه ؛  
فقلت : أنا أعلمُ الناسُ بأثره ؛ فجعلوا لي جمالة ، فخرجتُ بهم أتبع الأثر حتى وقفوا

\* الأغاني : ١٩٠ - ١٦٣ ( طبعة الساسي )

(١) هو مالك بن الرب كان من أجل العرب وأبينهم ، ومرو به سعيد بن عثمان بن عفان - لما ولاه  
معاوية خراسان ، ومالك في قهر من أصحابه - فقال له : ويحك يا مالك ! ما الذي يدعوك إلى ما  
يلفني عنك من العداة وقطع الطريق ؟ قال : أصلح الله الأمير ؛ العجز عن مكافأة الإخوان ، قال :  
فإنا أنا أغنيك واستصعبتك أتكف عما تفعل ؟ قال : نعم أ كف كأحسن ما كف أحد .  
فاستصعبه وأجرى عليه خمسمائة دينار ، وكان معه حتى قتل بخراسان ، ثم مكث مالك بخراسان  
حتى مات هناك (٢) الجمالة : ما يفرض على الصل (٣) الحطام : الزمام (٤) استرجع عند المصيبة :  
قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .



عليه فقالوا : مالك ؟ قال : لا أدري ، نَعَسْتُ ، فانتبهتُ لحسين فارساً قد أخذوني ؛  
فقاتلتهم فغلبوني !

قال أبو حَرَدَبَة : فجعلت أضحك من كذبه ، وأعطوني جِمالتي ، وذهبوا  
بصاحبهم .

وأعجب ما سرت : أنه مرَّ بي رجلٌ معه ناقة وجمل وهو على الناقة ، فقلت :  
لأخذتهما جميعاً ، فجعلت أعارضه وقد رأيته قد خفق برأسه ، فدُرْتُ فأخذتُ الجمل  
فخللته وسقته ، فضيَّته في القصيم<sup>(١)</sup> ، ثم انتبه فالتفت فلم ير جملة ، فنزل وعقل راحلته ،  
ومضى في طلب الجمل ، ودُرْتُ ؛ فخللت عقال ناقته ، وسقته !

فقالوا لأبي حَرَدَبَة : ويحك ! لِمَ تكون هكذا ؟ قال : اسكتوا فكأنكم بي  
قد تَبَّتُ ، واشتريت فرساً وخرجتُ ، فبينما أنا واقفٌ إذ جاءني سهمٌ كأنه قطعة  
رِشاء<sup>(٢)</sup> فوقع في نحري فمِتُّ شهيداً .

قال الراوى : فكان كذلك ؛ تاب وقدم البصرة ، فاشترى فرساً ، وغزا الرومَ  
فأصابه سهمٌ في نحره ؛ فاستشهد !

ثم قالوا لِشِظَاظ : أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصوصيتك ورأيت فيها ؟  
فقال : نعم ، كان فلان ( رجلٌ من أهل البصرة ) له بنت عم ذاتُ مال كثير ، وهو  
وليُّها ، وكانت له نسوة ، فأبت أن تزوجه ، فحلف ألا يزوجه من أحدٍ ضِراً لها ،  
وكان يخطبها رجلٌ غنى من أهل البصرة ، فأبى أن يزوجهَا منه ، ثم إن ولى الأمر  
حججٌ ، حتى إذا كان بالدو<sup>(٣)</sup> مات فدفن براية وشيد على قبره ، فتزوجت الرجل  
الذى كان يخطبها .

(١) القصيم : الموضع الذى كانوا يسرقون فيه (٢) الرشاء : رسن الدلو (٣) الدو : مكان على  
مرحلة من البصرة .

قال شظاظ : وخرجت رفقةً من البصرة معهم بُرّاً ومتاعاً ، فتبصرتهم ومامهم واتبعتهم حتى نزلوا ، فلما ناموا بيّتهم<sup>(١)</sup> وأخذتُ من متاعهم . ثم إن القوم أخذوني وضربوني ضرباً شديداً وجردوني ، وذلك في ليلة قرّة<sup>(٢)</sup> ، وسلبوني كل قليل وكثير ؛ فتركوني غريباً وتماوتُ لهم ، وارتحل القوم ، فقلت : كيف أصنع ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأتيتُه فنزعت لوحاً ثم احتفرتُ فيه سرّاً<sup>(٣)</sup> ؛ فدخلت فيه ؛ ثم سدّدتُ علىّ باللوح ، وقلت : لعلّي الآن أدفأ فأتبعهم .

ومر الرجلُ الذي تزوج بالمرأة في الرفقة . فر بالقبر الذي أنا فيه فوقف عليه وقال لرفيقه : والله لأنزلنّ إلى قبر فلان ، حتى أنظر هل يحى الآن فلانة !

قال شظاظ : فعرفتُ طوته فقلعت اللوح ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من القبر ، وقلتُ : بلى ورب الكعبة لأحمينّها ، فوقع والله مفشياً عليه لا يتحرك ولا يعقل ، فجلستُ على راحلته ، وعليها كل أداة وثياب ونقدٍ كان معه ، ثم وجهتها قصد مطلع الشمس هارباً من الناس فنجوتُ بها ؛ فكنتُ بعد ذلك أسمعُه يحدث الناس بالبصرة ويخلفُ لهم أن الميتَ الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره ، والناسُ يعجبون منه ؛ فما قلّهم يكذبُه ، والأحقّ منهم بصدقه ، وأنا أعرف القصةَ فأضحك منهم كالمتعجب !

قالوا : فزدنا . قال : فأنا أزيدكم أعجب من هذا وأحقّ من هذا : إني لأمشي في الطريق أبتغي شيئاً أسرقه فلا والله ما وجدتُ شيئاً ، وإذا أنا بشجرة ينام من تحتها الركبان في مكان ليس فيه ظلٌّ غيرها ، وإذا أنا برجلٍ يسير على حمار له ،

(١) بيت فلان بنى فلان : إذا أنا لم ليلا ، فكبسهم وهم فارون (٢) ليلة قرّة : باردة .

(٣) السرب . بيت في الأرض .

فقلت له : أسمع ! قال : نعم . قلت : إن المقيلاً الذى تريد أن تقيله يُخسَفُ  
بالدواب فيه ، فاحذره . فلم يلتفت إلى قولى ، ورمقته حتى إذا نام أقبلت على حماره  
فاستنقته ، حتى إذا برزت به قطعت طرف ذنبه وأذنيه ، وأخذت الحمار فخبأته  
وأبصرته حين استيقظ من نومه ، فقام يطلب الحمار ويثقل أثره ؛ فبينما هو كذلك  
إذ نظر إلى طرف ذنبه وأذنيه ، . فقال : لعمري لقد حذرت لو نفعتي الحذر؛ واستمر  
هارباً خوف أن يخسف به . فأخذت جميع ما بقى من رحله فحملته على الحمار !



## ١٤ — أعرابي في عُرس \*

قال الفضل بن العباس الهاشمي :

كان ناهض بن ثومة الكلابي يقد على جدّي قُثم ، فيمدحه ويصلّه جدي  
وغيره ، وكان بدويًا جافيًا كأنه من الوحش ؛ إلا أنه طيب الحديث .  
حدّثه يوماً : أنهم انتجعوا ناحية الشام فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد  
ابن معاوية ؛ كان ينزل حلب وكان برّاً به .

قال : فررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عاصم الهلالي ، فرأيت دُوراً مُتباينة  
وخصاصاً <sup>(١)</sup> قد ضُمَّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثيرون مقبلون ومدبرون ،  
عليهم ثياب تخمكي ألوان الزهر ، فقلت في نفسي : هذا أحدُ العيدين : الأضحى  
أو الفطر ، ثم تاب إلى ما عَزَبَ عن عقلي فقلت : خرجت من أهلي في بادية البصرة  
في صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرى !

وينا أنا واقف متعجب أتاني رجل ، فأخذ يدي فأدخلني داراً قوراء <sup>(٢)</sup> ،  
وأدخلني منها بيتاً قد نُجِّدَتْ فيه فرش ومُهدت ، وعليها شاب ينال فرعُ شعره  
منكبيه ، والناس حوله سباطان <sup>(٣)</sup> ، فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي حُكيَ لنا  
جلوسه ، وجلوسُ الناس بين يديه . فقلت - وأنا مائل بين يديه : السلام عليك  
أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . فجذبَ رجلٌ يدي وقال : اجلس ، فإن هذا ليس

\* الأغاني : ١٢ - ٣٣ ر

(١) الخصاص : جمع خص ، وهو - من القصب (٢) دار قوراء : واسعة .

(٣) السباط : الصف .

بأمير . قات : فمن هو ؟ قال : عروس<sup>(١)</sup> . فقلت : وائكل أماء<sup>(٢)</sup> الرب عروس  
رأيت بالبادية أهون على أهله من هنة<sup>(٣)</sup> !

فلم أنشب<sup>(٤)</sup> أن دخل رجال<sup>(٥)</sup> يحملون آفات<sup>(٦)</sup> مدورات ، أما ماخف منها  
فيحمل خلاً ، وأما ما كبر وثقل فيدحرج ، فوضع ذلك أمامنا ، ونحلق القوم عليه  
حلقاً ، ثم أتينا بخرق بيض فألقيت بين أيدينا ، فظننتها ثياباً ، وهمت أن أسأل  
القوم منها خرقاً أرقع<sup>(٧)</sup> بها قميصي ، وذلك أني رأيت نسجاً متلاحماً ، لا يبين له  
سدى ولا لحمة<sup>(٨)</sup> ؛ فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يتمزق سريعاً ، وإذا هو  
فيما زعموا صنف من الخبز لا أعرفه .

ثم أتينا بطعام كثير بين حلو وحامض ، وبارد وبارد ، فأكثر منه ،  
وأنا لا أعلم ما في عقبه من التخمر والبشم ، ثم أتينا بشراب أحمر في شن<sup>(٩)</sup> ، فقلت :  
لا حاجة لي فيه فإني أخاف أن يقتلني ، وكان إلى جنبي رجل ناصح - أحسن الله  
جزاءه ، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس - فقال : يا أعرابي ؛ إنك قد  
أكثر من الطعام ، وإن شربت الماء<sup>(١٠)</sup> بطنك ، فلما ذكرت البطن  
تذكرت شيئاً أوصاني به أبي ، والأشياخ من أهلي ؛ إذ قالوا : لا تزل حياً مادام  
بطنك شديداً ، فإذا اختلف فأوص . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ،  
وجعلت أكثر منه فلا أمل شربه ، فتداخني من ذلك صلف لا أعرفه من  
نفسى ، وبكاه لا أعرف سببه ، ولا عهد لي بمثله ، واقتدار على أمر أظن معه أني

---

(١) العروس : المرأة مادام في أعراسها ، وهم عرس ، وهن عرائس . (٢) الهنة :  
كناية عن خسيس الشيء (٣) لم أنشب : لم ألبث ، قال في اللسان : وحقيقته لم يتعلق بشئ غيره ،  
ولا اشتغل بسواه (٤) آفات : جمع غير قياسي لإناء (٥) السدى من خيوط الثوب : مامد منها  
طولا ، واللحمة : مامد منها عرضاً (٦) الشن : القربة الخلق الصغيرة (٧) ها : سال .

لو أردتُ نيلَ السقف لبلغتهُ ، ولو شأوتُ الأسد لقتلتهُ ؛ وجعلتُ ألفت إلى الرجل الناصح ، فتحدثني نفسي بهم أسنانه ، وهشم أنفه ، وأهم أحياناً أن أشتيمه .

فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعة : أحدهم قد علق في عنقه جمعةً فارسية ، مفتحة الطرفين ، دقيقة الوسط ، قد شُبكت بخيوط ، وألبست قطعةً قرّو ، كأنهم يخافون عليها القرّ . ثم بدر الثاني ، فاستخرج من كفه هنةً سوداء فوضمها في فيه ، وأخرج صوتاً لم أسمع - وبيت الله - أعجب منه ، فاستم بها أمرهم ، ثم حرك أصابعه فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ ، ولكنه أتى منها - لما حرك أصابعه - بصوت عجيب ، متلائم متشاكل بعضه لبعض ، كأنه - علم الله - ينطق به . ثم بدا ثالث له وجهٌ كز<sup>(١)</sup> مقيت ! عليه قميص وسخ ومعه مرأتان ، فجعل يصفق بهما بيديه إحداها على الأخرى ، فخالط بصوته ما يفعله الرجلان . ثم بدا رابع عليه قميص ، وسراويل قصيرة ، وخفّان أجذمان ، لا ساق لواحد منهما ، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب ، ثم تلبّط<sup>(٢)</sup> على الأرض ، فقلت : معتوه ورب الكعبة ! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت القوم يحذفونه<sup>(٣)</sup> بالدراهم حذفاً منكراً ؛ ثم أرسل النساء إلينا : أن أمتعنونا من لهُوكم هذا ؛ فبعثوا بهم ، وجعلنا نسمع أصواتهم من بعد .

وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فعَلت الأصواتُ بالثناء عليه والدعاء له ، فخرج وجاء بخشبة عيناها في صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من خلالها عوداً ، فوضعه خلف أذنه ، ثم عرّك آذانها ، وحركها بخشبة في يده ، فنطقت ورب

(٢) تلبط : اضطجع وتعرّج

(١) وجه كز : قبيح

(٣) يحذفونه : يرمونه .



الكعبة ! وإذا هي أحسنُ قينة<sup>(١)</sup> رأيتها قط ! فأطربني حتى استخفني من مجلسي ،  
فوثبت وجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمي ! ماهذه الدابة ؟ فلست أعرفها  
للاعراب ، وما أراها خلقت إلا قريباً ! فقال : هذا البربط<sup>(٢)</sup> . فقلت : بأبي أنت  
وأمي ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير<sup>(٣)</sup> . قلت : فالذي يليه ؟ قال : المثني<sup>(٤)</sup> .  
قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث<sup>(٥)</sup> . قلت : فالأعلى ؟ قال : البم<sup>(٦)</sup> . فقلت : آمنت  
بالله أولاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالبم رابعاً .

قال الفضل : فضحك أبي والله حتى سقط ؛ وجعل ناهض يمجّب من ضحكك !  
ثم كان بعد ذلك يستميده هذا الحديث ؛ ويُطْرِف به إخوانه فيضحكون منه .

---

(١) القينة : الأمة المغنية (٢) البربط : العود معرب (بربط) - بكسر الراء - وهو آلة من العازف  
(٣) الزير : من أوتار العود (٤) المثني : الذي يلي الزير (٥) المثلث : الذي يلي المثني  
(٦) البم : الذي يلي المثلث ، وهو أغلظ الأوتار .

صنع عبد الملك<sup>(١)</sup> بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب<sup>(٢)</sup> ، ودعا إليه الناس فأكلوا . فقال بعضهم : ما أطيب هذا الطعام ! ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ولا أكل أطيب منه . فقال أعرابي من ناحية القوم : أمّا أكثر فلا ، وأمّا أطيب فقد والله أكلت أطيب منه . فطفقوا يضحكون من قوله .

فأشار إليه عبد الملك فأذني منه ؛ فقال : ما أنت بمُحِقِّ فيما تقول إلا أن تُخبرني بما يبينُ به صدقك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا بهجر<sup>(٣)</sup> في برث<sup>(٤)</sup> أحر في أقصى حَجَر<sup>(٥)</sup> إذ تَوَفَّى أبي ، وترك كلاً<sup>(٦)</sup> وعيالا ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرها أخفاف الرباع<sup>(٧)</sup> ، لم ير تمر قط أغلظ ولا أصلب ولا أصغر نوى ولا أحلى حلاوة منه .

وكانت تطرقها أتان وحشية قد ألفتها تأوى الليل تحتها ، فكانت تُثَبِّتُ رجلها في أصلها ، وترفع يديها ، وتغطو<sup>(٨)</sup> بفيها فلا تترك فيها إلا النبيذ<sup>(٩)</sup> والمتفرق ؛ فأعظمني ذلك ووقع مني كل موقع .

فانطلقت بقويسي وأمهبي ، وأنا أظن أني أرجع من ساعتى ؛ فكثت يوماً

\* الأغاني : ٨ - ٤٠ ( طبعة دار الكتب )

- (١) من أعظم الخلفاء ، نشأ في المدينة ، واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة سنة ٦٥ هـ ، وتوفي سنة ٨٦ هـ (٢) أطاب الشيء : طيبه (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بالتمر (٤) البرث : الأرض اللينة السهلة (٥) في أقصى حجر : أي في أبعد ناحية (٦) الكل : العيال والثقل (٧) الرباع : جمع ربع وهو الفصيل ينتج في الربيع (٨) تغطو : تتناول (٩) النبيذ : النبوذ .

وليلة لا أراها ، حتى إذا كان السحر أقبَلَتْ ، فتهيأت لها فرشتها فأصابتها ، وأجهزت عليها ، ثم عمدت إلى سررتها فاقتدذتها ، ثم عمدت إلى حطب جزل فجمعت إلى رصف<sup>(١)</sup> ، وعمدت إلى زندي فقدحت ، وأضرمت النار في ذلك الحطب ، وألقيت سررتها فيه ، وأدركني نوم الشباب فلم يوقظني إلا حرُّ الشمس في ظهري ، فانطلقت إليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذى وسواد ورماد ، ثم قلبت منها مثل الملاءة البيضاء ، فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزعة<sup>(٢)</sup> والمنصفة ، فسمعت لها أطيظاً<sup>(٣)</sup> كتداعى عامر وغطفان ، ثم أقبلت أتناول الشحمة واللحمة فأضعها بين التمرين وأهوى بها إلى فمي ، فيما أحلف إنى ما أكلت طعاماً مثله قط !

فقال له عبد الملك : لقد أكلت طعاماً طيباً فمن أنت ؟ قال : أنا رجلٌ جانبَتني عنقنة<sup>(٤)</sup> تميم وأسد ، وكشكشة<sup>(٥)</sup> ربيعة ، وحوشى<sup>(٦)</sup> أهل اليمن - وإن كنتُ منهم . فقال : من أيهم أنت ؟ قال : من أخوالك من عذرة . قال : أولئك فصحاء الناس ؛ فهل لك علمٌ بالشعر ؟ قال : سئنى عما بدا لك يا أمير المؤمنين . قال : أى بيت قالته العرب أمدح ؟ قال : قول جرير :

ألستم خيرَ من ركب المطايا      وأنذى العالمين بطون راح<sup>(٧)</sup>

وكان جرير في القوم ؛ فرفع رأسه وتناول لها . ثم قال : فأى بيت قالته العرب أفخر ؟ قال : قول جرير :

---

(١) الرصف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار (٢) جزع البسر : إذا بلغ الإرتاب بعضه .  
ونصف البسر : إذا بلغ الإرتاب نصفه (٣) الأطيظ : الصوت (٤) العنقنة : إبدال العين من الهمزة  
(٥) الكشكشة : إجعل الشين مكان الكاف (٦) الحوشى : الفامض (٧) راح : جمع راحة ، وهى الكف .



إِذَا غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو نَعِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَابًا  
فَتَحَرَّكَ لَهَا جَرِيرٌ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : فَأَيَّ بَيْتٍ أَهْجَى ؟ قَالَ : قَوْلُ جَرِيرٍ :  
فَفُضَّ الطَّرْفُ إِنَّكَ مِنْ مُنْهَرٍ فَلَاحُ كَعْبًا بَلَفْتَ وَلَا كِلَابًا  
فَاسْتَشْرَفَ لَهَا جَرِيرٌ . ثُمَّ قَالَ : فَأَيَّ بَيْتٍ أُغْزَلَ ؟ قَالَ : قَوْلُ جَرِيرٍ :  
إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْنَاهَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا  
فَاهْتَزَّ جَرِيرٌ وَطَرَبَ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : فَأَيَّ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ أَحْسَنَ تَشْبِيهَا ! قَالَ :  
قَوْلُ جَرِيرٍ :

سَرَى نَحْوَهُمْ لَيْلٌ كَانَ نَجْوَاهُ قَنَادِيلُ فِيهِنَّ الذُّبَالُ<sup>(١)</sup> الْمَقْتَلُ  
فَقَالَ جَرِيرٌ : جَائِزَتِي لِلْعُذْرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَهُ مِثْلُهَا مِنْ  
بَيْتِ الْمَالِ ، وَلَكَ جَائِزَتُكَ يَا جَرِيرُ لَا تُنْتَقَصُ مِنْهَا شَيْئًا . وَكَانَتْ جَائِزَةُ جَرِيرٍ أَرْبَعَةَ  
آلَافِ دَرَاهِمٍ وَتَوَابِعُهَا مِنَ الْحِلَاقِ وَالْكُسُوفَةِ . فَخَرَجَ الْعُذْرَى فِي يَدِهِ الْيُمْنَى ثَمَانِيَةَ  
آلَافِ دَرَاهِمٍ ، وَفِي الْيَدِ الْيُسْرَى رِزْمَةُ ثِيَابٍ !

(١) الذبالة : الفتيلا التي توضع في القنديل ، يوضع فيه الزيت ليستضاء به .

كان جَحْدَر بن ربيعة من لصوص العرب وشياطينهم ، يُفِير على أحيائهم فينهَبُها ، وربما فتك بمن تعرض له ؛ واشتدَّ شرُّه في أيام الوليد بن عبد الملك ، حتى أباد خلقاً كثيراً .

فبلغ أمرُه الحِجَّاجَ <sup>(١)</sup> ؛ فكتب إلى عامله باليمامة ، يؤنِّبه لعجزه عن الضرب على يدى ذلك الفاتك ، وأمره أن يُوقِعَ به ، أو يحمله إليه أسيراً .  
 فأوطأ <sup>(٢)</sup> العاملُ جماعة من فتيّة بنى حَنْظَلَةَ ، وجعل لهم الجمائل <sup>(٣)</sup> العظيمة إن هم أتَوْه به مفلولاً <sup>(٤)</sup> أو مقتولاً !

فأرسلوا إليه يقولون : إنهم يريدون الانقطاع إليه ، والخضوع لأمره ؛ فأخْلَدَ جَحْدَر إلى قولهم ، وأدخلهم في صُحبته . فأخذوا ينهبون تحت لوائه ، إلى أن صادفوا منه غِرَّةً <sup>(٥)</sup> ، فشذُّوا وِثاقه ، وقدموا به إلى العامل الذى وجههم به إلى الحِجَّاج .  
 فلما مثَّلوا بين يديه قال الحِجَّاج : أنت جَحْدَر ؟ قال : نعم ، فقال : وما جرّأك على ما بلغنى عنك ؟ قال : جَوْرُ الزمان ، وجراءة الجنان ! قال : وما بلغ من أمرك ؟ قال : لو ابتلاني الأمير ، وجعلنى مع الفرسان لرأى منى ما يعجبه .

فقال : يا جحدر ؛ إني قاذفٌ بك إلى حفيرة بها سبعٌ شرس ، فإن قتلتك

\* المستطرف : ١ - ٢٢٤ ، المحاسن والمساوى : ٧٧ ( طبع ليزج ) .

(١) نشأ بالطائف ، وولى العراق والشرق ، وملك بواسطة سنة ٩٥ هـ (٧) أوطأ جماعة : اتفق

معهم (٣) الجمالة ما جعل للانسان من شئ على فعل (٤) الفل : طوق من الحديد يحبل في الصنق

(٥) الفرّة : الففلة .

كفانا مثنوتك ، وإن قتلتَه عفونا عنك لشجاعتك ! فقال : أصلح الله الأمير !  
لقد قرُبَ الفرج !

فأمر الحجاج بحبسَه ، وكتب إلى العامل أن يرتاد<sup>(١)</sup> له سُبُعًا عَتِيًّا<sup>(٢)</sup> ، ويحمله  
إليه . فارتاد له أسداً خبيثاً ، كربه المنظر ، قد أفنى جميع ما باليمامة من حيوان ،  
ووضعه في قفص من حديد ، وأنفذه إلى الحجاج .

فأمر أن يُلقى في الحفيرة ، ولا يُطعم شيئاً ثلاثة أيام ، حتى إذا ما اشتد به  
الجوع ، أخرج إليه جحدر ، وما أعطى إلا سيفاً ، والحجاج مشرف على الحفيرة ؛  
والناس حوله ينظرون إلى الأسد ما هو صانع بفريسته !

فلما رُفِعَ<sup>(٣)</sup> له نهض وزار زئيراً رجّ الجبال ، وراعى الحاضرين ، فأنشد جحدر :

ليثٌ وليثٌ في مجالِ ضنكِ كلاهما ذو قوّةٍ وسفكٍ  
وصولةٍ وبطشةٍ وفتكِ إن يكشفِ الله قناعَ الشكِّ

فأنتَ لي في قبضتي ومِلْكِي

ثم أدلى به ، فوقع عليه وقوعَ الصاعقة ، فصرخ الأسدُ عند رؤيته صرخة  
عظيمة ، فأجابه هو بأعظم منها ، وضربه بسيفه ضربةً فلقَتْ هامته ؛ فكبر الناس ،  
وأعجب به الحجاج ، وقال . لله درُّك<sup>(٤)</sup> ! ما أنجذك<sup>(٥)</sup> !

ثم خيره بين أن يُقيم عنده مكرماً ، أو يلحقَ بيلاده على ألا يؤذى أحداً ،  
ولا يحدث حدثاً ؛ فاختارَ جحدر الإقامة معه ، وأحسن أدبه ، حتى حظى عنده وجعله  
من سُمناره وخواصه ؛ وبعد ذلك بزمَ غير طويل ولأه اليمامة ، ومكث فيها مدة ،  
قام فيها بأعباء الولاية خيرَ قيام .

(١) يرتاد : يطلب (٢) العتي : ما جاوز الحد ، ويقصد : الشديد المائل (٣) رفع : ظهر من بعيد

(٤) الدر : العمل من خير أو شر ؛ والله درك أى لله عملك ؛ يقال لمن يمدح ويتعجب من عمله .

(٥) ما أنجذك : ما أشجعك فيما يجر عنه غيرك .



## ١٧ - صديقا ابن سريج على قبره \*

حدث إسحاق بن يعقوب عن أبيه قال :

إننا لبنياء دار عمرو بن عثمان بالأبطح في صُبحِ خامسة من الثمان <sup>(١)</sup> ، فما إنْ دَرَيْتُ إلا برجل على راحلة ، على رَحْلٍ جميل وأداةٍ حسنة ، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جَنَبَ <sup>(٢)</sup> إليها فرساً وبغلاً ، فوقفا علىّ وسألاني ، فانتسبتُ لهما عُمَانيَا ، فنزلا وقالا : رجلان من أَهْلِكَ أقدمتُنا حاجةً نحبُّ أن نقضيها قبل أن نُشَدَّه <sup>(٣)</sup> بأمر الحج ؛ فقلت : ما حاجتُكما ؟ قالَا : نريد إنساناً يَقِفُنا على قبر عبيد بن سريج !

قال : فنهضت معهما حتى بنفتُ بهما محلةً بنى قارة من خِزَاعة بمكة ، وهم موالى عبيد بن سريج <sup>(٤)</sup> ، ثم التمتُ لهما إنساناً يصحبُهُما حتى يَقِفَهُما على قبره بدَسَمٍ <sup>(٥)</sup> ، فوجدتُ ابنَ أبي دُبَاٍ كل فأنهَضتُهُ معهما . ثم أخبرني بعدُ : أنه لما أوقفهُما على قبره نزل أحدهما فحسرَ عمامته عن وجهه ، فإذا هو عبد الله ابنُ سعيد بن عبد الملك بن مروان ، فقَرَ نَاقته ، واندفع يندبُهُ بصوتٍ شجِيٍّ كليلٍ حَسَنٍ :

وقفنا على قبرٍ بدسَمٍ فهاجَنَّا      وذكَرَنا بالعيش إذ هو مُصْحَبٌ <sup>(٦)</sup>

\* الأغاني : ١ - ٣٢٠ ( طبعة دار الكتب )

(١) أي من أيام الحج (٢) جنب فرساً : أي قاده إلى جنبه (٣) نشده : نشغل

(٤) كان عبيد بن سريج مغنياً من أهل مكة ، كان يغني مرتجلاً ويوقع بقضيب ، ويضرب بالعود ؛

غنى في خلافة عثمان بن عفان ، وتوفي في خلافة هشام بن عبد الملك ، مات نحو سنة ٥٩٨ هـ (٥) دسم :

موضع قرب مكة <sup>(٦)</sup> المصحب : الدليل النقاد بعد صعوبة .

فجالت بأرجاء الجفون سَوَافِحُ      من الدَّمْعِ تَسْتَلِي الذي يَتَعَقَّبُ  
إذا أبطأت عن ساحة الخدِّ ساقها      دمٌ بعد دمعٍ إثرَهُ يَتَصَبَّبُ  
فإن تُسْعِدَا نَنْدُبُ عُبَيْدًا بِمَوَلَةٍ<sup>(١)</sup>      وَقَلَّ لَهُ مِنَّا الْبُكَاءُ وَالتَّحَوُّبُ<sup>(٢)</sup>  
ثم نزل صاحبه فقمر ناقته . وقال له القرشيُّ : خُذْ في صوت أبي يحيى ؛  
فاندفع يُفَتِّي :

أُسْعِدَانِي بِمِـسْبَرَةِ أُسْرَابٍ<sup>(٣)</sup>      من دُمُوعِ كَثِيرَةٍ التَّشْكَابِ  
إنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ<sup>(٤)</sup> قَدْ تَرَكُونِي      مَوْلَاهَا مَوْلَاهَا بِأَهْلِ الْحِصَابِ  
أَهْلِي يَتَرْتَابِعُوا<sup>(٥)</sup> لِلْمَنَاسِيَا      مَا عَلَى الْمَوْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ  
فَارَقُونِي وَقَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا      مَا لِمَنْ ذَاقَ مِيتَةً مِنْ إِيَابِ  
كَمْ بِذَاكَ الْحُجُونَ<sup>(٦)</sup> مِنْ حَيٍّ صَدَقَ      مِنْ كَهُولِ أَعْفَسَةٍ وَشَبَابِ  
سَكَنُوا الْجَزْعَ جَزَعَ بَيْتِ أَبِي مُو      سَى إِلَى الْفَخْلِ مِنْ صُفَى السَّبَابِ<sup>(٧)</sup>  
فَلِيَ الْوَيْلُ بَعْدَهُمْ وَعَلَيْهِمْ      صِرْتُ فَرْدًا وَمَلْنِي أَصْحَابِي  
قال ابنُ أبي دُبَايَ كل : فَوَاللَّهِ مَا تَمَّمْ صَاحِبُهُ مِنْهَا ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ ،  
وَأَقْبَلَ بِصَلِحِ السَّرِجِ عَلَى بَغْلَتِهِ وَهُوَ غَيْرُ مُفَرَّجٍ عَلَيْهِ . فَسَأَلَتْهُ مِنْ هُو ؟ فَقَالَ :  
رَجُلٌ مِنْ جُذَامَ . قُلْتُ : بِمَنْ تَعْرِفُ . قَالَ : بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُنْتَشِرِ . قَالَ : وَلَمْ يَزَلِ  
الْقُرَشِيُّ عَلَى حَالِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ أَفَاقَ .

ثم جعل الجذامى يَنْضَحُ الْمَاءَ عَلَى وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ كَالْمُعَانِبِ لَهُ : أَنْتَ أَبَدًا

(١) أَعُول : ارتفع بكاؤه ، والاسم العولة (٢) التحوب : التوجع (٣) أسراب : جم سرب  
وهو الماء السائل (٤) الحصاب : موضع الجمار (٥) التابيع : الوقوع في الشر من غير فكر ولا روية  
(٦) الحجون : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها (٧) صنى السباب : موضع بمكة ، والمراد بأبي  
موسى أبو موسى الأشعري .

مَصْبُوبٌ<sup>(١)</sup> على نفسك، وَمَنْ كَلَّفَكَ مَا تَرَى ! ثُمَّ قَرَبَ إِلَيْهِ الْفَرَسَ ؛ فَلَمَّا هَلَاكَ  
اِسْتَخْرَجَ الْجَذَامَى مِنْ خُرْجٍ عَلَى بَقْلٍ قَدَحًا وَإِدَاوَةَ مَاءٍ ، فَجَعَلَ فِي الْقَدَحِ تَرَابًا  
مِنْ تَرَابِ قَبْرِ ابْنِ مَرْيَجٍ وَصَبَّ عَلَيْهِ مَاءً مِنَ الْإِدَاوَةِ . ثُمَّ قَالَ : هَاكَ فَاشْرَبْ هَذِهِ  
السَّلْوَةَ<sup>(٢)</sup> ، فَشَرَبَ . ثُمَّ فَعَلَ هُوَ مِثْلَ ذَلِكَ وَرَكَبَ الْبَغْلَ وَأَزْدَفَنِي .

فَخَرَجَا وَاللَّهُ مَا يَعْرِضَانِ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِمَّا كَانَا فِيهِ ، وَلَا أَرَى فِي وَجُوهِهِمَا شَيْئًا  
مِمَّا كُنْتُ أَرَى قَبْلَ ذَلِكَ .

فَلَمَّا اشْتَمَلْ عَلَيْنَا أَبْطَحَ مَكَّةَ قَالَا : انْزِلْ يَا خِرَاعِي ! فَزِلْتُ وَأَوْمَأَ الْفَتَى  
إِلَى الْجَذَامَى بِكَلَامٍ ، فَهَدَّ يَدَهُ إِلَى وَفِيهَا شَيْءٌ فَأَخَذَتْهُ فَإِذَا هُوَ عَشْرُونَ  
دِينَارًا ، وَمُضِيَا .

فَانْصَرَفْتُ إِلَى قَبْرِهِ بِبَعِيرَيْنِ فَاحْتَمَلْتُ عَلَيْهِمَا أَدَاةَ الرَّاحِلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عَقَرَاهُمَا  
فَبَعْتُهُمَا بِثَلَاثِينَ دِينَارًا !

---

(١) مصبوب على نفسك ؛ أى عثوث على اتباعها تستفويك فتسلس لها القياد (٢) السلوة : أن  
يؤخذ من تراب قبر ميت فيذر على الماء ويسقاه الماشق ليلو .



كان هلال<sup>(١)</sup> فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش ، أكثر الناس أكلاً ، وأعظمهم في حرب غناء . وكان يردُّ مع الإبل فيأكل ما وجد عند أهله ، ثم يرجع إليها ولا يتزود طعاماً ولا شراباً حتى يرجع يوم وردها ، لا يذوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شراباً ، وكان عادى الخلق<sup>(٢)</sup> ، لا توصف صفته .

وكان يوماً في إبل له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس ، مُتَحْدِمُ الهاجرة<sup>(٣)</sup> ، وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كسائه ، ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ؛ فبينما هو كذلك إذ مرَّ به رجلان : أحدهما من بني نهشل ، والآخر من بني قُصَيْمٍ ، كانا أشدَّ تميميين في ذلك الزمان بطشاً ، وقد أقبلتا من البحرين ، ومعهما<sup>(٤)</sup> أنواط من تمر هَجَر<sup>(٥)</sup> ، وكان هلالٌ بناحية الصعاب<sup>(٦)</sup> .

فلما انتهيا إلى الإبل — ولا يعرفان هلالاً بوجهه ، ولا يعرفان أن الإبل له — ناديا : ياراعى ، أعفدك شراباً تسقيننا ؟ وهما يظنانه عبداً — فناداها هلال ورأسه تحت كسائه : عليك بالناقة التي صفتها كذا في موضع كذا ، فأنبأها : فإن عليها وطبين<sup>(٧)</sup> من لبن ، فاشربا منهما ما بدا لكما . فقال له أحدهما : ويحك ! انهض

\* الأغاني : ٣ - ٥٣ ( طمة دار الكتب )

(١) هلال بن الأسعر : شاعرا شهرا في العصر الأموي ، وكان فارساً شجاعاً ، مات نحو سنة ١٣٠ هـ

(٢) عادى الخلق : ملاه صغ الجسم ، نسبة إلى عاد (٣) الهاجرة : نصف النهار (٤) أنواط :

جمع نوط ، والنوم : احلة لصغيرة فيها التمر ونحوه (٥) هجر : قاعدة البحرين ، مشهورة بالتمر ،

وقيل : ناحية البحرين كلها هجر (٦) الصعاب : جبل بين اليمامة والبحرين (٧) الوطب : سقاء

اللبن خاصة .

يا غلام فأتِ بذلك اللبن ! فقال لها : إن تلك لكما حاجة فستأتيانها ، فتخدران<sup>(١)</sup>  
الوطبين فتشربان .

فقال أحدهما : إنك لغلظ الكلام ، قم فاستقننا ثم دنا من هلال وهو على  
تلك الحال ، فقال لها - حيث قال له أحدهما : إنك لغلظ الكلام - أراكما والله  
ستلقيان هواناً وصغاراً ؛ وسميماً ذلك منه ؛ فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسوط على  
كعبرته وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ، ورماه تحت فخذه ، ثم  
ضفطه ضفطة ، فنادى صاحبه : ويحك ! أغثنى قد قتلتني ! فدنا صاحبه منه ، فتناوله  
هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى . ثم أخذ برقابهما فجعل يصك  
برؤوسهما بعضاً ببعض ؛ لا يستطيعان أن يمتنعا منه .

فقال أحدهما : كن هلالاً ولا نبالي ما صنعت ! فقال لها : أنا والله هلال ،  
ولا والله لا تفلتان مني حتى تعطيانى عهداً وميثاقاً لا تخيسان به<sup>(٢)</sup> ؛ لتأتيان المربد<sup>(٣)</sup> ،  
إذا قدمتا البصرة ، ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان مني ومنكما .

فعاهداه وأعطياه نوطاً من التمر الذي معهما ، وقدا البصرة ، فأتيا المربد ،  
فناديا بما كان منه ومنهما .

(١) حذر الشيء : أنزله من علو . (٢) لا تخيسان به : لا تقدران به ولا تنكثان .

(٣) المربد : موضع بالبصرة ؛ كان سوقاً للابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت  
مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء .

## ١٩ — لا تعرضوا لهذا الشيطان \*

حدث خالد عن كُنيّف بن عبد الله المازنيّ قال : كنتُ يوماً مع هلال ، ونحن نبيّئ إبلاً لنا . فدَقَقْنَا إلى قومٍ من بَكْر بن وائل ، وقد لبِئْنَا<sup>(١)</sup> وعَطِشْنَا ، وإذا نحن بفتيةٍ شبابٍ عند رَكِيّةٍ<sup>(٢)</sup> لهم ، وقد وَرَدَتْ إبلُهم ، فلما رأوا هلالاً استهولوا خلقه وقامته .

فقام رجلان منهم إليه ، فقال له أحدهما : يا عبدَ الله ، هل في الصُّراع ؟ فقال له هلال : أنا إلى غير ذلك أحوج . قال : وما هو ؟ قال : إلى لبن وماء ؛ فإنني لَنَبٍ ظَمآنٌ ، قال : ما أنت بذائق من ذلك شيئاً حتى تعطينا عهداً ؛ لتُجِيبَنَّا إلى الصراع إذا أَرَحْتَ<sup>(٣)</sup> ورويت .

فقال لهما هلال : إئتني لكم ضيف ، والضيفُ لا يُصارع ربَّ منزله ، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقولُ لكم : اعمِدُوا إلى أشدِّ غُلٍ في إبلِكم وأهْيَبِهِ صولةً ، وإلى أشدِّ رجلٍ منكم ذِراعاً ؛ فإن لم أقبض على هامةِ البصير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنعُ الرجلُ ولا البصير حتى أُدْخِلَ يد الرجل في فم البصير ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتوني ، وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم يُسرُّ من ذلك .

فمجبوا من مقالته تلك ، وأَوْمَثُوا إلى فَحْلِ في إبلهم هائج صائل قَطِمٍ<sup>(٤)</sup> ، فاتاه

\* الأغاني : ٣-٥٥ ( طبعة دار الكتب )

(١) لب : تعب وأصابه الإعياء (٢) الركبة : البثر (٣) أراح الرجل : رجعت إليه نفسه بعد الإعياء (٤) القطم : الهاج الذي صعب ركوبه .



هلال ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم ، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره ، فضفطها ضفطةً جرّجـ<sup>(١)</sup> الفحل منها واستخذى<sup>(٢)</sup> ورغاً . وقال : ليعطيني من أحببتُم يده أو لجها في فم هذا الفحل .

فقال الشيخ : يا قوم ، تنكبوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعتُ الفلان<sup>(٣)</sup> — يعني هذا الفحل — جرّجـ منذ بزل<sup>(٤)</sup> قبل اليوم ، فلا تعرضوا لهذا الشيطان . وجعلوا يتبعونه وينظرون إلى خطوه ويمجّبون منه حتى جاوزهم .

---

(١) جرّجـ : ردد صوته في حنجرتـه . (٢) استخذى . خضع . (٣) الفلان والفلانة : كناية عن غير آدميين ، تقول : ركبـت الفلان وركبت الفلانة ، أما فلان وفلانة فهما كناية عن أسماء الآدميين .

(٤) بزل البجير فهو بازل ، أى : دخل في سـنتـه التاسعة .

## ٢٠ — هلال يصارع عبداً جباراً\*

حدث من سمع هلالاً يقول : قَدِمْتُ المدينةَ ، وعليها رجلٌ من آل مروان ، فلم أزل أضعُ عن إبلى ، وعليها أحمالٌ للتجار ، حتى أخذَ بيدي ، وقيل لي : أجب الأمير . قلت لهم : ويلكم ! إبلى وأحمالي ! فقيل : لا بأس على إبلِك وأحمالك . فانطلقَ بي حتى أُدخِلْتُ على الأمير ، فسَلَّمْتُ عليه ، ثم قلت : جُعِلْتُ فداك ! إبلى وأمانتي ، فقال : نحن ضامنون لإبلِك وأمانتك حتى تؤدِّيها إليك ؛ فقلت عند ذلك : فما حاجة الأمير إليَّ ؟ جعلني الله فداه ! فقال لي - وإلى جنبه رجلٌ أصفر ، مارأيت رجلاً قط أشدَّ خَلْقاً منه ، ولا أغلظَ عنقاً ، ما أدري أطولُه أكثر أم عَرَضُه - : إن هذا العبد الذي ترى ، ماترك بالمدينة عريباً يصارع إلا صرعه ، وبلغني عنك قوَّةٌ فأردتُ أن يُجرى الله صرْع<sup>(١)</sup> هذا المبد على يدك ؛ فتذكر ما عنده من أوتار العرب .

فقلت : جعلني الله فداء الأمير ، إني لَنَبٍ نَصِبٌ جائعٌ ، فإن رأى الأمير أن يدعني ، حتى أضعُ عن إبلى ، وأؤدي أمانتي ، وأريحَ يومي هذا وأجيئه غداً - فليفل . فقال لأعوانه : انطلقوا معه فأعينوه على الوَضْعِ عن إبله وأداء أمانته ، ثم انطلقوا به إلى المطبخ فأشبعوه . ففعلوا جميعاً ما أمرهم به . فظللت بقيةَ يومي ذلك ، وبتُ ليلتي تلك بأحسن حالٍ شَبَعاً وراحةً وصلاحٍ أمر ؛ فلما كان من الفد

\* الأغاني : ٣-٦٥ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) صرعه ، أى قتله .

غدوت عليه وعلى جُبّة لي صوف وَبَتٌ<sup>(١)</sup> ، وليس على إزار ، إلا أنى قد  
شدتُ بعماقى وسطى . فسَلَمْتُ عليه فردّ على السلام . وقال للأصفر : قم إليه ،  
فقد أرى الله أذاك بما يُخزّيك . فقال العبد : انزِرْ يا أعرابى ، فأخذتُ بتي فَأَتَزَرْتُ  
به على جُبّتي ؛ فقال : هيهات ! هذا لا يثبت ، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي ؛ فقلت :  
والله مالى من إزار .

فدعا الأمير مَلْحَفَةً ما رأيتُ قبلها ، ولا عَلاً جلدى مثلها ، فشددتُ بها  
على حَقْوِي<sup>(٢)</sup> وخَلَمْتُ الجُبّة .

وجعل العبدُ يدور حولي ويريد خَتْلِي وأنا منه وَجِلٌ ، ولا أدرى كيف  
أصنع به ! ثم دنا مني دَنُوءَةً ، فنَقَدَ<sup>(٣)</sup> جَبْهَتِي بظُفْرِهِ نَقْدَةً ظَنَنْتُ أنه قد شَجَّنِي  
وأَوْجَعَنِي . ففاظننى ذلك ، فجعلتُ أنظر في خَلْقِهِ ؛ بِمِمْ أَقْبِضُ منه . فما وجدتُ في  
خَلْقِهِ شيئاً أصغر من رأسِهِ ، فوضعتُ إبهامِي في صُدْغِيهِ وَأَصَابِعِي الأُخْرَى في أصل  
أذنيه . ثم غَمَزَتْهُ غَمَزَةً صاح منها : قَتَلْتَنِي ! قَتَلْتَنِي ! فقال الأمير : اغمسْ رأس  
العبد في التراب . فقلت له : ذلك على .

فغمستُ والله رأسَهُ في التراب ، ووقع شبيهاً بالْمَفْشَى عليه . فضحك الأمير  
حتى اسْتَلَقَى ، وأمر لي بجائزة وصِلَةٍ وكِسُوة ، وانصرفت .

(١) البت : كساء غليظ مهلهل مربع أخضر (٢) الحقو : الحصر (٣) قد الشيء : قره بإصبعه .

## ٢١ - حديث عن الفرّيين \*

قال المهدي ذات ليلة - وكان أميراً على الرّمي من قبل أبيه المنصور: ياشرفي<sup>(١)</sup>،  
أريح قلبي بشيء يُلهمه ! قال : نعم أصلح الله الأمير :

ذكروا أنه كان في ملوك<sup>(٢)</sup> الحيرة ملك له نديمان : قد نزلا من قلبه منزلة  
مكيّنة ، وكانا لا يفارقانه في لَهْوِه ومنامه ويقظته ، وكان لا يقطعُ أمراً دونهما ،  
ولا يصدرُ إلّا عن رأيهما ، ففبر بذلك دهرأ طويلا .

فبينما هو ذات ليلة في شُرْبِه ولَهْوِه إذ غلب عليه الشراب ؛ فأزال عقله ، فدعا  
بسيّفه وانتصاه ، وشد عليهما فقتلهما ، وغلبته عيناه فنام .

فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بما كان منه ؛ فأكبّ على الأرض ؛ عاضاً لها ؛  
تأسفاً عليهما ، وجزعاً لفراقهما ، وامتنع من الطعام والشراب ، ثم حلف لا يشرب  
شراباً يزُجج قلبه ماعاش ! وواراهما وبنى على قبريهما بناءين ، وسماهما الفرّيين<sup>(٣)</sup> ،  
وسنّ ألا يمرّ بهما أحدٌ من الملِك فَمِنْ دونه إلا سجد لها ، وكان إذا سنّ الملِكُ  
سنة توارثوها، وأحيوا ذكرها ولم يُميتوها، وجعلوها عليهم حكماً واجباً وفرضاً لازماً،  
وأوصى بها الآباء أعتابهم .

ففبر الناس بذلك دهرأ طويلا ، لا يمرُّ أحد من صغير ولا كبير إلا سجد لها ؛

\* مروج الذهب : ٢-٢٥٢ ، معجم البلدان : ٦-٢٨٣ .

(١) هو الشرفي بن القطامي : شاعر كُلي ، كان وافر الأدب ، عالماً بالنسب ، وكان المنصور قد ضمه  
إلى المهدي حين خلفه بالري ، وأمره أن يأخذه بحفظ أيام العرب ، ومكارم الأخلاق ، ودراسة  
الأخبار ، وقراءة الأشعار (٢) ذكروا أنه النعمان بن المنذر (٣) الفرّيان : بناء ان بالكوفة ؛  
قبل سُميا بذلك لأن النعمان كان يفرّيهما بدم من يقتله .



فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة ، وحُكِمَ فيمن أبى أن يسجد لها بالقتل  
بعد أن يُحْكَمَ له بمخصلتين يُجَابُ إليهما كائنا ما كانا !

فريوما قصّار<sup>(١)</sup> معه كارة<sup>(٢)</sup> ثياب ، وفيها مدقته<sup>(٣)</sup> ، فقال الموكلون  
بالفرّيين للقصّار : اسجد ! فأبى أن يفعل . فقالوا له : إنك مقتول إن لم  
تفعل ؛ فأبى .

فرفعوه إلى الملك ، وأخبروه بقصته ، فقال : ما منعك أن تسجد ؟ قال :  
سجدت ولكن كذبوا علىّ ! قال : الباطل قلت فاحتكم في خصلتين ؛ فأنت  
مُجَابٌ إليهما ، وإني قاتلك ! قال : لا بدّ من قتلى بقول هؤلاء ؟ قال : لا بد من  
ذلك ، قال : فإني أحتكم أن أضرب رقبة الملك بمدقتي هذه ! قال له الملك : يا جاهل ؛  
لو حكمت على أن أجرى على من تخلف وراءك ما يعينهم كان أصلح لهم !

قال : ما أحكم إلا بضربة لرقبة الملك ! فقال الملك لوزرائه : ما روى فيما حكم  
به هذا الجاهل ؟ قالوا : نرى أن هذه سنة ، وأنت أعلم بما في نقض السنن من العار  
والنار وعظم الإثم ، وأيضاً إنك متى نقضت سنة نقضت أخرى ، ثم يكون ذلك  
لِمن بعدك كما كان لك ، فتبطل السنن !

قال : فارغبوا إلى القصّار أن يحكم بما شاء ويعفيني من هذه ؛ فإني أجيبه  
إلى ما شاء ، ولو بلغ حكمه شطراً ملكي ! فرغبوا إليه ، فقال : ما أحكم إلا  
بضربة في عنق الملك !

فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصّار ، قعد مقعداً عاماً ، وأحضر القصّار ،

(١) قصر الثوب : صوره ودقه ، وسمى القصّار لأنه يذق الثياب بالقصرة وهي قطعة من الخشب

(٢) الكارة : ما يحمل على الظهر من الثياب . (٣) المدق : ما يذق به .

فأبدى مِدَقَّتَه ، وضرب بها عنق الملك ؛ فأوهنه وخرَّ مضطجاً عليه !

فأقام يشكو ما به سنة ، فلما أفاق وتكلم ، وأكل وشرب سألَ عن القصار ، فقيل : إنه محبوس ؛ فأمر بإحضاره فحضر ؛ فقال : لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها ، فإني قاتلك لا محالة ؛ إقامةً للسنة ! قال القصار : فإذا كان لابد من قتلي فإني أحكم أن أضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى !

فلما سمع الملك ذلك خرَّ على وجهه من الجزع ، وقال : ذهبت<sup>(١)</sup> والله نفسي إذن . ثم للقصار : ويلك دَعْ عنك ما لا ينفعك ، فإنه لم ينفعك منه ما مضى ، واحكم بغيره وأنفذه لك كائنًا ما كان ! قال : ما أرى حتى إلا ضربة أخرى ! فقال الملك لوزرائه : ما ترون ؟ قالوا : هذا حقه ! قال : ويلكم ! إن ضُرب الجانب الآخر ما شربت الماء البارد أبداً ؛ لأننى أعلم ما قد نالنى .

قالوا : فما عندنا حيلة !

فلما رأى ما قد أشرف عليه قال للقصار : أخبرنى . ألم أكن قد سمعتك تقول يوم أتى بك الموكلون بالغريين : إنك قد سجدت ، وإنهم كذبوا عليك ؟ قال : قد كنتُ قلتُ ذلك فلم أصدق ! قال : فكنت سجدت ؟ قال : نعم ! فوثب من مجلسه ، وقبل رأسه ، وقال : أشهد أنك صادق ، وأهم كذبوا عليك ، وقد وليتك موضعهم ، وجعلت إليك أمرهم .

فضحك المهدى حتى فخص برجليه ، وقال : أحسنت ! ووصله .

---

(١) ذهبت نفسى ، أى هلكت .

قال الشرقي بن القطامي :

خرجتُ من الموصل أريد الرقة<sup>(١)</sup> ؛ فصحبني فتى من أهل الجزيرة ، وذكر  
أنه من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مزود<sup>(٢)</sup> وركوة<sup>(٣)</sup> وعصا ، ورأيتُه  
لا يفارقها ؛ مشاةً كنا أورو كباناً ؛ وهو يقول : إن الله جعل جماع أمر  
موسى ، وأعاجيبه وبراهينه ومآربه في عصاه ؛ وجعل يكثرُ من هذا وأنا أضحك  
متهاوناً بما يقول .

فتخلف المكارى<sup>(٤)</sup> ؛ فكان حمارُ الفتى إذا وقف أكرهه بالمصا ، ويقف  
حمارى ، ولا شيء في يدي ؛ فيسبقني إلى المنزل فيستريح ويريح ، ولا أقدر على  
البراح حتى يوافيني المكارى . فقلت : هذه واحدة ! .

ثم خرجنا من غدٍ مشاةً ؛ فكان إذا أعيأ توكتاً على المصا ، واعتمد عليها ،  
ومرّ كأنه سهمٌ زالج<sup>(٥)</sup> ، حتى انتهينا ، وقد تفسختُ من الكلال ، وإذا فيه  
فضلٌ كثير ؛ فقلت : وهذه أخرى !

فلما كان في اليوم الثالث هَجَمْنَا على حية منكرة ؛ فسارت إلينا فأسلمته إليها ،  
وهربتُ منها ، فضربها بالعصا ، فقلت : هذه ثالثة !

\* عيون الأخبار : ١-١٣٩

(١) الرقة : بلد على الفرات . (٢) المزود : وعاء الزاد . (٣) الركوة : إناء صغير من  
جلد يشرب فيه الماء . (٤) المكارى : المستأجر لسوق الدواب ، وهو اسم فاعل من كارى ،  
والجمع المكارون . (٥) زالج : مارق .

وخرجنا في اليوم الرابع ، وبنّا قَرَمَ<sup>(١)</sup> إلى اللحم ، فاعترضتنا أرنب ، فخذفها بالعصا ، وأدركنا ذكاتها<sup>(٢)</sup> فقلت : هذه رابعة !

فأقبلت عليه ؛ فقلت : لو أن عندنا ناراً ماأخرت أكلها إلى المنزل فأخرج عويداً من مزوديه ثم حكه بالعصا ؛ فأورت إيزاء المرخ والعفار<sup>(٣)</sup> ، ثم جمع ما قدر عليه من الفشاء<sup>(٤)</sup> والحشيش ، وأوقد ناراً ، وألقى الأرنب في جوفها ، فأخرجناها ، وقد لزق بها من الرماد والتراب ما بفضها إلى ، فطلقها بيده اليسرى ، ثم ضرب جنوبها بالعصا ضرباً رقيقاً ، حتى انتثر كل شيء عليها ، فأكلناها ، وسكن القرم ، وطابت النفس ؛ فقلت : هذه خامسة !

ثم نزلنا بعض الخانات ، وإذا البيوتات مملوءة روثاً وترباً ؛ فلم نجد موضعاً نظل فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار ، فأخذها ، فجعل العصا نصاباً<sup>(٥)</sup> لها ، ثم قام فجرف ذلك الروث والتراب ، وجرد الأرض ، حتى أظهر يابضها ، وطابت ريحها ، فقلت : وهذه سادسة !

ثم نزع العصا من الحديدة ، فأوتدها<sup>(٦)</sup> في الحائط ، وعلق عليها ثيابه وثيابي ، فقلت : هذه سابعة !

فلما صرنا إلى مفرق الطريقين وأردت مفارقتة ، قال لي : لو عدلت معي فبت عندي ! فعدلت معه ، فأدخلني منزلاً يتصل بببعة<sup>(٧)</sup> ، فإزال يحدثني

---

(١) القرم : شدة شهوة اللحم (٢) ذكاتها : ذبحها (٣) المرخ : شجر شديد الوري ، ومثله العفار (٤) الفشاء : البالي من ورق الشجر المخالط بزبد السيل (٥) النصاب : ما يسكها به ( كاليد للفأس ) (٦) أوتدها : ثبتها (٧) الببعة : كنيسة النصارى .



وَيُطْرِفُنِي<sup>(١)</sup> اللَّيْلَ كُلَّهُ ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ أَخَذَ الْعَصَا بِعَيْنِهَا ، وَأَخَذَ خَشَبَةً أُخْرَى فَفَرَعَ  
بِهَا الْعَصَا ، فَإِذَا نَاقُوسٌ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِثْلُهُ ، وَإِذَا هُوَ أَحْذَقُ النَّاسِ بِهِ ، فَقُلْتُ لَهُ :  
وَيْحَكَ ! أَمَا أَنْتَ بِمُسْلِمٍ ! قَالَ : بَلَى . قُلْتُ : فَلِمَ تَضْرِبُ بِالنَّاقُوسِ ! قَالَ : لِأَنَّ أَبِي  
نَصْرَانِي ، شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعِيفٌ وَأَنَا أَبْرَهُ .

فَإِذَا هُوَ شَيْطَانٌ مَارِدٌ ، مِنْ أَظْرَفِ النَّاسِ ، وَأَكْثَرِهِمْ أَدْبًا فَخَبَّرْتَهُ بِالَّذِي  
أَحْصَيْتُ مِنْ خِصَالِ الْعَصَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُكَ عَنْ مَنَاقِبِ الْعَصَا لَيْلَةً إِلَى  
الصَّبَاحِ مَا اسْتَنْفَدْتُهَا .

---

(١) يَطْرِفُنِي ، أَيِ يَمْتَعْنِي بِالطَّرْفِ وَالْأَحَادِيثِ .

زعم الأصمى<sup>(١)</sup> أن حرباً كانت بالبادية ، ثم اتصلت بالبصرة ، فتفاقم الأمر فيها ، ثم مشى بين الناس بالصلح ، فاجتمعوا في المسجد الجامع .

قال : فَبِئْسَتْ وَأَنَا غلام إلى ضَرَّارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ مِنْ بَنِي دَارِمٍ ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَأَذِنَ لِي ، فَدَخَلْتُ فَإِذَا بِهِ فِي شِمْلَةٍ<sup>(٢)</sup> يَخْلُطُ بَزْراً لَعْنُزٍ لَهُ حَلُوبٌ مُجْتَمِعَ الْقَوْمِ ، فَأَمْهَلَ حَتَّى أَكَلْتُ الْعَنْزُ ، ثُمَّ غَسَلَ الصَّحْفَةَ<sup>(٣)</sup> وَصَاحَ : يَا جَارِيَةُ غَدُّنَا ؛ فَأَتَتْهُ بَزِيتٌ وَتَمْرٌ . فِدَعَانِي فَقَدِرْتُهُ<sup>(٤)</sup> أَنْ آكَلَ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا قَضَى مِنْ أَكْلِهِ حَاجَةً وَثَبَ إِلَى طِينٍ مُلْقًى فِي الدَّارِ ، فَغَسَلَ بِهِ يَدَهُ ، ثُمَّ صَاحَ : يَا جَارِيَةُ ، اسْقِينِي مَاءً ، فَأَتَتْهُ بِمَاءٍ فَشَرِبَهُ ، وَمَسَحَ فَضْلَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مَا هِيَ الْفَرَاتِ بِتَمْرِ الْبَصْرَةِ بَزِيتِ الشَّامِ . مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَ هَذِهِ النُّعْمِ ! ثُمَّ قَالَ : يَا جَارِيَةُ ، عَلَى بَرْدَائِي ، فَأَتَتْهُ بِرِدَاءٍ عَدَنِي ، فَارْتَدَى بِهِ عَلَى تِلْكَ الشِّمْلَةِ .

قال الأصمى : فَتَجَافَيْتُ عَنْهُ اسْتِقْبَاحاً لَزِيَّةٍ .

فلما دخل المسجد صلى ركعتين ، ثم مشى إلى القوم ، فلم تَبْقَ حُبُوءَةٌ إِلَّا حُلَّتْ إِعْظَامًا لَهُ ثُمَّ جَلَسَ فَتَحَمَّلَ جَمِيعَ مَا كَانَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ<sup>(٥)</sup> فِي مَالِهِ ، وَانصَرَفَ .

\* الكامل للبرد : ١ - ٨١

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قُريب ، اشتهر بالرواية والتضلع من اللغة . توفى سنة ٢١٦ هـ

(٢) الشملة : كساء يشتمل به (٣) الصلعة : إفاء كالقصعة (٤) قدرته : أى استقدرته

وكرهته . (٥) الأحياء : جمع حى ، وهو البطن من بطون العرب .

## البَابُ الثَّانِي

---

في القصص التي تصف أحوال المرأة المريضة ،  
وما تجرى عليه في تربية أطفالها ؛ ومما شررتها زوجها ،  
ومماوتها له في الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسمى  
معه في سبيل الرزق ، والاشتراك في خوض معامع  
الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة  
في ذلك العهد .

## ٥٦ — مصرع الزبّاء \*

كان يَدِيمَة<sup>(١)</sup> قد ملك ماعلى شاطئ الفرات ، وكانت الزبّاء ملكة الجزيرة ، وكان جَدِيمَة قد وترها بقتل أبيها ، فلما استجمع أمرها ، وانتظم شملُ مُلْكِها ، أَحَبَّتْ أن تغزو جَدِيمَة . ثم رأت أن تكتبَ إليه : أنها لم تجد مُلْكَ النساء إلا قُبْحًا في السّماع ، وَضَعْفًا في السلطان ، وأنها لم تجد لِمُلْكِها موضعًا ، ولا لنفسها كَفْشًا غيرك ؛ فَأَقْبَلَ إلى لَأَجْمَع مُلْكِي إلى مُلْكِكَ ، وَأَصِلْ بِلَادِي بِلَادِكَ ، وَتَقْلِدْ أَمْرِي مع أَمْرِكَ .

فلما أتى كتابُها جَدِيمَة ، وَقَدِمَ عليه رسلُها استخفّه ما دَعَتْهُ إليه ، وَرَغِبَ فيما أَطْمَعَتْهُ فيه ؛ فَجَمَعَ أَهْلَ الْحِجَابِ وَالرَّأْيَ مِنْ ثِقَاتِهِ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بَيْتٌ مِنْ شَاطِئِ الْفِرَاتِ - وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ ؛ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهَا فَيَسْتَوْلِيَ عَلَى مُلْكِهَا .

وكان فيهم قَصِيرٌ - وَكَانَ أَرِييًّا حَازِمًا عِنْدَ جَدِيمَة - فَخَالَفَهُمْ فِيمَا أَشَارُوا بِهِ ، وَقَالَ : رَأَيْتُمْ قَاتِرًا ، وَغَدْرًا حَاضِرًا<sup>(٢)</sup> . ثُمَّ قَالَ لِجَدِيمَة : الرَّأْيُ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهَا ، فَإِنْ كَانَتْ صَادِقَةً فِي قَوْلِهَا فَلتَقْبَلِ إِلَيْكَ ، وَإِلَّا لَمْ تَمُكِّنْهَا مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَمْ تَقْعَ فِي حَبَالِهَا ، وَقَدْ وَتَرْتَهَا وَقَتَلْتَ أَبَاهَا ؛ فَلَمْ يُوَافِقْ جَدِيمَة وَقَالَ لَهُ : رَأَيْكَ فِي الْكِنِّ لَا فِي الضَّحِّ<sup>(٣)</sup> .

\* مجمع الأمثال : ١-٢١٣ ، جهرة الأمثال : ٦٢

(١) انظر صفحة ٢ من هذا الجزء . (٢) ذهب مثلاً (٣) الضح : الشمس وضوءها ، والكن : ولاء كل شيء وسنره . ذهب مثلاً .



ودعا جذيمة عمرو بن عدى ابن أخته فاستشاره فشجّعه على المسير ، وقال :  
إن قومي مع الزّباء ولو رأوك صاروا معك ، فأحبّ جذيمة ما قاله ، وعصاً قصيراً ،  
فقال قصير : لا يُطاعُ لقصيرٍ أمر<sup>(١)</sup> .

واستخلف جذيمة عمرو بن عدى على مُلكه وسلطانه ، وسار في وُجُوهِ  
أصحابه ، فأخذ على شاطئ الفرات من الجانب الغربي ، فلما نزل دعا قصيراً فقال :  
ما الرأي يا قصير ؟ فقال قصير : ببقّة خلفتُ الرأي<sup>(١)</sup> . قال : وما ظنّك بالزّباء ؟ قال :  
القولُ ردّاف ، والحزْمُ عثراته تُخاف<sup>(١)</sup> .

واستقبلته رُسُلُ الزّباء بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير ؛ كيف ترى ؟ قال :  
خطبٌ يسير في خطب كبير<sup>(١)</sup> . وستلقاك الجيوش ؛ فإن سارت أمامك فالمرأةُ  
صادقة ، وإن أخذتُ جنبتيك ، وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك ، وإذا  
فاركب المصا<sup>(٢)</sup> فإنها لا يسق عبارها - وكانت العصا فرساً لجذيمة لا تجارى -  
وإني راكبها ومُسَايِرُك عليها .

فلقيته الخيولُ والكتائب ، فحالت بينه وبين العصا ؛ فركبها قصير ، ونظر  
إليه جذيمة على متن العصا مولياً ، فقال : ويل أمّه حَزْماً على متن العصا<sup>(١)</sup> ! وجرّت  
به إلى غروب الشمس ثم نفقت ، وقد قطعت أرضاً بعيدة .

وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيلُ حتى دخل على الزّباء . فلما رآته قالت :  
أشوار<sup>(٣)</sup> عروس ترى ؟ فقال : أمر غديرٍ أرى اثم دعت بالسيف والنّطع ، وقالت :  
إن دماء الملوك شفاء من الكلب ، فأصرت بطشت من ذهب قد أعدته له وسقته

---

(١) ذهب أمثالا (٢) العصا : اسم الفرس (٣) الشوار : الهيئة والزينة .

الجر حتى سكر ، وأخذت منه الجر مأخذها ، فأمرت براهشيه <sup>(١)</sup> فقطما ،  
وقدّمت إليه الطست - وقد قيل لها : إن قطر من دمه شيء في غير الطست طلب  
بدمه - فلما ضُمَّت يداه سقطتا فقط من دمه شيء في غير الطست ؛ فقالت : لا تُضيِّمُوا  
دمَ الملك . فقال جذيمة : دَعُوا دَمًا ضَيِّعَهُ أَهْلُهُ <sup>(٢)</sup> . وهَلَكَ جذيمة .

وخرج قصير من الحى الذى هلكت العصا بين أظهرهم ، حتى قدم على عمرو  
ابن عدى - وهو بالحيرة - فقال له قصير : أثأثر أنت ؟ قال : بل ثأثر سائر <sup>(٣)</sup> .  
ووافق قصير الناس وقد اختلفوا ، فأصلح بينهم ، ثم قال لعمر بن عدى :  
تهيأ واستعد ولا تطلن <sup>(٤)</sup> دمَ خالك . قال : وكيف لى بها وهى أَمْنَعُ من  
عُقَابِ الجو <sup>(٥)</sup> !

وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها ؛ فقالت : أرى هلاكك بسبب  
غلام مهين غير أمين ، وهو عمرو بن عدى . ولن تموتى بيده ، ولكن حتفك  
بيدك ، ومن قبله ما يكون من ذلك .

فحدّرت عمراً ، واتخذت لها نفقاً من مجلسها الذى كانت تجلس فيه إلى حصن  
لها فى داخل مدينتها ، وقالت : إن فاجأنى أمرٌ دخلتُ النفق إلى حصنى . ودعت  
رجلاً مصوراً من أجود أهل بلاده تصويراً ، وأحسنهم عملاً ، فجهزته وأحسن  
إليه ، وقالت : ميرحتى تقدّم على عمرو بن عدى متكرراً ، فتخلو بحشمه فتتضم إليهم  
وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ، ثم أثبت <sup>(٦)</sup> لى عمرو بن عدى معرفة ؛  
فصوره جالساً وقائماً وراكباً ومُتَفَضِّلاً <sup>(٧)</sup> ومتسلحاً بهيئته ولبسته ولونه ، فإذا أحكمت  
ذلك فأقبل إلى .

(١) الراهشان : عرفان فى باطن الذراعين (٢) ذمبت أمثالا (٣) طل دمه : هدر أو ألا يثار به  
(٤) أثبتته : عرفه حق للمعرفة . (٥) المتفضل : من يلبس ملابس النوم وهى لبسة المتفضل .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدى ، وصنع الذى أمرته به الزباء ، وبلغ من ذلك ما أوصته به ، ثم رجع إلى الزباء يعلم ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدى ، فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرتة وعلمت علمه .

وقال قصير لعمرو بن عدى : اجدع أنفى<sup>(١)</sup> ، واضرب ظهري ، ودعنى وإياها . فقال عمرو : ما أنا بفاعل ، وما أنت لذلك مستحقا عندى . فقال قصير : خلّ عنى إذن وخلاك ذم<sup>(٢)</sup> ! فقال له عمرو : فأنت أبصر . فجدع أنفه وأثر آثاراً بظهره ؛ فقالت العرب : لأمرٍ ماجدع قصير أنفه<sup>(٣)</sup> .

ثم خرج قصير كأنه هارب ، وأظهر أن عمراً فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بمخاله جذيمة وغره ؛ فسار حتى قدم على الزباء ، فقيل لها : إن قصيراً بالباب . فأمرت به فأدخل ، فإذا أنفه قد جدع ، وظهره قد ضرب ؛ فقالت : ما الذى أرى بك يا قصير ؟ قال : زعم عمرو أنى قد غرت خاله وزينت له المصير إليك وغششته وما لآتئك ؛ ففعل بى مائرتين ؛ فأقبلت إليك . فأكرمته ، وأصابته عنده من الحزم والرأى ما أرادت .

فلما عرف أنها استرسلت إليه ، ووثقت به قال : إن لى بالعراق أموالاً كثيرة وطرائف وثياباً وعطراً ، فابعثنى إلى العراق ، لأحلّ مالى وأحلّ إليك من بزها<sup>(٤)</sup> وطرائفها وطيبها ، لتصيبى من ذلك أرباحاً عظيمة ، وبعض مالا غنى للملوك عنه . وكان أكثر ما يطرفها<sup>(٥)</sup> من الصرقان<sup>(٥)</sup> ، وكان يعجبها ؛ فلم يزل يزىن ذلك حتى أذنت له ، ودفعت إليه أموالاً ، وجهزت معه عبيداً .

(١) جدع أنفه : قطعها (٢) ذمبت أمثالا (٣) البر : الثياب (٤) يطرفها : يعطيها .

(٥) الصرقان : تمر رزين صلب .

فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق ، وأتى الحيرة متنكراً ، فدخل على عمرو بن عدى فأخبره الخبر ، وقال : جهزني بصنوف البرّ والأمتعة ؛ لعل الله يمكن من الزباء ؛ فتصيب ثارك ، وتقتل عدوك . فأعطاه حاجته .

فرجع بذلك إلى الزباء ؛ فأعجبها ما رأت وسرها ، وازدادت به ثقة ، وجهازته ثانية ؛ فسار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد إليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع لي ثقات أصحابك ، وهي الفرائر واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين ، فإذا دخلوا مدينة الزباء أقتلك على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الفرائر فصاحوا بأهل المدينة ، فمن قاتلهم قتلوه ؛ وإن أقبلت الزباء تريد النفق جللتها بالسيف .

ف فعل عمرو ذلك ، وحمل الرجال في الفرائر بالسلاح ، وسار يمشون النهار ويسرى بالليل ، فلما صار قريباً من مدينتها تقدم قصير فبشرها ؛ وأعلمها بما جاء به من المنافع والطرائف ؛ وقال لها : آخر البرّ على القلوص<sup>(١)</sup> . وسألها أن تخرج فتتظر إلى ما جاء به . وقال لها : جئت بما صاء وصمت<sup>(٢)</sup> .

ثم خرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها ، فقالت يا قصير :

ما للجبال مشيها وثيذاً أجندلاً يحملن أم حديداً  
أم صرّفاناً تارزاً شديداً<sup>(٣)</sup>

(١) ذهب مثلاً ، والبرّ : الثياب ، والقلوص : الأتني الشابة من الإبل . (٢) أراد بما صاء : الشاء والإبل ، وبما صمت : الذهب والفضة ، وهو يريد أنه جاء بكل شيء ، وقد ذهب مثلاً . (٣) التارز : اليابس .



فقال قصير في نفسه :

• بل الرجال قبيضاً قعوداً •

فدخلت الإبل المدينة ؛ حتى كان آخرها بعيراً مرة على بواب المدينة ، وكانت بيده منخسة ؛ فنخس الفرارة ، فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها ، فسمع له صوتاً ، فقال : شرٌّ في الجوالق <sup>(١)</sup> !

فلما توسطت الإبل المدينة أنيخت ، ودل قصير عمراً على باب النفق الذي كانت الزباء تدخله ، وأرته إياه قبل ذلك ، وخرج الرجال من الفرائر ، فصاحوا بأهل المدينة ، ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق ، وأقبلت الزباء تريده ، فأبصرت عمراً فعرفته بالصورة التي صوّرت لها ؛ فصّت خاتماً - وكان فيه السم - وقالت : يدي لا بيد عمرو <sup>(١)</sup> . وتلقاها عمرو فجّلّها بالسيف وقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها ؛ وانكفاً راجعاً إلى العراق .

---

(١) ذهبت مثلاً .

## ٢٥ — قَبَّحَ اللَّهُ جَمَالًا لَا نَفْعَ فِيهِ \*

كانت عَثمَةُ بنت ابن مطرود أَلْبَجَلِيَّة ذات عقل ورأى مستمع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خَوْد ؛ ذات جمال ومينم وعقل . ثم إن سبعة إخوة من الأزد خطبوا خَوْدًا إلى أبيها ، فأتوه وعليهم الحُلَلُ اليمانية ، وتحتهم النَّجَائِبُ الفُرَّة (١) . فقالوا : نحن بنو مالك بن عُقَيْلَةَ . فقال لهم : انزلوا على الماء ، فزولوا ليلتهم ثم أصبحوا غادين في الحُلَلِ والهَيْئَةِ ، ومعهم ربيبة (٢) لهم كاهنة يقال لها : الشعثاء . فمروا بوصيدها (٣) ، يتعرَّضون لها ، وكلهم وسيمٌ جميل ، وخرج أبوها فجلسوا إليه ، فرحب بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتًا ، ونحن كما ترى شباب . وكلُّنا يمنح الجانب ، ويمنح الراغب . فقال أبوها : كلِّم خيار . فأقيموا حتى نرى رأينا . ثم دخل على ابنته فقال : ما ترين ؟ فقد أتاكَ هؤلاء القوم . فقالت : زوِّجني على قَدْرِي ، ولا تشطط في مهري ؛ فإن تخطئني أحلامُهم فلا تخطئني أجسامهم . لعلِّي أصيب ولداً ، وأُكْثِرَ عدداً .

فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم ، قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة : اسمع أَخْبِرْكَ عنهم : هم إخوة ، وكلهم أسوة . أما الكبيرُ فمالك ، جرى فاتك ، يتعبُ السنايك (٤) ، ويستصفر المهايك . وأما الذي يليه فالعَمْرُو ،

\* مجمع الأمثال : ١٠ - ٩٠

(١) فره : جمع فاره ، وهو من الدواب الجيد السير النشيط الخفيف (٢) الربيبة : الحاضنة

(٣) الوصيد : الفناء (٤) السنايك : أطراف حوافر الخيل .

بحر غمر<sup>(١)</sup>، يقصر دونه الفخر، نهْد<sup>(٢)</sup> صقر. وأما الذى يليه فعلقمة، صليب<sup>(٣)</sup>،  
المعجمة، منيعُ المشتمة، قليل الجمجمة<sup>(٤)</sup>. وأما الذى يليه فعاصم، سيدٌ ناعم،  
جلدٌ صارم، أبى حازم، جيشه غانم، وجارُه سالم. وأما الذى يليه فشواب،  
صريع الجواب، عتيد الصواب، كريم النصاب<sup>(٥)</sup>؛ كليت الفاب. وأما الذى  
يليه فمذرك، بذول لما يملك، عزوب<sup>(٦)</sup> عما يترك، يفنى ويهلك.

وأما الذى يليه فجندل، لقرنه مجدل<sup>(٧)</sup>، مقل لما يحمل، يملأ وينذل،  
وعن عدوه لا ينكل<sup>(٨)</sup>.

فشاورت أختها عثمة فيهم، فقالت: ترى الفتيان كالتخل، وما يدريك  
ما الدخل<sup>(٩)</sup>، اسمى منى كلمة: إن شرَّ الفريية يعلن، وخيرها يدفن، تزوجى  
فى قومك، ولا تفررك الأجسام.

فلم تقبل منها، وبعثت إلى أبيها: زوجنى مذركا، فتمَّ ذلك على مائة ناقةٍ  
ورعاتيها. وحملها مذرك، فلم تلبث عنده إلا قليلا حتى صَبَّحَهُمْ فوارسٌ من بنى مالك  
ابن كنانة، فاقتلوا ساعة. ثم انكشف عنها زوجها وإخوته وعشيرته. فسُيِّتَ  
فيمن سُبِين من النساء!

فبينا هى تسير بَكَت، فقالوا: ما يبكيك؟ أعلى فراق زوجك؟ قالت:  
قَبَّحَ الله جالا لانفعَ معه، إنما أبكى على عِصْيَانِي أختى فى قولها: « ترى الفتيان

---

(١) الغمر: لمعظم البحر (٢) التهد: الأسد والكريم (٣) الصليب: الشديد.  
(٤) قليل الجمجمة: كلامه بين (٥) النصاب: الأصل (٦) عزوب: بعيد (٧) جلد: صرعه على  
الجدالة (الأرض) (٨) لا ينكل: لا يجبن (٩) ذهبت مثلا. يضرب لمن يكون منظره  
خير من مخبره.

كالنخل ، وما يدريك ما الدخل ! » ، وأخبرتهم كيف خطبوها .  
فقال لها رجل منهم - يكنى أبا نُوَاس - شابٌ أسود أفوهٌ <sup>(١)</sup> مضطرب  
الخلق - أتَرْضَيْنِ بِي عَلَى أَنْ أَمْتَعَكَ مِنْ ذِئَابِ الْعَرَبِ ؟ فقالت لأصحابه :  
أَكْذَلِكَ هُوَ ؟ قالوا : نعم ، إنه مع مَآثِرِنِ لَيَمْنَعُ الْحَلِيلَةَ <sup>(٢)</sup> ، وَتُثْقِيهِ  
الْقَبِيلَةَ .

قالت : هذا أَجْمَلُ جَمَالٍ وَأَكْمَلُ كَمَالٍ ؛ قد رَضِيتُ بِهِ . فزَوَّجُوها مِنْهُ .

---

(١) رجل أفوه : عظيم الفم (٢) الحليلة : الزوجة .



خرجت المجفاه بنتُ علقمة السعدى وثلاثُ نسوةٍ من قومها ، وتواعدن روضةً يتحدثُن فيها ، فوافين بها ليلاً في قمرٍ زاهر ، وليلة طَلَّةٍ ساكنة ، وروضة مُهشَّبةٍ خصبَةٍ .

فلما جلسنَ قلنَ : مارأينا كاليلة ليلةً ، ولا كهذه الروضة روضةً أطيبَ ريحاً ولا أنضراً ! ثم أفضنَ في الحديث ، فقلنَ : أىُّ النساءِ أفضل ؟ قالت إحداهنَ : الخُرود<sup>(١)</sup> الوَدُود الوَلُود . قالت الأخرى : خيرهنَ ذاتُ الفَنَاء ، وطيبُ الثَنَاء ، وشدةُ الحَيَاء . قالت الثالثة : خيرهنَ السَّمُوع<sup>(٢)</sup> ، النَّفُوع ، غيرُ المنُوع . قالت الرابعة : خيرهنَ الجامعةُ لأهلها ، الوادِعةُ ، الرافعةُ لا الواضعة .

قلنَ : فأىُّ الرجالِ أفضل ؟ قالت إحداهنَ : إن أبى يُكْرَمُ الجار ، ويُعْظَمُ النار ، وينحَرُ العِشَار<sup>(٣)</sup> بَعْدَ الحِوَار<sup>(٤)</sup> ، ويحملُ الأمورَ الكِبَار ، ويَأْنَفُ من الصَّفَار .

فقلت الثانية : إن أبى عظيمُ الخطَر ، منيعُ الوزر<sup>(٥)</sup> ، عزيزُ النَّفَر ، يُحَمَّدُ منه الورد<sup>(٦)</sup> والصدَر .

\* جمع الأمثال ٢ : ٧٢

(١) الخُرود : الحية الطويلة السكوت (٢) السموع : التى تسمع القول (٣) العشار : جمع عسراء ، وهى الناقة التى مضى لحملها عشرة أشهر (٤) الحوَار ولد الناقة ساعة تضعه ، أو إلى أن يفصل عن أمه (٥) الوزر : الملجأ (٦) الورد : الورد على الماء ، والصدر : المودة من الاستقاء .

فَقَالَتِ الثَّلَاثَةُ : إِنَّ أَبِي صَدُوقُ اللِّسَانِ ، حَدِيدُ الْجَنَانِ <sup>(١)</sup> ، كَثِيرُ الْأَعْوَانِ ، يُرَوِّى السَّنَانَ عِنْدَ الطُّمَانِ .

قَالَتِ الرَّابِعَةُ : إِنَّ أَبِي كَرِيمُ النَّزَالِ ، مُنِيفُ <sup>(٢)</sup> الْمَقَالِ ؛ كَثِيرُ النَّوَالِ ، قَلِيلُ السُّوَالِ ، كَرِيمُ الْفَعَالِ .

ثُمَّ تَنَافَرْنَ <sup>(٣)</sup> إِلَى كَاهِنَةٍ مَعْنَى " فِي الْحَيَاةِ " ، فَقَانَهَا : اسْمِي مَا قُلْنَا ، وَاحْكِي بَيْنَنَا وَاعْدِلِي ؛ ثُمَّ أَعَدَّنَ عَلَيْهَا قَوْلَهُنَّ ، فَقَالَتْ لَهَا : كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُم مَارِدَةٌ <sup>(٤)</sup> ، بِأَبِيهَا وَاجِدَةٌ <sup>(٥)</sup> ، عَلَى الْإِحْسَانِ جَاهِدَةٌ ، لِمُصَوِّحَاتِهَا حَاسِدَةٌ ، وَلَكِنْ اسْمُنِ قَوْلِي : خَيْرُ النِّسَاءِ الْمُتَبَقِّيَةُ عَلَى بَعْلِهَا ، الصَّابِرَةُ عَلَى الضَّرِّاءِ مَخَافَةٌ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهَا ؛ فَهِيَ تُؤَثِّرُ حَظَّ زَوْجِهَا عَلَى حَظِّ نَفْسِهَا ، فَتِلْكَ الْكَرِيمَةُ الْكَامِلَةُ . وَخَيْرُ الرِّجَالِ الْجَوَادُ الْبَطْلُ ، الْقَلِيلُ الْفِشْلُ ، إِذَا سَأَلَهُ الرَّجُلُ الْفَاهُ قَلِيلَ الْمِلَالِ ، كَثِيرَ النَّفْلِ <sup>(٦)</sup> ، ثُمَّ قَالَتْ : « كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ <sup>(٧)</sup> » .

---

(١) الجنان : القلب (٢) منيف المقال : مرتفع (٣) تنافرن . ذهب وتخاصم (٤) ماردة : عاتية قد بلغت الغاية (٥) وجد به : أحبه (٦) النفل : العلية (٧) ذهبت مثلاً .

## ٧ - نَكْبَةُ جَلِيلَةَ\*

كانت جلييلة بنت مرة أختُ جَسَّاس زوجا لكليب بن ربيعة<sup>(١)</sup>؛ فلما قتل جَسَّاس<sup>(٢)</sup> كليباً اجتمع نساء الحى للمأتم، فقلن لأخت كليب: رَحِّلِي جلييلة عن مأتمك؛ فإن قيامها فيه شماتةٌ وعارٌ علينا عند العرب؛ فقالت لها: يا هذه؛ اخرُجِي عن مأتمنا، فانتِ أختُ واترنا وشقيقةُ قاتِلنا؛ فخرجت وهي نمرءُ أعطافها؛ فلقبها أبوها مرةً، فقال لها: ما وراءك يا جلييلة؟ قالت: نُكْلُ المَدَد، وحُزْنُ الأبدِ، وقد حليل، وقتلُ أخٍ عن قليل، وبين ذَيْنِ غَرَسِ الأحقاد، وتفتت الأكبَاد؛ فقال لها: أويكفُ ذلكَ كَرَمُ الصَفْح وإغلاء الدِّيَّات؟ فقالت جلييلة: أمنيّة مخدوع وربِّ الكعبة! أبا لبْدُن<sup>(٣)</sup> تدعُ لك تَقْلِبُ دمَ ربِّها!

ثم بلغ جلييلة أن أخت كليب قالت حين رحلت: رِحْلَةُ المتصدى وفراق الشامت! ويلٌ غداً لآل مرة؛ من الكَرَّة بعد الكَرَّة! فقالت: وكيف تَشْمَت الحرَّة بهتكِ سِتْرِها، وترقب وترها! أسعدَ الله<sup>(٤)</sup> جدَّ أختي، أفلا قالت: نَفَرَةَ الحياة، وخوف الاعتداء! ثم أنشأت تقول:

\* الأغاني: ٦٣-٥ (طبعة دار الكتب)، نهاية الأرب: ٥-٢١٤، ابن الأثير: ١-٢١٦ مذهب الأغاني: ١-٨٥

(١) كان كليب بن ربيعة سيد ربيعة، يتزلم ويرحلهم، ولا يصدرون في شيء إلا عن أمره، ولا يجير أحد من بكر وربيعة إلا بإذنه، وكان يحصى أمكنة الصيد وحياض الماء. وضرب به القتل فقالوا: أعز من كليب (٢) كان لجساس خالة من بني سعد جاورت بني مرة، فزلت على جساس ابن أختها، ومصها ناقة، فندت الناقة يوماً، فدخلت في إبل كليب ترعى في حماء، فنظر إليها فأنكرها ورماها بسهم في ضرعها، فولت حتى بركت بفناء صاحبها، وضرعها يشخب دماء، فصاحت: واذا لاه! فقتل جساس كليباً لتلك، وقتل جساس نحو سنة ٨٥ ق. هـ (٣) البدن: جمع بدنة تكون من الإبل والبقر. (٤) الجد هنا: الحظ.

يابنة الأقبام إن شئت فلا  
 فإذا أنت تبينت الذي  
 إن تكن أخت امرئ ليمت علي  
 جل عندى فعل جساس فيا  
 فعل جساس على وجدى به  
 تحمل العين قذى العين كما  
 ياقتيلاً قوض الدهر به  
 هدم البيت الذى استحدثته  
 يانسأى دونكن اليوم قد  
 خصنى قتل كليب بلظى  
 ليس من يبكى ليومين كن  
 يشفى المدرك بالثار ، وفي  
 ليتة كان دمي فاحتلبوا  
 إننى قاتلة مقتولة  
 تمنجلى باللوم حتى نسألى  
 يوجب اللوم فلومى واعذلى  
 شفق منها عليه فافعل  
 حسرتى عما انجملت أو تنجلى  
 قاطع ظهري ومذن أجلى  
 تحمل الأم أذى ما تفتلى<sup>(١)</sup>  
 سقف بيتي جيماً من عل  
 وانثنى فى هدم بيتي الأول  
 خصنى الدهر برزء معضل  
 من ورأى ولظى مستقبلى  
 إنما يبكى ليوم ينجلي  
 دركى ثأرى تكل المشكل<sup>(٢)</sup>  
 بدلاً منه دماً من أكل<sup>(٣)</sup>  
 ولعل الله أن يرتاح لى

(١) تفتلى : تربي (٢) المشكل : التى لازمها الحزن (٣) الأكل : عرق فى الذراع يفصد .



## ٢٨ — كأنما تزوجت بنت قيس بن خالد \*

كان زُرارة بن عُدُس رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لَقِيط ، فرأى منه خيلاً ونشاطاً ، وقد جعل يضربُ غُلْمَانَهُ — وهو يومئذ شاب — فقال له : لقد أصبحتَ تصنعُ صنيعاً كأنما جئتني بمائةٍ من هِجَانٍ <sup>(١)</sup> ابن المنذر بن ماء السماء ، أو تزوجت بنت قيس بن خالد ! قال لَقِيط : لله على ألا يمسَّ رأسى غُسل ، ولا آكل لحماً ولا أشرب خمرأ حتى أجسهما جميعاً أو أموت .

فخرج لَقِيط ومعه ابنُ خال له يقال له القراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شَيْبَانَ ، فسَلَمَا على نَادِيهِمْ ، ثم قال لَقِيط : أفيكم قيس بن خالد ؟ — وكان سيدَ ربيعة يومئذ — قالوا : نعم . قال : فأيتكم هو ؟ قال قيس : أنا قيس ، فما حاجتك ؟ قال : جئتُك خاطباً ابنتك — وكانت على قيس يمينٌ ألا يخطبَ إليه أحد ابنته علانية إلا أصابه بشرٌ ، وسمع <sup>(٢)</sup> به — فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : لَقِيط بن زُرارة بن عُدُس . قال قيس : عجبا منك ! هَلَا كان هذا بيني وبينك ؟ قال : لِمَ ياعم ؟ فوالله إن فيك لرغبةً ، وما بى من عيب ، ولئن ناجيتُك لا أخدعُك ، ولئن عالتُك لا أفضحُك . فأعجبَ قيساً كلامُهُ وقال : كفْ كَرِيم ، إني قد زوّجتُك ومهرتُك مائة ناقة ؛ ليس فيها نابٌ ولا كَزُوم <sup>(٣)</sup> ، ولا تبيت عندنا عزباً ولا محروماً .

\* الأغاني : ٩ - ١٣٠ ( طبعة الساسي ) ، مجمع الأمثال : ٢ - ١٥٣  
(١) إبل هجان : يبيض كرام (٢) سمع به : قضعه وخنمه (٣) الناب : الناقة المسنة ، والكزوم . ناقة ذهبت أسنانها هرمأ .

ثم أرسل إلى أم الجارية : إني قد زوجت لقيط بن زُرارة ابنتي فلانة فاضنعيها ، واضربي لها ذلك البلق<sup>(١)</sup> ؛ فإن لقيط بن زُرارة لا يبيت فينا عزاباً .

وجلس لقيط يتحدث معهم . فذكروا الغزو ، فقال لقيط : أما الغزو . فأرداها للّقاح ، وأهزلها للجمال ، وأما المقام فأسمنها للجمال ، وأحبها للنساء . فأعجب ذلك قيساً ، وأمر لقيطاً فذهب إلى البلق فجلس فيه ، وبعث إليه أم الجارية بمخمرة وبخمر ، وقالت للجارية : اذهبي إليه فوالله لئن ردّها ما فيه خير ؛ فلما جاءته الجارية بالمخمرة بخمر شفره ولحيته . ثم ردّها عليها ، فلما رجعت الجارية إليها خبرتها بما صنع ، فقالت : إنه خلّيق للخير .

فلما أمسى لقيط أهديت الجارية إليه ، فآزحها بكلام اشمازت منه ، فنام وطرح عليه طرف خميصة<sup>(٢)</sup> ، وباتت قريباً منه .

فلما استنقل انسلت فرجعت إلى أمها ، فانتبه لقيط فلم يرّها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قرّاداً وهو في أسفل الوادي ، فقال : ارحل بعيرك<sup>(٣)</sup> ، وإيّاك أن يسمع رُغاؤها .

فتوجّها إلى المنذر بن ماء السماء ، وأصبح قيس ففقد لقيطاً ، فسكت ولم يدر ما الذي ذهب به ، ومضى لقيط حتى أتى المنذر ، فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه<sup>(٤)</sup> ، فبعث بها قرّاد إلى أبيه زُرارة ، ثم مضى إلى كِسرى فكساه وأعطاه جوهرأ ، ثم عاد إلى قيس بن خالد فجهرز بنته ، ولما أرادت الرحيل قال لها : يا بنية ، كوني لزوجك أمةً يكن لك عبداً ؛ وليكن أكثر

---

(١) البلق : القسطاط (٢) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان (٣) البعير : الجمل البازل أو الجذع ، وقد يكون للأنثى ، ورحل البعير : حط عليه الرحل (٤) هجائنه ، أي هجانه .

طبيبك الماء فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، واعلمى أن زوجك فارس مُضر ،  
وأنه يُوشِكُ أن يقتل أو يموت ، فلا تخمشى عليه وجهاً ولا تحلقى شعراً ، قالت  
له : أما والله لقد ربّيتنى صغيرة ، وأقصيتنى كبيرة ، وزوّدتنى عند الفراق  
شرّاً زاد !

وارتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمرّ بحىٍّ من أحياء العرب إلا قالت : يا لقيط ،  
أهؤلاء قومك ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلة بنى عبد الله بن دارم ، فرأت  
القبابَ والخليل العراب ؛ فقالت : يا لقيط ، أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم . فأقام أياماً  
يطعم وينتحر ، ثم أقامت عنده حتى قُتل يوم جبلة<sup>(١)</sup> .

فبعث إليها أبوها أخاه ليتحمّل إليه ، فلما ركبت أقبلت حتى وقفت على  
نادى بنى عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بنى دارم ؛ أوصيكم بالفرائب خيراً ، فوالله  
ما رأيتُ مثلَ لقيط لم تخمش عليه امرأةً وجهاً ، ولم تحلق عليه شعراً ، فلولا أنى  
غريبةً لخمشت وحلقت . فآثنوا عليها .

---

(١) جبلة : هضبة حمراء بين الشريف والشرف ، وهما ماءان لبنى نمير وبني كلاب ، وكان  
اليوم بين عبس وذبيان ابني بغيض .

## ٢٩ — ما وراءك يا عصام\*

لما بلغ الحارث بن عمرو<sup>(١)</sup> ملك كِنْدَةَ جمالُ ابنة عوف بن مُحَلِّم الشَّيْبَانِيَّ ،  
وكملها وقوة عقلها ، دعا امرأة من بنى كِنْدَةَ يقال لها عصام ، ذات عقلٍ ولسانٍ  
وأدبٍ وبيانٍ ، وقال لها : اذهبي حتى تعلّمي لي علمَ ابنة عوف .

فمضت حتى انتهت إلى أمها ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت إلى ابنتها ،  
وقالت : أي بُنْيَّة ؛ هذه خالتك أنتك لتنظري إليك ، فلا تستري عنها شيئاً أرادت  
النظر إليه من وجهٍ وخلقٍ ، وناطقيها إن استنطقتك .

فدخلت عصامُ إليها ، فنظرت إلى مالم ترَ عينُها مثله قطُّ بهنْجَةً وحُسناً وجمالاً ؛  
فإذا هي أكلُ الناس عقلًا وأفصحهم لساناً ؛ فخرجت من عندها وهي تقول :  
ترك الخلداع من كشف القناع .

ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : ما وراءك يا عصام ؟ قالت : صرَّحَ الخفضُ  
عن الزُّبْدِ<sup>(٢)</sup> . قال : أخبريني . قالت : أخبرُك صدقاً وحقاً .

رأيت جبهةً كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالكٌ كآذنان الخيل المصفورة ،  
إن أرسلته خِلَّتْهُ السلاسل ، وإن مشطته قُلَّتْ عُنَا قِيدُ كَرَمٍ جَلَاها الوابل<sup>(٣)</sup> ،  
وحاجبين كأنهما خطاً بقلم أو سوّداً بِحُمَمٍ<sup>(٤)</sup> ، قد تقوّسَا على عينِ الخبيثةِ

\* جمع الأمثال : ٢ - ١٩٢ ، المقد الفريد : ٣ - ٢٢٣

(١) كان الحارث بن عمرو من أشرف العرب في الجاهلية ، وكان مطاعاً في قومه ، قوياً في عصبيته ،  
وكانت تضرب له قبة في عكاظ ، توفي نحو سنة ٤٥ ق . هـ (٢) غرض اللبن : أخذ زبده ، والتصريح :  
التين . وهو مثل ؛ يضرب للأمر إذا انكشف وتبين (٣) الوابل : المطر الشديد (٤) الحُم : الفحم .



العُبْهَرَةُ<sup>(١)</sup> ، التي لم يرُغها قانصٌ ولم يدعُرْها قسورة<sup>(٢)</sup> ، بينهما أنفٌ كحدِّ السيفِ  
المصقول ، لم يخنس<sup>(٣)</sup> به قصرٌ ، ولم يَمْضِ به طولٌ ، حُفَّتْ به وَجَنَتَانِ  
كالأرجوان<sup>(٤)</sup> في بياض مخضٍ كالجمان<sup>(٥)</sup> ، شُقَّ فيه فمٌ كالخاتم ، لذيد المبتسم  
فيه ثمايا غُرٌّ ، ذوات أُشُر<sup>(٦)</sup> ، وأسنان تبدو كالذُرر ، يتقلبُ فيه لسانٌ ذو فصاحة  
وبيان ، يحرُّ كِه عقلٌ وافرٌ ، وجوابٌ حاصر<sup>(٧)</sup> ... إلى أن قالت : فأما ما سوى  
ذلك فتركْتُ أن أصفه . غير أنه أحسن ما وصفه واصفٌ بنظم أو نثر . فأرسل  
الملك إلى أبيها فخطبها ، فزوجه إياها .

فلما حُمِلَتْ إلى زوجها ؛ قالت لها أمها ، أُمَامَةُ بنت الحارث :

أى بُنْيَّة ؛ إن الوصِيَّةَ لو تُرِكَت لفضلِ أدب ، تُرِكَتْ لذلك منك ، ولكنها  
تذكرةٌ للفاقل ؛ ولو أن امرأةً استغفنت عن الزوج لَفَنَى أبويها ، وشدة حاجتهما  
إليها كنتِ أغنى الناس عنه ، وكنَّ النساءُ خُلُقْنَ للرجال ، ولهنَّ  
خُلُقَ الرجال .

أى بُنْيَّة ؛ إنكِ فارقتِ الجوّ الذي منه خرجتِ ، وخلقتِ الشَّ الذي فيه  
درجتِ ، إلى وَكْرٍ لم تعرِّفيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيقاً  
ومليكا ، فكوني له أمةً يَكُنْ لك عبداً وشيكاً<sup>(٨)</sup> .

يابنِيَّة أحملِي عني عشرَ خصال تكن لك ذخراً وذكرأ : الصُّحْبَةُ بالقناعة ،  
والمُعاشرةُ بحُسن السمع والطاعة ، والتعهدُ لموقع عَيْنِهِ ، والتفقدُ لموضع أنفه ؛ فلا تقع

---

(١) العبهره : الرقيقة البشرة الناصعة البياض (٢) القسورة : الرماة من الصيادين (٣) خنس :  
تأخر ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة (٤) الأرجوان : صبغ أحمر  
(٥) الجمان : اللؤلؤ (٦) أشر الأسنان : التحريز الذي فيها (٧) انظر بقية الوصف في مراجع  
القصة (٨) الوشيك : السريم .

عينه منك على قبيح ، ولا يَشَمَّ منك إلا أطيّبَ ريح ، والكُحْلُ أحسن الحسن ،  
والماء أطيّبُ الطيبِ المفقود ، والتعهدُ لوقت طعامه ، والهدوءُ عنه عند منامه ؛ فإنَّ  
حرارةَ الجوعِ مَلْهَبَةٌ ، وتنقيصُ النومِ مَفْضَبَةٌ . والاحتفاظُ بِبَيْتِهِ وماله ،  
والإِرعاءُ<sup>(١)</sup> على نفسه وحشيه وعياله ، فإنَّ الاحتفاظَ بالماءِ حسنُ التقدير ، والإِرعاءُ  
على الميَالِ واللحْمِ جميلٌ حسنُ التدبير ؛ ولا تُفْشِي له سرًّا ، ولا تَعْصِي له أمرًا ؛  
فإنك إن أفشيتَ سرَّه لم تأمنِي غَدْرَه ، وإن عصيتَ أمره أو غرتَ صدره ؛  
ثم اتقى مع ذلك الفرحَ إن كان تَرَحًّا ، والاكتئابَ عنده إن كان فَرَحًا ، فإنَّ  
الْخَصْلَةَ الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوني أشدَّ ما تكونين له  
إِعْظَامًا يكن أشدَّ ما يكون لك إِكْرَامًا ، وأشدَّ ما تكونين له موافقةً يكن أطولَ  
ما تكونين له مراقبةً .

واعلم أنكَ لا تصلين إلى ما تُحِبِّين حتى تُؤثري رضاَه على رضاكَ ، وهَوَاهُ  
على هَوَاكَ فيما أحببتِ وكرهت : والله يَخِيرُ لك !

---

(١) الإِرعاءُ : الإِبقاء .

### ٣٠ - لا أتزوج إلا من كريم\*

كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن ذات جمال وكال ، وحسب ومال ، قالت ألا أتزوج نفسها إلا من كريم ، ولئن خطبها لثيم لتجد عن أنفه ؛ فتحامها الناس حتى انتدب<sup>(١)</sup> إليها زيد الخيل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس ابن حارثة الطائيون ، فارتحلوا إليها .

فلما دخلوا عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زوّاراً ؛ فما الذى جاء بكم ؟ قالوا : جئنا زوّاراً خطّاباً ، قالت : أكفاه كرام . ثم أنزلتهم وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القرى ، وزادت فيه .

فلما كان اليوم الثانى بعثت بعض جوارىها متنكرة في زى سائلة تتعرض لهم ؛ فدفع إليها زيد وأوس شطراً ما حمل إلى كل واحد منهما . فلما صارت إلى راحل حاتم دفع إليها جميع ما كان من نفقته ، وحمل إليها جميع ما حمل إليه .

فلما كان اليوم الثالث دخلوا عليها ، فقالت : ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره ؛ فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هلاً سألت بنى ذبيان : ما حسبي	عند الطّمان إذا ما انحمرّت الحدق! <sup>(٢)</sup>
وجاءت الخيل محمراً بوادرها <sup>(٣)</sup>	بالماء يسفح من لبّاتها العلق <sup>(٤)</sup>
والجار يعلم أنى لست خاذله	إن ناب دهر لعظم الجار معترقه <sup>(٥)</sup>

\* الخزانة : ٤ - ١٦٠ ( طبعة السلفية ) ، ذيل الأمل : ١٥٤ ( طبعة دار الكتب ) ، شرح العمون : ٧٥ .

(١) انتدب إليها : أسرع وخف . (٢) إذا ما اشتد الحرب . (٣) البادرة : اللحمة التى بين المنكب والعنق ، وهى تحمر من الدم الذى يسيل عليها من فرسانها . (٤) العلق : الدم . (٥) اعترقه : أكل ما عليه من اللحم .

هذا الشناء ، فإن ترضى فراضيةٌ أوتسخطى فإلى من تمطف العنق!  
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أننا أكرمُ أحساباً ، وأشهرُ أفعالاً من أن  
نصف أنفسنا لك ؛ أنا الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لأمٍ ليَقْضَى حاجتي لَقَدْ قضاها  
فهاوِطى الحصى مثل ابنِ سَعْدَى ولا ليسَ النعالَ ولا احتذاها  
وأنا الذى عَقَّتْ عقيقته<sup>(١)</sup> ، وأعتقت عن كلِّ شعرةٍ فيها عنه نسمةً ، ثم  
أنشأ يقول :

فإن تنكحى ماويةَ الخير حاتماً فما مثله فينا ولا فى الأعاجم  
فتى لا يزالُ الدهرَ أكبرُ همِّه فكالُ أسيرٍ أو معونةٍ غارِمِ  
وإن تنكحى زيدا ففارسُ قومه إذا الحربُ أقعدتْ كلَّ قائمِ  
وإن تنكحينى تنكحى غيرَ فاجرٍ ولا جارفِ جَرَفِ العشيرةِ هادمِ  
ولا متقى يوماً - إذا الحربُ شمرتْ - بأنفسها نَسِي ، كفِعلِ الأشائمِ<sup>(٢)</sup>  
وإن طارقُ الأضيافِ لا ذرَ برَخله وجدتِ ابنَ سَعْدَى للقرى غيرَ عاتِمِ<sup>(٣)</sup>  
فأى فتى أهدى لكِ الله فاقبلى فإننا كرامٌ من رؤوسِ أكارمِ  
وأنشد حاتم يقول :

أماوى قد طال التَّجَنُّبُ والهجرُ وقد عذرتنى<sup>(٤)</sup> فى طِلابِكُم عذرُ<sup>(٥)</sup>  
أماوى إن المالَ غادٍ ورائحٌ وَيَبْقَى من المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ

(١) العقيقة : شعر كل مولود من الناس . (٢) الأشائم : جمع أشأم وهو ضد الأيامن .  
(٣) عثم الرجل عن الشيء : كف عنه بعد المضي فيه . (٤) عذرتنى : أى رفعت عنى  
اللوم ومحيت الإساءة وطمستها . (٥) العذر : جمع عذير ، والعذير هو الحال .



أماوى إني لا أقول لسائل  
أماوى إنا مانع فبين  
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى  
أماوى إن يصبح صدأى<sup>(٤)</sup> بقررة  
ترى أن ما أنفقت لم يك ضائرى  
أماوى إني رب واحد أمه  
وقد علم الأقسام لو أن حاتمًا  
أماوى إن المال مال بذلته  
وإني لا آلو<sup>(٥)</sup> بمالى صنيعه  
يفك به العاني<sup>(٦)</sup> ويؤكل طيباً  
ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتى  
غنياً<sup>(٨)</sup> زماناً بالتصعلك والفنى  
فما زادنا بأوا<sup>(٩)</sup> على ذى قرابة  
وما ضر جاراً يابنة القوم فاعلمى  
بعينى عن جارات قومى غفلة  
فقلت : أما أنت يا زيد فقد وترت العرب ، وبقاؤك مع الحرّة قليل ، وأما  
أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر ، والدخول عليهنّ شديد ؛ وأما أنت يا حاتم فمضى  
الأخلاق ، محمود الشيم ، كريم النفس ، وقد زوّجتك نفسى !

(١) النزر : القلة (٢) نهيه : منه (٣) الحشرجة : الفراغة عند الموت (٤) الصدى :  
ما يبقى من البيت فى قبره (٥) لا آلو : لا أقصر (٦) العاني : الأسير (٧) القداح : قداح  
الميسر . القمر : المقامرة (٨) غنيا : غنى بالمسكاو : أقام به (٩) البأو : الكبر والفخر :

### ٣١ — سبيّة عروة بن الورد\*

أصاب عروة<sup>(١)</sup> بن الورد امرأة من بنى كنانة ، يقال لها سلمى ، فأعتقها واتخذها لنفسه ، فمكثت عنده بضع عشرة سنة وولدت له أولاداً ، وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه ، وهى تقول له : لو حججت بى ، فأمرئ على أهلى وأراهم ! فحج بها ، فأتى مكة ، ثم أتى المدينة ، وكان يُخالط من أهل يثرب بنى النضير ، فيقرضونه إن احتاج ، ويبايعهم<sup>(٢)</sup> إذا غنم .

وكان قومها يُخالطون بنى النضير ، فأتوهم وهو عندهم ، فقالت لهم سلمى : إنه خارج بى قبل أن يخرج الشهر الحرام ، فتعالوا إليه ، وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سبيّة ، وافتدوني منه ، فإنه لا يرى أنى أفارقه ، ولا أختار عليه أحداً ؛ فأتوه فسقوه الشراب ، فلما نمل قالوا له : فادنا<sup>(٣)</sup> بصاحبتنا ؛ فإنها وسيطة<sup>(٤)</sup> النسب فينا ، معروفة ، وإن علينا سبيّة أن تكون سبيّة ، فإذا صارت إلينا ، وأردت معاودتها ، فاخطبها ؛ فإننا نزوجك ؛ فقال لهم : ذاك لكم ؛ ولكن لى الشرط فيها أن تخيروها ، فإن اختارتنى اطلقت معى إلى ولديها ، وإن اختارتكم اطلقتكم بها ؛ قالوا : ذاك لك . قال : دعوا ذلك إلى غد .

\* الشعر والشعراء : ٢٦ ، الأغاني : ٣-٧٦ ( طبعة دار الكتب )

(١) عروة بن الورد : شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها العدودين المقدمين الأجراد . وكان يلقب عروة الصعاليك ؛ لأنه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بأمرهم . توفى نحو

سنة ٣٠ ق هـ (٢) يبايعهم : يعقد معهم البيع (٣) المفاداة : إنقاذ الأسير بالفدية

(٤) وسيطة النسب : حسيبة كريمة .

فلما كان الغد جاءوه فامتنع من فدائها ، فقالوا له : قد فاديتنا به منذ البارحة ؛  
وشهد بذلك جماعة ممن حضر ، فلم يقدر على الامتناع وفادائها ، فلما فادوه خيروها  
فاختارت أهلها ؛ ثم أقبلت عليه ، فقالت : يا عروة ، أما إني أقول فيك - وإن  
فارقتك - الحق : والله ما أعلم امرأة من العرب ألت سترها على بعل خير منك ،  
وأغض طرفاً ، وأقل فحشاً ، وأجود يداً ، وأحصى إحقيقه<sup>(١)</sup> . وما مرّ على يوم  
منذ كنت عندك إلا والموت فيه أحب إلى من الحياة بين قومك ، لأنى لم أكن  
أشاه أن أسمع امرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا ؛ والله لا أنظر  
في وجه غطفانية أبداً<sup>(٢)</sup> ، فارجع راشداً إلى ولدك وأحسن إليهم !

ثم تزوجها رجل من بنى عمها ، فقال لها يوماً : ياسلمى ؛ أثني على كما أثنت  
على عروة - وقد كان قولها فيه شهير - فقالت له : لا تكلفني ذلك ؛ فإني إن قلت  
الحق غضبت ، ولأ واللات والعزى لا أكذب ؛ فقال : عزمت عليك لتأتينني في  
مجلس قومي فلتثنين على بما تعملين .

وخرج فجلس في ندى القوم ، وأقبلت فرماها القوم بأبصارهم ، فوقفت عليهم  
وقالت : أنعموا صباحاً ، إن هذا عزم على أن أثني عليه بما أعلم . ثم أقبلت عليه  
فقالت : والله إن شريك لا شتفاف<sup>(٣)</sup> ، وإنك لتنام ليلة تخاف ، وتشبع ليلة  
تضاف ، وما ترضى الأهل ولا الجانب<sup>(٤)</sup> . ثم انصرفت . فلآمه قومه ، وقالوا :  
ما كان أغناك عن هذا القول منها .

(١) الحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحويه (٢) غطفان : هم قوم عروة (٣) الاشتفاف : شرب  
كل ما في الإناء (٤) الجانب : الغريب ، والمراد به الضيف .

### ٣٢ - لو كان النساء كمثل هذى \*

قال الحارث<sup>(١)</sup> بن عوف يوماً لخارجة بن سنان المريّة : أترانى أخطبُ إلى أحدٍ فبردني ؟ فقال له : نعم ! قال : ومن ذاك ؟ قال : أوسُ بن حارثة الطائي ؛ فقال الحارث لعلامه : ارحلُ بنا . ففعل ، وركبا حتى أتيا أوسَ بن حارثة في بلاده ، فوجداه في فناء منزله ، فلما رأى الحارثَ بنَ عوف قال : مَرَّحَبًا بك يا حارث ، قال : وَبِكَ ، قال : ما جاء بك ؟ قال : جئتُك خاطباً ، قال : لستَ هناك ! فانصرف ولم يكلمه ، ودخل أوس على امرأته مُفضباً - وكانت من عبس - فقالت : مَنْ رجلٌ واقف عليك فلم يُطل ، ولم تسكلمه ؟ قال : ذاك سيدُ العربِ الحارث بن عوف ، قالت : فما لك لم تستنزلهُ ؟ قال : إنه استخفق<sup>(٢)</sup> . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطباً . قالت : أفتريدُ أن تزوجَ بناتك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا لم تزوجَ سيدَ العربِ فمن ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدّارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلحقهُ فتدّه ، قال : وكيفَ وقد فرط منى ما فرط إليه ! قالت : تقولُ له لقيتني مُفضباً بأمرٍ لم تُقدّم فيه قولاً ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت . عدُ ولكَ عندي كلُّ ما أحببت ، فإنه سيفعلُ . فركب في أثرهما .

قال خارجة بن سنان : فوالله إني لأسيرُ مع الحارث إذ حانت مني التفاتةُ فرأيت أوساً ، فأقبلتُ على الحارث - وما يكلمني غمّاً - فقلت له : هذا أوسُ بن

\* الأغاني : ١٠ - ٢٩٤ ( طبعة دار الكتب ) ، المستطرف . ٢ - ٢٢٢

(١) الحارث بن عوف من بني مرة ، أسلم وحسن إسلامه وبعث معه رسول الله رجلاً من الأنصار في جواره يدعو قومه إلى الإسلام ، فقتلوا الأنصارى (٢) استخفق : فعل فعل الحق .



حارثة في أثرنا ، قال : وما نصنعُ به؟ امض . فلما رأنا لا نقفُ عليه صاح : يا حارث ! اربّع<sup>(١)</sup> على ساعة ، فوقفنا له ، فكلمتهُ بذلك الكلام ، فرجع مسروراً .

ودخل أوس منزله ، وقال لزوجته : ادعى لي فلانة - لأ كبرِ بناتِه - فأتته ، فقال : يا بُنية ، هذا الحارثُ بن عوف سيدُّ من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردتُ أن أزوجهُك منه ، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ، قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأة ، في وجهي ردة<sup>(٢)</sup> ، وفي خلقي بعضُ العُهدة<sup>(٣)</sup> ، ولست بابنةِ عمِّه فبرعَى رَحِي ، وليس ببارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمنُ أن يرى مِنِّي ما يكره فيطلّقني ، فيكونَ عليّ في ذلك ما فيه .

قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادعى لي فلانة - لابنته الوُسْطى - فدعها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثل جوابها ، وقالت : إني خرقاء<sup>(٤)</sup> ، وليست بيدي صناعة ، ولا آمنُ أن يرى مِنِّي ما يكره ، فيطلّقني ، فيكونَ عليّ في ذلك ما تعلم ، وليس بابنِ عمِّي فبرعَى حقِّي ، ولا جارك في بلدك فيستحيك<sup>(٥)</sup> ، قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادعى لي بهيسة - صُغرى بناتِه - فأتى بها ، فقال لها كما قال لها ، فقالت : أنتَ وذاك فقال لها : قد عرَضْتُ ذلك على أختيك فأبتاه ، فقالت - ولم يذكر لها مقالتيهما - : لكني والله الجميلةُ وجهاً ، الصنّاعُ يداً ، الرفيعةُ خلقاً ، الحسبةُ أباً ، فإن طلقني فلا أخلفَ اللهُ عليه بخير ! فقال : بارك الله عليك . ثم خرج إلى الحارث فقال : زوجتك يا حارثُ بهيسة بنت أوس ؛ قال : قبلت : فأمر أمها أن تهيئها ؛ وتصلح من شأنها ؛ ثم أمر بيتَ فُضرب له ؛ وأنزله إياه ؛ فلما هيئت بُعث بها إليه .

(١) ربيع عليه : وقف له ، أو مال إليه (٢) الردة : شيء من قبح (٣) العُهدة : العيب (٤) خرقاء : امرأة غير صنّاع (٥) فيستحيك : يستحي منك .

قال خارجة بن سنان : فلما أدخلت إليه لَبِثَ هُنَيْهَةً ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ ، فَقُلْتُ :  
أَفَرَّغْتَ مِنْ شَأْنِكَ ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لما دخلت إليها  
قالت : مه ! أَعِنْدَ أَبِي وَإِخْوَتِي ؟ هذا والله مَالًا يَكُونُ . قال خارجة : ثم أصرُّ بالرحلة ؛  
فارتحلنا ورحلنا بها معنا ؛ فسيرنا ماشاء الله ، ثم قال لي : تقدَّم ، فتقدمت ، وعدل بها  
عن الطريق ؛ فالبث أن لَحِقَ بِي ؛ فَقُلْتُ : أفرغت ؟ قال : لا والله ، قلتُ :  
ولِمَ ؟ قال : قالت لي : أَمَا يُفْعَلُ بِالْأُمَةِ الْجَلِيلَةِ <sup>(١)</sup> أَوِ السَّيِّئَةِ الْأَخِيذَةِ <sup>(٢)</sup> ! لا والله ،  
حتى تَنْحَرَ الْجَزُرَ <sup>(٣)</sup> وتَذْبِجَ الْفِئَمَ ، وتدعوا العرب ، وتَفْعَلَ مَا يُفْعَلُ لِمِثْلِي ! قلت :  
والله إني لأرى هِمَّةً وَعَقْلًا ، وأرجو أن تكون المرأة مُنْجِبَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال خارجة : فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأحضرَ الإبلَ والْفِئَمَ ، ثم دخل عليها ،  
وخرج إليَّ ، فَقُلْتُ : أفرغت ؟ قال : لا ، قلت : ولم ؟ قال : دخلتُ عليها ، وقُلْتُ لها :  
قد أحضرنا من المال ما قد تَرَيْنِ ، فقالت : والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه  
فيك ! قلت : وكيف ؟ قالت : أتفرغُ للنساء - والعربُ تقتلُ بعضها بعضاً <sup>(٤)</sup> ! قلت :  
فيكونُ ماذا ؟ قالت : اخرج إلى هؤلاء القوم فأصلحْ بينهم ، ثم ارجع إلى أهلِكَ  
فلن يفوتكَ ما تريد ، فَقُلْتُ : والله إني لأرى هِمَّةً وَعَقْلًا ، ولقد قالت قولاً ...

قال خارجة : ثم قال الحارث : اخرج بنا ، فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما  
بينهم بالصلح ، فاصطَلَحُوا عَلَيَّ أَنْ يَحْتَسِبُوا الْقَتْلَ ، فَيُؤْخَذَ الْفَضْلُ مِنْهُ عَلَيْهِ ،  
فحملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجل  
الذكر ! فمدح بذلك وقال فيه زهير قصيدته :

\* أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ \*  
\*

---

(١) الجليية : المجلوبة (٢) الأخيذة : المأخوذة (٣) جمع جزور ؛ وهو البعير (٤) كان ذلك  
في أيام حرب عبس وذبيان ، وهي المعروفة بحرب داحس والفراء .

### ٣٣ — بنت حاتم الطائي \*

قال علي بن أبي طالب - عليه السلام : يا سبحات الله ! ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير ! عجبتُ لرجل يبيّنه أخوه في حاجةٍ فلا يرى نفسه للخير أهلاً ! فلو كنّا لا نرجو جنة ولا نخافُ ناراً ، ولا نتظر ثواباً ، ولا نخشى عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلبَ مكارمَ الأخلاق ؛ فإنها تدل على سبيل النجاة .

فقام إليه رجل فقال : فذاك أبي وأمي يا أمير المؤمنين ! أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وما هو خيرٌ منه ؛ لما أتينا بسبياً طيئً كانت في النساء جاريةٌ حمّاء <sup>(١)</sup> ، حوراءُ العينين <sup>(٢)</sup> لعنساء <sup>(٣)</sup> ، لمياء <sup>(٤)</sup> عيطاء <sup>(٥)</sup> ، شماء الأنف ، معتدلةُ القامة .

فلما رأيتها أعجبت بها ؛ فقلت : لأطلبنّها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها من قتي <sup>(٦)</sup> ، فلما تكلمتُ أنسيتُ جمالها لما سمعتُ من فصاحتها ، قالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ؛ فإن رأيتَ أن تخلّي عني ، فلا تُشمت بي أحياء العرب ! فإني بنتُ سيدِ قومي ؛ كان أبي يفكُّ العاني ، ويحمي الذمّار ؛ ويقري الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرّجُ عن المكروب ، ويطعمُ الطعام ، ويفشى السلام ، ولم يردّ طالبَ حاجة قط ؛ أنا بنت حاتم طيئ . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية ؛ هذه صفاتُ المؤمن ، ولو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه ، خالوا عنها ، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق !

\* الأغاني : ١٦-٩٠٣ ( طبعة الساسي ) ، شرح العيون : ٧٣

(١) حماء : سوداء (٢) الحور : سواد العين كلها ؛ مثل الظباء ، ولا يكون في بني آدم ، بل يستعار لها (٣) جارية لعنساء : في شفتها أدنى سواد ، مشربة بحمرة (٤) اللمي : سمرة في الأنف (٥) امرأة عيطاء : طويلة المنق (٦) النوى : الفضيحة .

### ٣٤ — أيتها أعظم العرب مصيبة ؟ \*

لما كانت وقعة بدر قُتل فيها عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم ، وبلغها تسويم<sup>(١)</sup> الخنساء<sup>(٢)</sup> هودجها في الموسم ، ومعاظمتها العرب بمصبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سوّمت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ؛ وإن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلما أصيبت هند<sup>(٣)</sup> بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوّم براية ، وشهدت الموسم بكأظ - وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب - فقالت : اقرنوا جلي بجمل الخنساء ، ففعلوا ؛ فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : مَنْ أنت يا أختي ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاظمين العرب بمصبتك ، فبِمَ تعاظمينهم ؟ فقالت الخنساء : بصرو بن الشريد ، وصخر ، ومعاوية ابني عمرو . وبِمَ تعاظمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة بن ربيعة ، وعمي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء : أو سواء عندك ؟ ثم أنشأت تقول :

\* الأغاني : ٤ - ٢١٠ ( طبعة دار الكتب ) ، معاهد التنصيص : ١ - ١١٧

(١) سوم الشيء : جعل له سومة وعلامة ليعرف ويشير (٢) اسمها تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمي ، كانت من شواعر العرب ، المعترف لها بالتقدم وأدركت الإسلام ، وأسلمت ومات أولادها الأربعة في حرب القادسية ، وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر ، ومات في زمن معاوية بالبادية (٣) هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم معاوية :



أَبْكَى أَبِي عَمْرٍأَ بَعِينَ غَزِيرَةً      قَلِيلٍ إِذَا نَامَ انْخَلِيَ هُجُودُهَا  
وَصِنَوَى ، لَا أَنْسَى مَعَاوِيَةَ الَّذِي      لَهُ مِنْ سَرَّاقَةِ الْحَرَّتَيْنِ <sup>(١)</sup> وَفُودُهَا  
وَصَخْرًا ، وَمَنْ ذَا مِثْلُ صَخْرٍ إِذَا غَدَا      بِسَاهِمَةِ الْأَطَالِ قُبَا <sup>(٢)</sup> يَقُودُهَا  
فَذَلِكَ يَاهُنْدُ الرِّزِيَّةُ فَاعْلَمِي      وَنِيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا  
فَقَالَتْ هُنْدُ تَجِيبُهَا :

أَبْكَى عَمِيدَ الْأَبْطَحَيْنِ <sup>(٣)</sup> كِلَيْهِمَا      وَحَامِيَتَهَا مِنْ كُلِّ بَايَغٍ يُرِيدُهَا  
أَبِي عَتَبَةَ الْخَيْرَاتِ وَيُنْحَكِ فَاعْلَمِي      وَشَيْبَةَ وَالْحَامِي الذُّمَارِ وَلِيدُهَا  
أُولَئِكَ آلُ الْمَجْدِ مِنْ آلِ غَالِبٍ      وَفِي الْعَزِّ مِنْهَا حِينَ يُنْمِي عَدِيدُهَا <sup>(٤)</sup>  
ثُمَّ قَالَتْ :

مَنْ حَسَّ إِلَى الْأَخَوَيْنِ كَالْفُصْنَيْنِ أَوْ مِنْ رَأَاهُمَا <sup>(٥)</sup> !  
قَرْمَانٌ لَا يَتَّظَلُّمَا      نَ وَلَا يُرَامُ حِمَاهُمَا  
وَيُلِي عَلَى الْأَخَوَيْنِ وَالْقَبْرِ الَّذِي وَارَاهُمَا  
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُهْوِ      لَ وَلَا فَتَى كَفْتَاهُمَا  
أَسْدَانٌ لَا يَتَذَلَّلَا      نَ وَلَا يَرَامُ حِمَاهُمَا  
رُمَحَانٌ خَطِيَّانٌ فِي      كَبَدِ السَّمَاءِ سِنَاهُمَا  
مَا خَلَفَا إِذْ وَدَّعَا      فِي سُودَدٍ شَرَوَاهُمَا <sup>(٦)</sup>  
سَادَا بِفِيرٍ تَكْلُفٍ      عَفْوًا يَفِيضُ نَدَاهُمَا

(١) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود . والمراد حرة بنى سليم ، وحررة بنى هلال بالحجاز .  
أى هو مقصد الأشراف تأنيبه وفودها فيما يلزم بها (٢) الساهمة : الدقيقة ، والأطال : جمع لطل  
وهو الحاصرة ، والقب : جمع أقب ، وهى الفرس الدقيقة الحصر ، الضامرة البطن (٣) الأبطحان  
تريد بطحاء مكة وسهل تهامة (٤) عديدها : جوعها (٥) راها : أصله رآها (٦) شرواها :  
مثلها .

### ٣٥ — شجاعة صفية بنت عبد المطلب \*

قالت صفية بنت عبد المطلب : كان حسان<sup>(١)</sup> بن ثابت معافى حصن قارع<sup>(٢)</sup> يوم الخندق ، ومعنا النساء والصبيان ، فر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ؛ فقلت : يا حسان ؛ إن هذا اليهودي — كما ترى — يطيف بالحصن ، وأنا والله لا آمن أن يدل علينا من وراءنا من يهود ، ورسول الله قد شغل عنا ؛ فانزل إليه واقتله . فقال : يفر الله لك يا بنت عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب شجاعة !

قالت : فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً ، اعتجرت<sup>(٣)</sup> ، ثم أخذتُ عموداً ، ونزلتُ إليه من الحصن فضربت به بالعمود حتى قتلتها ؛ فلما فرغتُ منه رجعت إلى الحصن ، وقلت : يا حسان ؛ انزل إلي ، فاسلبه<sup>(٤)</sup> فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ! فقال : مالي بسلبه من حاجت يا بنت عبد المطلب !

\* الفرر : ٢٢٥ ، معاهد التنصيص ١ - ٧٤ الأغاني ٤ - ١٦٥ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) هو شاعر الرسول ، وقد نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها ، وعاش طويلاً في الإسلام ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ . (٢) حصن بالمدينة ، ويوم الخندق واقعة مشهورة

بين رسول الله والشركين . (٣) اعتجرت المرأة : لبست اللعجر وهو ما تشده على رأسها

(٤) سلبه : السلب ما يأخذ أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه . من

ثياب وسلاح ودابة .

### ٣٦ - الخنساء عند عائشة \*

دخلت الخنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعليها صِدار <sup>(١)</sup> من شعر ، قد استشعرته إلى جلدائها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما لبسته .

قالت : إن له معنى دعائى إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجنى سيد قومه ، وكان رجلاً متلاًفاً ، فأسرف فى ماله ، حتى أنفده ، ثم رجع إلى مالى ، فأنفده أيضاً .

ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فأتيناه ، فقسم ماله شطرين <sup>(٢)</sup> ، ثم خيرنا فى أحسن الشطرين ، فرجّمنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه .

ثم التفت إلى ، فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فرحلنا إليه فقسم ماله شطرين ، وخيرنا فى أفضل الشطرين .

فقلت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تخيرهم بين الشطرين ! فقال :

والله لا أمنحها شِرارها فلو هلكت قدّدت <sup>(٣)</sup> خَارها

\* واتّخذت من شعرِ صِدَارها \*

فآليتُ ألا يفارق الصّدّارُ جسدى مابقيت !

\* العقد الفريد : ١ - ٢٢ ، سرح العيون : ٢٩٩

(١) الصدار : ثوب رأسه كالمقنعة ، وأسفله يغشى الصدر والتسكين ، وكانت المرأة إذا فقدت جميعها فأحدثت عليه لبست صداراً من صوف . (٢) شطر الشيء : نصفه . (٣) قدّدت : قدت .

### ٣٧ - إلهُ عمر يعلم\*

نهى عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته عن مَذَق<sup>(١)</sup> اللَّبَنِ بِالماء ،  
فخرج ذات ليلة فى حَواشى المدينة ، فإذا بامرأة تقولُ لابنةِ لها : ألا تَمَذُقِينَ  
لبنك فقد أَصَبَحَتْ ؟ فقالت الجارية : كيف أَمَذُق وقد نهى أميرُ المؤمنين  
عن المَذَق !

فقالت : قد مَذَقَ الناسُ فامَذُقِ فما يدري أميرُ المؤمنين ؟ فقالت : إن كان  
عمرُ لا يعلم فإلهُ عمرَ يعلم ، ما كنتُ لأفعله وقد نهى عنه .  
فوقعت مقالَتُها من عمر . فلما أصبح دعا عاصماً ابنه ، فقال : يا بنى ! اذهب إلى  
موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية - وَوصفها له - فذهب عاصم ، فإذا جاريةٌ  
من بنى هلال . فقال عمر : اذهب يا بنى فتزوجها ، فما أحراها أن تأتى بفارس  
يَسُودُ العرب ، فتزوجها عاصم بن عمر ، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن  
الخطاب فتزوجها عبد العزيز بن مروان ؛ فأتت بعمر بن عبد العزيز !

---

\* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٧ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢٣٨ ، مجمع الأمثال ٢ - ١٣٨ ،  
ابن أبى الحديد : ٣ : ١١٠ .  
(١) المَذَق : الخلط .



لما قدم سعد بن أبي وقاص<sup>(١)</sup> القادسية ، أتته حُرقة بنت النعمان بن المنذر في جوارِ كلهن في مثل زيتها ، يطلبن صلته .

فلما وقفن بين يديه قال : أيتكن حُرقة ؟ قلن : هذه . قال لها : أنت حُرقة ؟ قالت : نعم ، فما تكرارك في السؤال ؟ إن الدنيا دارٌ زاول ، لا تدومُ على حال ؛ إنا كنا ملوكَ هذا المِصر ، يُجبي إلينا خراجُه ، ويُطيعنا أهله مَدَى الإمرَةِ وزمان الدولة ، فلما أدبر الأمر وانقضى ، صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا ، وشتت مَلأنا . وكذلك الدهر يا سعد ؛ إنه ليس يأتي قومًا بمسرَّةٍ إلَّا ويُعقبهم حسرة .  
ثم أنشأت تقول :

بيننا نَسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا      إذا نحن فيهم سوقةٌ نَنصَفُ<sup>(٢)</sup>  
فأفٍ لدُنْيَا لا يدومُ نعيمُها      تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ !

فقال سعد . قاتل الله عدىَّ بن زيد كأنه ينظر إليها حيث يقول :

إنَّ الدهرَ صولةٌ فاحذَرْنِها      لا تبيتنَّ قد أمنتَ الدهورا  
قد يبيتُ الفتى مُعافى فَيَرْدَى      ولقد كان آمناً مسروراً

ودخل عمرو بن معد يكرب - وكان من قُصَّاد النعمان - وهي بين يدي سعد ، فلما نظر إليها قال : أنت حُرقة ؟ قالت : نعم . قال : فما دَهَمَكَ ؟ أين تتابع

\* خزانة الأدب : ٣-١٨١ ( المطبعة الأميرية )

(١) هو قاتج العراق ومدائن كسرى ، وفقد بصره في آخر حياته ، وتوفي سنة ٥٥ هـ .

(٢) نَنصَفُ : نخدم .

نَعْمِكَ ، وِسطواتِ نَعْمِكَ ؟ فقالت : يا عَمْرُو ، إنَّ للهِ عَثَرَاتٍ تَعَثِّرُ بِالْمُلُوكِ وَأَبْنَاءَهُمْ  
فَتُخَفِّضُهُمْ بَعْدَ رِفْعَةٍ ، وَتُقَرِّدُهُمْ بَعْدَ مَنَعَةٍ ، وَتُذَلِّهِمْ بَعْدَ عِزٍّ . إنَّ هَذَا الْأَمْرَ كُنَّا  
نَنْتَظِرُهُ فَلَمَّا حَلَّ لَمْ نُنْكِرْهُ .

فلما انصرفت من لَدُنْ سَعْدٍ لَقِيَهَا نِسَاءُ الْقَادِسِيَّةِ فَقُلْنَ لَهَا : مَا فَعَلَ بِكَ الْأَمِيرُ ؟  
قالت : أَكْرَمَ وَجْهِي ، وَإِنَّمَا يُكْرِمُ الْكَرِيمَ الْكَرِيمُ .

### ٣٩ — لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكَ عَنِ الْحَقِّ \*

قال عَلِيُّ بْنُ أَبِي رَافِعٍ : كُنْتُ عَلَى يَتِّ مَالِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَكَاتِبَهُ ،  
فَكَانَ فِي يَتِّ مَالِهِ عِقْدٌ لَوْلُو كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ الْبَصْرَةِ ، فَأَرْسَلْتُ إِلَى بِنْتِ عَلِيٍّ  
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَقَالَتْ لِي : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فِي يَتِّ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِقْدًا لَوْلُو ،  
وَهُوَ فِي يَدِكَ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تُعِيرَنِيهِ ، أَتَجْمَلُ بِهِ فِي يَوْمِ الْأَضْحَى .

فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا : عَارِيَّةٌ مَضْمُونَةٌ ، مُرَدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَا بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .  
فَقَالَتْ : نَعَمْ ! عَارِيَّةٌ مُرَدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهَا وَإِذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَأَاهُ عَلَيْهَا فَصَرَفَهُ ؛ فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكَ  
هَذَا الْعِقْدُ ؟ فَقَالَتْ : اسْتَعْرَضْتُهُ مِنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ يَتِّ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛  
لِأَنْتَزِيزَ بِهِ فِي الْعِيدِ ، ثُمَّ أَرُدُّهُ .

فبعث إلى أمير المسلمين فبحثه ؛ فقال لى : أتخون المسلمين يا بن أبى رافع ؟  
فقلت : معاذ الله أن أخون المسلمين ! فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين  
العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير إذن ورضاهم ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إنها  
بنتك ؛ وسألتنى أن أعيرها العقدتين به فأعرتها إياه عارية مضمونة مردودة على  
أن تردّه سالمًا إلى موضعه ؛ فقال : ردّه من يومك ، وإياك أن تعود إلى مثله ؛  
فتنالك عقوبتى . ثم قال : ويل لابنتى ! لو كانت أخذت العقد على غير عارية  
مردودة مضمونة لكانت إذن أول هاشمية قطعت يدها فى سرقة .

فبلغت مقالته ابنته ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ؛ أنا ابنتك وبضعة<sup>(١)</sup>  
منك ، فمن أحق بلبسها منى ! فقال لها : يا بنت أبى طالب ؛ لا تذهبي بنفسك عن  
الحق ! أكل نساء المهاجرين والأنصار يتزينن فى مثل هذا العيد بمثل هذا !  
فقبضته منها ورددته إلى موضعه .

---

(١) بضعة ، أى قطعة .

٤٠ — المفيرة يخطب بنت النعمان \*

سار المفيرة <sup>(١)</sup> بن شعبة — حينما كان والياً على الكوفة — إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي فيه عمياء مترهبة ، فاستأذن عليها ، فقبل لها : أمير هذه المدرة <sup>(٢)</sup> بالباب فقالت : قولوا له : أمين ولد جيلة بن الأيهم أنت ؟ قال : لا . قالت : أفمن ولد المنذر بن السماء ؟ قال : لا . قالت : فمن أنت ؟ قال : المفيرة ابن شعبة الثقفي ! قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتُك خاطباً ! قالت : لو كنت جئتني لجمال أو لمال لأطلبته <sup>(٣)</sup> ، ولكنك أردت أن تتشرف بي في محافل العرب ، فتقول : تزوجت ابنة النعمان بن المنذر ، وإلا فأى خير في اجتماع أعور وعمياء ؟

فبعث إليها : كيف كان أمرُكم ؟ فقالت : سأختصرُ لك الجواب : أمسينا مساء وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا وهو يرغب إلينا ويرهبنا ، ثم أصبحنا وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا ونحن نرغبُ إليه ونرهبه .

\* الكامل للبرد : ١ - ١٧٧ ، السمودي : ٢ - ٦٨

(١) المفيرة بن شعبة : من ثقيف ، أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد بيعة انضوان وفتوح الشام واليرموك ، والقادسية ، وولاه عمر البصرة ، ومات بالكوفة وهو أميرها سنة ٥٠ هـ .

(٢) المرة : المدينة الضخمة . (٣) أطلبه : أعطاه ما طلبه .



## ٤١ — ولقد أُيِّت على الطَّوَى \*

قال تميم بن عدى اليربوعي :

كنتُ مع عبد الله بن العباس<sup>(١)</sup> عند مُنصرَفه من دمشق ، فسألته في بعض الأيام وقلتُ له : بماذا يتمُّ عقلُ الرجل ؟ فقال : إذا صنع المعروفَ مبتدئاً به ، وجادَ بما هو محتاجٌ إليه ، وتجاوز عن الزَّلة ، وجازى على المكرُمة ، وتجنَّب مواطنَ الاعتذار ؛ فقد تمَّ عقله . فحفظتُ ذلك منه ، وألصقته بقلبي .

ثم بعد أيام نزلنا منزلاً ، فطلبنا طعاماً فلم نجد ، ولا قدَرنا عليه — فإنَّ زياداً كان قد نزل بذلك المنزل قبلاً بأيام قليلة في جمعٍ كثير ؛ فاتوا على ما كان فيه من الطعام — فقال عبدُ الله لوكيله : اخرج إلى هذه البرية ، فاملك تجدُ بها راعياً معه طعام ، فمضى الوكيلُ ومعه غلمان ؛ فأطالوا التوقف ، فلما كادوا يرجعون لآح لهم خيَّاء ، فأثمَّوه ؛ فوجدوا فيه عجوزاً ، فقالوا لها : هل عندك طعامٌ نبتاعه منك ؟ فقالت : أمَّا طعامٌ بيع فلا ؛ ولكن عندي أكلة لي ، وبأولادي إليها أمس حاجة ، قالوا : وأين أولادك ؟ قالت : في رعيهم ، وهذا وقتُ عودتهم . قالوا : فما أعددتِ لهم ؟ قالت :

\* العقد الفريد للملك السعيد : ١٣

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : ولد قبل الهجرة بسنتين ، وكان رسول الله يحبه ويقربه ودعا له فقال : « اللهم علمه التأويل » فكان أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقه في الدين ، على ما أوتيته من لسان ذلق غواس على موضع الحاجة ، وعاش عمره محبباً إلى الخلفاء . وتوفي سنة ٦٨ هـ .

خُبْزَةً<sup>(١)</sup> تَحْتَ مَلَّتِيهَا<sup>(٢)</sup> أَنْتَظِرُ بِهَا أَنْ يَجِيئُوا ، قَالُوا لَهَا . فَجُودِي لَنَا بِنَصْفِهَا ، قَالَتْ : لَا ؛ وَلَكِنْ بِهَا كُلُّهَا . قَالُوا : وَلَمْ مَنَعْتَ النِّصْفَ وَجُدْتَ بِهَا كُلُّهَا ، وَلَا خُبْزَ عِنْدَكَ غَيْرَهَا ؟ قَالَتْ : إِنَّ إِعْطَاءَ الشَّطْرِ<sup>(٣)</sup> مِنْ خُبْزَةٍ تَقِصَّةٌ ؛ فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَنْقُصُنِي ، وَأَجُودُ بِمَا يَرْفَعُنِي ، فَأَخَذُوا الْخُبْزَةَ لَفَرَطِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا . وَانصَرَفُوا ؛ وَلَمْ تَسْأَلِ : مَنْ هُمْ ؟ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا !

فَلَمَّا أَتَوْا عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَخْبَرُوهُ خَبَرَ الْمَجُوزِ عَجَبٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : ارْجِعُوا إِلَيْهَا فَاحْمِلُوهَا فِي دَعَةٍ ، وَأَحْضَرُوهَا ؛ فَرَجَعُوا إِلَيْهَا ، وَقَالُوا لَهَا : إِنْ صَاحِبُنَا أَحَبُّ أَنْ يَرَاكَ . قَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ ؟ قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ . قَالَتْ : مَا أَعْرِفُ هَذَا الْاسْمَ . قَالُوا : الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ عَمُّ النَّبِيِّ . قَالَتْ : وَاللَّهِ هَذَا الشَّرَفُ الْمَالِي وَذِرْوَتُهُ الرَّفِيعَةُ ، وَمَاذَا يَرِيدُ مِنِّي ؟ قَالُوا : يَرِيدُ أَنْ يَكْفِئَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ . قَالَتْ : لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَاشِيَّ مَا أَثَّلَ لَهُ ابْنُ عَمَّةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ! وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلَ حُرُوفًا مَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ ثَوَابًا ؛ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَفْعَلَهُ . قَالُوا : فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَرَاكَ وَيَسْمَعَ كَلَامَكَ . قَالَتْ : أَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ لِأَنِّي أَحَبُّ أَنْ أَرَى رَجُلًا مِنْ جَنَاحِ النَّبِيِّ وَعَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ .

فَلَمَّا سَارَتْ إِلَيْهِ رَحَّبَ بِهَا وَأَدْنَى بِمَجْلِسِهَا ، وَقَالَ : يَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : مِنْ كَلْبٍ . قَالَ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ : لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَفْرَحُ إِلَّا وَقَدْ بَلَغْتُهُ ، وَإِنِّي الْآنَ أَعِيشُ بِالْقَنَاعَةِ ، وَأَصُونُ الْقَرَابَةَ ، وَأَنَا أَنْتَوِّعُ مَفَارِقَةَ الدُّنْيَا صَبَاحًا وَمَسَاءً . قَالَ :

(١) الخُبْزَةُ : عَجِينٌ يَوْضَعُ فِي الْمِلَّةِ حَتَّى يَنْضَجَ (٢) الْمِلَّةُ : الرَّمَادُ الْحَارُّ وَالْجَمْرُ

(٣) شَطْرُ الشَّيْءِ : نَصْفُهُ .

أخبرني ، ما الذي أعددت لأولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة ؟ قالت :  
أعددت لهم قول العربي :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكـل

فأعجبه قولها ؛ وقال لبعض غلمانه : انطلق إلى خبائها ، فإذا أقبل بنوها ،  
فجئ بهم . فقالت للغلام : انطلق ، فكن بفناء البيت ، فإنهم ثلاثة ، فإذا رأيتهم  
تجد أحدهم دائم النظر نحو الأرض ، عليه شعار الوقار ، فإذا تكلم أفصح ، وإذا  
طلب أنجح . والآخر حديد النظر ، كثير الحذر ، إذا وعد فعل ، وإن ظلم قتل .  
والآخر كأنه شعلة نار وكأنه يطلب بئار ، فذاك الموت المائت والداء السكابت ،  
فإذا رأيت هذه الصفة فيهم ، فقل لهم عني : لا تجلسوا حتى تأتوني .

فانطلق الغلام ، فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمدّه حتى جاءوا ، فأدناهم عبد الله  
وقال : إني لم أبعث إليكم وإلى والدتكم إلا لأصلح من أمركم ، وأصنع ما يجب  
لكم ؛ فقالوا : إن هذا لا يكون إلا عن مسألة أو مكافأة فعل جميل تقدّم ، ولم يصدر  
منا واحدة منهما ؛ فإن كنت أردت التكرّم مبتدئاً فمعروفك مشكور ، وبرك  
مقبول مبرور . فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرين من النوق ؛ فقالت لهم  
المجوز : ليقبل كل واحد منكم بيتاً من قوله :

فقال الأكبر :

شهدتُ عليك بحسنِ المقالِ وصدقِ الفعـالِ وطيبِ الخـبرِ

وقال الأوسط :

تبرّعتَ بالبذل قبل السؤالِ فعَالَ كريمٍ عظيمٍ الخطرِ

وقال الأصغر :

وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَ ذَا فَعْلِهِ أَنْ يَسْتَرْقَّ رِقَابَ الْبَشَرِ

وقالت العجوز :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَاجِدٍ وَوُقِّيتَ - مَاعِشْتَ شَرَّ الْقَدَرِ

ثم ودَّعوه وانصرفوا .

قال تميم اليزبوعى : فالتفت إلى وقال لى : ياتميم ؛ وودت لو وَجَدْتُ مُزِيداً

فى ابتداء المعروف إلى هذه المرأة وبنيتها ، وجعل يتأوّه من تقصيره عن مراده فى

ذلك . فقلت له : لقد أحسنت وأَرْجَحْتَ وقد شهد فعلك بما سبق من قولك ،

فَأَنْتَ أَتَمُّ النَّاسِ عَقْلاً ، وَأَكْلَهُمْ مُرُوءَةً !



## ٤٢ — أبو الأسود الدؤلى وزوجه \*

قال أبو محمد القشيري :

كان أبو الأسود <sup>(١)</sup> الدؤلى من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان ، وأقربهم مجلساً ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بعد فهم .

فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش وأشراف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود حتى حازت معاوية وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ إن الله جعلك خليفة في البلاد ، ورقيباً على العباد ؛ يُستسقى بك المطر ، ويُستنبت بك الشجر ، وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، ويردع بك الجانف <sup>(٢)</sup> ، فأنت الخليفة المصطفى ، والإمام المرتضى ، فأسأل الله لك النعمة في غير تغيير ، والعافية من غير تعذير <sup>(٣)</sup> . قد ألقاني إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق على فيه المنهج ، وتفاقم على منه الخرج ، لأمرٍ كرهت عارَه ، لما خشيت إظهارَه ؛ فليُنصفني أمير المؤمنين من الخصم ، فإني أعوذ بعقوته <sup>(٤)</sup> من العارِ الويل ، والأمرِ الجليل ؛ الذي يشتدُّ على الحرائر ذات البعول الأجائر <sup>(٥)</sup> .

فقال لها معاوية : ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ؛ ومن فعله المشهر ؟ فقالت : هو أبو الأسود الدؤلى .

\* بلاغات النساء : ٥٣

(١) اسم ظالم بن عمرو ، وأبو الأسود كنيته ، وهو معدود في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين ، كان أكثر الناس تعلقاً بعلى بن أبي طالب وعنه أخذ النحو ، توفي سنة ٩٩ هـ (٢) الجانف : المائل (٣) تعذير : قص (٤) العقوة في الأصل : ماحول الدار (٥) البعول : جم بعل ، وهو الزوج ، والأجائر : جم أجور ؛ تفضيل من جار :

فالتفت إليه وقال : يا أبا الأسود ؛ ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود : هي تقول من الحق بعضاً ، ولن يستطيع أحدٌ عليها نقضاً ، أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق ؛ وأنا نُخبرُ عنه أمير المؤمنين بالصدق ؛ والله يا أمير المؤمنين ما طلقْتُها عن ريبَةٍ ظهرت ، ولا لأى هفوةٍ حضرت ؛ ولكن كرهت شمائلها ؛ فقطعتُ عني حبالها .  
فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنك مهيجٌها على بجواب عتيد<sup>(١)</sup> ولسانٍ شديد .

فقال معاوية : لا بد لك من محاورتها ، فاردّد عليها قولها عند مراجعتها . فقال أبو الأسود : يا أمير المؤمنين ؛ إنها كثيرة الصخب ، دأمة الذرب<sup>(٢)</sup> ، مهينة للأهل ، مؤذية للبخل ، مُسيئة إلى الجار ، مُظهرّة للعار ، إن رأت خيراً كتمته ، وإن رأت شراً أذاعته .

فقلت : والله لولا مكان أمير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين ، لرددتُ عليك بوادِر كلاميك ، بنوافذ أقرعُ بها كل<sup>(٣)</sup> سيّاميك ؛ وإن كان لا يحملُ بالمرأة الحرّة أن تشتمَ بعلًا ، ولا أن تظهر لأحد جهلاً .

فقال معاوية : عزمتُ عليك لما أجبتته . فقلت : يا أمير المؤمنين ما علمته إلا سئولا جهولا ، مُلحاً بنحيل<sup>(٤)</sup> ، إن قال فشرُّ قاتل ، وإن سكت فذود غائل<sup>(٥)</sup> ، ليث حين يأمن ، وثعلب حين يخاف ، شحيح حين يُضَاف ، إذا ذكّر الجود انقمع ؛ لما يعرف من قصرِ رشائه<sup>(٦)</sup> ، ولو لم آبائه ، ضيفه جائع ، وجارُه ضائع ؛ لا يحفظُ جاراً ؛ ولا يحصى

---

(١) عتيد : حاضر (٢) الترب : حدة اللسان (٣) يقال : تل السيف ؛ إذا لم يقطع ، فهو كل وكليل (٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل ، وله في ذلك نواذر (٥) الدغائل : جمع دغيلة ، والدغيلة : دخل في الأمر مفسد (٦) الرشاء في الأصل : الحبل .

ذِمَاراً ، ولا يُدْرِك ثَاراً ، أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيْهِ مَنْ أَهَانَهُ ، وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِ مَنْ أَكْرَمَهُ .

فقال معاوية : سبحان الله لما تأتى به هذه المرأة من السَّجْع ! فقال أبو الأسود : أصلح الله أمير المؤمنين ؛ إنها مطلقّة ، ومن أكثر كلاماً من مُطلقّة ! ثم قال لها معاوية : إذا كان رَوَاحاً<sup>(١)</sup> فتعالى أفصل بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان الرّوَاح جاءت ومعهما ابنتها قد احتَضَنَتْهُ ؛ فلما رآها أبو الأسود قام إليها لينتزع ابنه منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود ، لا تُعْجِلِ المرأة أن تنطق بِحُجَّتِهَا .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا أحقُّ بحملِ ابنتي منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود دَعْهَا تَقُلْ . فقال : يا أمير المؤمنين ، حملتهُ قبل أن تَحْمِلَ لَه . فقالت : صدق والله يا أمير المؤمنين ، حَمَلَهُ خِفَا وحملتهُ ثِقَلًا ، إن بطنى لَوِعاؤُهُ ، وإن ثَدْيى لَسِقاؤُهُ ، وإن حِجْرى لَقِنَاؤُهُ . فقال معاوية : سبحان الله لما تأتين به ! ثم قال لأبى الأسود : إنها قد غلبتْكَ فى الكلام ، فتكلّف لها أبياتاً لملك تغلبها ؛ فأنشأ يقول :

مَرْحَباً بِالَّتِى تَجْجُرُ عَلَيْنَا      ثُمَّ سَهْلًا بِالْحَامِلِ الْمُحْمُولِ  
أَغْلَقْتُ بِابْنِهَا عَلَى وَقَالَتْ :      إِنْ خَيْرَ النِّسَاءِ ذَاتُ الْبُعُولِ  
شَغَلَتْ نَفْسَهَا عَلَى فَرَاغًا      هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْفَارِغِ الْمَشْفُولِ !

فأجابته :

لَيْسَ مَنْ قَالَ بِالصَّوَابِ وَبِالْحَقِّ كَمَنْ جَارَ عَلَى مَنَارِ السَّبِيلِ  
كَانَ ثَدْيِي سِقَاءَهُ حِينَ يُضْحَى      ثُمَّ حِجْرِي فَنَاءَهُ بِالْأَصِيلِ  
لَسْتُ أَبْنَى بِوَاحِدٍ يَابْنَ حَرْبٍ      بَدَلًا مَا عَلِمْتَهُ وَالْخَلِيلِ<sup>(٢)</sup>

فقضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابنتها وانصرفت .

(١) الرواح : العشى . (٢) تريد بالخليل محمداً رسول الله .

٤٣ - إن قریشا تحدثُ أنک من أحلمها\*

كتب معاوية إلى والیه بالكوفة أن يحملَ إليه أم الخير بنت الحرث البارقيّة برَحْلِها ، وأعلمه أنه مجازیه بقولها فيه ؛ بالخير خيراً وبالشرّ شرّاً .  
فلما وردَ عليه كتابه ركب إليها فأقرأها إياه ؛ فقالت : أمّا أنا فغيرُ زائغةٍ عن طاعةٍ ، ولا مُقتلةٍ بكذبٍ ! ولقد كنتُ أحبُّ لقاء أمير المؤمنين لأُمورٍ تختلجُ<sup>(١)</sup> في صدري .

فلما حملها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى : إنه يجازيني بقولك فيّ بالخير خيراً وبالشرّ شرّاً ، فما عندك ؟ قالت : يا هذا ؛ لا يُطمعَنَّك بِكُبي أن أسرك بباطل ، ولا تؤيسنك معرفتي بك أن أقولَ فيك غيرَ الحق ؟

فسارت خيرَ مسيرٍ ، حتى قدّمت على معاوية ، فأثرَ لها مع جريمه ثلاثاً ، ثم أذنَ لها في اليومِ الرابع ، وعنده جُلساؤه ؛ فقالت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته ؛ قال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، وبالرغمِ منكِ دعوتني بهذا الاسم . قالت : مه<sup>(٢)</sup> يا أمير المؤمنين ! لكلِّ أجل كتاب .

قال : صدقتِ ، فكيف حالُك ياخاله ؟ وكيفَ كنتِ في مسيرِكِ ؟ قالت : لم أزل في عافيةٍ وسلامةٍ حتى صرتُ إليك ؛ فأنا في عيشٍ أنيق ، عند ملكٍ رفيق ؛ قال معاوية : بحسنِ نيتي ظفرتُ بكم وأُغتُ عليكم ؛ قالت : يا أمير المؤمنين ؛ أعيدُك

\* العقد الفريد : ١ - ٢١٧ ، بلاغات النساء : ٤١ .

(١) تختلج في الأمر : تردد فيه . (٢) مه : كف .

بِاللهِ مِنْ دَحْضٍ<sup>(١)</sup> الْمَقَالِ وَمَا تُرْدِي عَاقِبَتُهُ ، قَالَ : لَيْسَ لِهَذَا أَرَدْنَاكَ . قَالَتْ : إِنَّمَا أَجْرِي فِي مِيدَانِكَ ؛ فَاسْأَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ! قَالَ : أَخْبِرْنِي كَيْفَ كَانَ كَلَامُكَ يَوْمَ قَتَلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ؟ قَالَتْ : لَمْ أَكُنْ وَاللَّهِ زَوَّزْتَهُ<sup>(٢)</sup> قَبْلُ ، وَلَا رَوَيْتُهُ بَعْدُ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ كَلِمَاتٌ نَفَقَتْ لِسَانِي حِينَ الصَّدْمَةِ ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُحْدِثَ لَكَ مَقَالًا غَيْرَ ذَلِكَ فَعَلْتُ . قَالَ : لَا أَشَاءُ ذَلِكَ .

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَ أُمِّ الْخَيْرِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا أَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَحَفَظِي سُورَةَ الْحَمْدِ . قَالَ : هَاتِيهِ ؛ قَالَ : نَعَمْ ! كَأَنِّي بِهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، عَلَيْهَا بُرْدٌ زَبِيدِي كَثِيفٌ الْحَاشِيَةُ ، وَهِيَ عَلَى جَمَلٍ أَرْمَكُ<sup>(٣)</sup> وَقَدْ أُحِيطَ حَوْلَهَا حِوَاءٌ<sup>(٤)</sup> ؟ وَبِيَدِهَا سَوْطٌ مَنْتَشِرُ الضَّفَرِ<sup>(٥)</sup> ، وَهِيَ كَالْفَحْلِ يَهْدِرُ فِي شِقْشِقَتِهِ<sup>(٦)</sup> تَقُولُ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ! إِنْ اللَّهُ قَدْ أَوْضَحَ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَنَوَّرَ السَّبِيلَ ، وَرَفَعَ الْعَلَمَ ، فَلَمْ يَدْعُكُمْ فِي عُمَيَّاءٍ مُبْهَمَةٍ ! وَلَا سُودَاءٍ مُدْ لَهْمَةٍ<sup>(٧)</sup> ، فَإِلَى أَيْنَ تُرِيدُونَ رَحِمَ اللَّهِ ! أَفَرَارًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فَرَارًا مِنَ الزَّخْفِ ، أَمْ رَهْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ ! أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَحَلَّ يَقُولُ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ ۖ ﴾ .

ثُمَّ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَنَعَى تَقُولُ :

(١) دَحْضُ الْمَقَالِ : بَاطِلُهُ (٢) زَوَّرَ الْكَلَامَ : أَعَدَّهُ ؛ تَرِيدُ أَنَّهَا قَالَتْهُ ارْتِجَالًا (٣) أَرْمَكُ : لَوْنُهُ لَوْنُ الرَّمَادِ (٤) الْحِوَاءُ : مَا يَمْلِكُ كَالْوَسَادَةِ لِلرَّاكِبِ عَلَى رَحْلِ الْجَمَلِ بِدُونِ هُوْدُجٍ (٥) ضَفَرُ الشَّعْرِ : لَوِيٌّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ (٦) الشَّقْشَقَةُ : شَيْءٌ يُخْرِجُهُ الْبَعِيرُ مِنْ فِيهِ إِذَا هَاجَ (٧) ادْهَمَ الظَّلَامُ : كَثُفَ ، وَأَسْوَدَ مَدْلَهُمْ ، مِبَالْفَةِ .



قد عِيلَ الصَّبْرُ ، وَضُمُّ اليَقِينِ ، وَانْتِشَارُ الرُّغْبِ ، وَبَيْدُكَ يَارَبَّ أَرْيَمَةَ الْقُلُوبِ ،  
فَاجْعِ الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَلْفَ الْقُلُوبِ عَلَى الْهُدَى ، وَارْزُدْ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ .  
هَلُمُّوا رَحِمَ اللَّهِ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ ، وَالْوَصِيِّ الْوَفِيِّ ، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ . إِنَّهَا إِحْنٌ  
بَذْرِيَّةٌ <sup>(١)</sup> ، وَأَحْقَادٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَضَفَائِنُ أُحْدِيَّةٍ <sup>(٢)</sup> ، وَثَبَّ بِهَا مَعَاوِيَةَ حِينَ الْفَقْلَةِ  
لِيَدْرِكَ بِهَا ثَارَاتِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ <sup>(٣)</sup> .

ثُمَّ قَالَتْ : قَاتِلُوا أَرْيَمَةَ الْكُفْرِ ، إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ، صَبْرًا  
مَعِشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَثَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ ، وَكَأَنِّي  
بَكُمْ غَدًا قَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَحُمُرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ <sup>(٤)</sup> ، فَرَّتُ مِنْ قَسْوَرَةٍ <sup>(٥)</sup> ، لَا تَذَرِي  
أَنْ يُسَلَّكَ بِهَا مِنْ فِجَاجِ الْأَرْضِ ، بَاعُوا الْآخِرَةَ بِالْأُولَى ، وَاشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى ،  
وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى ، وَعَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ، حِينَ تَحُلُّ بِهِمُ النَّدَامَةُ ،  
فَيَطْلُبُونَ الْإِقَالََةَ ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَنْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنِ الْجَنَّةَ  
نَزَلَ فِي النَّارِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنْ الْأَكْيَاسَ <sup>(٦)</sup> اسْتَقْصَرُوا عُمرَ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا ، وَاسْتَبْطَأُوا مُدَّةَ  
الْآخِرَةِ فَسَمَوْا لَهَا ؛ فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ ، وَتُطْلَ الْحُدُودُ ،  
وَيُظْهَرَ الظَّالِمُونَ ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ . فَإِلَى أَيْنَ تَرِيدُونَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَنْ  
ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجِ ابْنَتِهِ وَأَبِي ابْنِهِ <sup>(٧)</sup> خُلِقَ مِنْ طِينَتِهِ ،

---

(١) بدر وأحد : واقتتان بين النبي والمُشركين (٣) قوم معاوية . لأن علياً قتل كثيراً منهم  
في وقعتي بدر وأحد (٤) مستنفرة : نافرة (٥) القصور : الأسد ، والجمع قسورة (٦) الأكياس :  
جمع كبش ، وهو العاقل (٧) تريد الحسن والحسين وهما ابنا فاطمة .

وتَفَرَّعَ عن نَبِئَتِهِ ، وَخَصَّهُ بِسَرِّهِ ، وَجَعَلَهُ بَابَ مَدِينَتِهِ <sup>(١)</sup> ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِمَعُونَتِهِ ، وَيَمُضِي عَلَى سُنَنِ اسْتِقَامَتِهِ لَا يُعْرِجُ <sup>(٢)</sup> لِرَاحَةِ اللِّذَاتِ .

وَهُوَ مُفَلِّقُ الْهَامِ ، وَمُكَسِّرُ الْأَصْنَامِ ، إِذْ صَلَّى وَالنَّاسُ مُشْرِكَونَ ، وَأَطَاعَ وَالنَّاسُ مُرْتَابُونَ . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَ مُبَارِزِي بَذْرَ ، وَأَفْنَى أَهْلَ أُحُدٍ ، وَفَرَّقَ بَجَمْعِ هَوَازِنَ ، فَيَاكُلُهَا وَقَائِمَ زَرَعَتِ فِي قُلُوبِ قَوْمٍ نِفَاقًا ، وَرِدَّةً وَشِقَاقًا ! وَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي الْقَوْلِ ، وَبَالَغْتُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ يَا أُمَّ الْخَيْرِ مَا أُرِدْتُ بِهِذَا إِلَّا قَتْلِي ! وَاللَّهُ لَوْ قَتَلْتُكَ مَا حَرَجْتُ <sup>(٣)</sup> فِي ذَلِكَ .

قَالَتْ : وَاللَّهُ مَا يَسُوهُنِي يَا بَنَ هَذَا أَنْ يُجَرِّيَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيَّ مِنْ يُسْعِدُنِي اللَّهُ بِشِقَائِهِ ، قَالَ : هَيْهَاتَ ، يَا كَثِيرَةَ الْفُضُولِ ! مَا تَقُولِينَ فِي عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ؟ قَالَتْ : وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِيهِ ! اسْتَخْلَفَهُ النَّاسُ وَهُمْ كَارِهُونَ ، وَقَتْلُوهُ وَهُمْ رَاضُونَ ، فَقَالَ : لَيْسَ يَا أُمَّ الْخَيْرِ ، هَذَا ثَنَاؤُكَ الَّذِي تَثْنِينَ ؟ قَالَتْ : لَكِنَّ اللَّهَ بِشَهِيدٍ ، وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ، مَا أُرِدْتُ بِعُثْمَانَ نَقْصًا ، وَلَقَدْ كَانَ سَبَاقًا إِلَى الْخَيْرَاتِ ، وَإِنِّهِ لِمُرْفِيعِ الدَّرَجَةِ .

قَالَ : فَمَا تَقُولِينَ فِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ؟ قَالَتْ : وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي طَلْحَةَ ؟ اغْتِيلَ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَأُتِيَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْذَرُ ؛ وَقَدْ وَعَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَنَّةَ . قَالَ : فَمَا تَقُولِينَ فِي الزُّبَيْرِ ؟ قَالَتْ : يَا هَذَا ؛ لَا تَدْعُنِي كَرَجِيمِ الصَّبِيغِ يُفْرَكُ

(١) لَهَا تَشِيرُ إِلَى مَا يَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ : أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَى بَابِهَا (٢) لَا يَمُوجُ : لَا يَمِيلُ .

(٣) مَا حَرَجْتُ : مَا أَثَمْتُ .

في المَرْكَنِ<sup>(١)</sup> ، قال : حَقَّالْتَقُولِينَ<sup>(٢)</sup> ذلك ، وقد عَزَمْتُ<sup>(٣)</sup> عليك . قالت : وما عَسَيْتُ  
 أن قولَ في الزبير ابنِ عَمَّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وَحَوَارِيَّةَ<sup>(٤)</sup> ؟ وقد شهد  
 له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالجنةِ ، ولقد كان سَبَّاقًا إلى كلِّ مَكْرَمَةٍ في الإسلام .  
 وإني أسألكَ بحقَّ الله يامعاوية ، فإن قرِيشًا مُنَحَّدٌ<sup>(٥)</sup> أنكَ من أحلمها - أن تَسَقِّنِي  
 بِفَضْلِ حِلْمِكَ ، وأن تُدَفِّينِي من هذه المسائل ، وَاَمْضِ لِمَا شِئْتَ من غيرها . قال :  
 نَعَمْ وَكَرَامَةً ، قد أَعْفَيْتُكَ . وردَّها مَكْرَمَةً إلى بلدِها .

---

(١) المَرْكَنُ : الإِنَاءُ يُفْسَلُ فِيهِ الثِّيَابُ . وَيَمْرُكُ . يَحْكُ . وَالرَّجِيعُ : المَرْدُودُ ، أَيْ لَا تَجْعَلْنِي كَالثُّوبِ  
 المَصْبُوغِ ، يَحْكُ فِي الإِنَاءِ مَرَّةً أُخْرَى لِإِخْرَاجِ صِبْغِهِ مِنْهُ ؛ تَشْبَهُ مَعَاوِةَ لِيَايَاها وَسؤالِها  
 مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِي قَلْبِها بِمَا يُفْسَلُ مِنَ الثِّيَابِ المَصْبُوغَةِ لِاسْتِخْرَاجِ صِبْغِها مِنْها .  
 (٢) أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ (٢) الحَوَارِيُّ : نَاصِرُ الْأَنْبِيَاءِ .

٤٤ — سوّدة بنت عمارة عند معاوية \*

وفدت سوّدة بنت عمارة على معاوية بن أبي سفيان، فاستأذنت عليه فأذن لها. فلما دخلت سلّمت عليه، فقال لها : كيف أنتِ يا سوّدة ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين، قال لها : أنتِ القائلة يوم صفّين <sup>(١)</sup> :

شمر كفعل أيبك يا بنَ عمارة	يوم الطعانِ ومُلّتي الأقرانِ <sup>(٢)</sup>
وانصُرْ عليّاً والحسينَ ورَهْطَهُ	واقصِدْ لهندٍ وابنيها بهوانِ <sup>(٣)</sup>
إنَّ الإمامَ أخا النبيِّ محمدٍ	عَلِمُ الهدى ومنارةُ الإيمانِ
فَقِهِ الخُتُوفَ وسِرِّ أُمَامَ لوائِهِ <sup>(٤)</sup>	قُدُماً بأبيضَ صارمٍ وسانِ <sup>(٥)</sup>

قالت : إى والله ، مامئلى مَنْ رغب عن الحق ، أو اعتذر بالكذب ! قال لها : فما حملك على ذلك ؟ قالت : حبّ عليّ ، واتباعُ الحق . قال : فوالله ما أرى عليك من أثر عليّ شيئاً . قالت : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ؛ مات الرأس ، وبُتر الذنب ، فدع عنك إعادة ما مضى ، وتذكّر ما قد نسي ! قال : هيهات ! ليس مثلُ مقام أخيك يُنسى ! وما لقيت من أحد ما لقيتُ من قومك وأخيك ! قالت : صدق فوك والله يا أمير المؤمنين ؛ ما كان أخى ذميمَ المقام ، ولا خفيّ المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

\* القصد القريد : ١ - ٢١١ ، بلاغات النساء : ٣٥

(١) هو يوم من أيام الحرب بين علي ومعاوية (٢) الأقران : الأكفاء

(٣) هند : أم معاوية . (٤) الختوف : المنايا . (٥) الصارم : السيف القاطع ، والسان :

سان الريمج .

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتِمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين إغفاني مما استعفيتُ منه ! قال : قد فعلت ، فقولي حاجتك ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّكَ أصبحت للناس سيِّداً ، ولأموارهم متقلِّداً ، والله سائلُك عما افترض عليك من حقِّنا ، ولا تزال تُقدِّم علينا من ينهض بعزِّك ، ويبطش بسُلطانك ، فيخصدُنا حصَّاد السُّنْبُل ، ويدُوسنا دياسَ البقر ، ويسومُنا الخبيسة ، ويسلبُنا الجليَّة ؛ هذا ابن أرطاة <sup>(١)</sup> قدم علينا من قبلك فقتل رجالى ، وأخذ مالى ، يقول لى : فوهى بما استقصمُ الله منه ، وألجأ إليه فيه <sup>(٢)</sup> ، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة ! فإما عزُّه فشكرناك ، وإما لا فحرفناك !

فقال معاوية : إياى تهديدٌ بقومك ! والله لقد همت أن أردَّكَ إليه على قَتَبِ أُشْرَس <sup>(٣)</sup> ، فينفذ حكمه فيك . فأطرقتُ تبكى ، ثم أنشأت تقول :

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى رُوحِ تَضَمَّنِهِ قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الصَّدْلُ مَدْفُونَا  
قَدْ حَالَفَ الْحَقُّ لَا يَبْنِي بِهِ بَدَلَا فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونَا

قال لها : ومن ذلك ؟ قالت : على بن أبى طالب رحمه الله تعالى ، قال : وما صنع بك حتى صار عندك كذلك ! قالت : أتيتهُ يوماً فى رجل ولَّاه صدقاتنا ، فكان يبتنا وبينه ما بين الفئ والسمين ، فوجدته قائماً يصلى ، فأنفقتَ عن الصلاة <sup>(٤)</sup> ، ثم قال برأفة وتمطَّط : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبرَ الرجل ، فبكى ، ثم رفع يديه إلى السماء ، فقال : اللهم إنَّكَ أَنْتَ الشَّاهِدُ عَلَى وَعَلَيْهِمْ ، إِنِّي لَمْ أَمْرُهُمْ بِظُلْمِ حَلْفِكَ ،

(١) ابن أرطاة : بسر بن أرطاة كان معاوية سيره إلى الحجاز واليمن ليقْتل شيعة على وبأخذ البيعة له .

(٢) تعنى أنه يطلب منها أن تسب علياً (٣) القتب : الإكاف على قدر سنام البعير ، والمراد نفس البعير بدليل الصفة بعده ، وأشرس : لم يرض (٤) اقتل عن صلاته : انصرف .



ولا يترك حقك ؛ ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيه :  
 « بسم الله الرحمن الرحيم . (١) قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ  
 وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا (٢) النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا  
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في  
 يديك حتى يأتي من يقبضه منك ، والسلام .

فأخذته منه يا أمير المؤمنين ، ماخرمه بخزام ، ولا ختمه بختام .  
 فقال معاوية . اكتبوا بالإنصاف لها والعدل عليها . قالت : ألي خاصة أم لقوى  
 عامة ؟ قال : وما أنت وغيرك ! قالت : هي والله إذن الفحشاء واللؤم ؛ إن كان  
 عدلا شاملا وإلا يسعني ما يسع قومي .

قال : هيهات ، لفظكم (٣) ابن أبي طالب الجرأة ، وغركم قوله :  
 فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهندان ادخلوا بسلام  
 اكتبوا لها ولقومها .

(١) القسط : العدل ، والبخس : النقص والظلم (٢) لفظه : ذوقه .

( ٨ - قصص العرب - ٢ )

٤٥ — مثلك من قدر فمفا \*

لما ولي معاوية الخلافة ، وانتظمت إليه الأمور ، وامرَّت منه الصدور ،  
وأذن لأمره الجمهور ، وساعده الله في مراده ، استحض ليلة خواص أصحابه ،  
وذاكرهم وقائع أيام صفين ، ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين ،  
فأنهمكوا في القول الصحيح والمريض ، وآل حديثهم إلى من كان يجتهد في إيقاد  
نار الحرب عليهم بزيادة التحريض . فقالوا : امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء <sup>(١)</sup>  
بنت عدى ، كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف ، وترفع صوتها صارخة : يا أصحاب  
على ؛ تسمعهم كلاماً كالصوارم ، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل ، والمدبر  
لأقبل ، والمسالم لحارب ، والفار لكر ، والمتزلزل لاستقر .

فقال لهم معاوية : أيكم يحفظ كلامها ؟ قالوا : كلنا نحفظه . قال : فما تشيرون  
على فيها ؟ قالوا : نشير بقتلها ، فإنها أهل لذلك . فقال لهم معاوية : بشئ ما أشروتم  
به ، وقبحاً لما قلتم : أيحسن أن يشتهر عني أنني بعد ما ظفرت وقدرت قتلت  
امرأة قد وفّت لصاحبها ! إني إذن للثيم ، لا والله لا فعلت ذلك أبداً .  
ثم دعا بكتابته فكتب كتاباً إلى واليه بالكوفة : أن أنفذ إلى الزرقاء

\* العقد الفريد : ١-٢١٤ ، بلاغات النساء : ٣٧

(١) هي الزرقاء بنت عدى بن غالب بن قيس الهمدانية . من أهل الكوفة ، كانت ذات شجاعة  
فائقة ، وبلاغة نادرة ، شهدت مع قومها واقعة صفين ، ولها عدة خطب تعرض الناس فيها على  
القتال ضد معاوية .

بنت عدى ، مع نفرٍ من عشيرتها وفرسانٍ من قومها ، ومهذّ لها وطاءً لينا ومركباً ذلولاً .

فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وقرأه عليها . فقالت بعد قراءة الكتاب : ما أنا بزائفةٍ عن الطاعة . فحملها في هودجٍ ، وجعل غِشاءه خزاناً مبطناً ، ثم أحسن صُحبَتها .

فلما قدمت على معاوية ، قال لها : مرحباً وأهلاً ! خيرَ مقدّمٍ قدّمه وافدٌ . كيف حالك يا خالة ؟ وكيف رأيت سيرك ؟ قالت : ربيبة <sup>(١)</sup> بيتٍ أو طفلاً ممهداً . فقال : بذلك أمرناهم . هل تعلمين لِمَ بعثُ إليك ؟ قالت : وأنى لى بعلم مالم أعلم ؟ لا يعلم الغيبَ إلا الله سبحانه وتعالى . قال : ألسنِ الراكبة الجمل الأحمر يوم صِفِّين وأنتِ بين الصفوف توقدين نار الحرب ، وتحرّضين على القتال ! قالت : نعم . قال : فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، إنه قد مات الرأس وبُترَ الذَّنْبُ ، ولن يعودَ ما ذهب ، والدَّهْرُ ذو غيرٍ ، ومن تفكّر أبصر ، والأمر يحدث بعده الأمر .

فقال : صدقتِ ، فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت ؟ قالت : لا والله ، ولقد أنسيته . قال : لله أبوك ! فلقد سمعتك تقولين : أيها الناس ، ارعَوْوا وارجعوا ! إنكم أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم ، وجارت بكم عن قصدِ المحجة ، فيا لها فتنة عمياء صماء بكاء : لا تسمع لنا عقيها ، ولا تسلس لقائدها !

إن المصباح لا يضيئ في الشمس ، وإن الكواكب لا تنيرُ مع القمر ، وإن البغل لا يسبق الفرس ، ولا يُقطع الحديدُ إلا بالحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه !

(١) الربيب : الملك والسيد .

أيها الناس ، إن الحقَّ كان يطلب ضالَّتَهُ فأصابها . فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الفُصَص ! فكأنكم وقد التأمَ شملُ الشَّتات ، وظهرت كلمة العدل ، وغلبَ الحقُّ باطله . فإنه لا يستوى الحق والمبطل . أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ! لا يَسْتَوُونَ . فالنَّزَالُ النَّزَالُ ، والصبرُ الصبرُ ! ألا إن خِصَابَ النساءِ الحِنَاءَ ، وخِصَابَ الرجالِ اللِّمَاءَ . والصبرُ خيرُ الأمور عاقبة ، اثقوا الحرب غير ناكسين ؛ فهذا يومٌ له ما بعده !

ثم قال : يا زَرْقَاء ، أليس هذا قولك وتحريضك ؟ قالت : لقد كان ذلك ! قال : لقد شاركتِ علياً في كلِّ دَمٍ سَفَكه . فقالت : أحسن الله بشارتك أمير المؤمنين ، وأدام سلامتك ، فمثلك من بَشَرٍ بخير ، وسَرٍّ جليسه .

فقال معاوية : أويسرُكَ ذلك ؟ قالت : نعم ، والله لقد سرني قولك ، وأتني لي بتصديق الفعل ! فضحك معاوية وقال : والله لو فَاؤُكم له بعد موته أعجبُ عندي من حُكم له في حياته ؛ اذ كُري حاجتك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ إني آليت على نفسي ألا أسأل أحداً أَعْنْتُ عليه أبداً . فقال : قد أشار على بعض من عرفك بقتلك . فقالت : لو لمْ من المشير ، ولو أطعته لشاركتَه . قال : كلا ، بل نَفَوُ عنك ، ونَحْسَنُ إليك ونَرْعَاكَ . فقالت : يا أمير المؤمنين ، كرمٌ منك ومثلُك من قَدَرَ فمفا ، وتجاوز عن أساء ، وأعطى من غير مسألة .

فأعطاهَا كُسُوةً ودرام ، وأقطعها ضيعةً تُغَلُّ<sup>(١)</sup> لها في كل سنة عشرة آلاف درهم ، وأعادها إلى وطنها سالمةً ، وكتب إلى والي الكوفة بالوصية بها وببشيرتها .

(١) تغل : تَنْج .

## ٤٦ - نَبِّهْكُمْ عَلَى ! \*

يروى أن عِكْرِشَةَ بنتَ الأطرش دخلت على معاوية مُتَوَكِّثَةً على عُكَّازِ لها ، فسَلَمَتْ عليه بالخلافة ، ثم جلست ، فقال لها معاوية : الآن صِرْتُ عِنْدَكَ أمير المؤمنين ! قالت : نعم ، إذ لا علىَّ حَيٌّ ؟ قال : أَلَسْتَ الْمُتَقَلِّدَةَ حَمَائِلَ السِّيفِ بِصَفِّينَ <sup>(١)</sup> وَأَنْتِ وَاقِفَةٌ بَيْنَ الصَّفِّينِ تَقُولِينَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا هْتَدَيْتُمْ ؛ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَحْزَنُ مَنْ قَطَّنَهَا ، وَلَا يَهْرَمُ مَنْ سَكَّنَهَا ، وَلَا يَمُوتُ مَنْ دَخَلَهَا ؛ فَابْتَاعُوا هَابِدَارَ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ، وَلَا تَنْصَرِمَ هُمُومُهَا . وَكُونُوا قَوْمًا مُسْتَبْصِرِينَ فِي دِينِهِمْ ، مُسْتَظْهِرِينَ عَلَى حَقِّهِمْ .

إِنَّ مَعَاوِيَةَ دَلَّفَ إِلَيْكُمْ بَعْجَمَ الْعَرَبِ ، لَا يَفْقَهُونَ الْإِيمَانَ ، وَلَا يَذَرُونَ مَا الْحِكْمَةُ ، دَعَاهُمْ إِلَى الْبَاطِلِ فَأَجَابُوهُ ، وَاسْتَدْعَاهُمْ إِلَى الدُّنْيَا فَلَبَّوهُ ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فِي دِينِ اللَّهِ ! وَإِيَّاكُمْ وَالتَّوَاكُلَ فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْقُضُ عُرَا الْإِسْلَامِ ، وَيُطْفِئُ نَوْرَ الْحَقِّ . هَذِهِ بَذَرُ الصُّغْرَى ، وَالْعَقَبَةُ الْآخَرَى . يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ؛ امْضُوا عَلَى بَصِيرَتِكُمْ ، وَاصْبِرُوا عَلَى عَزِيمَتِكُمْ ، فَكَأَنِّي بِكُمْ غَدًا وَقَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَالْحُمُرِ النَّاهِقَةِ ، تَقْصَعُ قِصْعَ الْبَعِيرِ <sup>(٢)</sup> .

\* بلاغات النساء : ٤١ ، العقد الفريد : ٢١٦-١ .

(١) موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت به الوقعة العظمى بين علي ومعاوية في غرة صفر سنة ٣٧ هجرية (٢) يقال : قصع البعير بجزته يقصع قصما : مضفها .



ثم قال : فكأنني أراك على عصاك هذه قد انكفأ<sup>(١)</sup> عليك المسكران يقولون : هذه عكرشة بنت الأطرش ، فإن كدت لتفلين<sup>(٢)</sup> أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حلك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ؛ يقول الله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ . وإن اللبيب إذا كره أمراً لا يحب إعادته .

قال : صدقت ، فاذا كرى حاجتك . قالت : كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا ، وقد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسير ، ولا ينعش لنا فقير ، فإن كان عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان من غير رأيك فما مثلك من استعان بالخوانة ، ولا استعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه ؛ إنه ينوء بنا عن أمور رعييتنا نفور تفتق ؛ وبحور تندفق . قالت : سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضراراً لغيرنا وهو علام الغيوب . قال معاوية : هيهات يا أهل العراق ! نبهكم على فلن تطاقوا .

ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

(١) انكفأ : رجع (٢) فل الجيش : هزمه .

## ٤٧ — وهل أحلُّ عندك محل علي\*

حج معاوية سنة من سنيه ، فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحجون<sup>(١)</sup> ، يقال لها : دارميّة الحجونيّة ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ، فبعث إليها فجاء بها . فقال : ما حالك يا بنته حام ؟ فقالت : لست لحام إن عبتني ؛ إنما أنا امرأة من بنى كنانة ثُمّت من بنى أبيك . قال : صدقت ، أتدريين لم بعثت إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلا الله . قال : بعثت إليك لأسألك : علام أحببت عليّاً وأبغضتني ، وواليتي وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما إذ أبيت ، فإني أحببت عليّاً على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطلبت<sup>(٢)</sup>ك ماليس لك بحق ، وواليت عليّاً على ما عقد له رسول الله من الولاء ، وعلى حبه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفكك الدماء ، وشقك العصا ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك ! قالت : يا هذا ؛ بهند<sup>(٣)</sup> والله كان يضرب المثل في ذلك لأبي . قال معاوية : يا هذه ، اربعي<sup>(٤)</sup> ، فإننا لم نقل إلا خيراً . فرجعت وسكنت .

\* القصد الفريد : ١ - ١٣٢ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٥٩ ، بلاغات النساء : ٦٧  
(١) الحجون : جبل بمكة (٢) الطلبة : الطلب (٣) هند : أم معاوية (٤) ريم : وقف وانتظر وتحبس .

فقال لها : يا هذه ، هل رأيتِ علياً ؟ قالت : إى والله لقد رأيته . قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيته والله لم يَفْتِنه المَلِكُ الذى فَتَنَكَ ، ولم تَشْفَلْه النعمة التى شغلتك . قال : هل سمعتِ كلامه ؟ قالت : نعم والله ، كان يَجْلُو القلء من العمى ، كما يجلو الزيتُ الصداً .

قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطينى مائة ناقة حمراء فيها فَحْلُها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذو بالبانها الصغار ، وأستحيى بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أحلُّ عندك محلّ على ؟ قالت : ماء ولا كَصَدَّاء<sup>(١)</sup> ، ومرَّعَى ولا كالسَّعدان<sup>(٢)</sup> ، وفتى ولا كالِك<sup>(٣)</sup> ، سبحان الله ! أو دُونه ؟ فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أَعُدْ بالحلم منى عليكم      فمن ذا الذى بعدى يُؤمِّل للحلم !  
خديها هنيئاً ، واذكرى فعلَ ماجدٍ      جزاك على حرب العداوة بالسَّلمِ  
ثم قال : أما والله لو كان على حياً ما أعطاك منها شيئاً ، قالت : لا والله ولا وَبَرَةً واحدة من مال المسلمين !

---

(١) صداء : عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها (٢) اسمدان : نبت ذو شوك ، وهو من أفضل مراعى الإبل (٣) قاله متمم بن نويرة فى أخيه مالك لما قتل فى الردة ، والأمثال الثلاثة تضرب للشيء يفضل على أقرانه .

## ٤٨ - نَبَّحْتَنِي كَلَابِكُ\*

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها - وهو يومئذ بالمدينة - وعنده مروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص - فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنت ، وعشى<sup>(١)</sup> بصرها ، وضعت قوسها ، ترعش بين خادمين لها ، فسلمت وجلست ، فرد عليها معاوية السلام . وقال : كيف أنت يا خالة ؟ فقالت : بخير يا أمير المؤمنين ! قال : غَيْرِكَ الدَّهْرُ . قالت : كذلك هو ذو غير<sup>(٢)</sup> ، مَنْ عَاشَ كَبِيرًا ، وَمَنْ مَاتَ قَبْرًا ! قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين يوم صيفين :

يا زَيْدُ دُونَكَ فَاحْتَفِرْ مِنْ دَارِنَا      سَيْفًا حُسَامًا فِي التَّرَابِ دَفِينًا<sup>(٣)</sup>

قَدْ كُنْتُ أَذْخَرُهُ لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ      فَالْيَوْمَ أُبْرِزُهُ الزَّمَانَ مُصُونًا<sup>(٤)</sup>

قال مروان : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أَتَرَى ابْنَ هَنْدٍ لِلْخِلَافَةِ مَالِكًا      هِيَهَاتَ ذَاكَ - وَإِنْ أَرَادَ - بَعِيدًا<sup>(٥)</sup>

مَنْتَكَ نَفْسِكَ فِي الْخِلَاءِ ضَلَالَةً      أَغْرَاكَ عَمْرُو الشَّقَا وَسَعِيدًا

قال سعيد بن العاص : هي والله القائلة :

قَدْ كُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ أَمُوتَ وَلَا أَرَى      فَوْقَ الْمَنَابِرِ مِنْ أُمِّيَّةٍ خَاطِبًا

\* بلاغات النساء : ٤٠ ، المقد الفريد : ١ - ٢١٢

(١) عشى بصرها : ضعف (٢) غير الدهر : أحواله المتغيرة (٣) احتفر الشيء : قاه كما تحفر

الأرض بالحديدة (٤) أذخره (٥) أى معاوية .

فَاللَّهُ أَخْرُمَدَنِي فَتَطَاوَلْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ مَجَائِبًا  
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّمَانِ خُطْبِيهِمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ لَأَلِ أَحْمَدَ عَائِبًا  
ثُمَّ سَكَتُوا فَقَالَتْ بَكَارَةٌ : نَبَّحْتَنِي كَلَابِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتَوَرْتَنِي <sup>(١)</sup> ،  
فَقَصُرَ مَخْجَفِي <sup>(٢)</sup> ، وَكَثُرَ عَجَبِي ، وَعَشَى بَصْرِي .  
وَأَنَا وَاللَّهُ قَائِلَةٌ مَا قَالُوا ، لَا أَدْفَعُ ذَلِكَ بِتَكْذِيبٍ ، وَمَا خَفِيَ عَلَيْكَ مِنِّي أَكْثَرُ ،  
فَامْضِ لَشَأْنِكَ ، فَلَا خَيْرَ فِي الْعِيشِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَضَحَكَ مَعَاوِيَةَ ، وَقَالَ :  
لَيْسَ يَمْنَعُنَا ذَلِكَ مِنْ بَرِّكَ . اذْكُرِي حَاجَتَكَ : قَالَتْ : أَمَا الْآنَ فَلَا .

---

(١) اعتورتني : تناوبتني (٢) المحجن : المصا المقوفة الرأس .



## ٤٩ — أُرْوَى بنت الحارث \*

دخلت أُرْوَى بنت الحارث بن عبد المطالب على معاوية ، وهى عجوز ، فلما رآها معاوية قال : مرحباً بكِ وأهلاً يا عمّة ! فكيف كنتِ بعدنا ؟ قالت : يا بنِ أخى ؛ لقد كفرت بالنعمة ، وأسأت لابن عمك <sup>(١)</sup> الصُّحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت <sup>(٢)</sup> غيرَ حقك ، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقةٍ فى الإسلام ، بعد أن كفرتمُ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنص <sup>(٣)</sup> اللهُ منكم الجُدد ، وأُضرع منكم الخُدد ، وردّ الحقّ إلى أهله ، ولو كره المشركون !

وكانت كلمتنا هى العليا ، ونبينا ، صلى الله عليه وسلم هو المنصور على من ناواه ، ولو كره المشركون ؛ فكنا — أهل البيت — أعظم الناس فى الدين حظاً وبصياً وقدرأ ، حتى قبض الله نبيه ، فولّيت علينا من بعده ، وتحتجّون بقرابتكم من رسول الله ، ونحن أقربُ إليه منكم ، وأولى بهذا الأمر ، فكنا فيكم بمنزلة بنى إسرائيل فى آل فرعون ؛ وكان على بن أبى طالب — رحمه الله — بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ؛ فغايئنا الجنة ، وغايئكم النار .

وقال لها عمرو بن العاص : كُفِّ أيتها العجوز الضالّة ! وأقصرى عن قولك ، وغُضِّ من طرفِك !

\* العقد الفريد : ١ — ٢١٩ ، بلاغات النساء : ٣٢ .

(١) تريد على بن أبى طالب (٢) تشير إلى أخذه الخلافة (٣) أنص : أهلك ، أو أعتز .  
والجُدد : الخطوط .

فقلت : وأنت يا عمرو تشكلم ! اعن بشأن نفسك ؛ فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسنها ، ولا كريم منصبيها . وأملك كانت أشهر امرأة تُغنى بمكة ، وآخذهن لأجرة !

فقال مروان : كفى أيتها المعجوز ، وأقصرى لما جئت له . فقلت : وأنت أيضاً يا بن الزرقاء تشكلم ! ثم التفتت إلى معاوية فقالت : والله ماجراً على هؤلاء غيرك ! وإن أملك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناً لكم يوم بدر<sup>(١)</sup> والحرب بعد الحرب ذات سفر<sup>(٢)</sup>

ما كان عن عتبة نى من صبر<sup>(٣)</sup> أبى وعمى وأخى وصهرى<sup>(٤)</sup>

شفيت وحشى غليل صدرى<sup>(٥)</sup> شفيت نفسى وقضيت نذرى<sup>(٦)</sup>

فشكر وحشى على دهرى<sup>(٧)</sup> حتى ترم أعظمى فى قبرى<sup>(٨)</sup>

فقال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما ! أتما عرضتماني لها وأسمعتاني ما أكره ،

ثم قال لها : يا عمة ! اقصدى قصد حاجتك ، ودعى عنك أساطير النساء ، قالت :

تأمر لى بألفى دينار ، وألفى دينار ، وألفى دينار ! قال : ما تصنعين يا عمة بألفى دينار ؟

قالت : أشتري بها عيناً خرخارة<sup>(٩)</sup> فى أرض خوارة<sup>(١٠)</sup> ، تكون لولد الحارث

ابن عبد المطلب ! قال : نعم الموضع وضعتها ؛ فما تصنعين بألفى دينار ؟ قالت :

أستعين بها على عسر المدينة ، وزيارة بيت الله الحرام ! قال : نعم الموضع وضعتها !

فما تصنعين بألفى دينار ؟ قالت : أزوّج بها فتیان عبد المطلب من أكفائهم . قال :

نعم الموضع وضعتها ! هى لك !

(١) ذات سفر ؛ من سمر الحرب : أوقدها (٢) تشير إلى من قتل من بنى أمية يوم بدر

(٣) وحشى : قاتل حمز يوم أحد (٤) خرخارة : عين ماء جارية (٥) خوارة : منخفضة ،

والمراد : أرض للزراعة ليست وعرة .

ثم قال لها : والله لكان عليّ ما أمر لك به ! قالت : صدقت ، إن عليّ أذى الأمانة ؛ وعمل بأمر الله ، وأخذ به ، وأنت ضيعت أمانتك ، وخنت الله في ماله ، فأعطيت مال الله من لا يستحقّه ، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها وبينها ، فلم تأخذ بها ؛ ودعانا علىّ إلى أخذ حقنا الذي فرض الله لنا فشفّل بحربك عن وضع الأمور مواضعها ! وما سألتك من مالك شيئاً ! فتعصّب به ؛ إنما سألتك من حقنا ، ولا نرى أخذ شيء غير حقنا : أتذكرُ عليّاً قرض الله فاك ! ثم علا أنينها وقالت :

ألا ياعينُ ويحكِ أسعدينا      ألا وابكى أمير المؤمنين  
رُزينا خير مَنْ ركب المطايا      وفارسها وَمَنْ ركب السفينا<sup>(١)</sup>  
ومن لبس النعال أو احتذاها      ومن قرأ المثنى والمئينا<sup>(٢)</sup>  
فأمر لها بـ ستة آلاف دينا      وقال لها : ياعمة ؛ أنفق هذه فيما تحبين ، فإذا  
احتجتِ فاكتبي إلى ابن أخيك يُحسن صَفَدَكَ<sup>(٣)</sup> ومعونتك إن شاء الله !

(١) رزينا : أصبنا (٢) المثنى : آيات القرآن (٣) الصفد : العطاء .

## ٥٠ - أم سنان تشكو مروان \*

حبس مروان<sup>(١)</sup> بن الحكم ، وهو والى المدينة غلاماً من بنى ليث ، فى جناية جناها بالمدينة ، فأتته جدّة الغلام - وهى أم سنان بنت خيثمة المذحجية - فكلّمته فى الغلام ، فأغلظ لها ؛ فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه فانتسبت له فعرفها ، فقال لها : مرحبا يا بنت خيثمة ؛ ما أقدمك أرضنا وقد عهدتكَ تشنّين<sup>(٢)</sup> قُرْبى ، وتحضّين<sup>(٣)</sup> على عدوى !

قالت : يا أمير المؤمنين ! إن لبنى عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأحلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفّهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ماسنّ آباؤه لأنت . قال : صدقت ! نحن كذلك ، فكيف قولك<sup>(٤)</sup> :

عزب الرُّقادُ ، فمُقلّتى لا ترقدُ	والليلُ يُصدِرُ بالهموم ويوردُ <sup>(٥)</sup>
يا آل مذحج لا مقام فشمروا	إنّ الصدرَ لآلٍ أحمَدَ يقصِدُ
هذا على كألِهلال تحفُّه	وسَطَ السماء من الكواكب أسعدُ <sup>(٦)</sup>
خيرُ الخلائق وابنُ عم محمدٍ	إن يهدِكم بالنور منه تهتدوا
ما زال مُدُّ شَهِدِ الحروبِ مظفرًا	والنصرُ فوقِ لوائه ما يفقدُ

\* العقد الفريد : ١ - ٢١٤ ، بلاغات النساء : ٦٨

(١) ولد مروان بن الحكم سنة ٢ هـ وأسلم أبوه الحكم يوم الفتح ، فنشأ مروان مسلماً ، وكتب لعمان فى خلافته ، وولى لمعاوية المدينة مرات ، وبويع بالخلافة ولكن لم تطل مدته فيها ومات سنة ٦٥ هـ (٢) تشنّين قربى : تبغضين (٣) تحضّين : تحرضين (٤) يذكرها بقولها فى الحرب التى كانت بينه وبين على بن أبى طالب لأنها كانت من شيعة على (٥) عزب : بعد (٦) سعد النجوم عشرة : منها سعد الذابغ وسعد السعد . وهى تشير إلى صحابة على .

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ؛ وأرجو أن تكون لنا خلفاً ! فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ، وهى القائلة أيضاً ؟

إمّا هلكَ أبا الحسين فلم تزلْ      بالحقِّ تُعرفُ هادياً مَهديّاً  
فاذهب، عليك صلاةُ ربِّك مادَّعتُ      فوقَ الغصونِ حمامةٌ قمرِيّاً<sup>(١)</sup>  
قد كنتَ بعدَ محمدٍ خلفاً كما      أوصى إليك بنا ، فكنتَ وفيّاً  
فاليوم لا خلفٌ يؤمِّلُ بعده      هيهات نأملُ بعده إنسيّاً

قالت : يا أمير المؤمنين ؛ لسانٌ نطق ، وقول صدق ، ولئن تحقَّق فيك ماظنُّنا ، فحفظك الأوفر ، والله ما ورَّثَكَ الشَّانَ<sup>(٢)</sup> في قلوب المسلمين إلا هؤلاء ، فأدحضِ مقاتلهم ؛ وأبعدْ منزلتهم ، فإنَّك إن فعلتَ ذلك تزدَد من الله قرباً ، ومن المؤمنين حبّاً .

قال : وإنك لتقولين ذلك ! قالت : يا سبحان الله ! والله مامثلك مُدح بباطل ، ولا اعتذر إليه بكذب ؛ وإنك لتعلم ذلك من رأينا ، وضمير قلوبنا .

كان والله على أحب إلينا منك ، وأنت أحب إلينا من غيرك . قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص . قال : وم استحققتُ ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حِلْمِكَ ، وكرم عَفْوِكَ . قال : فإنهما يطمعان في ذلك ؟ قالت : هما والله من الرأى على مثل ما كنتَ عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى<sup>(٣)</sup> .

قال : والله لقد قاربتِ ؛ فما حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إن مروان تَبَنَّى<sup>(٤)</sup> بالمدينة تَبَنُّكَ مَنْ لا يريدُ منها البرَّاح ، لا يحكمُ بعدل ، ولا يقضى بسُنَّةٍ ، يتتبعُ

(١) القمري : نوع من الحمام (٢) الشَّان : البفض (٣) تريد أنهما يأملان الخلافة بعدك كما كنت تأملها بعد عثمان (٤) تبَنَّى : أقام .



عثراتِ الملهين ، ويكشفُ عَوَزَاتِ المؤمنين ، حبس ابن ابني فأتيتُته ،  
فقال : كنتِ وكنتِ ، فآلَقَمْتُهُ أَخْشَنَ من الحجر ، وآلَمَقْتُهُ أَمَرَ من الصَّبر ،  
ثم رجعتُ إلى نفسي باللائمة ، وقلت : لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى منه  
بالصفو عنه !

فأتيتُك يا أمير المؤمنين ؛ لتكون في أمري ناظراً ، وعليه مُعَدِيّاً<sup>(١)</sup> . قال :  
صدقتِ ، لا أسألكِ عن ذنبه ، ولا عن القيام بِحُجَّتِهِ ، اكتبوا لها بإطلاقه .  
قالت : يا أمير المؤمنين ؛ وأُنِّي لي بالرَّجْمَةِ<sup>(٢)</sup> ! وقد نفد زادي ، وكلَّت راحلتي ،  
فأمر لها براحلة وخمسة آلاف درهم .

---

(١) معدياً : معيناً فاصراً (٢) الرجم : الرجوع .

## ٥١ — ليلي الأخيلية عند معاوية\*

بيننا معاوية يسير إذ رأى راكباً ؛ فقال لبعض شُرطه : اثنى به ، وإيّاك أن  
تروّعه<sup>(١)</sup> فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : إياه أردتُ .

فلما دنا الراكبُ حَذَرَ<sup>(٢)</sup> لثامه ، فإذا ليلي الأخيلية<sup>(٣)</sup> ، فأنشأت تقول :

معاوى لم أ كدْ آتيك تهوى      برحلٍ نحو ساحتك الركابُ  
تجوبُ الأرضَ نحوك ما تأنى<sup>(٤)</sup>      إذا ما الأكم<sup>(٥)</sup> قنّتها السرابُ  
وكنْتَ المرتجى ، وبك استعادت      لتنعشها إذا بخل السحابُ

فقال : ما حاجتك ؟ قالت : ليس مثلى يطلبُ إلى مثلك حاجة ، فتخيّر أنت .

فأعطاهما خمسين من الإبل ، ثم قال : أخبريني عن مضر . قالت : فآخِرُ بمضر ،  
وحارب بقيس ، وكأثرُ بتميم ، وناظر بأسد . فقال : ويحك ياليلي ؟ أكا يقولُ الناس  
كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ليس كلُّ الناسِ يقولون حقاً ! الناس شجرة  
بغْيٍ ، يحسدون النعم حيث كانت ، وعلى مَنْ كانت ، ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبَطُ<sup>(٦)</sup>  
البنان ، حديد اللسان ، شجى للأقران ، كريم الخبَر ، عفيف المِزر ، جميل المنظر ،

\* الأغاني : ١٠ - ٧٤ ، مهذب الأغاني : ٤ - ٢٣٩ ، زهر الآداب : ٤ - ٧٣

(١) تروعه : تفزعه (٢) حذر الشيء : أنزله (٣) هي ليلي الأخيلية بنت عبدالله ؛ من بني  
الأخيل بن عامر ؛ من النساء المتقدمات في الشعر ، هويها توبة بن الحمير ، وخطبها إلى أبيها ، فأبى  
أن يزوجه إياه . توفيت نحو سنة ٨٠ هـ (٤) تأنى : تتأنى (٥) الأكم : جمع أكمة : الوضع  
يكون أشد ارتفاعاً من غيره (٦) سبط البنان : سخي .

وهو يا أمير المؤمنين كما قلت له . قال : وما قلت له ؟ قالت : قلت ولم أتعذ الحق وعلي فيه :

بعيد المدى لا يبلغ القوم شأوه      الد<sup>(١)</sup> ملبد يغلب الحق باطله  
إذا حل ركب في ذراه وظله      لينصهم مما شاف نوازه  
حامهم ينصل السيف من كل فادح      يخافونه حتى توت خصائله<sup>(٢)</sup>  
فقال معاوية : ويحك يا بلي ! يزعم الناس أنه كان عاهرا فاجرا ! فقالت من  
ساعتها مرتجلة :

معاذ الهى قد كان - والله - توبة<sup>(٣)</sup>      جوادا على الملات جما نوافله<sup>(٤)</sup>  
أغرا خفاجيا يرى البخل سبة<sup>(٥)</sup>      تحالف كفاه الندى وأنامله  
عفيفا بعيد الهم صلبا قناته      جيلا يحياه قليلا غوائله  
وكان إذا ما الضيف أرغى بعيره      لديه ، أتاه نيله وفواضله  
وقد علم الجوع الذى كان ساريا      على الضيف والجيران أنك قاتله  
وأنت رخب الباع ياتوب بالقرى      إذا مالئتم القوم ضاقت منازلها  
بيت قرير العين من كان جاره      ويضحى بخير ضيفه ومنازلها

فقال لها معاوية : ويحك يا بلي ! لقد جرت بتوبة قدره ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين  
والله لو رأيته وخبرته لعلمت أنى مقصرة فى نعمته ؛ لا أبلغ كنه ما هو أهله ! فقال لها  
معاوية : فى أى صن كان ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛

---

(١) اللد : شدة الحصومة (٢) الحصيلة : كل لحة فيها عصب (٣) جوادا على الملات : أى  
على كل حال (٤) خفاجة : حى من بنى عامر .

أنته المنايا حين تمَّ تمامه      وأقصر عنه كل قرن يُصاولة  
وصار كلبث الغاب يحى عرينه      فترضى به أشباله وحلائله  
عطوف حلیم حين يطلب حِلْمه      وسمَّ زُعاف لا تصاب مقاتله  
فأمر لها بجائزة ، وقال : أيتها ماقلت فيه أشعر ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؛ ماقلت  
شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجدتُ حيث أقول :  
جزى الله خيراً - والجزاء بكفه      فتى من عُقيلٍ ساد غير مكلف  
فتى كانت الدنيا تهونُ بأمرها      عليه فلم ينفكَّ جمَّ التصرف  
ينالُ علياتِ الأمور بهونة      إذا هي أُعيت كلَّ خرقٍ مُشرفٍ<sup>(١)</sup>

---

(١) الهونة : الرفق والسهولة. الحرق : السخى أو الطريف في سخاوة . مشرف : جعل له شرف.

## ٥٢ - أم \*

دخل ابنُ الزَّيْرِ (١) على أمِّه (٢) حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم ، فقال : يا أمِّه ؛ خَذَلَنِي النَّاسَ حَتَّى وَلَدِي وَأَهْلِي ، فَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا الْيَسِيرُ مِمَّنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مَعَ الدَّفْعِ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ ، وَالْقَوْمُ يُعْطَوْنِي مَا أَرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَا رَأَيْكَ ؟

فَقَالَتْ : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِيَّ أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو فَاْمُضْ لَهُ ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ ، وَلَا تَمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتَلَمَّبُ بِهَا غُلَامُ بَنِي أُمِيَّةَ ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أَرَدْتَ الدُّنْيَا فَبَيْسَ الْعَبْدُ أَنْتَ ! أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ وَأَهْلَكَتَ مَنْ قُتِلَ مَعَكَ . وَإِنْ قُلْتَ : كُنْتُ عَلَى حَقٍّ ، فَلِمَا وَهَنَ أَصْحَابِي ضَعُفْتُ ؛ فَهَذَا لَيْسَ فَعَلَ الْأَحْرَارَ ، وَلَا أَهْلَ الدِّينِ ... وَكَمْ خُلُودُكَ فِي الدُّنْيَا ! الْقَتْلُ أَحْسَنُ ! وَاللَّهِ لَضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ فِي عِزٍّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ضَرْبَةٍ بِسَوْطٍ فِي ذُلٍّ . قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ قَتُلُونِي أَنْ يُمَثِّلُوا بِي ! قَالَتْ : يَا بَنِيَّ ؛ إِنْ الشَّاةُ لَا يَضْرِبُهَا سَلْخُهَا بَعْدَ ذَبْحِهَا .

فَدَنَا ابْنُ الزَّيْرِ ، فَقَبَّلَ رَأْسَهَا ، وَقَالَ . هَذَا وَاللَّهِ رَأْيِي ؛ وَالَّذِي قَتَلْتُ بِهِ دَاعِيًا إِلَى يَوْمِي هَذَا ، مَا رَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا أَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ فِيهَا ، وَمَا دَعَانِي إِلَى الْخُرُوجِ إِلَّا

\* تاريخ الطبري : ٧ - ٢٠٣ ، بلاغات النساء : ١٣٠ ، العقد الفريد : ٢ - ٢٧١

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام ؛ طلب الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ، وبويع له في الحجاز والعراق واليمن ، ومكث خليفة تسع سنوات ، ثم حاصره الحجاج بمكة . وقتل سنة ٧٣ هـ (٢) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وهي من قریش ، من فضليات نساء العرب ، وأخت عائشة لأبيها توفيت سنة ٧٣ هـ . وهذه المحاوراة كانت حين حاصر الحجاج ابن الزبير في مكة ، وحين خذل عبد الله أعوانه .



الغضبُ أن الله تُسْتَحَلَّ حُرْمُهُ ، ولكنِّي أُحِبُّ أَنْ أَعْلَمَ رَأْيَكَ ، فزِدْتَنِي  
بصيرةً مع بصيرتي ، فانظري يا أمّةُ فإني مقتول من يومى هذا ، فلا يشتدّ حزنك ،  
وسلّى لأمر الله ؛ فإن ابنك لم يعتمدْ إتيانَ منكّر ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجرّ في حكم  
الله ، ولم يقدِرْ في أمان ، ولم يعتمدْ ظلمَ مسلم ولا مُعَاهَد ، ولم ييلفنّ ظلمٌ عن عمالي  
فرضيتُ به ، بل أنكرته ؛ ولم يكن شيءٌ آثرَ عندي من رضا ربّي ؛ اللَّهُمَّ إني  
لا أقول هذا تزكيةً مني لنفسي ؛ أنت أعلمُ بي ولكن أقوله تعزيةً لأُمّي لتسلو عني .  
فقلت أمّه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن تقدّمتني ،  
وإن تقدّمتك ففني نفسي حرجٌ حتى أنظرَ إلّامَ بصير أمرِك . قال : جزاك الله  
يا أمّه خيراً ؛ فلا تدعى الدُّعاءَ لي قبلُ وبعدُ . فقلت : لا أدعه أبداً ، فمن قتل على  
باطل فقد قُتِلَ على حقٍّ ! ثم قالت : اللهم ارحم طولَ ذلك القيام في الليل الطويل ،  
وذلك النحيب والظلماء في هواجر المدينة ومكة ، وبرّه بأبيه وبّي ، اللهم قد سلّمتَه  
لأمرِك فيه ، ورضيتُ بما قضيتَ فأثبني في عبد الله ثوابَ الصّابرين الشّاكرين .  
ثم ودّعها وخرج ، ولم يلبث أن قُتل رحمه الله !

### ٥٣ — التلطف في السؤال \*

دخلت امرأة من هوازن على عبيد الله بن أبي بكر<sup>(١)</sup> ، فوقفت بين السَّماطين<sup>(٢)</sup> ، وجعلت تُظهِر وجهها مرة ، وتستره أخرى ؛ فلما أبصرها علم أن لها حاجة ؛ فقال جلسائه . ما عليكم أن تقوموا حتى تقولَ هذه المرأة حاجتها .

فتقدَّمت ، وقالت : أصلح الله الأمير إني أتيتك من أرضٍ شاسعةٍ ، ترفني رافعةٌ ، وتخفني واضعةٌ ؛ لَمَّاتِ قد أكلن لحمي ، وبرَّينَ عظمي فضاقتُ بي البلدُ المريض . وقد جئتُ بلداً لا أعرف فيه أحداً ، لا قرابة تكفني ، ولا عشيرة تعرفني ، بعد أن سألتُ أحياء العرب : مَنْ المرجوُّ نائله ، المُعطى سائله ؛ فأرسلتُ إليك ، ودللتُ عليك ؛ وأنا — أصلحك الله — امرأةٌ قد هلك عنها الوالد ، وذهب عنها الطارف والتَّالِد ، ومثلك يسد الخلة ، ويزيح العلة ؛ فإما أن تُحسن صفدي<sup>(٣)</sup> وتقيم أودي ، وإما أن تردني إلى بلدي ! فقال : بل أجمع لك كل ما ذكرت .

ثم أمر لها بعشرة آلاف درهم ، وزاد وكسوة وراحلة .

\* غرر الحقائق الواضحة : ١٦٥

(١) عبيد الله بن أبي بكر كان أجمل الناس وأشجعهم ، ولده الحجاج سجستان سنة ٧٨ هـ ،

ومات هناك (٢) السَّماطين : الصَّفان (٣) الصفد : الطاء .

## ٥٤ — نساء بنى تميم \*

قال الشعبي : قال لي شريح<sup>(١)</sup> : يا شعبي ؛ عليكم بنساء بنى تميم ، فإنهن النساء ! قلت : وكيف ذاك ؟ قال : انصرفت من جنازة ذات يوم مظيراً<sup>(٢)</sup> ، فررت بدور بنى تميم ، فإذا امرأة جالسة في سقيفة<sup>(٣)</sup> على وسادة ، وتُجَاهها جارية رُوْدَة<sup>(٤)</sup> ، ولها ذُوَابَة على ظهرها كأحسن مَنْ رَأَيْت من الجوارى ، فاستقيت — وما بي من عطش — فقالت : أىُّ الشراب أحب إليك ؟ ألبِيز أم اللبن أم الماء ؟ قلت : أىُّ ذلك تيسر عليكم . قالت : اسقوا الرجل لبناً فإنى إخاله غريباً . فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتنى ، فقلت : مَنْ هذه ؟ قالت : ابنتى ، فقلت : ومَنْ ؟ قالت : زينب بنت حدير ، إحدى نساء بنى تميم . قلت : أ فارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة . قلت : أتزوجينها ؟ قالت : نعم ، إن كنت كفتاً ؛ ولها عمٌ فاقصده .

وانصرفت إلى منزلى لأقيل فيه ، فامتنعت منى القائلة<sup>(٥)</sup> ، فأرسلت إلى إخوانى القراء<sup>(٦)</sup> ، ووافيت معهم صلاة العصر ، فإذا عمُّها جالس ، فقال : أبا أمية !

---

\* مذهب الأغاني : ٣ - ٨٠ ، المستطرف : ٢ - ١٩ ، العقد الفريد : ٤ - ٨٠ ، الأغاني : ١٦ - ٣٦ ( طبعة الساسي )

(١) هو شريح بن الحارث . أدرك الجاهلية ، واستقضاء عمر بن الخطاب على الكوفة ، فأقام بها قاضياً مدة طويلة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين في فتنة ابن الزبير امتنع من القضاء فيها ، وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة وذكاء ومعزة ، وعقل وإصابة ؛ كما كان شاعراً محسناً . توفي سنة ٨٧ هـ (٢) أظهر : دخل في الظهيرة ، والظهيرة : حد انتصاف النهار (٣) السقيفة : الموضع المظلل (٤) الروْدَة : الشابة الحسنة (٥) القائلة : نصف النهار ، وقال قيس : نام فيه .

(٦) جمع قارىء ، وهم الذين يقرءون القرآن ويتلوونه .

حاجتك ، قلت : إليك . قال : وما هي ؟ قلت : ذكرتُ لى بنتُ أخيك زينب ، فقال : ما بها عندك رغبة ، ثم زوجنيها . وما بلغتُ منزلى حتى ندمتُ وقلت : تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها ! ثم همت بطلاقها ، ولكن قلت : أجمعها إلى ، فإن رأيت ما أحب وإلا طلقتها .

ثم مكثت أياماً حتى أقبل نساؤها يهادينها <sup>(١)</sup> ، ولما أدخلتُ قلت . يا هذه ؛ إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يُصلى ركعتين وتصلّى ركعتين ، ويسألا الله خيرَ ليلتهما ويتعوّذا به من شرّها . فتوضأتُ فإذا هي تتوضأ بوضوئى ، وصليتُ فإذا هي تصلّى بصلاتى ، ولما قضينا الصلاة قالت لى : إني امرأة غريبة ، وأنت رجل غريب لا علم لى بأخلاقك ، فبين لى ما تحب فأتيته ، وما تكره فأنزجر عنه . فقلت : قدمت خير مقدم ؛ قدمت على أهل دار ، زوجك سيد رجالهم ، وأنت سيّدة نساءهم ، أحبُّ كذا وأكره كذا ، وما رأيت من حسنة فابثيها ، وما رأيت من سيئة فاستريها .

قالت : أخبرنى عن أختانك <sup>(٢)</sup> أتحب أن يزوروك ؟ فقلت : إني رجل قاض وما أحب أن تملؤنى . قالت : فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ، ومن تكرهه أكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

وأقت عندها ثلاثاً ؛ ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء ؛ فكنت لا أرى يوماً إلا وهو أفضل من الذى قبله ؛ حتى إذا كان رأس الحول دخلتُ منزلى امرأة عجوز تأمر وتنهى . قلت : يا زينب ؛ من هذه ؟ قالت : أمى فلانة . قلت : حيّاك الله

(١) يقال : تهادت المرأة إذا تمايلت فى مشيتها ، وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه .

(٢) الحتن : الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة .

بالسلام ، قالت : أبا أمية ؛ كيف أنت وحالك ؟ قلت : بخير ، أحمدُ الله . قالت :  
أبا أمية ، كيف زوجك ؟ قلت : كخير امرأة ، قالت : إن المرأة لا ترى في حال  
أسوأ خلقاً منها في حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ، فإن رابك  
منها ريب فالسوط ، فإن الرجال ما حازت - والله - بيوتهم شراً من الورهاء <sup>(١)</sup>  
المتدلة <sup>(٢)</sup> .

قلت : أشهد أنها ابنتك ، فقد كفيّتي الرياضة ، وأحسن الأدب . قالت :  
أنحب أن يزورك أختانك ؟ قلت : متى شاءوا .  
قال شريح : فكانت كل حول تأتينا وتوصي تلك الوصية ، ثم تنصرف .  
ومكثت مع زينب عشرين عاماً ، فما غضبتُ عليها قط إلا مرة كنت لها فيها  
ظالماً <sup>(٣)</sup> .

---

(١) الورهاء : الحقاء (٢) يقال : تدلت المرأة على زوجها ؛ إذا أرته جراءة عليه كأنها تخالفه  
وما بها خلاف .

(٣) قد رووا أن شريحاً رأى رجلاً يضرب امرأته فقال :

رأيت رجلاً يضربون لساءم	فشلت يعني يوم أضرب زينبا
أأضربها في غير جرم أنت به	إلى فما عذرى إذا كنت مذنباً
فتاة تزني الحلى إن هي حليت	كأن فيها المسك خالط مجلباً



## ٥٥ — ليلي الأَخِيلِيَّة عند الحَجَّاج \*

قال مولى من الموالى : كنت أدخل مع عَنبَسَةَ بن سعيد <sup>(١)</sup> بن العاص إذا دخل على الحجاج ؛ فدخل يوماً ، فدخلتُ إليهما ، وليس عند الحجاج أحدٌ إلا عَنبَسَةُ ؛ فأقعدني ، فجاء إلى الحجاج بِطَبَقٍ فيه رُطَبٌ ، فأخذ الخادمُ منه شيئاً ، فجاءني به ثم جِىء بطبق آخر ، حتى كَثُرَت الأطباق ، وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءني منه شيء ، حتى ظننتُ أن ما بين يديَّ أكثرُ مما عندها .

ثم جاء الحاجبُ ؛ فقال : امرأةٌ بالباب ؛ فقال له الحجاج : أَدْخِلْهَا ، فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننتُ أن ذقنه قد أصاب الأرض ؛ فجاءتُ حتى قصدت بين يديه ؛ فنظرتُ فإذا امرأةٌ قد أسنت ، حَسَنَةُ الخلق ، وممها جاريَتان لها ، وإذا هي ليلي الأَخيلية .

فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبتُ له ؛ فقال لها : يا ليلي ؛ ما أتى بك ؟ فقالت إخلافٌ <sup>(٢)</sup> النجوم ، وقلةُ النجوم ، وكَلَبٌ <sup>(٣)</sup> البردِ ، وشدةُ الجهد ؛ وكنتُ لنا بعد الله الرِّفْد <sup>(٤)</sup> .

\* الأملی : ١ - ٨٦ : زهر الآداب : ٤ - ٧٦ ، مصارع العشاق : ١٨٥ ، الأغاني : ١٠ - ٧٨ ( طبعة الساسی ) ، فوات الوفيات : ٢ - ١٧٦ ، المحاسن والأضداد : ٢٤٦ ، سمط الآلى : ١ - ٢٨٠ ، أشعار النساء : ٣ - ٣٧

(١) كان عنبسة آثر الناس عند الحجاج ، وكان على جانب عظيم من البخل ، وله فيه أخبار طريفة (٢) إخلاف النجوم ؛ تريد : أخلفت النجوم التي بها يكون المطر فلم تأت بمطر (٣) كلب المطر : شدته (٤) الرّفْد . المعونة والعطية .

فقال لها : صفى لنا الفجّاج<sup>(١)</sup> ، فقالت : الفجّاج مُفبرّة ، والأرض مُقشّرة ،  
والمبرك<sup>(٢)</sup> مُقتل ، وذو العيال مُختل<sup>(٣)</sup> ، والهاالك للقل<sup>(٤)</sup> ، والناس مُسنتون<sup>(٥)</sup> ،  
رحمة الله يرّجون ؛ وأصابتنا سنون مُجحفة<sup>(٦)</sup> مبلطة<sup>(٧)</sup> ، لم تدع لنا هبماً<sup>(٨)</sup>  
ولا ربّماً ، ولا عافطة<sup>(٩)</sup> ولا نافطة ، أذهبت الأموال ؛ ومزقت الرجال ،  
وأهلكت العيال .

ثم قالت : إني قلت في الأمير قولا ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أحجاج لا يُفلّ سلاحك <sup>(١٠)</sup> إنها أ	منايا بكنف الله حيث تراها
أحجاج لا تُعطِ العصاة مُناهم	ولا الله يُعطى للعصاة مُناها
إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة	تتبع أقصى دائرها فشفاها
شفاها من الداء المُضال الذي بها	غلام إذا هزّ القنّاة سقاها
سقاها فروها بشرب سجاله <sup>(١١)</sup>	دماء رجالٍ حيث مال حشاها
إذا سمع الحجاج رز <sup>(١٢)</sup> كتيبة	أعدّ لها قبل النزول قراها
أعدّ لها مسمومة فارسية	بأيدي رجالٍ يخلّبون صراها <sup>(١٣)</sup>
فما ولد الأ Bakar والمون <sup>(١٤)</sup> مثله	يبحر ولا أرض يحفّ ثراها

(١) الفجّاج : جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين (٢) المبرك : أرادت الإبل ؛ فأقامت  
المبرك مكانها (٣) ذو العيال مختل : أي محتاج ، والحلة : الحاجة (٤) الهاالك للقل : من أجل  
القلة (٥) مسنتون : مقطّون (٦) السنة المجحفة : التي تمحّف بالقوم قتلا وإفساداً للأحوال ،  
أو مضرة بالمال (٧) مبلطة : مزقة بالبلاط ؛ تريد مهلكة (٨) الهبم : ماتج في الصيف ،  
والربيع : ماتج في اربيع (٩) العافطة : الضأن ، والنافطة : الماعزة (١٠) السلاح : يذكّر  
ويؤنث (١١) السجال : جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة (١٢) الرز : الصوت تسمعه من بعيد  
(١٣) الصرى : البقية . قال في السمط عند تفسير هذا البيت : تعني نصال الرماح والسهام كأنها  
مسقية ، من أصابته لم ينج منها (١٤) المون : جمع هوان ، وهي التي كان لها زوج .

فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ! والله ما أصاب صفتي شاعرٌ  
مذ دخلتُ العراقَ غيرها .

ثم التفتَ إلى عنبسة بن سعيد ، فقال : والله إنى لأعدُّ للأمرِ عُدتَّه ، عسى  
ألا يكونَ أبداً . ثم التفتَ إليها ، فقال : حسبك !

قالت : إنى قد قلتُ أكثرَ من هذا ! قال : حسبك ، ويحك ! حسبك .

ثم قال : يا غلام ؛ اذهب إلى فلان ؛ فقل له : اقطعْ لسانها ، فذهب بها ،  
فقال له : يقولُ لك الأمير : اقطعْ لسانها !

فأمرَ بإحضار الحجام ؛ فالتفتت إليه فقالت : نِكَلْتِكَ أُمُّكَ ! أما سمعتَ  
ما قال ! إنما أُمِرُك أن تقطعَ لسانى بالصلة ، فبعتُ إليه يستثبته ؛ فاستشاط الحجاج  
غضباً ، وهمَّ بقطع لسانه ، وقال : ارُدُّهَا . فلما دخلتُ عليه قالت : كاد والله  
يقطع مقولى ، ثم أنشأت تقول :

حَجَّاجُ أَنْتَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ      إِلَّا الْخَلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ  
حَجَّاجُ أَنْتَ شَهَابُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِيتَ <sup>(١)</sup>      وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نُورٌ فِي الدُّجَا يَقْدُ  
ثم أقبلَ الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون مَنْ هذه ؟ قالوا : لا والله أيُّها  
الأمير ، إلا أنا لم نَرَ قطُّ أفصحَ لساناً ، ولا أحسنَ محاورَةً ، ولا أملحَ وجهاً ،  
ولا أَرصنَ شعراً منها .

فقال : هذه ليلي الأخيلىة ، التى ماتت تَوْبَةً الْخَفَاجِيُّ مِنْ جِهَا ، ثم التفتَ  
إليها ؛ فقال : أنشدينا ياليلى بعضَ ما قال فيك توبة .

---

(١) أصله من لقيت الإبل ؛ إذا حملت . والحرب إذا عظمت تتولد عنها الأمور التى لم تكن  
تحتسب ( الخزائن - ١ : ٤٢٦ )

قالت : نعم أيها الأمير ، هو الذى يقول :

وهل تَبْكِينَ ليلي إذا مُتَ قبلها      وقام على قبري النساء النوائح ؟  
 كما لو أصاب الموتُ ليلي بكَتْهَا      وجادَ لها دمعٌ من العين سافحٌ<sup>(١)</sup>  
 وأغبطُ من كَيْلَى بما لا أناله      بلى ، كلَّ ما قرأت به العين طامح  
 ولو أنَّ كَيْلَى الأَخِيلِيَّةَ سَلَمَتْ      عَلَى ؛ ودونى جَنْدَلٌ وصَفاحٌ  
 لَسَلَمْتُ تَسْلِمَ البشاشةِ أوزقا      إليها صدَى من جانب القبر صامح  
 فقال : زينا من شعره ياليلي ، قالت : هو الذى يقول :

حِمامةَ بَطْنِ الوَادِيَيْنِ تَرْمِي      سقاك من الفُرِّ الفوادى<sup>(٢)</sup> مَطِيرُهَا  
 أُيْنِي لَنَا ، لا زَالَ رِيْشُكَ ناعِمًا      ولا زَلْتِ في خضراء غَضٍّ نَضِيرُهَا  
 وكنتُ إذا ما زرتُ ليلي تَبَرَّقَمْتُ      فقد رابني منها الفدَاةُ سُفُورُهَا  
 وقد رابني منها صدودٌ رأيتُهُ      وإعراضها عن حاجتي وبُسُورُهَا<sup>(٣)</sup>  
 وأشرف بالقُورِ<sup>(٤)</sup> اليَفَاعَ لعلني      أرى نارَ ليلي أو يراني بصيرُهَا  
 يقول رجالٌ : لا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا      بلى ! كل ما شَفَّ<sup>(٥)</sup> النفوس يَضِيرُهَا  
 بلى لقد يَضِيرُ العَيْنَ أن تَكْثُرَ البُكا      ويُمنَعُ منها نومُهَا وسرورُهَا  
 وقد زَعَمْتُ ليلي بأنِّي فاجرٌ      لِنَفْسِي تُقَاها ، أو<sup>(٦)</sup> عليها فُجُورُهَا

فقال الحجاج : ياليلي ؛ ما الذى رآه من سُفُورك ؟ فقالت : أيها الأمير ؛ كان  
 يُلم بى كثيراً ؛ فأرسل إلى يومًا : إني آتيك ، وفطن الحى ؛ فأرصدوا له ، فلما

(١) سافح : منصب (٢) الفوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ غدوة (٣) بسورها : عبوسها  
 (٤) القور . جمع قارة ، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء : واليفاع كسحاب : التل (٥) شفه  
 الهم : هزله . أو هنا بمعنى الواو .

أتاني سَفَرْتُ عن وجهي ، فلم أن ذلك لشرٍّ ؛ فلم يزد على التسليم والرجوع .  
فقال : لله درك ! فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه ؟ فقالت : لا والذي أسأله  
أن يصلحك ، غير أنه قال مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأتُ  
أقول :

وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها      فليس إليها ماحيدةٌ سبيلُ  
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه      وأنت لأخرى صاحبٌ و خليلُ  
فلا والله الذي أسأله أن يصلحك مارأيتُ منه شيئاً ، حتى فرَّق الموت بيني  
وبينه . قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن خرج في غزاةٍ له ، فأوصى ابن عمِّ له :  
إذا أتيت الحاضر من بني عبادة ، فنادِ بأعلى صوتك :

عفا الله عنها ، هل أبيتَنَّ ليلةً      من الدهر لا يسرى إلى خيالها !  
وأنا أقول :

وعنه عفا ربِّي وأحسن حاله      ففرت علينا حاجةٌ لا ينالها  
قال : ثم مه ! قالت : ثم لم يلبث أن مات ؛ فأتانا نعيُّه .

فقال : أنشدينا بعض مرَّاثيك فيه ، فأنشدت :

لَتَبْكِ الْمَذَارِي من خفاجةٍ نِسوةٍ<sup>(١)</sup>      بماءِ شئونِ المبرةِ المتحدِّرِ  
قال لها : فأنشدينا ؛ فأنشدته :

كأن فتى الفتيان توبةً لم يُنجِ      قلانصَ يفحصن الحمصى بالكرَّاكرِ<sup>(٢)</sup>

فلما فرغت من القصيدة ، قال محصن الفققي<sup>(٣)</sup> - وكان من جلساء الحجاج :

(١) نسوة : تبيين ، وارتفاعه بفعل مضمر ، كأنها قالت تبكيه نسوة . وفي هامش الأمل : « لعله  
المتحادر بالألف قبل الدال لتستقيم القافية » (٢) الكركرة : رحي زور البعير ، أو صدر كل  
ذئ خف ، وتفعل الإبل ذلك في شدة الحر يطلبن برد الماء لينلنه (٣) كان محصن الفققي من  
جلساء الحجاج .



من الذى تقول هذه هذا فيه ؟ فوالله إني لأظنها كاذبة ! فنظرت إليه ، ثم ردت عليه ردًا شديدًا ، فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنيًا .

ثم قال لها : سلى ياليلى تُعطى ، قالت : أعطِ ، فمثلك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زد فمثلك زاد فأجل ، قال : لك أربعون ، قالت : زد فمثلك زاد فأكمل ، قال : لك ثمانون ، قالت : زد ، فمثلك زاد فتم ، قال : لك مائة ، واعلمى أنها غنم ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ! أنت أجودُ جوداً ، وأجودُ مجداً ، وأورى زنداً ، من أن تجعلها غنماً . قال : فما هى ؟ ويحك ياليلى ! قالت : مائة من الإبل برُعاتها . فأمر لها بها .

ثم قال : ألك حاجة بعدها؟ قالت : تدفع إلى النابغة الجعدي ، قال : قد فعلت ، وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك ؛ فخرج هارباً عائداً بصيد الملك . فاتبته إلى الشام ، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبته هلى البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة ، فمات بقومس<sup>(١)</sup> .

---

(١) صفح كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

## ٥٦ - الحجاج يخالف سجايه\*

خرج زيد بن شبيب الشيباني في أيام عبد الملك بن مروان ، فظفر به الحجاج<sup>(١)</sup> وبأصحابه ، وجعل يقتل كل مقدور عليه منهم ، فلما كان آخر الأمر قدم إليه رجل منهم ، له سميت<sup>(٢)</sup> ورؤاء وهيئة .

فلما هم الحجاج بقتله سمع ضجةً بالباب ؛ فقال لحاجبه : ماهذه الضجة ؟ قال : نسوة في الباب يسألن الدخول على الأمير . فقال الحجاج : ائذن لهن بالدخول ؛ فدخلن وهن ثلاث وعشرون امرأة ، كلهن أهل بيت هذا الرجل الذي هم الحجاج بقتله ، فقال لهن الحجاج : ما حاجتكن ؟ فتقدمت امرأة منهن فقالت : أصلح الله الأمير ! إن رأيت أن تجود باستماع ما أقول ! فقال لها : قولي ما أحببت ، فقالت :

أحجاجُ إما أن تمنّ بترّكه      علينا وإما أن تُقتلنا ممّا  
أحجاج لو تشهد مقام بناته      وعماته يندبنه الليل أجمعاً  
أحجاج لا تفجع به إن قتلتَهُ      ثماناً وتسعاً واثنين وأربعاً  
فمن رجلٍ دانٍ يقومُ مقامه      علينا فهلاً لا ترذبنه تَضَعُضُماً

فلان الحجاج لقولها ، ووجد رقةً عليهن ، وعفا عنه وأطلقه ، وزاد في عطائه مائة دينار ، وكتب كتاباً إلى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشعرها ، وأنه قدرق لهن ، وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار .

فكتب إليه عبد الملك يحمدّه على ذلك ، وأمره أن يزيدَه مائة أخرى في عطائه .

\* العقد الفريد للملك السعيد : ١١٨ ، المحاسن والمساوي : ٦٠٢ ( طبع ليزج ) .

الستطرف : ١ - ١٩٥

(١) انظر صفحة ٤٣ (٢) السميت : هيئة أهل الخير .

## ٥٧ — أسدٌ عليٌّ وفي الحروب نعمة\*

قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك ؛ فدخل وعليه درع وعمامة سوداء ، وقوس عربية وكفانة ، فبعثت إليه أمُّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، فقالت : مَنْ هذا الأغرابي المُستَلِّم<sup>(١)</sup> في السلاح عندك ، وأنت في غلالة<sup>(٢)</sup> ! فبعث إليها : إنه الحجاج .

فأعادت الرسول إليه ، فقال : تقول لك : والله لأن يَخْلُوَ بك ملكُ الموت أحبُّ إليَّ من أن يَخْلُوَ بك الحجاج ! فأخبره الوليد وهو يمازحه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين : دَعْ منك مُفَاكِهِة النساء بزخرف القول ؛ فإنَّما المرأة ريحانة ، وليست قهرمانة<sup>(٣)</sup> ؛ فلا تُطلِعها على سرِّك ، ومكايدة عدوك .

فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ حاجتي إليك أن تأمره غداً بأن يأتيني مُستَلِّماً ، ففعل ذلك .

وأناه الحجاج ؛ فحجبه ثم أدخلته ولم تأذن له في القعود ، فلم يزل قائماً ، ثم قالت : إيه يا حجاج ! أنت الممتنُّ على أمير المؤمنين بقتال ابنِ الزُّبير وابنِ الأشعث ! أما والله لولا أن الله عَلِمَ أنك شرُّ خَلْقِهِ ما ابتَلَاكَ برمي الكعبة الحرام ،

\* ابن أبي الحديد : ٢ - ٤٠ ، بلاغات النساء : ١٢٤ ، عيون الأخبار : ١ - ١٦٩  
(١) استلَّام الرجل ؛ إذا لبس ما عنده من عدة : رمح وبيضة ومغفر وسيف وفيل .  
(٢) الغلالة : شعار تحت الثوب (٣) القهرمان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الرجل بلفة الفرس .

ولا يقتل ابن ذات النطاقين<sup>(١)</sup> ؛ أوّل مولود في الإسلام .

وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكحة النساء وبلوغ أوطاره ، فإن كنّ يلدن مثلك فما أحقه بالقبول منك ، وإن كن يلدن مثله فهو غير قابل لقولك . أما والله لقد نفّضَ نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائرهن والخلّى من أيديهن وأرجلهن فبيعته في أعطية أهل الشام ، حين كنت في أضيق من القرن<sup>(٢)</sup> ، فقد أظلتك رماحهم ، وأثخنك<sup>(٣)</sup> كفاحهم ، وحين كان أمير المؤمنين أحبّ إليهم من آبائهم وأبنائهم ؛ فأنجأك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه ؛ قاتل الله القاتل حين نظر إليك وسنان غزالة<sup>(٤)</sup> بين كتفيك :

أسدّ علىّ وفي الحروب نعاماً      فتخاه تنفر من صغير الصافر<sup>(٥)</sup>  
هلاكرت على غزالة في الوغى      بل كان قلبك في جوامح طائر  
ثم قالت لجواريتها : أخرجنه ؛ فأخرج !

فدخل على الوليد ، فقال : ما كنت فيه ياحجاج ؟ قال : يا أمير المؤمنين : ماسكت حتى ظننت نفسي قد ذهبت ، وحتى كان بطن الأرض أحبّ إلى من ظهرها ، وما ظننت أن امرأة تبلغ بلاغتها ، وتحسن فصاحتها ! قال : إنها بنت عبد العزيز !

(١) ذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر ، سميت بذلك لأنها شقت نطاقها ليلة خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغار ، فجعلت واحدة لسفرة النبي ، والأخرى عصاً لقربه (٢) القرن هنا : الجعبة من جلود تكون مشقوقة ثم تخرز (٣) أثخن : غلب وقهر (٤) غزالة : امرأة شبيب الخارجي (٥) يقال ناقة فتخاه : ارتفعت أخلافها قبل بطنها ؛ وهو ذم .

## ٥٨ — الشراء عند سكينه بنت الحسين \*

اجتمع الفرزدقُ وجميل وجريـر ونُصيب وكثيرٌ في موسمٍ من المواسـم ، فقال بعضهم لبعض : والله لقد اجتمعنا في هذا الموسم ، وما ينبغي لنا أن نتفرّق إلا وقد تتابعَ لنا في الناس شيءٌ نذْكرُ به . فقال جرير : هل لكم في سُكينه <sup>(١)</sup> بنت الحسين ، نقصدها فنسلمَ عليها ؛ فلعل ذلك يكون سبباً لبعض ما نريد ! فقالوا : امضوا بنا . فمكثوا أياماً ، ثم أذنت لهم ، فدخلوا عليها وقعدت لهم حيث تراهم ولا يرونها ، ثم أخرجت لهم وصيفة لها وضيئة ، وقد رَوّت الأشعار والأحاديث ، فأقرأها كلّ منهم السلام فقالت : أيكم الفرزدق ؟ فقال : هأنذا ، قالت : أنت الذي تقول :

أَبَيْتُ أَمْنِي النَّفْسَ أَنْ سَوْفَ نَلْتَقَى      وَهَلْ هُوَ مَقْدُورٌ لِنَفْسِي لِقَاؤُهَا  
فَإِنْ أَلْقَاهَا أَوْ يَجْمَعُ الدَّهْرُ بَيْنَنَا      ففِيهَا شِفَاءُ النَّفْسِ مِنْهَا وَدَاؤُهَا

قال : نعم ! قالت : قولك أحسنُ من منظرِكَ ! وأنت القائل :

وَدَّعَنِي بِإِشَارَةٍ وَنَحْيَةٍ      وَتَرَكَنِي بَيْنَ الدِّيَارِ قَتِيلًا  
لَمْ أَسْتَطِعْ رَدَّ الْجَوَابِ عَلَيْهِمْ      عِنْدَ الْوَدَاعِ وَمَا شَفَيْنَ غَلِيلًا  
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُهُمْ إِذْ نِمْ يَبْرَحُوا      حَتَّى أُودَّعَ قَلْبِي الْمَحْبُولًا

\* المحاسن والمساوي : ٢٣٤ ( طبع ليزج ) ، مصارع العشاق : ٢٧٢ ، الأغاني : ١٤ - ١٩٦ ( طبعة الساسي ) ، الموشح : ١٥٩

(١) هي سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ كانت برزة من النساء ، تجالس الأجلة من قريش ، ويجتمع عندها الشعراء ، وتزوجت عدة أزواج . وتوفيت سنة ١١٧ هـ .



قال : نعم ، قالت : أحسنت ، أحسنَ اللهُ إليك ! وأنتَ القائل :  
هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً      كَمَا انْقَضَ بَازٍ أَقْتَمُ الرِّيشِ كَامِرُهُ<sup>(١)</sup>  
فَلَمَّا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ نَادَتَا :      أَحْيِ فَيُرْجَى أَمْ قَتِيلٌ نَحَازِرُهُ !  
فَقُلْتُ : ارْفَعُوا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا      وَوَلَّيْتُ فِي أَغْقَابِ لَيْلٍ أَبَادِرُهُ  
قال : نعم ، قالت : سَوَاءٌ لَكَ ! فَمَا دَعَاكَ إِلَى إِفْشَاءِ سِرِّهَا وَسِرِّكَ ! هَلَا سَتَرْتَ  
عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِكَ ! فَضْرَبَ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ ، وَقَالَ : نعم ، فسوءة لي !  
ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت : أَيْتَكُمْ جَرِيرٌ ؟ فَقَالَ : هَإِنَذَا ؛ قالت :  
أَنْتِ الْقَائِلُ :

رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْغَزِيرَ وَلَمْ نَكُنْ      كَمَنْ نَبِلُهُ مُحْرُومَةٌ وَحَبَائِلُهُ  
فَهِيَاتُ هِيَاتُ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ      وَهِيَاتُ حَيٌّ بِالْعَقِيقِ نَوَاصِلُهُ  
قال : نعم ، قالت : أحسنَ اللهُ إليك ، وأنتَ القائل :  
كَانَ عَيُونََ الْمُجْتَائِنِ نَعْرَضَتْ      وَشَمْسًا تَجَلَّى يَوْمَ دَجْنٍ سَحَابُهَا<sup>(٢)</sup>  
إِذَا ذُكِرَتْ لِلْقَلْبِ كَادَ لِذِكْرِهَا      يَطِيرُ إِلَيْهَا وَاعْتَزَاهُ عَذَابُهَا  
قال : نعم ، قالت : أحسنت ! وأنتَ القائل :

سَرَّتِ الْهَمُومُ فَبِتْنَ غَيْرَ نِيَامِ      وَأَخُو الْهَمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامِ  
دُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللَّوَى      وَالْعِيشَ بَعْدَ أَوْلُثِكَ الْأَيَّامِ  
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا      وَقَتَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامِ

---

(١) كسر الطائر جناحيه : إذا ضم منها شيئاً ، وهو يريد الوقوع أو الانقضاء (٢) الدجن : المطر الكثير .

لو كان عَهْدُكَ كالذي حَدَّثَنِي      لَوَصَلْتَ ذاك فكان غير رِمَامٍ  
تُجْرِي السَّوَاكِ على أغْرٍ كأنَّهُ      بَرْدٌ تَحْدَرُ من مُتُونٍ غَمَامٍ

قال : نعم ، قالت : سوءة لك ! جعلتها صائدة القلوب ، حتى إذا أناخت ببابك  
جملت دونها حجاباً ! ألا قلت :

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ القلوب فرحياً      نفسى فداؤك فادْخُلِي بِسَلامٍ  
قال : نعم ! فسوءة لى !

ودخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أَيْكُمْ كَثِيرٌ ؟ فقال : هانذا !  
قالت : أنت القائل :

وَأَعْجَبَنِي ياعزٌّ منك خلَاقٌ      - حسانٌ إذا عُدَّ الخلائقُ - أَرْبَعُ  
دُنُوكِ حتى يطمع الصبُّ في الصِّبَا      وقطْمُكَ أسبابَ الصِّبَا حين تُقْطَعُ  
وَأَنْك لا تدرى غريماً مَطْلَتِهِ      أبْشَدُ إن قاضاك أم يتضرَّعُ !  
وَأَنْك إن واصلت أَعْلَمْتَ بالذى      لديك فلم يُوَجَدْ لك الدَّهْرَ مَطْمَعُ  
قال : نعم ، قالت : أعطاك الله مُنَاكَ ! وأنت القائل :

هنيئاً صريئاً غَيْرَ داهٍ مُخامر      لعزّة من أعراضنا ما اسْتَحَلَّتِ  
فأنا بالدّاعى لعزّة بالجوى      ولا شامتٍ إن نعلُ عزّة زَلَّتِ  
وكنتُ كذى رجلينِ رجلٍ صَحِيحَةٍ      ورجلٍ رَمَى فيها الزَّمانُ فَشَلَّتِ  
قال : نعم ، قالت : أحسن الله إليك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أَيْكُمْ نُصَيْبٌ ؟ فقال : هانذا ،  
قالت : أنت القائل :

ولولا أنت يقال : صَبَا نُصِيبُ لقلت : بِنَفْسِي النَّشَأُ الصَّفَارُ (١)  
قال : نعم ! قالت : أحسنت وكرمت ، إلا أنك صبوت إلى الصفار ، وتركت  
الناهضات بأحمالها .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم جميل ؟ قال : أنا ، قالت :  
أنت القائل :

لقد ذَرَفَتْ عيني وطَالَ سُفُوحُهَا وَأَصْبَحَ مِنْ نَفْسِي سَقِيًّا صَاحِبُهَا  
ألا لَيْتَنَا كُنَّا جَمِيعًا وَإِنْ تَمَتُّ يُجَاوِرُ فِي الْمَوْتَى ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا  
أظَلُّ نَهَارِي مُسْتَهَامًا وَيَلْتَقِي مع الليل رُوحِي فِي الْمَنَامِ وَرُوحُهَا  
فهل لي فِي كِتْمَانِ حُبِّي رَاحَةٌ ! وهل تَنْفَعُنِي بَوَاحَةٌ لَوْ أَبُوحُهَا ؟

قال : نعم ! قالت : بَارِكْ اللهُ عَلَيْكَ ؛ وَأَنْتَ الْقَائِلُ :

خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا هل رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي ؟  
أَيُّتُ مع الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذَوُو فَضْلٍ  
فِيَارِبْ إِنْ تَهْلِكُ بُشَيْنَةٌ لَا أُعِشْ فَوَاقًا (٢) ، وَلَا أَفْرَحُ بِمَالِي وَلَا أَهْلِي  
وِيَارِبْ إِنْ وَقَّيْتَ شَيْئًا فَوْقَهَا حُتُوفَ الْمَنَآيَا، رَبِّ واجمَعْ بِهَا شَمْلِي

قال : نعم ! قالت : أحسنت . أحسن الله إليك ، وَأَنْتَ الْقَائِلُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هل أَيْتَنُ لَيْلَةً بَوَادِي الْقُرَى إِنْ إِيذْنُ لَسَعِيدُ  
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بِشَاشَةٌ وَكُلِّ قَتِيلٍ يَنْهَنُ شَهِيدُ  
وَيَالَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا كُنَّ رُجْمًا وَدَهْرًا تَوَلَّى يَابُشَيْنَ يَعُودُ

(١) النشأ : جمع ناشئ للمذكر والثؤث ، وهو الحدث الذى جاوز حد الصغر .

(٢) فواقا : فترة .

إذا قلتُ : ما بي يا بُثينةُ قاتلي      من الحبُّ قالتُ : ثابتٌ ويزيدُ  
 وإن قلتُ : رُدِّي بعضَ عَقلي أعشُّ به      تنامتُ وقالتُ : ذاك منك بعيدُ  
 فما ذُكِرَ الخِلاَنُ إلا ذُكرتُها      ولا البخلُ إلا قلتُ سوفُ تجودُ  
 فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً      ولا جُهِباً فيما يبيدُ يبيدُ  
 يموتُ الهوى مني إذا مالقيتها      ويحييها إذا فارقتها ويزيدُ  
 قال : نعم ، قالتُ : لله أنت ! جعلتُ لحديثها مَلاحةً وبشاشةً ، وقتيلها شهيداً ،  
 وأنت القاتلُ :

ألا ليتني أعمى أصمُّ تقودني      بثينةُ لا يخفى عليَّ مكانُها  
 قال : نعم ، قالتُ : قد رضيتُ من الدنيا أن تقودك بثينةُ وأنت أعمى أصم !  
 قال : نعم .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، ومعها مَدْهَنٌ فيه غالية<sup>(١)</sup> ، ومنديل فيه  
 كسوة ، وصرةٌ فيها خمسمائة دينار فصبت الغالية على رأس جميل ، حتى سالت على  
 لحيته ، ودفعت إليه الصرة والكسوة ، وقالت : ابسط لنا العذر ؛ أنت أشعرهم ،  
 وأمرتُ لأصحابه بمائة مائة .

(١) الغالية : الطيب .

## ٥٩ — الفرزدق وسكينة بنت الحسين \*

خرج الفرزدق <sup>(١)</sup> حاجاً ؛ فلما قضى حجه عدل إلى المدينة ، فدخل إلى سكينة بنت الحسين ، فسلم ، فقالت له : يا فرزدق ، مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ، أشعرُ منك الذي يقول :

بنفسى مَنْ تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ عَلَى مَنْ زيارته لِمَامُ  
وَمَنْ أُنْسَى وَأُصْبِحَ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَمَ النِّيامُ  
فقال : أما والله لو أذنت لي لأسمعك أحسنَ منه . قالت : أقيموه ؛ فأخرج .  
ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ؛ فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ فقال :  
أنا ، قالت : كذبت ، صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياء لعادني استعبارُ ولزرتُ قبرك والحبيبُ يُزارُ  
كانت إذا هجر الضجيجُ فراشها <sup>(٢)</sup> كتم الحديثُ وعفتِ الأسرار  
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليلٌ يسرُّ عليهم ونهارُ  
فقال : والله لئن أذنت لي لأسمعك أحسنَ منه ، فأمرت به فأخرج .

ثم عاد إليها في اليوم الثالث ، وحوالها مولاتٌ لها كأنهن التماثيل ؛ فنظر  
الفرزدق إلى واحدةٍ منهن فأعجب بها ، وبهت ينظر إليها . فقالت له

---

\* الأغاني : ٨ - ٣٨ ( طبعة دار الكتب ) ، مصارع العشاق : ٧٤ ، المحاسن والمساوى : ٢٣٣ ( طبع ليزج ) .

(١) هو أبو فراس هام بن غالب ، نشأ بالبصرة وأخذه أبوه برواية الشعر وظلمه ، فرواه ونبغ فيه ، وتعرف بولادة البصرة ومدحهم وهجاءهم ، ثم رحل إلى خلفاء بني أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم . مات سنة ١١٠ هـ .

(٢) الضجيج هنا : الزوج ، وهجرها أن يفيب عنها ؛ يصفها بالفاف .



سكينة : يافرزدق من أشعر الناس ؟ قال : أنا ؛ قالت : كذبت ؛ صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إنَّ العيون التي في طرفها مَرَضٌ      قتلنا ثم لم يُحمين قتلانا  
بصر عن ذا اللب حتى لا حراك به      وهنَّ أضعف خلق الله إنسانا

فقال : لئن تركتني لأسمعَنَّك أحسنَ منه ، فأمرت بإخراجه .

فالتفت إليها ، وقال : يا بنت رسول الله ، إن لي عليك حقاً عظيماً . قالت : وما هو ؟ قال : ضربتُ إليك آباط الإبل من مكة إرادة التسليم عليك ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردى ، وتفضيلَ جرير عليّ ، ومنعك إياي أن أنشدك شيئاً من شعري ، وبى ما قد عيلَ منه صبرى ؛ وهذه المنايا تفدو وتروح ، ولعلّ لا أفارق المدينة حتى أموت ، فإذا أنا مت فرى بى أن أدرج في كفى ، ثم أدفن في ثياب هذه الجارية <sup>(١)</sup> .

فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية ، فخرج بها آخذاً بربطها <sup>(٢)</sup> ؛ ثم قالت له : يافرزدق ، احتفظ بها وأحسنْ صحبتها ، فإنى آثرتك بها على نفسى ، بارك الله لك فيها .

قال الفرزدق : فلم أزل والله أرى البركة بدعائها فى نفسى وأهلى ومالى .

(١) يشير إلى الجارية التى أعجبه . (٢) الربطة : الملاءة .

## ٦٠ — يوم عند امرأة من بنى أمية\*

خرج النُصيب هو وكُنَيْز والأحوص<sup>(١)</sup> غِبَّ يوم أمطرت فيه السماء ، فقال :  
هل لكم في أن نركب جميعاً فنسيرَ حتى نأثي العقيقَ ، فنُمتِّعَ فيه أبصارنا ؟ فقالوا :  
نعم ؛ فركبوا أفضلَ ما يقدِرُون عليه من الدوابِّ ، ولبسوا أحسنَ ما يقدِرُون عليه من  
الثياب ، وتكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيقَ ، ففعلوا يتصفَّحُونَ<sup>(٢)</sup> ويرون بعض  
ما يشتهون ، حتى رُفِعَ لهم سوادٌ عظيم فأثموه ، فإذا وصائفُ ورجالٌ من الموالى  
ونساء بارزاتٌ ، فسألنهم أن ينزلوا فاستحيوا أن يُجيبوهنَّ من أول وهلةٍ ؛ فقالوا :  
لا نستطيع أو نمضي في حاجةٍ لنا ، فخلَّفْنهم أن يرَجِعُوا إليهنَّ ، ففعلوا وأتوهنَّ  
فسألنهم النزول فنزلوا .

ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنتُهم ، فلم تلبث أن جاءت المرأة فقالت :  
ادخلوا .

قال النُصيب : فدخلنا على امرأة جميلة برزّة على فرشٍ لها ، فرحبتُ ، وحيَّتْ ؛  
وإذا كرامى موضوعةٌ ، فجلّسنا جميعاً في صفٍّ واحدٍ كلُّ إنسانٍ على كرسيٍّ ،  
فقلت : إن أحييتم أن ندعوَ بصبيٍّ<sup>(٣)</sup> لنا فنُصَيِّحَه ونَعْرُكَ أذنه فعلنا ، وإن شئتم  
بدأنا بالغداء ، فقلنا : بل تدعِين بالصبيِّ ، ولن يفوتنا الغداء .

فأومأت بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يكن إلا كلاً ولا<sup>(٤)</sup> حتى جاءت جارية

\* الأغاني . ١ - ٣٥٦ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله ، شاعر هجاء ، كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وهو من  
سكان المدينة ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه . توفي سنة ١٠٥ هـ . (٢) تصفحت  
الشيء : نظرت إليه لأتعرّفه (٣) تريد المود ؛ على التشبيه (٤) العرب إذا أرادوا تقليل مدة  
فعل أو ظهور شيء خفي قالوا : كان فعله كلاً ، وربما كرروا فقالوا : كلاً ولا . اللسان - مادة «لا» .

جميلةٌ قد سُرَّتْ بِمُطَرَفٍ ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بُهْرُها<sup>(١)</sup> ، ثم كَشِفَ عنها ،  
وإذا جارية ذات جمالٍ ، قريبةٌ من جمال مولاتِها ، فرحبتْ بهم وحيثهم ، فقالت  
لها مولاتُها : خذِي العود ويحك ! وغنى من قول النصيب ، عافى الله أبا محجن !

أَلا هَلْ مِنَ الْبَيْنِ الْمَفَرُّ مِنْ بُدٍّ      وهل مثلُ ألامٍ بِمَنْقَطِ<sup>(٢)</sup> السَّعْدِ !  
تَمَنَيْتُ أَبَايَ أَوْلَىكَ وَالْمَنَى      على عهد عادٍ ما تُعِيدُ<sup>(٣)</sup> ولا تُبْدِي

فَفَنَّتُهُ ، فجاءت به كأحسن ما سمعته قط ؛ بأحلى لفظ وأشجى صوت ، ثم قالت  
لها : خذِي أيضا من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن !

أَرْقَ الْحَبُّ وَعَادَهُ سَهْدُهُ      لَطَوَّارِقِ الْهَمِّ الَّتِي تَرِدُهُ  
وَذَكَرْتُ مِنْ رَقَّتْ لَهُ كَبْدِي      وَأَبَى فَلَيْسَ تَرْقُ لِي كَبْدُهُ  
لَا قَوْمُهُ قَوْمِي ، وَلَا بَلَدِي      - فَنَكُونُ حِينًا جِيرَةً - بَلَدُهُ  
وَوَجَدْتُ وَجْدًا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ      قَبْلِي مِنْ أَجْلِ صِبَابَةٍ يَجِدُهُ  
إِلَّا ابْنَ عَجْلَانَ<sup>(٤)</sup> الَّذِي تَبَلَّتْ      هَنْدٌ فَنَاتِ<sup>(٥)</sup> بِنَفْسِهِ كَدَّهُ

قال : فجاءت به أحسن من الأول ، فكادت أطيروا سرورا ، ثم قالت لها :  
ويحك ! خذِي من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن !

فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ تَمْتَعُ طَوْلَهُ      وهل طائفٌ من نائمٍ مُتَمَتِّعٍ !

(١) البهر في الأصل : انقطاع النفس من الإعياء ، ويراد هنا : الحجل والروع (٢) منقطع  
المكان : حيث ينتهى ، والسعد : موضع قرب المدينة (٣) أى لا قائدة منها (٤) هو عجلان  
ابن عجلان ، شاعر جاهلي عاشق ؛ عشق هند بنت كعب بن عمرو مات في سبيلها ، فضرب المثل  
بمشقه (تزيين الأسواق : ٢ - ٧٦) .  
(٥) أى أن الكمد أهلكه وذهب بنفسه .

نعم إنَّ ذا شَجْوٍ - متى يلقَ شَجْوَهُ      ولوناً مُسْتَقْتَبَ<sup>(١)</sup> أو مودَّعُ  
له حاجةٌ قد طالما قد أَسَرَّها      من الناسِ في صَدْرِ بِها يتصدَّعُ  
تَحْمَلُهَا طُولَ الزمانِ لعلَّها      يكونُ لها يوماً من الدهرِ مَنزَعُ  
وقد قُرِعَتْ في أمِّ عمرو إلى العصا      قديماً ، كما كانت لدى الحِلْمِ تُقَرَّعُ<sup>(٢)</sup>

قال : فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طرّاً بالحسن الفناء ، وسروراً باختيارها  
الفناء في شعري ، وما سمعتُ فيه من حُسن الصَّنْعة وجودتها وإحكامها . ثم قالت  
لها : خذِي أيضاً من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن :

يأيُّها الرّكبُ إني غيرُ تابعكم      حتّى تُلهُوا وأتم بي مُلهونا  
فما أرى مثلكم ركباً كَشَكْلِكُمْ      يدعوهم ذو هوى إلا يعوجُّونا  
أم خبروني عن دأبي بعلكم      وأعلمُ الناسِ بالداءِ الأطبُّونا<sup>(٣)</sup>

قال نصيب : فوالله لقد زُهيتُ بما سمعت زهواً ، خيل إلى أني من قريش ،  
وأن الخلافة لي ، ثم قالت : حَسْبُكَ يا بُنَيَّةَ ، هاتِ الطعام يا غلام ؛ فوثب الأصوصُ  
وكثيّرٌ ، وقالوا : والله لا نَظْمَ لكِ طعاماً ، ولا نَجاسَ لكِ في مجلس ، فقد أسأتِ  
عِشْرَتَنَا واستخففتِ بنا ، وقدّمتِ شعر هذا على أشعارنا ، واستمعت الفناء فيه ؛  
وإن في أشعارنا لَمَّا يَفْضُلُ شعره ، وفيها من الفناء ما هو أحسنُ من هذا ، فقالت :  
على معرفة كلِّ ما كان مني !

(١) الاستقتاب : طلب العتي وهو الرضا (٢) يشير إلى المثل : « إن العصا قرعت لدى  
الحلم » بضرب لمن إذا نه انتبه ، والمعنى أنه قد ليم قديماً في حبها (٣) الأطبون : البارعون  
في الطلب .

ثم خرجا مُفْضَيْنِ واحتَبَسَنِي . فتَفَدَّيتُ غَندها ، وأَمَرْتُ لِي بِثَلَاثَةِ دِينَارٍ  
وَحُلَّتَيْنِ وَطِيبٍ ، ثم دَفَعْتُ إِلَى مَائَتِي دِينَارًا ، وَقَالَتْ : ادْفَعِهَا إِلَى صَاحِبِيكَ ، فَإِنْ  
قَبَّلَهَا وَإِلَّا فَهِيَ لَكَ .

فَأَتَيْتُهُمَا مَنَازِلَهُمَا فَأَخْبَرْتُهُمَا الْقِصَّةَ ، فَأَمَّا الْأُحُوصُ فَقَبَّلَهَا ، وَأَمَّا كَثِيرٌ فَلَمْ يَقْبَلْهَا  
وَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ صَاحِبَتَكَ وَجَائِزَتَهَا وَلَعَنَكَ مَعَهَا ، فَأَخَذَتْهَا وَانصَرَفَتْ .

قَالَ الرَّاوِي : فَسَأَلْتُ النَّصِيبَ : مِمَّنِ الْمَرْأَةُ ؟ قَالَ : مِنْ بَنِي أُمِّيَّةَ ، وَلَا أَذْكَرُ  
اسْمَهَا مَا حَيَّتُ لِأَحَدٍ .



## ٦١ — حديث عائشة بنت طلحة مع النميري\*

لما تَأَيَّمَتَ<sup>(١)</sup> عائشةُ بنتُ طلحة كانت تقيم بمكة سنةً وبالمدينة سنةً؛ وتخرج إلى مالٍ<sup>(٢)</sup> عظيم لها بالطائف، وقصرٍ كان لها هناك فتتَزَّه فيه، وتجلس بالعشيات، فيتناضلُ بين يديها الرُّمَّة .

فمرَّ بها النميريُّ الشاعرُ<sup>(٣)</sup>، فسألتُ عنه فنُسب لها، فقالت : اثْنُونِي به فَأَتَوْهَا به . فقالت له : أَنشِدْنِي مِمَّا قُلْتَ فِي زَيْنَب<sup>(٤)</sup>؛ فامتنع عليها وقال : تلك ابنةُ عمِّي ، وقد صارت عظاماً بالية ، قالت : أقسمتُ عليك بالله إلا فعلتَ ؛ فأنشدها قوله :

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بطنُ نَعمانٍ<sup>(٥)</sup> إذ مَشَتْ      به زَيْنَبُ في نِسْوَةٍ عَطِرَاتِ  
تَهَادَيْنَ ما بينَ المَحْصَبِ<sup>(٦)</sup> مِن مِّنِي      وأَقْبَلْنَ لا شُكْماً ولا غَبِرَاتِ  
أَعَانَ الَّذِي فوقَ السَّمَوَاتِ عَرْشُهُ      مَوَاشِيََ بالبَطْحَاءِ مُوتَجِرَاتِ<sup>(٧)</sup>  
صَرَزْنَ بَفَخٍ<sup>(٨)</sup> ، ثم رُحْنَ عَشِيَّةً      يَلْبَسِينَ للرحمنِ مُعْتِمِرَاتِ

\* الأغاني . ٦ - ٢٠٣ ( طبعه دار الكتب )

(١) تأيَّمت المرأة : إذا مات عنها زوجها ولم تزوج . وقد كانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر فهلك عنها فتزوجها بعده مصعب بن الزبير فقتل عنها ، ثم تزوجها عمر ابن عبد الله بن معمر ، فمات عنها ، فلم تزوج بعده . توفيت سنة ١١٠ (٢) المال : ما ملكه الإنسان من كل شيء . (٣) هو محمد بن عبد الله ، من ثقيف ، شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية . توفي سنة ٩٠ هـ . (٤) هي زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج الثقفي ، وللنميري فيها أشعار كثيرة : شبيب بها في حياتها وراثها بعد موتها (٥) بطن نعمان : موضع بين مكة والطائف (٦) المحصب : موضع بين مكة ومنى (٧) مؤنجرات : طالبات للأجر (٨) فخ : موضع ؛ بينه وبين مكة ثلاثة أميال .

يَخْبُئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى وَيَقْتُلْنَ بِالْأُلْحَاطِ مُقْتَدِرَاتِ  
تَقْسَمَنَّ لِي يَوْمَ نَعْمَانِ إِنِّي رَأَيْتُ فَوَادِي عَارِمٍ <sup>(١)</sup> النَّظَرَاتِ  
جَلَوْنَ وَجُوهَهَا لَمْ تَلَحْهَا سَمَائِمٌ حَرُورٌ ، وَلَمْ يُسْقَنْ بِالسَّيَرَاتِ <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

وَلَمَّا رَأَتْ رَكِبَ النَّمِيرَى رَاعَهَا وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذَرَاتِ  
فَأَذْنَيْنِ حَتَّى جَاوَزَ الرِّكْبُ دُونَهَا حِجَابًا مِنَ الْقَسَى <sup>(٣)</sup> وَالْحَبَرَاتِ  
فَكِدْتُ اشْتِيَاقًا نَحْوَهَا وَصَبَابَةً تَقَطَّعُ أَنْفَاسِي إِثْرَهَا حَسَرَاتِ  
فَرَاغْتُ نَفْسِي وَالْحَفِيزَةَ بَعْدَهَا بَلَلْتُ رِداءَ الْعَصَبِ <sup>(٤)</sup> بِالْعَبَرَاتِ <sup>(٥)</sup>

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا قُلْتُ إِلَّا جَمِيلًا ، وَلَا ذَكَرْتُ إِلَّا كَرَمًا وَطِيبًا ، وَلَا وَصَفْتُ  
إِلَّا دِينَارًا وَتَقَى ! أَعْطَوْهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

فَلَمَّا كَانَتْ الْجُمُعَةُ الْآخَرَى تَعَرَّضَ لَهَا ؛ فَقَالَتْ : عَلَيَّ بِهِ ، فَأَحْضَرَ . فَقَالَتْ لَهُ :  
أُنْشِدْنِي مِنْ شَعْرِكَ فِي زَيْنَبَ ، فَقَالَ لَهَا : أَوْ أُنْشِدُكَ مِنْ شَعْرِ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ  
فِيكَ ؟ فَوُثِبَ مَوَالِيهَا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَتْ : دَعُوهُ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقِيدَ <sup>(٦)</sup> لِبَنَتِ عَمِّهِ ؛  
هَاتِ يَمًّا قَالَ الْحَارِثُ فِي فَاُنْشِدْهَا <sup>(٧)</sup> :

(١) عَارِمُ النَّظَرَاتِ : شَدِيدُهَا (٢) لَاحَتُهُ الشَّمْسُ : لَفَحَتُهُ وَغَيْرُ وَجْهِهِ ، وَالسَّمَاءُ : جَمْعُ  
سَمُومٍ وَهِيَ رِيحٌ حَارَةٌ ، وَسَفَعَتُهُ : غَيْرَتُهُ . وَالسَّيَرَاتِ : جَمْعُ سَبْرَةٍ وَهِيَ شِدَّةُ الْبَرْدِ (٣) الْقَسَى :  
نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ ، وَالْحَبَرَاتِ : ضَرْبٌ مِنَ بَرُودِ الْيَمَنِ (٤) الْعَصَبُ : بَرُودٌ يَصْبِغُ غَزْلَهَا ثُمَّ تَنْسَجُ  
(٥) رَوَى أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ حِينَمَا بَلَغَتْ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ كَتَبَ إِلَى الْحِجَاجِ : « قَدْ بَلَغَنِي  
قَوْلُ الْحَبِيثِ فِي زَيْنَبَ ، فَالَهُ عَنْهُ ، وَأَعْرِضْ عَنِ ذِكْرِهِ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أَدْنَيْتَهُ أَوْ عَاتَبْتَهُ أَطْمَعْتَهُ ،  
وَإِنْ عَاتَبْتَهُ صَدَقْتَهُ » (٦) يَأْخُذُ بِثَأْرِهَا (٧) قَالَ الْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ هَذِهِ الْآيَاتُ حِينَ تَزَوَّجَ  
مُصَافٍ مِنَ الزَّبِيرِ عَائِشَةَ ، وَرَحَلَ بِهَا إِلَى الْعِرَاقِ . وَالْحَارِثُ بْنُ خَالِدٍ : أَحَدُ شُعْرَاءِ قُرَيْشِ  
الْمَعْدُودِينَ الْغَزَلِينَ ، وَكَانَ يَذْهَبُ مَذْهَبَ عُمَرَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ فِي شَعْرِهِ ، لَا يَتَجَاوَزُ الْغَزَلَ إِلَى الْمَدِيعِ  
وَالْهَجَاءِ إِلَّا نَادِرًا .

ظَمَنَ الأميرُ بأحسنِ الخلقِ      وغدا بلبك مَطْلَعُ الشَّرْقِ  
 فِي البيتِ ذِي الحَسْبِ الرَفِيعِ وَمِنْ      أَهْلِ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالصَّدْقِ  
 مَا صَبَّحَتْ أَحَدًا بِرُؤْيَيْهَا      إِلَّا غدا بِكَوَاكِبِ الطَّلَقِ<sup>(١)</sup>

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا ذَكَرَ إِلَّا جَمِيلاً ؛ ذَكَرَ أَنِّي إِذَا صَبَّحْتُ زَوْجِي بِوَجْهِ غدا  
 بِكَوَاكِبِ الطَّلَقِ ، وَأَنِّي غَدَوْتُ مَعَ أَمِيرِ تَزَوُّجِنِي إِلَى الشَّرْقِ ، وَأَنِّي أَحْسَنُ الْخَلْقِ  
 فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسْبِ الرَفِيعِ ؛ أَعْطَوْهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَاكْسُوهُ حَلَّتَيْنِ ، وَلَا تَعُدَّ لِإِتْيَانِنَا  
 بَعْدَ هَذَا يَا نَمِيرَى .

---

(١) يُقَالُ : يَوْمَ طَلَقَ ؛ أَيِ مَشْرِقِ مُتَعَدِّلٍ ، وَهُوَ يُرِيدُ : أَنْ مِنْ تَصَبُّحِهِ بِرُؤْيَيْهَا يَرَى الْيَوْمَ  
 طَبِئاً سَمِيداً .

## ٦٢ — أتريد أن تقتلني ! \*

أقبل أبو العباس السفاح<sup>(١)</sup> على أخى أم سلمة<sup>(٢)</sup> بنت يعقوب، فسأله التزويج بها فزوجه إياها ، فأصدقها خمسمائة دينار ، وأهدى مائتي دينار ، ودخل عليها من ليلته ، وحظيت عنده ، وحلف ألا يتزوج عليها ولا يتسرى ، وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطعُ أمراً إلا بمشورتها وبأمرها ، ثم أفضت الخلافةُ إليه ، فوقى لها بما حلف .

فلما كان ذات يوم في خلافته خلا به خالد بن صفوان ؛ فقال : يا أمير المؤمنين إني فكرت في أمرك ، وسعة ملكك ، وقد ملكت نفسك امرأة واحدة ، فإن مرضت مرضت ، وإن تألمت ألمت ، وحرمت نفسك الجوارى ، والتمتع بما تشهى منهن ؛ فإن منهن — يا أمير المؤمنين — الطويلة الغيداء<sup>(٣)</sup> ، وإن منهن الفضة ، والدقيقة السمراء ، من مولدات المدينة ؛ ولورأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء ، والسمراء اللساء<sup>(٤)</sup> ، من مولدات البصرة والكوفة ، وذوات الألسن المذنة والقُدود المهففة ، وحسن زيهن وزينتهن ، وشكلهن لرأيت شيئاً حسناً .

\* المحاسن والمساوى : ٤٣٠ ( طبع ليزج ) ، ثمرات الأوراق : ٢ - ٢٩٢ ، السعوى :

٢ - ٢١٥ .

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، رأس الدولة العباسية . بوبع بالخلافة سنة ١٣٢ ومات سنة ١٣٦ (٢) كانت عند عبد العزيز بن الوليد فهلك عنها ، ثم كانت عند هشام فهلك عنها (٣) الغيداء : اثنتان ليناً (٤) اللص : سواد مشرب بحمرة .  
( ١١ - قصص العرب - ثان )

وَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنَاتِ الْأَحْرَارِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُنَّ مِنَ  
الْحَيَاءِ وَالتَّخَفُّرِ !

وَجَمَلُ خَالِدٍ يَجِيدُ فِي الْوَصْفِ ، وَيَجِدُ فِي الْإِطْنَابِ ، بِحُلَاوَةِ أَفْظَلِهِ وَجُودَةٍ  
وَصِفِهِ .

فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ : وَيْحَكَ يَا خَالِدُ ! مَا صَدَّكَ مَسَامِي - وَاللَّهِ - قَطَّ  
كَلَامٍ أَحْسَنُ مِمَّا سَمِعْتَهُ ، فَأَعِدْ عَلَيَّ كَلَامَكَ ؛ فَقَدْ وَقَعَ مِنِّي مَوْعِدًا . فَأَعَادَ عَلَيْهِ خَالِدُ  
الْكَلَامَ أَحْسَنَ مِمَّا ابْتَدَأَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ .

وَبَقِيَ أَبُو الْعَبَّاسِ مُفَكِّرًا فِيمَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سَلَمَةَ امْرَأَتُهُ . وَكَانَتْ  
تَبْرَهُ كَثِيرًا ، وَتَتَحَرَّى مَسَرَّتَهُ وَمُوَافَقَتَهُ فِي جَمِيعِ مَا أَرَادَهُ - فَقَالَتْ لَهُ : إِنِّي  
لَأُنْكِرُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَهَلْ حَدَثَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ ؟ أَوْ أَتَاكَ خَبَرٌ فَارْتَمَتْ لَهُ ؟  
قَالَ : لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ !

قَالَتْ : فَمَا قَصَصْتَكَ ؟ فَجَمَلَ يَنْزَوِي عَنْهَا ؛ فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى أَخْبَرَهَا بِمَقَالَةِ خَالِدٍ لَهُ ،  
فَقَالَتْ : فَمَا قُلْتَ لَهُ ؛ إِنَّهُ ... قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ يَنْصَحْنِي وَتَشْتَمِينِي !

فَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهِ مَغْضِبَةً ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى خَالِدٍ بَعْضَ خَدَمِهَا ، وَأَمَرَتْهُمْ أَلَّا  
يَتْرَكُوا مِنْهُ عَضْوًا صَحِيحًا .

قَالَ خَالِدٌ : فَانْصَرَفْتُ إِلَى مَنْزِلِي ، وَأَنَا مُسْرُورٌ بِمَا رَأَيْتُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛  
وِإِعْجَابِهِ بِمَا أَلْقَيْتَهُ إِلَيْهِ . وَلَمْ أَشْكُ أَنْ صَلَّتْهُ سِتَاتِنِي ، فَلَمْ أَلْبِثْ حَتَّى صَارَ إِلَيَّ  
أُولَئِكَ الْخَدَمُ ، وَأَنَا قَاعِدٌ عَلَى بَابِ دَارِي ؛ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ قَدْ أَقْبَلُوا نَحْوِي أَيْقَنْتُ  
بِالْجَائِزَةِ ، حَتَّى وَقَفُوا عَلَيَّ ؛ فَسَأَلُونِي ؛ فَقُلْتُ : هَإِنَذَا خَالِدٌ ؛ فَسَبَقَ إِلَيَّ أَحَدُهُمْ



بهرأوة كانت معه ، فلما أهوى بها إلى وثبت فدخلت منزلى ، وأغلقت الباب على واستترت ، ومكثت أياماً على تلك الحال لا أخرج من منزلى ، ووقع فى خلدى أنى أتيت من قبل أم سلمة .

وطلبنى أبو العباس طلباً شديداً ، فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم قد هجموا على وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأبقت بالموت .

ولما وصلت إلى الدار أوماً إلى بالجلوس ، ونظرت فإذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أرخيت ، وحركة خلفها ! فقال : يا خالد : لم أرك منذ ثلاث . قلت : كنت عليلًا يا أمير المؤمنين : قال : ويحك ! إنك وصفت لى فى آخر دخلة من أمر النساء والجوارى ما لم يخرق مسامى قط ؛ فأعده على .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب اشتقت الضرّة من الضر ، وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلا كان فى جهد<sup>(١)</sup> ، فقال : ويحك ! لم يكن هذا فى الحديث ، قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأخبرتكم أن الثلاث من النساء كائنات<sup>(٢)</sup> القدر يظلى عليهن . قال أبو العباس : برئت من قرابتى من رسول الله إن كنت سمعت هذا منك فى حديثك ! قلت : وأخبرتكم أن الأربعة من النساء شرٌ لصاحبهن يُشَيَّبَنَهُ وَيُهَرَّ مِنْهُ وَيُسْقَمَنَهُ . قال : ويلك ! والله ما سمعت هذا لكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت . قلت : بلى والله ، قال : وتلك ! أوتكذبنى ! قلت : وتريد أن تقتلنى يا أمير المؤمنين !

(١) الجهد : المشقة (٢) الأثاق : جمع أئفة : وهى ما يوضع عليه القدر .

قال خاله : فسمعت الضحك من وراء الستر : قلت : نعم ، وأخبرتكم أيضاً أن  
بنى مخزوم ربحانة قريش ، وأنت عندك ربحانة من الرياحين ، وأنت تطعم بصينيك  
إلى حرائر النساء وغيرهن من الإماء .

فقبل لي من وراء الستر : صدقت والله يا عمّاه وبررت ، بهذا حدثت أمير  
المؤمنين ، ولكنه بدل وغير ، ونطق عن لسانك !

فقال أبو العباس : مالك قاتلك الله وأخزأك ، وفعل بك وفعل !  
فتركته وخرجت ، وقد أيقنت بالحياة ، فما شعرت إلا برسول أمّ سلمة قد صاروا  
إليّ ، ومعهم عشرة آلاف درهم ونخت<sup>(١)</sup> وبرذون وغلّام .

---

(١) النخت : وعاء يمان فيه الثياب .

### ٦٣ — بعد أن ذهب الملك\*

كانت الخيزران<sup>(١)</sup> أم الهادي والرشيد في دارها ، وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم ؛ فبينما هي كذلك إذ دخلت عليها جارية من جواربها ، فقالت : أعز الله انسيده ! بالباب امرأة ذات حسن وجمال ، في أطمار رثة ، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية ، تأتي أن تُخبر باسمها ، وهي تروم الدخول .

فقالت الخيزران للجارية : أدخلها ، فإنه لا بد من فائدة أو ثواب ، فدخلت امرأة ذات بهاء وجمال ، في أطمار رثة ؛ فوقفت بجانب عضادة الباب ثم سلمت متضائلة ، وتسكمت فأوضحت عن بيان واسان . فقالت : من أنت ؟

قالت : أنا مزنة زوج مروان بن محمد ، وقد أصرني الدهر إلى ما ترين ، ووالله ما الأطمار الرثة التي على إلا عارية ، وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأمر ، وصار لكم دوننا لم نأمن مخالطة العامة — على ما نحن فيه من الضرر — على بادرّة إلينا تزيل موضع الشرف ؛ فقصدنا كم لنكون في حجابكم على أية حال كانت ؛ حتى تأتي دعوة من له الدعوة .

\* ثمرات الأوراق : ١ - ٢١٨ ، السعدي : ٢ - ٢٤٩ .

(١) هي زوجة المهدي العباسي ، وأم الهادي والرشيد ، يمانية الأصل ، ولما ولي ابنها الهادي استبدت بالأمر دونه ، فكانت الواكب تغدو وتروح إلى بابها فنحها الهادي من ذلك . وكانت حازمة ، توفيت في خلافة الرشيد سنة ١٨٣ .

فاغرورقت عينا الخيزران بالدموع ، ونظرت إليها زينب<sup>(١)</sup> بنت سليمان بن  
علي فقالت : لا خففَ الله عنك بامْرُئَةٍ ! أتذكر بن وقد دخلتُ إليك وأنت على هذا  
البساط بعينه ، فكلمتُك في جنة إبراهيم الإمام ، فاتهرتِ تيني ، وأمرت بإخراجي ،  
وقلت : ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم ! فوالله لقد كان مروانُ أَرْغَى  
للحق منك ! لقد دخلتُ إليه فحلف إنه ما قتله - وهو كاذب - وخبرني بين أن  
يدفنه ، أو يدفعَ إلى جُثته ، وعرض على مالا فلم أقبله .

فقالت مزنة : والله ما أداني إلى هذه الحال التي ترينها إلّا تلك الفصال التي  
كانت مني ، وكأنك استحسنيتها ، فخرشت الخيزران على مثلها ؛ إن لم يكن يجب أن  
تمضيها على فعل الخير ، وتركِ المقابلة بالشر ؛ لتُحَرِّزَ بذلك نعيمها ، وتصونَ دينها  
ثم قالت لزينب : يا بنت عم ؛ كيف رأيت صنيع الله بنا في العقوق ، أفأحببت التأمي  
بنا ! ثم ولت باكية .

فأشارت الخيزران إلى جارية من جواربها ، فعدلت بها إلى بعض المقاصير ،  
وأمرت بتغيير حالها والإحسان إليها .

فلما دخل المهدي عليها - وقد انصرفت زينب - قصّت الخيزران عليه قصتها ،  
وما أمرت به من تغيير حالها ؛ فدعا بالجارية التي رددتها ، فقال لها لما رددتها إلى  
المقصورة : ما الذي سمعتها تقوله ؟ قالت لحقتها : وهي تبكي في خروجها ، وتقرأ :  
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ  
مَكَانٍ ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا  
يَصْنَعُونَ ﴾ .

(١) كان المهدي قد تقدم إلى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان ، وقال لها : اتبسي من آدابها ،  
وخذي من أخلاقها ، فإنها عجوز لنا قد أدركت أوائلنا .

ثم قال للخيزران : والله لو لم تفعل بها ما فعلت ما كنتك أبداً ، وبكى بكاء  
كثيراً ، وقال : اللهم إني أعوذ بك من زوال النعمة !

ثم بعث جارية إلى مقصورتها التي أخليت لها ، وقال للجارية : اقرئي عليها  
السلام ، وقرئي لها : يا بنت عم ؛ إن أخواتك قد اجتمعن عندي ، ولولا أني ابن  
هك لجئتاك !

فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدي ، فجاءت تسحب أذيالها فأمرها بالجلوس ،  
ورحب بها ورفع منزلتها .

ثم تذكروا أخبار أسلافهم ، وأيام الناس والدولة وتنقلها ؛ فتركت لأحد في  
المجلس كلاماً !

فقال لها المهدي : يا بنت عم ؛ والله لولا أني لا أحب أن أجعل لقومي أنت  
منهم في أمرنا شيئاً لنزوجتك ، ولكن لا شيء أضون لك من حجابي ، وكونك  
مع أخواتك في قصرى ؛ لك ما هنّ ، وعليك ما عليهنّ ، إلى أن يأتيك أمر من  
له الأمر فيما حكم به على الخلق .

ثم أخذ معها<sup>(١)</sup> وأجازها ، فأقامت في قصره إلى أن قضى المهدي والهادي ،  
ومضى صدر من أيام الرشيد وماتت في خلافته ؛ فجزع عليها جزعاً شديداً .

---

(١) أخدمت فلانا . أعطيته خادماً يخدمه .



## ٦٤ — أم أمير المؤمنين بالباب \*

كانت أم جعفر<sup>(١)</sup> بن يحيى أَرْضَعَت الرَشِيدَ<sup>(٢)</sup> مع جعفر ، لأنه كان رُبِّيَّ في حِجْرِهَا ، وَغَذَّى بِرِسْلِهَا<sup>(٣)</sup> إِذْ أَنْ أُمِّهِ مَاتَتْ عَنْ مَهْدِهِ ، فَكَانَ الرَشِيدُ يَشَاوِرُهَا ، مُظْهِراً لِأَكْرَامِهَا ، وَالتَّبَرُّكَ بِرَأْيِهَا . وَكَانَ آتِي — وَهُوَ فِي كِفَالَتِهَا — أَلَا يُحْجِبُهَا ، وَلَا اسْتَشْفَعَتْهُ لِأَحَدٍ إِلَّا شَفَعَهَا ، وَآلَتْ عَلَيْهِ أُمُّ جَعْفَرٍ أَلَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ إِلَّا مَأْذُونًا لَهَا ، وَلَا شَفَعَتْ لِأَحَدٍ مَقْتَرَفَ ذَنْبًا ، فَكَمْ أُسِيرَ فَكَّتْ ، وَمُبْتَهَمٌ عِنْدَهُ فَتَحَتْ ، وَمُسْتَغْلَقٌ مِنْهُ فَرَّجَتْ !

وَتَغَيَّرَ الرَشِيدُ عَلَى الْبِرَامِكَةِ<sup>(٤)</sup> ، فَقَتَلَ جَعْفَرًا ، وَسَجَنَ يَحْيَى وَالْفَضْلَ ، وَسَجَنَ مَعَهُمَا أَقَارِبَهُمَا ، وَاسْتَصْنَى ضِيَاعَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ . ثُمَّ احْتَجَبَ عَنِ النَّاسِ ، فَسَمَتْ إِلَيْهِ أُمُّ جَعْفَرٍ ، وَطَلَبَتْ الْإِذْنَ عَلَيْهِ وَمَتَّتْ<sup>(٥)</sup> بَوْسَائِلَهَا إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَأْذَنْ لَهَا ، وَلَا أَمَرَ بِشَيْءٍ فِيهَا ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ بِهَا خَرَجَتْ كَاشِفَةً وَجْهَهَا ، وَاضْعَةً لثَامَهَا ، مُحْتَفِيَةً<sup>(٦)</sup> فِي مَشْيِهَا ، حَتَّى صَارَتْ بِيَابَ قَصْرِ الرَشِيدِ .

فَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ الْفَضْلِ الْحَاجِبَ ، فَقَالَ : خَطِرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَابِ ، فِي حَالَةٍ تَقْلِبُ شِمَاتَةَ الْحَاسِدِ ، إِلَى شَفَقَةِ أُمِّ الْوَاحِدِ . فَقَالَ الرَشِيدُ : وَيَحْكُ يَا عَبْدَ الْمَلِكِ !

\* العقد الفريد . ٣ — ٣٣ .

(١) هي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قعطبة (٢) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي ، كان ديناً محافظاً كثير الجهاد ، وافر العطاء ؛ تولى سنة ١٩٣ هـ (١٠٠٠) الرسل : اللب .

(٤) كانت نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ ؛ بعد عودة الرشيد من الحج

(٥) متت : توسلت (٦) احتفى : مضى حافياً .

أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين وحافية ! قال : أدخلها يا عبد الملك ، فرب كبد غدتها ، وكربة فرجتها ، وعورة سترتها ! .

ودخلت ، فلما نظر الرشيد إليها داخلة محتفية ، قام محتقياً حتى تلقاها بين عمد المسجد ، وأكب على تقبيل رأسها ، ثم أجلسها معه ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ أيعدو علينا الزمان ، ويحفونا خوفاً لك الأعوان ، ويحردك<sup>(١)</sup> بنا البهتان ، وقد ربيتك في حجرى ، وأخذت برضاعك الأمان من عدوى ودهرى ؛ فقال لها : وماذا يا أم الرشيد ؟ قالت : ظنرك<sup>(٢)</sup> يحمى وأبوك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ؛ من نصيحتة له ، وإشفاقه عليه . . .

فقال لها : يا أم الرشيد ، أمر سبق ، وقضاء حم<sup>(٣)</sup> ، وغضب من الله نفذ . فقالت : يا أمير المؤمنين ﴿ يَمْخُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثَبُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ . فقال : صدقت ، فهذا مما لم يَمْخَهُ الله . فقالت : الغيب محبوب عن البين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؛ فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْقَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ<sup>(٤)</sup>  
فَقَالَتْ بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ : مَا أَنَا لِيَحْيِي بِتَمِيمَةٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ<sup>(٥)</sup> :  
وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ  
هَذَا بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ الْفَيْضَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ  
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(١) يحردك : يفضبك (٢) الظئر : من يضطرب على ولد غيره . للذكر والاني .  
(٣) حم : نزل ووقع (٤) التمية : خروزة كان العرب في جاهليتهم يملقون العمد منها على أولادهم وقاية لهم من المين ، والبيت لأبي ذؤيب (٥) البيت للأخطل .

فأطرق الرشيد ثانية ، ثم قال : يا أم الرشيد ، أقول :  
إذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تنكد<sup>(١)</sup> إليه **وَجاءه** آخر الدهر تُقبل  
فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهو يقول أيضاً<sup>(٢)</sup> :

سَتَقَطُّعُ فِي الدُّنْيَا - إِذَا مَا قَطَعْتَنِي - بِمِيتِكَ ، فَانْظُرْ أَيَّ كَفٍّ تَبْدُلُ !

فقال هارون : رضيت ! فقلت : هَبْهُ لِي يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَرَكَ شَيْئًا ، لَمْ يُوجِدْهُ اللَّهُ لِفَقْدِهِ » ، فأكب<sup>(٣)</sup> مليًا ،  
ثم رفع رأسه وقال : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ . فقلت : يا أمير المؤمنين ،  
﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ،  
واذكر يا أمير المؤمنين أَلَيْتَكَ<sup>(٤)</sup> : مَا اسْتَشْفَعْتُ إِلَّا شَفَعْتَنِي ! فقال : واذكرى  
يا أم الرشيد أَلَيْتَكَ إِلَّا شَفَعْتَ لِمَقْتَرَفِ ذَنْبًا . فلما رآته قد صرَّح بمنعها ، ولأذ عن  
مطلبها ، أخرجت حُفًّا من زُرْمُودٍ خضراء فوضعت بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا؟  
ففتَحْتُهُ ، وأخرجت منه ذوائبه وثناياه ، وقد غَمَسَتْ جميع ذلك في المسك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، أَسْتَشْفَعُ إِلَيْكَ ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ ، وبما صار  
معى من كريم جسدك ، وطيب جوارحك أن تشفعنى فى عبدك يحبى .

فأخذ هارون ذلك ، ولثمه ، ثم بكى طويلا ، فأبكى أهل المجلس ، وذهب  
البشير إلى محبى وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ورجوع عنه . فلما أفاق رعى  
جميع ذلك فى الحَقِّ ، وقال لها : لَحَسَنٌ مَا حَفَظْتَ الْوَدِيعَةَ . فقلت : وأهل  
للكفاة أنت يا أمير المؤمنين .

(١) هذا البيت والنسب قبله لمن بن أوس . (٢) الآية : الحلقة .

فسكت وأقبل أليتي ، ودفعه إليها ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا  
الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ . فقالت : والله يقول : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ  
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ، ويقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ . ثم قال : وما  
ذاك يا أمّ الرشيد ؟ قالت : أو ما أقست ألا تحبيني ولا تتمهني .

فقال : أحب يا أمّ الرشيد أن تبينيني ذلك محكمة فيه . فقالت : أنصفت  
يا أمير المؤمنين ، وقد فعلتُ غير مستقيمة لك ، ولا راجعة إليك . فقال : بكم ؟  
قالت : برضاك ممن لم يُسْخِطْكَ . فقال : يا أمّ الرشيد ؛ أمانى من الحق عليك  
مثل الذى له ا قالت : بلى ا أنت أمرتُ على وهو أحبُّ إلى . قال : فتحكى فى تمنية  
بغيره . فقالت : قد وهبتُك وجعلتك فى حلٍ منه ؛ وقامت عنه غضبى ، وبقي  
مبهوتا ، ما يُحير لفظه .

## ٦٥ - كريم يجمع بين زوجين \*

قال إبراهيم بن ميمون : حججتُ في أيام الرشيد<sup>(١)</sup> ، فبينما أنا بمكة أجول في سلكها إذا أنا يسوداء قائمة ساهية ، فأنكرتُ حالها ، ووقفت أنظر إليها ، فكنتُ كذلك ساعةً ثم قالت :

أعمرُّو علامَ تَجَنَّبَتْنِي      أخذتُ فؤادى فعدُّتُنِي !  
فلو كنتُ يا عمرو خَيْرَتْنِي      أخذتُ حذارى فما نِلْتُنِي

فدنوت منها ، فقلت : يا هذه ؛ مَنْ عمرو ؟ فارتاعت من قولى ، وقالت : زوجى . فقلت : وما شأنه ؟ قالت : أخبرنى أنه يهوانى وما زال يدس إلى ، ويلقى بى فى كُلِّ طريق ، ويشكو شدةَ وَجْدِهِ حتى تزوجنى ، فلبث معى قليلاً ، وكان له عندى من الحبِّ مثل الذى كان لى عنده ، ثم مضى إلى جُدة ، وتركنى قلت : صفيه لى ، فقالت : أحسنُ من تراه ، وهو أسمرُّ حلوظريف .

قلت : فخبرينى ، أنحبين أن أجمع بينكما ؟ قالت : فكيف لى بذلك ! وظننتى أهزل بها .

فرسبتُ راحلتى ، وصرت إلى جُدة ، فوقفت فى المرقى أتبهَّـرُ منْ يعمل فى السفن ، وأصوَّت<sup>(٢)</sup> يا عمرو ! يا عمرو ! فإذا به خارجٌ من سفينة وعلى عنقه صَنَـيْ<sup>(٣)</sup> ، فمرفته بالصفة .

\* مصارع العشاق : ١٥٩ .

(١) انظر صفحة ١٦٢ (٢) أصوت : أنادى (٣) الصن : شبه السلة المطبقة ؛ يجعل

شيهاً الطعاه : الخنز



قلت : « أعمرو ، علام تجنبتني ! » فقال : هيه ! هيه ! رأيته ، وسمعتَه منها !  
ثم أطرق هنيهة ، واندفع يئنيه ، فقلتُ : ألا ترجع ! فقال : بأبي أنت ! ومن لي  
بذلك ؟ ذلك والله أحبُّ الأشياءِ إليَّ ، ولكن منعَ منه طلبُ المعاش . قلت : كم  
يكفيك كلَّ سنة ؟ قال : ثلاثمائة درهم ، فأعطيته ثلاثة آلاف درهم ، وقلت : هذه  
لمشر سنين ، ورددته إليها ، وقلت له : إذا فنيت أو قاربتِ الفناء قدِمتِ عليّ  
وأعطيتُك ، وإلا وجهت إليك . وكان ذلك أحبَّ إليَّ من حجِّي .

## ٦٦ — أعرابيةٌ على قبرِ زوجها ! \*

قال الأصمعي<sup>(١)</sup> : دخلتُ بعضَ مقابر الأعراب ، ومعى صاحبٌ لى ، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلَى والحلل ما لم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة ، وصوتٍ شَجِيٍّ ! فالتفتُ إلى صاحبى ؛ فقلت : هل رأيتَ أعجبَ من هذه ؟ قال : لا والله ، ولا أحسبني أراه !

ثم قلتُ : يا هذه : إني أراك حزينة وما عليكِ زىَ الحزن ! فأنشأت تقول :

فإن تسألانى : فيمَ حزنى ؟ فإنتى رهينةُ هذا القبرِ يا فتياتِ  
وإنى لأستحييه والتربُّ بيننا كما كنتُ أستحييه حين يرانى

ثم اندفعت فى البكاء ، وجعلت تقول :

يا صاحب القبر ، يامنُ كان ينم بى بألا ، ويكثرُ فى الدنيا مُواساتى  
قد زرتُ قبرك فى حلّى وفى حلّى كأننى لستُ من أهل المصيبات  
أردت آتيك فيما كنتُ أعرفه أن قد تسرُّ به من بعض هيثابى  
فمن رآنى رأى عبرى موله عجيبة الزى تبكى بين أموات !

## ٦٧ — على قبور الزاهبين \*

قال الأصمعي :

دَفَعْتُ يَوْمًا فِي تَلَمُّسِي بِالْبَادِيَةِ إِلَى وَادٍ خَلَاءٍ ، لَا أَنْيَسَ بِهِ إِلَّا بَيْتَ مُعْتَنَزٍ <sup>(١)</sup> ،  
بِفَنَائِهِ أَعَزَّ ، وَقَدْ ظَمِئْتُ ، فَيَمَّمْتُهُ فَسَلَّمْتُ ، فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ بَرَزَتْ كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ  
رَاحِمٌ <sup>(٢)</sup> ، فَقُلْتُ : هَلْ مِنْ مَاءٍ ؟ فَقَالَتْ : أَوْ أَبْنٍ ! فَقُلْتُ : مَا كَانَ بُغِيَّتِي إِلَّا الْمَاءُ ،  
فَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ اللَّبْنَ فَإِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ .

فَقَامْتُ إِلَى قَعْبٍ فَأَفْرَغْتُ فِيهِ مَاءً ، وَنَظَّفْتُ غَسَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى الْأَعَزِّ  
فَتَغَيَّرَتْهُنَّ <sup>(٣)</sup> حَتَّى احْتَلَبْتُ قُرَابَ <sup>(٤)</sup> مِلءِ الْقَعْبِ ، ثُمَّ أَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مَاءً حَتَّى رَغَا ،  
وَوُطِفَتْ ثُمَالَتُهُ <sup>(٥)</sup> ، كَأَنَّهَا غَمَامَةٌ بَيضاء ، ثُمَّ نَاوَلَتْنِي إِيَّاهُ فَشَرِبْتُ حَتَّى تَحَبَّبْتُ <sup>(٦)</sup>  
رِيًّا ، وَاطْمَأْنَنْتُ .

فَقُلْتُ : إِنِّي أُرَكِّ مُعْتَنَزَةً فِي هَذَا الْوَادِي الْمَوْحَشِ ، وَالْحِلَّةُ <sup>(٧)</sup> مِنْكَ قَرِيبٌ ،  
فَلَوْ انْضَمَمْتَ إِلَى جَنَابِهِمْ <sup>(٨)</sup> فَأَنْتِ بِهِمْ . فَقَالَتْ : يَا بَنِ أَخِي ! إِنِّي لَأَنْسُ  
بِالْوَحْشَةِ وَأَسْتَرِيحُ إِلَى الْوَحْدَةِ ، وَيَطْمَئِنُّ قَلْبِي إِلَى هَذَا الْوَادِي الْمَوْحَشِ ، فَأَتَذَكَّرُ  
مَنْ عَاهَدْتُ فَكَأَنِّي أَخَاطَبُ أَعْيَانَهُمْ ، وَأَتَرَايُ ، أَشْبَاحَهُمْ ، وَتَتَخَيَّلُ لِي أُنْدِيَّةُ  
رَجَالِهِمْ ، وَمَلَاعِبُ وَلَدَانِهِمْ ، وَمَنْدَى أَمْوَالِهِمْ .

\* الْأُمَالَى : ٧-٢ .

(١) مُعْتَنَزٌ : مَنْفَرْدٌ (٢) الرَّاحِمُ : الَّتِي تَحْضَنُ بَيْضَهَا (٣) تَغَيَّرَتْهُنَّ : احْتَلَبَتْ الْغُبْرَ وَهُوَ بَقِيَّةُ  
اللَّبَنِ فِي الصَّرْعِ (٤) قُرَابٌ : قَرِيبٌ (٥) الثَّمَالَةُ : الرِّغْوَةُ (٦) تَحَبَّبْتُ : امْتَلَأْتُ  
(٧) الْحِلَّةُ : وَجْعُهَا حُلَالٌ : بَيْوتُ النَّاسِ (٨) الْجَنَابُ : قَنَاءُ الدَّارِ .

والله يابن أخى ، لقد رأيتُ هذا الوادى بشع<sup>(١)</sup> اللديدين<sup>(٢)</sup> بأهل أدواح<sup>(٣)</sup>  
وقباب ، ونعم<sup>(٤)</sup> كالهضاب ، وخيل كالذئاب ، وفتيان كالرماح ، يبارون الرياح ،  
ويحمون الصَّبَاح ، فأحال عليهم الجلاء قَمًّا<sup>(٥)</sup> بفرقة ، فأصبحتِ الأثارُ دَارسةً ،  
والحالُ طامسةً ، وكذلك الدهر فيمن وثق به .

ثم قالت : أرمِ بعينك فى هذا للملا<sup>(٦)</sup> المتباطن<sup>(٧)</sup> . فنظرت فإذا قبور  
نحو أربعين أو خمسين . فقالت : أترى تلك الأجداث ؟ قلت : نعم . قالت :  
ما انطوت إلا على أخ أو ابن أخ أو ابن عم ، فأصبحوا قد أُمُات<sup>(٨)</sup> عليهم الأرض ،  
وأنا أترقب ما غَالَهُمْ ! انصَرِفْ راشداً رحمك الله .

---

(١) بشع : ملآن (٢) اللديدان : الجانبان (٣) الأدواح : الأشجار العظيمة  
(٤) الهضاب : الجبال الصغار (٥) قما : كنسا (٦) الملا : ما اتسع من الأرض  
(٧) المتباطن : المتطامن (٨) أُمُات : احتوت .

## ٦٨ - الحق أنطقها وآخره \*

قال الشَّيبَانِي : جلس المأمون<sup>(١)</sup> يوماً للمظالم ، فكان آخر من تقدم إليه وقد همَّ بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر ، عليها ثياب رثة .

فوقفت بين يديه وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين وزحة الله وبركاته . فنظر المأمون إلى يحيى بن أكرم . فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمي في حاجتك ؛ فقالت :

يا خيرَ منتصفٍ يَهْدِي له الرَّشْدُ      ويا إماماً به قد أشرقَ البَلَدُ  
تشكو إليك عميدَ القومِ أرْملةً      عداً عليها فلم يُترك لها سَبْدُ<sup>(٢)</sup>  
وابتزَّ مني ضياعي بعدَ منعتها      ظُلماً وفرَّقَ مني الأهلُ والولدُ

فأطرق المأمون حيناً ، ثم رفع رأسه إليها ، وهو يقول :

في دُونِ ما قُلْتَ زال الصبر والجلدُ      عني ؛ وقُرِّحَ مني القلبُ والكبدُ  
هذا أوانُ صلاةِ العصرِ فانصرفي      وأحضري الخصمَ في اليوم الذي أُعِدُ  
والجلس السبتُ إن يقضَ الجلوسُ لنا      ننصفُك منه ؛ وإلاَّ المجلسُ الأحدُ  
فلمَّا كان يوم الأحد جلس ، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة ،

\* العقد : ١ - ١٥ ، المحاسن والمساوي : ٣٥٠ ( طبع ليزج ) .

(١) هو عبد الله بن المأمون بن هارون الرشيد ، من أعظم خلفاء بني العباس وعلمائهم وحكمائهم كان وافر الخلق ، عظيم الحلم محباً للعلم ، مؤثراً للحكمة . توفي سنة ٢١٨ هـ (٢) السبد هنا : القليل ، وهو في الأصل القليل من الشعر .

( ١٢ - قصص العرب ٢ )



فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام ، أين الخصم ؟ فقلت : الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين - وأومأت إلى العباس ابنه .

فقال : يا أحمد بن أبي خالد ، خذ بيده فأجلسه معها مجالس الخصوم . فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمة الله ؛ إنك بين يدى أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك ، فقال المأمون : دَعِها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها وأخرسه . ثم قضى لها برد ضيقتها إليها ، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوغر لها <sup>(١)</sup> ضيقتها ويحسن معاوتها ، وأمر لها بنفقة .

---

(١) أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

## ٦٩ - أجارها ثم تزوجها \*

قال إبراهيم بن المدبر <sup>(١)</sup> :

جاءني يوماً محمد بن صالح <sup>(٢)</sup> بعد أن أطلق من الحبس ، فقال لي : إني أريد المقام عندك اليوم على خلوة لأبشك من أمرى شيئاً لا يصلح أن يسمعه غيرنا .  
فقلت : أفعل ؛ فصرفت من كان يحضرني وخلوت معه .

فلما اطمأن وأكلنا واضطجعنا قال لي : إني خرجت في سنة كذا وكذا ، ومعى أصحابي على القافلة فقاتلنا من كان فيها فهزمنهم وملكنا القافلة ؛ فبينما أنا أحوزها وأنيخ الجمال إذ طلعت علي امرأة ، ما رأيت قط أحسن منها وجهاً ولا أحلى منطقاً . فقالت : يافتي ؛ إن رأيت أن تدعوني بالشريف المتولي أمر هذا الجيش ؟ فقلت : قد رأيته وسميع كلامك ! فقالت : سألتك بحق الله وحق رسوله ؛ أنت هو ؟ فقلت : نعم وحق الله وحق رسوله إني هو . فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى ؛ ولأبي محل من سلطانه ، ولنا نعمة إن كنت ممن سمع بها فقد كفالك ما سمعت ، وإن كنت لم تسمع بها فسل عنها غيري ! ووالله لا استأثرت عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه علي . وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني ، وهذه ألف دينار معي لنفقتي ، فخذها حالا ، وهذا حلي علي ثمنه خمسمائة

\* الأغاني : ١٥ - ٨٧ ( طبعة الساسي ) .

(١) إبراهيم بن المدبر ، شاعر كاتب ، من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوي الجاه فيهم ، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله ، توفي سنة ٢٧٠ هـ (٢) محمد بن صالح : ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب ، كان شاعراً حجازياً ظريفاً من شعراء أهل بيته المقدمين ، توفي سنة ٢٣٨ هـ

دينار فخذهُ ؛ وما شئت بعده آخذهُ لك من تجارِ المدينة أو مكة أو أهلِ الموسم ، فليس منهم أحدٌ يمنعني شيئاً أطلبهُ ، وادفعْ عني واحِني من أصحابك ومن عارٍ يلحقني . فوقع قولها من قلبي موقماً عظيماً . فقلت لها : قد وهب الله لك مالك وحليكَ وجاهك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها .

ثم خرجت ، فناديتُ في أصحابي فاجتمعوا ، فناديت فيهم : إني قد أجزت هذه القافلة وأهلها وخفرتُها وحميتُها ، ولها ذِمَّةُ الله وذمة رسوله وذمتي ؛ فمن أخذ منها خيلاً أو عقلاً فقد آذنته بحربٍ . فانصرفوا معي وانصرفت .

فلما أُخِذْتُ<sup>(١)</sup> وحِيسْتُ جاءني يوماً السجان ، وقال لي : إنَّ بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ، وقد حُظِرَ عليَّ أن يدخلَ عليك أحدٌ ؛ إلَّا أنهما أعطاني دُمْلَجَ ذهب ، وجعلتاها لي إن أوصلتها إليك ، وقد أذِنتُ لهما وهما في الدُّهْلِيز . فاخرج إليهما إن شئت .

ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب لا أعرف أحداً . ثم قلت : لعلهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي . فخرجتُ إليهما فإذا بصاحبتى ، فلما رأتنى بَكَتُ لما رأت من تغيير خلقى وثقل حديدى ، فأقبلت عليها الأخرى فقالت : أهو هو ! فقالت : إي والله إنه لهو هو ! ثم أقبلت عليَّ فقالت : فذاك أبي وأمى ! والله لو استطعت أن أقيك مما أنت فيه بنفسى وأهلى لفعلت وكنت بذلك منى حقيقاً ، والله لا تركت المعاونة لك والسعى في حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومالٍ وشفاعة . وهذه دنانير وثياب وطيب فاستعن بها على موضعك ، ورسولى يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يُفرِّج الله عنك . ثم خرجت إليَّ كسوة وطيباً ومائتي دينار .

(١) حبس المتوكل محمد بن صالح حين خرج عليه ثلاث سنين ، ثم عفا عنه لشعر مدحه به .

وكان رسولها يأتيني كل يوم بطعام نظيف ، ويتواصل برؤها بالسجّان ، فلا يمتنع من شيء أريده . ثمّ من الله بخلاصي فخطبتها ؛ فقالت : أمّا من جهتي فأنا متّابمةٌ مطيعةٌ والأمر إلى أبي . فأنيتّه فخطبتها إليه ، فردّني فقامت من عنده منكسراً مستحيّاً .

قال إبراهيم بن المدبر : فقلت له : إن عيسى صنيعةٌ أخى وهو لى مطيع وأنا أكفيك أمره . فلما كان من الفد لقيت عيسى فى منزله وقلت له : قد جئتُك فى حاجةٍ لى ، فقال : مقضيةٌ ؛ ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتنى فجتك ، وكان أسراً لى . فقلت له : قد جئتُك خاطباً إليك ابنتك ، فقال : هى لك أمةٌ وأنا لك عبدٌ وقد أجبتك . فقلت : إنى خطبتها على من هو خير منى أباً وأماً ، وأشرف لك صهراً : محمد بن صالح العلوى . فقال لى : ياسيدى ؛ هلا كان غير هذا ! فلم أزل أرفق به حتى أجاب . وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرتّه وما برحت حتى زوّجته ، وسقتُ الصداقَ عنه <sup>(١)</sup> .

(١) وفى ابن المدبر يقول بن صالح حينما أولاه وأعانه على زواجه :

فهلانى الذى أولاك عرفاً	تسرى من مقالك ما يسير
ثناء غير مخلوق ومدحاً	مع الركب بان بنجد أو بغور
أخ واساك فى كلب الليالى	وقد خذل الأقارب والنصير
حفاظاً حين أسلمك الموالى	وضن بنفسه الرجل الصبور
فإن تشكر فقد أولى جيبلا	وإن تكفر فإنك للكفور

## ٧٠ — كيف ربّت ابنها ! \*

قال الفضل بن يزيد: نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين، وكنت مشغولاً بأخبار العرب، أحب أن أسمعها وأجمعها. فبينما أنا أدور في بعض أحيائهم، إذا بامرأة واقفة في فناء خبائها، وهي آخذة بيد غلام. قلما رأيت مثله في حسه وجماله، وهي تعاتبه بلسان رطب، وكلام عذب، تمنح إليه الأسماع، وترتاح إليه القلوب. وأكثر ما أسمع منها: أي بني، وهو يتسم في وجهها، قد غلب عليه الحياء والحجل، لا يرد جواباً؛ فاستحسنْتُ ما رأيت، واستحلّيت ما سمعت، ثم دنوت منه وسلمت عليه، فردّ عليّ السلام، فوقفت أنظر إليهما.

فقلت: يا حضري، ما حاجتك؟ فقلت: الاستكثار مما أسمع، والسرور بما أرى من هذا الغلام. فقالت: يا حضري، إن شئت سقتُ إليك من خبره ما هو أحسن مما شاهدت من أدبه، فقلت: قد شئتُ — يرحمك الله! فقالت: حملته والرزق عسر، والعيش نكد، حملاً خفيفاً، حتى إذا مضت له تسعة أشهر ولدته؛ فوربك ما هو إلا أن صار ثالث أبويه حتى أفضل الله عز وجل وأعطى، وأتى من الرزق بما كفى وأغنى؛ ثم أرضعته حوّلين كاملين، فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد إلى فراش أبيه، فنشأ كأنه شبل أسد، أقيه برد الشتاء وحرّ الهجير، حتى إذا مضت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب، لحفظه القرآن فتلاً، وعلمه الشعر فَرَوَاهُ، ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده، فلما أن بلغ الحلم، واشتدّ عظمه،



وكل خلقه ، حملته على عتاق الخيل فتفرس وتمرس<sup>(١)</sup> ، ولبس السلاح ، ومشى بين بويطات الحى الخيلاء ، فأخذ فى قرى الضيف ، وإطعام الطعام ، وأنا عليه وجلة ، أشفق عليه من العيون أن تصيبه .

ثم اتفق أن نزلنا بمنهل من الماهل بين أحياء العرب ، فخرج فتيان الحى فى طلب ثأر لهم ، وشاء الله أن أصابته وعكة<sup>(٢)</sup> شغلته عن الخروج ، وأمعن القوم ، ولم يبق فى الحى غيره ، ونحن آمنون وادعون ، ثم أدبر الليل ، وأسفر الصباح ، فطلعت علينا غرر الجياد ، وطلائع المدو ، وما هو إلا هنيئة حتى أحرزوا الأموال دون أهلها ، وهو يسألنى عن الصوت ، وأنا أستر عنه الخبر إشفاقاً عليه وضناً به .

ولما علت الأصوات ، وبرزت المخدرات<sup>(٣)</sup> ، رمى دثاره<sup>(٤)</sup> ، وثار كما يثور الأسد ، وأمر بإسراج فرسه ، ولبس لأمة حربيه ، وأخذ رُمحه بيده ، ولحق حمة القوم ، فظمن أدناهم منه فرمى به ، ولحق أبعدهم منه فقتله ؛ فانصرفت وجوه الفرسان ، ثم رأوه صبياً صغيراً لا مدد وراءه ، فحملوا عليه ، فأقبل يؤم البيوت ، ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة ، حتى إذا مدم وراءه ، وامتدوا فى أثره عطف عليهم ، ففرق شملهم ، وشتت جمعهم ، وقلل كثرتهم ، ومزقهم كل ممزق ، ومرق كما يمرق السهم . وناداهم : خلوا عن المال ! فوالله لا رجعت إلا به أو أهلك دونه .

فانصرفت إليه الأقران ، وتمايلت نحوه الفرسان ، وحملوا عليه ، وقد دفعوا إليه الأسنة ، وعطفوا عليه بالأعنة ، فوثب عليهم وهو يهذر كما يهذر الفحل من وراء

---

(١) تفرس : تثبت ونظر ، ورأى الناس أنه فارس ، وتمرس : عالج الأمور ، واحتك بها .  
 (٢) الوعة : الألم من شدة التعب (٣) المخدرات : المحجوبات من النساء (٤) الدثار : مافوق الشعار من الثياب .

الإبل ، وجعل لا يعطف على ناحية إلا حطماً ، ولا كتيبة إلا مزقها ، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه .

ثم ساق المال وأقبل به ؛ فكبر القوم عند رؤيته ، وفرح الناس بسلامته . فوالله ما رأينا قط يوماً كان أسمع صباحاً ، وأحسن رواحاً من ذلك اليوم ، ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحى هذه الأبيات :

تأملن فلي هل رأيتن مـ	إذا حشرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه	من الخوق مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلاً حقه ونصيبه	من السمهرى اللدن والمرهف المصّب <sup>(١)</sup>
أنا ابن أبي هند بن قيس بن مالك	سليل المعالي والمكارم والسيب <sup>(٢)</sup>
أبى لي أن أعطي الظلّامة مرهف	وطرف <sup>(٣)</sup> قوى الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت بحده السجبال	الرواسى لانحططن إلى الترب
وعرض تنق أتقى أن أعيبه	ويت شريف في ذراً ثعلب القلب <sup>(٤)</sup>
فإن لم أقاتل دونكن وأحتى	لكن ، وأحيكن بالطن والضرب
فلا صدق اللاتى مشين إلى أبى	يهنينه بالفارس البطل الندب <sup>(٥)</sup>

(١) السمهرى : الرمح ، وهو منسوب إلى سمهر ؛ رجل كان يتقف الزماح ، والمرهف : السيف الرقيق الحد ، والمصّب : القاطع (٢) السيب : العطاء (٣) الطرب : الكريم من الخيل .  
(٤) ثعلب : أصله ثعلبة وهى ليلية الفلام ، والقلب جمع أغلب ، وهو الأسد ؛ يريد أنهم شجعان .  
(٥) الندب : الحفيف فى الحاجة .

## ٧١ — خائف وجد مأمناً\*

قال وهب بن ناجية الرضاقي : كنت أحد من وقعت عليه التهمة في مال مصر أيام الوارثي ، فطلبني السلطان طلباً شديداً ، حتى ضاقت علي الرضاقة<sup>(١)</sup> وغيرها ، فخرجت إلى البادية مرتاداً رجلاً عزيز الدار ، منيع الجار ، أعوذ به ، وأنزل عليه .

فبينما أنا أسير إذا رأيت خياماً ، فعدلت إليها ، فلت إلى بيت منها مضروب ، وبفنائه رُمحٌ مركوز ، وفرس مربوط ؛ فدنوت فسلمت ، فرد علي نساء من وراء السجف<sup>(٢)</sup> ، وقالت لي إحداهن : اطمئن يا حضري ، فعم مناخ الضيفان بؤاك القدر ، ومهدك السفر . قلت : وأنى يطمئن المطلوب ، أو يأمن المرغوب ، من دون أن يأوى إلى جبل بمصيه ، أو مأمن أو مفرع يمتعه ؛ وقليل ما يجمع من السلطان طالبه ، والخوف غالبة ! قالت : لقد ترجم لسانك عن ذنب عظيم ، وقلب صغير ، وإيم الله لقد حلت بفناء رجل لا يضام بفناؤه أحد ، ولا يجوع بساحته كبد ، هذا الأسود بن قنان ، أخواله كعب ، وأعمامه شيبان ، صُلو<sup>(٣)</sup>ك الحى في ماله ، وسيدهم في حاله ، وسندهم في فعاله<sup>(٤)</sup> ، صدوق الجوار ، وقود النار ؛ وبهذا وصفته أمانة بنت خزرخ حيث تقول :

\* محاضرات الأبرار : ٢ - ١١٦

(١) الرضاقة : محله ينفد (٢) السجف : السر (٣) أصل الصلو<sup>(٣)</sup>ك الفقير ، وإراد أنه ينفق حتى بصير فقيراً (٤) الفع<sup>(٤)</sup>ال : ( بالفتح ) الفعل الحسن من فاعل واحد ، وإذا كان من فاعلين فهو الفع<sup>(٤)</sup>ال ( بالكسر ) .

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يمانى  
وفى بهما فضلاً وجوداً وسودداً ورأياً ، فذاك الأسود بن قنان  
فتى لا يرى فى ساحة الأرض مثله ليوم ضراب أو ليوم طمسان  
قال : قلت : يا جارية ، وأتى لى به ! فقالت : يا خادم ، مولاك ! فلم تلبث  
أن جاءت وهو معها فى جماعة من قومه ، وقال : أى النعمين علينا أنت ؟ فسبقتنى  
المرأة ، وقالت : هذا رجل نبت به أوطائه ، وأزعجه زمانه ، وأوحشه سلطانه ؛  
وقد ضمنا له ما يضمن لمثله على مثلك ، قال : بل الله فاك ، أشهدكم يا بنى عمى  
أن هذا الرجل فى جوارى وفى ذمتى ، فمن آذاه فقد آذانى ، ومن كاده فقد كادنى .  
وأمر بيته فضرب إلى جانبه ، وقال : هذا بيتك وأنا جارك ، وهؤلاء رجالك .  
فلم أزل بينهم فى خفض وسعة إلى أن سرت عنهم .

## ٧٢ - تحنُّ إلى وطنها\*

هوى بعضُ خلفاءِ بني العباسِ أعرابيةً فتزوج بها ، فلم يوافقها هوى المدن ، فلم تزل تعتل وتناوّه ، مع ما هي عليه من النعيم والراحة ، والأمر والنهي ؛ فسألها عن شأنها ، فأخبرته بما تجدد من الشوق إلى البراري وأحاليب<sup>(١)</sup> الرعاء ، وورود المياه التي تعودت ؛ فبنى لها قصرًا على رأس البرية بشاطئ دجلة<sup>(٢)</sup> ، وأمر بالأغنام والرعاء أن تسرح بين يديها وتترامى لها ؛ فلم يزدها ذلك إلا اشتياقًا إلى وطنها .

ثم مرَّ بها يوماً في قصرها من حيث لا تشعر بمكانه ، فسممها تنتحب وتبكي ، حتى ارتفع صوتها ، ووللا نحيبها ، ثم قالت :

وما ذنبُ أعرابيةٍ قدّفت بها      صروفُ النوى من حيث لم تك ظنّت  
تمنّت أحاليبَ الرعاءِ وخيمّةً      بنجد فلم يقض لها ما تمنّت  
إذا ذكرت ماء العذيب<sup>(٣)</sup> وطيبه      وبرد حصاهُ آخر الليل أنت  
لها أنه عند المشاء وأنه      سحيراً ، ولولا أنّها لجنت

فخرج عليها الخليفة ، وقال : قد قضى ما تمنيت ، فالحق بأهلك من غير فراق ؛ فما مرَّ عليها وقت أسرت من ذلك ، وسرى ماء الحياة في وجهها من حينها ، والتحقت بأهلها بجميع ما كان عندها في قصرها ، وظلّ الخليفة يزورها في أهلها بين الحين والحين .

\* محاضرات الأبرار : ٢ - ٢٤٨

(١) الإحلابة : أن يحلب لأهله وهو في الرعى لبناً ، ثم يبعث به إليهم ، وجمعه أحاليب ، والرعاء جمع راع (٢) دجلة : نهر بالعراق (٣) العذيب : موضع .



قال محدث : سألت أبا الندى<sup>(١)</sup> - وكان من أعلم من شاهدتُ بأخبار العرب : هل تعرف من شعر الذّلفاء بنت الأبيّض في ابن عمها نجمدة بن الأسود ؟ قال : نعم ، كنتُ فيمن حضرَ جنازةَ نجمدة ، حتى وضعناه في قبره ، وأهلنا عليه التراب ، وصدرنا<sup>(٢)</sup> عنه غير بعيد ، فأقبلتُ نسوةٌ يتهادين<sup>(٣)</sup> ، فيهن امرأةٌ قد فاقتهن طولاً ، كالفضن الرطب ، وإذا هي الذّلفاء ؛ فأقبلت حتى أكبّت على القبر ، وبكتُ بكاءً مُحْرِقاً ، وأظهرتُ من وجدِها ما خفنَ معه على نفسها ، فقلن لها : يا ذلفاء ؛ إنه قد مات الساداتُ من قومك قبل نجمدة ، فهل رأيتِ نساءً قتلن أنفسهن عليهم ؟ فلم يزلن بها حتى قامت ، فانصرفتُ عن القبر ، فلما صارت منه غير بعيد عطفتُ بوجهها عليه ، وقالت :

سئمتُ حياتي حين فارقتُ قبره ورُحْتُ وماء العين ينهلُ هامِلُهُ<sup>(٤)</sup>  
وقالت نساء الحى : قد مات قبله شريفٌ فلم تهلكِ عليه حلائله<sup>(٥)</sup>  
صدقن ، لقد مات الرجالُ ولم يمت كنجدة من إخوانه من يضادله  
فتى لم يضيقَ عن جسمه لحدُ قبره وقد وسع الأرض الفضاء فضائله  
قال . فقلت : أحسنتُ والله يا أبا الندى وأحسنتُ ! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم ! كنتُ ممن حضرَ قبرَ نجمدة عند زيارتها إياه لتمام الحول ،

\* معجم الأدباء : ١٧ - ١٦٠

(١) محمد بن أحمد أبو الندى القندجاني اللّوى : رجل واسع العلم ، راجع المعرفة باللفة وأخبار العرب وأشعارها (٢) رجوعه (٣) يتأيلن في مشيتهن (٤) ينهل : ينصب ؛ وهامله : دمه الفاض (٥) أى زوجاته .

فرايتها قد أقبلت حتى أكبّت على القبر ، وبكّت بكاء شديداً ، ثم أنشأت تقول :  
يا قبرَ نَجْدَةٍ لم أهجرُكَ مَقْلِيَةً      ولا جفوتُكَ من صَبْرِي ولا جَلَدِي  
لَكِنْ بَكَيْتُكَ حتى لم أجدَ مَدَدًا      من الدموع ولا عوناً من الكمد  
وَأَيَسَّتْنِي جَفُونِي مِنْ مَدَامِعِهَا      فقلت للعين : فيض من دم الكبدِ  
فلم أزلْ بدمي أبكيكَ جَاهِدَةً      حتى بقيتُ بلا عينٍ ولا جَسَدِ  
والله يعلمُ لولا الله ما رَضِيتُ      نفسي عليك سوى قَتْلِها بيدي

قال : فقلت : أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت ! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم : حضرنا في زمن الربيع ونحن في رياض خَضِرَةٍ مُقَشَّبَةٍ ، فركبَ الفتيانُ ، وغقدوا العَذَبَ<sup>(١)</sup> الصُّفْرَ ، في القنا الحمر ، وجعلوا يتجاولون . فلما أردنا الانصراف ، قال بعضنا لبعض : ألا تجعلون طريقكم على الذلفاء ! لعلها إذا نظرت إليكم تسلت بمن بقي عمر هالك !

قال : فخرجنا نوثمها فأصبناها بارزة من خبائها ، وهي كالشمس الطالعة ، إلا أنه يعلوها كسوفُ الحزن ، فسلمنا عليها ، وقلنا : يا ذلفاء ! إلى متى يكون هذا الوجود على نَجْدَةٍ ! أما آن لك أن تتسلى بمن بقي من بني عمك عن هلك ؟ هانحن أولاء سادات قومك وفتيانهم ونجومهم ، وفينا السادة والذادة<sup>(٢)</sup> ؛ والبأس والنجدة ؛ فأطرقت مليا ، ثم رفعت رأسها باكية وهي تقول :

صدقتم إنكم لنجومُ قومي      ليوثٌ عند مُخْتَلَفِ العوالي<sup>(٣)</sup>  
ولكن كان نَجْدَةٌ بدرَ قومي      وكنفهم المنيف على الجبال !  
فما حسنُ السماء بلا نجومٍ      وما حسنُ النجوم بلا هلال !  
ثم دخلت خبائها ، وأرسلت سترها ، فكان آخر ملأ العهد بها !

(١) أي الرايات ، والقنا الحمر : الرماح (٢) الذادة المدافعون ، جمع ذائد (٣) العوالي : جمع عالية ، وهي أعلى القنات أو النصف الذي يلي السنان .

٧٤ — المتكلمة بالقرآن \*

قال عبدُ الله بنُ المبارك : خرجت حاجًّا إلى بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه السلام ، فبينما أنا في الطريق إذ أنا بسواد ، فتميزت ذاك ، فإذا عجوزٌ عليها درع<sup>(١)</sup> من صوف وخمار ، فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقالت : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ . فقلت لها : رَحِمَكَ اللهُ ! ما تصنعين في هذا المكان ؟ قالت : ﴿ وَمَنْ يَضِلَّ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ؛ فعلمت أنها ضالة عن الطريق .

فقلت لها : أين تريدن ؟ قالت : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ، فعلمت أنها قضت حَجَّها وهي تريد بيت المقدس . فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع ؟ قالت : ﴿ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ . فقلت : ما أرى معك طعاماً تأكلين ؟ قالت : ﴿ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ . فقلت : فبأي شيء تتوضئين ؟ قالت : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ . فقلت لها : إن معي طعاماً ؛ فهل لك في الأكل ؟ قالت : ﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، فقلت : قد أبيع لنا الإفطار في السفر ، قالت : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

فقلت : لم لا تكلميني مثل ما أكلمك ؟ قالت : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ، فقلت : فمن أي الناس أنت ؟ قالت : ﴿ وَلَا تَقْفُ

\* ذيل عمات الأوراق : ٢ - ٢٤٣

(١) درع : قميص .

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿١﴾ .

فَقَالَتْ : قَدْ أَخْطَأْتُ فَاجْعَلْنِي فِي خِلٍّ ، قَالَتْ : ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

فَقُلْتُ : فَهَلْ لَكَ أَنْ أَحْمَلَكَ عَلَى نَاقَتِي ؛ فَتَدْرِكِي الْقَافِلَةَ ؟ قَالَتْ : ﴿ وَمَا تَفْعَلُونَ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ :

قَالَ : فَأَنْخَتُ النَّاقَةَ ، فَقَالَتْ : ﴿ قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَفُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ . فَفَضَضْتُ بَصَرِي عَنْهَا ؟ وَقُلْتُ لَهَا أَرْكِبِي .

فَمَا أَرَادَتْ أَنْ تَرْكَبَ نَفَرَتِ النَّاقَةُ ؛ فَزَقَّتْ ثِيَابَهَا ؛ فَقَالَتْ : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَتَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ ، فَقُلْتُ : لَهَا أَرْكِبِي ، قَالَتْ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقَرَّبِينَ <sup>(١)</sup> ۝ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ :

فَأَخَذْتُ بِزِمَامِ النَّاقَةِ ، وَجَعَلْتُ أَسْمَى وَأَصْبَحَ ؛ فَقَالَتْ : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ ، فَجَلْتُ أَمْشِي رَوِيداً رَوِيداً ، وَأَتَرْتُمُ بِالشَّعْرِ ؛ فَقَالَتْ : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ . فَقُلْتُ لَهَا : لَقَدْ أُوتِيتِ خَيْراً كَثِيراً ، فَقَالَتْ : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

فَلَمَّا مَشَيْتُ بِهَا قَلِيلًا قُلْتُ لَهَا : أَلَيْكَ زَوْجٌ ؟ قَالَتْ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ .

فَسَكَتَ وَلَمْ أَكَلِمَهَا ، حَتَّى أُدْرِكْتُ بِهَا الْقَافِلَةَ ، فَقُلْتُ لَهَا : هَذِهِ الْقَافِلَةُ ؛ فَمِنْ لَكَ فِيهَا ؟ فَقَالَتْ : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ؛ فَعَلِمْتُ أَنَّ لَهَا أَوْلَاداً .

(١) أَقْرَنَ لِلأَمْرِ : أَطَاقَهُ وَقَوَى عَلَيْهِ .

فقلت : وما شأنهم في الحج ؟ قالت : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ، فعلت  
أنهم أدلاء الركب .

فقصدت القباب والعمارات ؛ فقلت : هذه القباب ؛ فمن لك فيها ؟ قالت :  
﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ . ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ . ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ  
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ . فناديت : يا إبراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ؛ فإذا بشبان كأنهم  
الأقمار قد أقبلوا ؛ فلما استقر بهم الجلوس ، قالت : ﴿ ابْعَثُوا أَحَدَكُمْ  
بِوَرِقِكُمْ <sup>(١)</sup> هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ  
بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ .

ففضي أحدهم ، فاشترى طعاماً فقدموه بين يدي ، فقالت : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا  
هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ .

فقلت : الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها ؛ فقالوا : هذه أمنا ، لها  
منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ؛ مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن ؛ فقلت :  
﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

---

(١) الورق : الدراهم المضروبة .



## البَابُ الثَّالِثُ

---

في القصص التي تمثل ذلافة ألسنتهم، وحكمة منطقهم ،  
وما ينضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ ، و بلاغة المعنى ،  
وجمال الأسلوب ، وحسن التصرف في الإبانة والتعبير.

## ٧٥ — بنو أسد وامروء القيس\*

قَدِمَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ<sup>(١)</sup> بَنُ حُجْرٍ الْكِنْدِيَّ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ رَجَالَاتٍ مِنْ  
بَنِي أَسَدٍ ، فِيهِمُ الْمُهَاجِرُ بْنُ خِدَاشٍ ، وَعَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ ، وَقَبِيصَةُ بْنُ نَعِيمٍ ؛ وَكَانَ  
رَجُلًا مَقِيماً فِي بَنِي أَسَدٍ ، ذَا بَصِيرَةٍ بِمَوَاقِعِ الْأُمُورِ وَرِذَاءٍ وَإِصْدَاراً ، يَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ مَنْ  
كَانَ مُحِيطًا بِأَكْنَافِ بِلَدِهِ مِنَ الْعَرَبِ .

فَلَمَّا عَلِمَ امْرِؤُ الْقَيْسِ بِمَكَانِهِمْ أَمَرَ بِإِنزَالِهِمْ ، وَتَقَدَّمَ<sup>(٢)</sup> فِي إِكْرَامِهِمْ وَالْإِفْضَالِ  
عَلَيْهِمْ ، وَاحْتَجَبَ عَنْهُمْ ثَلَاثًا .

فَقَالُوا لِمَنْ يَبَاهُ مِنْ رَجَالِ كِنْدَةَ : مَا بَالُ الرَّجُلِ لَا يُخْرِجُ إِلَيْنَا ؟ فَقِيلَ لَهُمْ :  
هُوَ فِي شُغْلٍ بِإِخْرَاجِ مَا فِي خَزَائِنِ حُجْرٍ مِنَ الصُّدَّةِ وَالسَّلَاحِ . فَقَالُوا : اللَّهُمَّ غَفِراً !  
إِنَّمَا قَدِمْنَا فِي أَمْرٍ نَتَنَاسَى بِهِ ذِكْرَ مَاسَلَفٍ ، وَنَسْتَدْرِكُ بِهِ مَا فَرَطَ ؛ فَلْيُبَلِّغْ  
ذَلِكَ عَنَّا .

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ ثَلَاثٍ فِي قَبَاءٍ<sup>(٣)</sup> وَخَفٍّ وَرِعْمَامَةٍ سَوَادَاءٍ — وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا  
تَعْتَمُ بِالسَّوَادِ إِلَّا فِي الثَّرَاتِ<sup>(٤)</sup> — فَلَمَّا رَأَوْهُ نَهَضُوا لَهُ ، وَبَدَرُوا إِلَيْهِ قَبِيصَةُ فَقَالَ :  
إِنَّكَ فِي الْمَحَلِّ وَالْقَدْرُ وَالْمَعْرِفَةُ بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ ، وَمَا تُحَدِّثُهُ أَيَّامُهُ ، وَتَتَنَقَّلُ بِهِ

\* الْأَغَانِي : ٩-١٠٣ ( طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ ) ، صَبْحُ الْأَعْمَشِيِّ : ٣-١٢٦

(١) هُوَ أَشْهُرُ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَرْفَعُهُمْ مَنْزِلَةً ، يَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِمُلُوكِ كِنْدَةَ ، كَانَ قَوِيَّ الشَّاعِرِيَّةِ  
رَقِيقَ الْوَصْفِ ذَقِيقَ الشُّعُورِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٠ م (٢) تَقَدَّمَ فِي كَذَا : أَمْرٌ بِهِ . (٣) الْقَبَاءُ :  
الثُّوبُ الْمُجْتَمِعُ الْأَطْرَافُ (٥) الثَّرَاتُ : جَمْعُ ثَرَةٍ ؛ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ وَتَرٌ ؛ أَيْ قَصٌّ ،  
وَاسْتَعْمِلَ فِي الثَّأْرِ .

أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ ، ولا تذكرة مجرب ، ولك من سوّد منْصِبك ، وشرف أغراقك<sup>(١)</sup> ، وكرم أصلك في العرب مُحْتَمَلٌ يَحْتَمِلُ ما حُمِلَ عليه من إقالة المثرة ، والرجوع عن المفوّة ؛ ولا تتجاوزُ إلهِمُ إلى غايةٍ إلا رَجعتُ إليك ؛ فوجدتُ عندك من فضيلة الرأي ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصّح ما يَطوّل رَغباتها ، ويستغرق طلباتها .

وقد كان الذي كان من الخطب الجليل ، الذي عمّت رزيتُهُ نزاراً واليمن ، ولم تخصّصْ به كِنْدَةً دوننا ؛ للشرف البارع الذي كان لحجر . ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بَخِلَتْ كرائمنا<sup>(٢)</sup> على مثله ببذل ذلك ، ولقد بناه منه ، ولكن مَضَى به سبيلٌ لا ترجع أولاه على أخراه ، ولا يلحق أقصاه أذناه .

فأحمدُ الحالات في ذلك أن تعرفَ الواجبَ عليك في إحدى خلال ثلاث :  
إمّا أن اخترتَ من بني أسدٍ أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء المكرّمات صوتاً ، فقدّناه إليك بِنِسْعةٍ<sup>(٣)</sup> تذهب مع شَفَرات حُسامك بباقي قَصَدَتِه<sup>(٤)</sup> ، فيقال : رجل امتَحِنَ بِهَلْكَ عزيز عليه ؛ فلم تُسَلِّ سَخِيبتَهُ إلا بِتَمَكِينِهِ من الانتقام ؛ أو فداء بما يروّح<sup>(٥)</sup> على بني أسدٍ من نعمها ، فهي ألوف تجاوز الحسبة ، وكان ذلك فداءً ترجع به القُضْبُ<sup>(٦)</sup> إلى أجفانها ، لم يَرُدُّهُ تسليط الإحن على البرءاء ؛ وإمّا أن توادعنا حتى نضع الحواملُ فتُسدَل الأزرُ ، وتُتقد الخمرُ فوق الرايات .

فبكي امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع طرفه إليهم فقال : قد علمتِ العربُ أن

---

(١) الأعراف : جمع عرق ، وهو أصل كل شيء . (٢) الكرائم : خبار الأموال وقد يراد بها النفوس أو النساء . (٣) النسعة : السير من الجلد يجعل زماماً للبصير فيقاد به . (٤) القصدة : المنق . (٥) يروح : يرجع . (٦) القُضْب : السيوف .

لا كُفءٌ لِحَجَرٍ في دم ، وأنى لن أعتاض به ناقةً أو جملًا فأكتسب بذلك سُبَّةَ  
الأبد ، وفَتَّ العَضْدُ ؛ وأما النِّظَرَةُ فقد أوجبتُها الأجنَّةُ في بطون أمهاتها ، وإني لن  
أكون لمعطها سببًا ، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل في القلوب حنقًا ،  
وفوق الأسنَّة علقًا<sup>(١)</sup>

إذا جالت الخيلُ في مَازِقٍ<sup>(٢)</sup> تُصافِحُ فيه المنايا النفوسا  
أتقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل تنصرف بأسوأ الاختيار ؛ لحرب وبلية ،  
ومكروه وأذية ! ثم نهضوا عنه وقبيصة يقول متمثلاً :

لعلك أن تستوخمَ الموتَ إن غدت كتائِبُنَا في مَازِقِ الموتِ تُنْطِرُ  
فقال امرؤ القيس : لا والله ، لا أستوخمه ولكن أستعذِبُه ؛ فرويداً ينكشف  
لك دُجَاهَا عن فُرسَانِ كندة وكتائبِ خَيْرٍ ، ولقد كان ذكرُ غير هذا أولى بي ،  
إذ كنتَ نازلاً برَبْعِي ، ومتحرِّماً بذِمَامِي ، ولكنك قلتَ فَأَجَبْتُ .

قال قبيصة : إن ما نتوقع فوق قدر المعاتبة المعاتبة والإعتاب<sup>(٣)</sup> ، قال امرؤ القيس :

هو ذاك !

---

(١) الملق : الدم (٢) المَازِق : المضيق (٣) الاعتاب والعتي : رجوع المتوب عليه  
إلى ما يمرضى العاتب .

وفد الأعشى<sup>(١)</sup> إلى النبي عليه السلام ، وقد مدحه بقصيدته التي أولها :  
 ألم تغمض عيناك ليلة أرمداً<sup>(٢)</sup> وعادك ما عاد السليم<sup>(٣)</sup> المسهداً<sup>(٤)</sup>  
 وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهّداً<sup>(٥)</sup>  
 وفيها يقول لناقته :  
 فأليت لا أرثي لها من كلاله<sup>(٦)</sup> ولا من حفاً<sup>(٧)</sup> حتى تزور محمدًا  
 نبي يرى مالا تزون وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدًا<sup>(٨)</sup>  
 متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراحي<sup>(٩)</sup> وتلقى من فواضله يدًا  
 فبلغ خبره قريشاً ؛ فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صنّاجة<sup>(١٠)</sup> العرب ، مامدح  
 أحداً قط إلا رفع في قدره .

فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت يا أبا بصير ؟ قال : أردت صاحبكم  
 هذا لأسلم . قالوا : إنه نهاك عن خلال ويحرمها عليك ، قال : وما هي ؟  
 فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا . قال : لقد تركني الزنا وتركته ، ثم ماذا ؟  
 قالوا : القمار ، قال كَلِّ إن لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار ، ثم ماذا ؟

\* الأغاني : ٩-١٢٥ ( طبعة دار الكتب ) ، سيرة ابن هشام : ١-٢٣١

(١) اسمه ميمون بن قيس ، أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وغولهم ، متصرف في المديح  
 والهجاء ، وهو أول من سأل بالشعر ، وانتجم به أقاصى البلاد : توفي سنة ٦٢٩ م (٢) رجل  
 أرمداً : به رمد في عينيه ، والكلام على تقدير مصدر محذوف ، والتقدير . اغتماض ليلة أرمداً ،  
 فحذف المضاف وأقيمت ليلة بدله (٣) السليم . اللديغ (٤) مهّداً : اسم امرأة (٥) الكلاله : التعب  
 (٦) الحفا : رقة القدم (٧) أغار : دخل الغور ؛ وهو كل ما انحدر مغرباً عن تهامة ، وأنجد :  
 دخل النجد ، وهو ضد الغور (٨) تراحي : تستريح (٩) كان الأعشى يسمى صنّاجة العرب ،  
 لجودة شعره . وأصل الصنّاجة : اللاعب بالصنّج .



قالوا : الرُّبَا . قال : ما دِنتُ ولا اَدِنتُ ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أَوْه !  
أَرْجِعْ إلى صُبَابَةٍ قد بقيت في المِيزاس <sup>(١)</sup> فأشربها .

فقال له أبو سفيان : هل لك في خير مما همتَ به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن  
وهو الآن في هُدْنَةٍ ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنتك هذه ، وتنظر  
ما يصير إليه أمرنا . فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أتيتَه .  
فقال : ما أكرهُ ذلك . فقال أبو سفيان : يامعشر قريش ، هذا الأعشى ! والله لئن  
أتى محمداً واتبعه لِيُضْرَمَنَّ عليكم نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الإبل ،  
فقطلوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده . فلما كان بقاع مَنفُوحَةٍ <sup>(٢)</sup> رَمَى به بعيرٌ فقتله .

---

(١) المهراس : حجر منقور يسم كثيراً من الماء (٢) منفوحة : قرية مشهورة من  
نواحي البصرة .

## ٧٧ — رثاء فوق قبر \*

كان عامر<sup>(١)</sup> بن الطفيل أفرس أهل زمانه وأسودهم ، فلما مات ودُفِنَ مرَّ على قبره حيَّان بن سلى — وقد غاب عند موته — فقال : ماهذه الأنصاب ؟ فقالوا : نصَبناها على قبر عامر ، فقال : ضيقتُم على أبي عليّ ، وأفضَلتُم<sup>(٢)</sup> منه فضلا كثيرا . ثم وقف على قبره وقال : أنعم ظلما أبا عليّ ! فوالله لقد كنت تشنُّ الغارة ، وتمحى الجارة ، سريعا إلى المولى بوعدك ، بطيئا عنه بوعيدك<sup>(٣)</sup> ؛ وكنت لا تضلّ حتى يضلّ النجم ، ولا تهَابُ حتى يهابَ السيل ، ولا تمطش حتى يمحشَ البعير ؛ وكنت والله خيرَ ماتكون حين لا تظنّ نفسٌ بنفسٍ خيرا .

ثم التفت إليهم ، فقال : هلا جعلتم قبر أبي عليّ ميلا في ميل !

### \* مجمع الأمثال : ٢-٢٤

(١) عامر بن الطفيل بن مالك ابن أخي عامر ملاعب الأسنة ، وابن عم ليث الشاعر المعروف ، كان مناديه ينادى بمكاذ : هل من راجل فأحله ، أو جائع فأطعمه ، أو خائف فأؤمنه ؟ وكان سيد بني عامر غير مدافع . وقد وفد على النى ومعه أربد أخو ليث يضمران الشعر والسوء فغاب مساعما ، وسار عامر يريد قومه فأتى الطريق سنة ١١ هـ (٢) أفضل منه : إذا ترك منه شيئا ، والفضل والفضلة : البقية من الشيء (٣) الوعيد في الشر ، والوعد في الخير .

## ٧٨ — بمثل هذا فليثنَ على الملوك \*

قال حسان بن ثابت<sup>(١)</sup> : قدِمت على عمرو بن الحارث ، فاعتاص على الوصولِ إليه ، فقلت للحاجب بعد مدّة : إن أذنت لي عليه وإلا هجوتُ اليمينَ كلها ثم انقلبتُ عنكم . فأذن لي ، فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغة وهو جالس عن يمينه ، وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره ، فقال لي : يا ابن الفُرَيْعة ؛ قد عرفت عيصك<sup>(٢)</sup> ونسبك في غَسَّان ، فارجع فإنّي باعث إليك بصلّة سنّية ، ولا أحتاج إلى الشعر ، فإنّي أخافُ عليك هذين السّبعين — النابغة وعلقمة — أن يفضحاك ؛ وفضيحتك فضيحتي ، وأنت والله لا تُخسِنُ أن تقول :

رِقَاقِ النِّعَالِ طَيِّبِ حُجْرَاتِهِمْ      يُحَيِّوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ<sup>(٣)</sup>  
فأبيتُ وقلت : لا بدّ منه ، فقال : ذاك ، فقال إلى عمّيك ، فقلت لهما : بحقّ الملكِ إلّا قدّمتاني عليكما ! فقالا : قد فعلنا ، فقال عمرو بن الحارث : هات يا ابن الفُرَيْعة ، فأنشأت :

### \* الأغاني : ١٤ — ٢٢ .

(١) حسان بن ثابت ، شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر رسول الله في النبوة ، وشاعر اليمين كلها في الإسلام ، دافع عن رسول الله بشعره ، كما دافع عنه قومه بسيوفهم ، وعمر طويلا . ومات سنة ٥٤ هـ (٢) العيص : الأصل ، والفريضة : أمه (٣) رِقَاقِ النِّعَالِ : أى أن نعالهم رقيقة لا يخرسفونها طباقا ، وذلك كناية عن قلة شبيهم ، لأنهم ملوك . بل يركبون الحبل غالبا ، وحجزة الإزار والسرّاويل يجمع شدهما على الوسط من الجسم ، كناية عن عفتهم ، والسباسب : يوم الثعابين ، وهو يوم عيد عند الأنصارى ، وكان المدوح نصرانيا .

لله دَرَّ عَصَابَةٍ نَادَمْتُهُمْ يَوْمًا بَجَلَّتْ<sup>(١)</sup> فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ  
 أَوْلَادُ جَفْنَةٍ<sup>(٢)</sup> عِنْدَ قَبْرِ آبِيهِمْ<sup>(٣)</sup> قَبْرِ ابْنِ<sup>(٤)</sup> مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ  
 يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ<sup>(٥)</sup> عَلَيْهِمْ بَرَدَى يُصَفَّقُ<sup>(٦)</sup> بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ  
 يُفَشُّونَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَبِيلِ  
 بَيضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةُ أَحْسَابِهِمْ شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ  
 فَلَبِثْتُ أَزْمَانًا طَوِيلًا فِيهِمْ ثُمَّ أَدْرَكْتُ كَأَنِّي لَمْ أَفْعَلِ

\*\*\*

قال : فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل<sup>(٧)</sup> عن موضعه سُرُورًا ، وهو يقول :  
 هذا وأبيك الشعر ! لا ما يُعَلِّلَانِي به منذ اليوم ! هذه والله البتارة التي قد بترت المدائح !  
 أحسنت يا ابن الفريضة ! هات له يا غلام ألف دينار مرَّجُوحَةٍ<sup>(٨)</sup> ، فأعطيت ذلك ،  
 ثم قال : لك على في كل سنة مثلها .

ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد ، فهاتِ الثناء المسجوع ، فقام النابغة  
 فقال : ألا أنعم صباحاً أيها الملك المبارك ! السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالدي

(١) جلق : دمشق (٢) جفنة : هو جفنة بن عمرو أبو ملوك الشام ، وأولاده هم : النعمان  
 والمنذر والنيزر وجبله وأبو شمر ، وكانوا جميعاً ملوكاً (٣) أراد بهذا أنهم أعزاء مقيمون بدار  
 مملكتهم ، ليسوا أصحاب رحلة واتجاع (٤) هي مارية بنت ظالم الكندية أم الحارث الأعرج ،  
 وهي ذات القرطين اللذين يضرب بها المثل ، فيقال لما يغفل به الثمن . بقرطى مارية ، وأختها هند  
 الهنود امرأة حجر آكل المرار (٥) البريس : غوطة دمشق (٦) صفق الشراب : حوله ممزوجاً  
 من لافاء إلى لافاء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها ، والسلسل : العذب البارد (٧) زحل عن  
 موضعه : زحف (٨) مرجوحة : هي ما كان في كل دينار منها عشر دنائير .

فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والمعجم حماؤك ، والحكماء جلساؤك ، والمدار<sup>(١)</sup> سمارك ،  
والمقاول إخوانك والعقل شمارك ، والحلم دثارك ، والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك !  
والبر وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحمية  
بطانتك ، والملاء غابتك وأكرم الأحياء أحياءك ، وأشرف الأجداد أجدادك ،  
وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف  
بنساء حلائلك ، وأفخر الشبان أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنيان  
بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك ، وأفيح الدارات<sup>(٢)</sup> دارتك ، وأنزه الحقائق  
حداثتك ، وأرفع اللباس لباسك ، قد حالف الإضر<sup>(٣)</sup> عاتقتك ، ولام المسك<sup>(٤)</sup>  
مسكك<sup>(٥)</sup> ، وجاور العنبر ترائيبك<sup>(٦)</sup> ، وصاحب النعيم جسدك .

المسجد آنتك ، واللجين صحافك ، والعصب<sup>(٧)</sup> مناديلك ، والحواري<sup>(٨)</sup>  
طعامك ، والشهد إدامك ، والخرطوم<sup>(٩)</sup> شرابك ، والأشراف مضافك<sup>(١٠)</sup> ،  
والخير بفنائك ، والشر بساحة أعدائك ، والنصر منوط بلوائك ، والخذلان مع  
ألوية حسادك ، والبر فعلك . قد طحط<sup>(١١)</sup> عدوك غضبك ، وهزم مقانبيهم<sup>(١٢)</sup>  
مشهدك ، وسار في الناس عدلك ، وسكن قوارع الأعداء ظفرك .

الذهب عطاؤك ، والدواة رمزك ، والأوراق لحظك ، والغنى إطراقك ، وألف  
دينار مرجوحة إيمانك .

---

(١) المداره : جمع مدره ، وهو السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة  
(٢) الدارة : المحل يجمع البناء (٣) الإضر<sup>(٣)</sup> : الخز (٤) المسك . الجلد (٥) الترائب : عظام  
الصدر (٦) العصب : نوع من البرود (٧) الحواري : لباب الدقيق (٨) الخرطوم : أول ما يجري  
من العنب قبل أن يداس (٩) جمع منصف وهو الخادم (١٠) طحط : كسر وفرق وبدد إهلاكا .  
(١١) المقنب من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين .



أَيَفَاخِرُكَ الْمُنْذَرُ اللَّخْمِيُّ ! فَوَاللَّهِ لَقَفَّاكَ خَيْرٌ مِنْ وَجْهِهِ ، وَلَشَمَّاكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِهِ  
وَلَأَخْمَصَكَ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِهِ ، وَلَخَطَوُكَ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ ، وَلَصِمْتُكَ خَيْرٌ مِنْ كَلَامِهِ ،  
وَلَأُمِّكَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ ، وَلَخْدُمُكَ خَيْرٌ مِنْ قَوْمِهِ . فَهَبْ لِي أُسَارَى قَوْمِي ، وَاسْتَرْهِنْ  
بِذَلِكَ شَكْرِي ، فَإِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ قَحْطَانَ ، وَأَنَا مِنْ سَرَواتِ عَدْنَانَ .  
فَرَفَعَ عَمْرُو رَأْسَهُ إِلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ تَائِمَةً عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ : بِمِثْلِ هَذَا فَلْيُثْنِ عَلَى  
الْمَلُوكِ ، وَمِثْلِ ابْنِ الْفَرِيعَةِ فَلْيَمْدَحْهُمْ . وَأَطْلَقَ لَهُ أُسْرَى قَوْمِهِ .

## ٧٩ — عُتْبَةُ وَأَعْرَابِيٌّ \*

حَجَّ عُتْبَةُ<sup>(١)</sup> سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، وَالنَّاسُ قَرِيبٌ عَهْدُهُمْ بِفِتْنَةٍ ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّا قَدْ وَلَيْنَا هَذَا الْمَقَامَ الَّذِي يُضَاعَفُ فِيهِ لِلْمُحْسِنِ الْأَجْرُ ، وَعَلَى الْمُسِيءِ فِيهِ الْوِزْرُ ، وَنَحْنُ عَلَى طَرِيقِ مَا قَصَدْنَا ؛ فَلَا تَمُدُّوا الْأَعْنَاقَ إِلَى غَيْرِنَا ؛ فَإِنَّهَا تَنْقُطُ دُونَنَا ، وَرَبِّ مُتَمَنَّي حَتْفُهُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ؛ فَاقْبَلُوا الْعَافِيَةَ مَا قَبَلْنَاهَا فِيكُمْ وَقَبَلْنَاهَا مِنْكُمْ ؛ وَإِيَّاكُمْ وَلَوْ<sup>(٢)</sup> فَإِنَّهَا أَنْعَبَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ تُرِيحَ مَنْ بَعْدَكُمْ ؛ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَبِينَ كَلًّا عَلَى كُلِّ .

فَصَاحَ بِهِ أَعْرَابِيٌّ : أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ ! فَقَالَ لَسْتُ بِهِ وَلَمْ تُبْعِدْ<sup>(٣)</sup> . فَقَالَ : يَا أَخَاهُ . قَالَ : سَمِعْتُ فَقُل . قَالَ : تَاللَّهِ إِنْ تَحْسَنُوا — وَقَدْ أَسَأْنَا — خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَسِيئُوا وَقَدْ أَحْسَنَّا ؛ فَإِنْ كَانَ الْإِحْسَانُ بِكُمْ دُونَنَا فَمَا أَحَقَّكُمْ بِاسْتِثْمَائِهِ ، وَإِنْ كَانَ مَنَا فَمَا أَوْلَاكُمْ بِمَكَافَأَتِنَا ! رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَمْعَةَ يَلْقَاكُمْ بِالْعُمُومَةِ ، وَيَقْرُبُ إِلَيْكُمْ بِالْخُثُولَةِ ، قَدْ كَثُرَ الْعِيَالُ<sup>(٤)</sup> ، وَوَطْنُهُ الزَّمَانُ ، وَبِهِ فَقْرٌ ، وَفِيهِ أَجْرٌ ، وَعِنْدَهُ شُكْرٌ .

فَقَالَ عُتْبَةُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَيْكُمْ ، قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِغِنَاكَ ، فَلَيْتَ إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ يَقُومَ يَابِطَانَا عَنْكَ !

\* الْأُمَالِي : ١ — ٢٣٦ .

(١) هُوَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، أَخُو مِطَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَلَاهُ أَخُوهُ مِطَاوِيَةَ إِمَارَةَ مِصْرَ سَنَةَ ٤٣ هـ وَشَهِدَ يَوْمَ الدَّارِ مَعَ عُثْمَانَ ، وَيَوْمَ الْجَلِّ مَعَ عَائِشَةَ ، وَكَانَ مِنْ خُطَبَاءِ بَنِي أُمَيَّةِ الْمَدُودِينَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٤ هـ (٢) اللّو : قَوْلُ الْإِسْنَدِ عَلَى الْفَائِتِ : لَوْ كَانَ كَذَا لَفَعَلْتُ وَلَفَعَلْتُ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ « إِيَّاكَ وَاللّو ؛ فَإِنَّ اللّوَ مِنَ الشَّيْطَانِ » (٣) وَلَمْ تَبْعِدْ : أَيُّ أَنَا أَخُو الْخَلِيفَةِ وَهُوَ مِطَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ . (٤) كَثُرَ الْعِيَالُ : كَانُوا كَثِيرِينَ فَغَلِبُوهُ بِكَثْرَتِهِمْ .

## ٨٠- إن من البيان لَسِحْرًا \*

وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبْرَقَانُ <sup>(١)</sup> بن بدر وعمرو <sup>(٢)</sup> بن الأَهمّ ؛ فقال الزُّبْرَقَانُ : يا رسول الله ، أنا سيدُ تميم ، والمطاعُ فيهم ، والجهابُ منهم ، آخذ لهم بحقهم ، وأمنهم من الظلم ؛ وهذا يعلمُ ذلك - يعني عمرًا . فقال عمرو : أجل يا رسول الله ! إنه مانع لحوزتِه <sup>(٣)</sup> ، مطاعٌ في عشيرته ، شديدُ المارضة <sup>(٤)</sup> فيهم .

فقال الزُّبْرَقَانُ : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي ! فقال عمرو : أما والله لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيقُ البطن <sup>(٥)</sup> زَمِيرٌ <sup>(٦)</sup> للرؤءة ، أحقُّ الأب ، لثيم الخلال ، حديث الفنى !

فرأى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال يا رسول الله ، رضيتُ فقلت أحسن ما علمتُ ، وغضبتُ فقلت أقبح ما علمتُ ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لَسِحْرًا » .

---

\* زهر الآداب : ١-٥ . مجمع الأمثال : ١-٧

(١) الزُّبْرَقَانُ : اسمه حصين بن بدر ، وفد على رسول الله في قومه - وكان أحد ساداتهم ، فأسلموا في سنة تسع ، وولاه صدقات قومه . وأقره أبو بكر وعمر على ذلك ، والزُّبْرَقَانُ في الأصل : القمر ، ولقب به لحسنه . وتوفي نحو سنة ٤٥ هـ (٢) عمرو بن الأَهمّ : هو عمرو بن سنان ، وسمى سنان الأَهمّ ، لأن قيس بن عاصم المنقرى ضربه بقوس فهتّم فاه . وبنو الأَهمّ أهل بيت بلاغة في الجاهلية والإسلام (٣) حوزة الرجل : ما يحوزة ويعلّكه (٤) المارضة : البهية وقوة الكلام (٥) البطن : المناخ حول الورد ، وضيق البطن : كناية عن البخل . (٦) زمر المروءة : قليلها .

## ٨١ - عبد الله بن عباس والحطيئة \*

بينما ابن عباس جالسٌ في مجلسٍ <sup>(١)</sup> رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كُفَّ بصره ، وحوله ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابي <sup>(٢)</sup> يَخْطِرُ ، وعليه مُطْرَفٌ <sup>(٣)</sup> وجبةٌ وعمامة خبز ، حتى سَلَّمَ على القوم ، فردّوا عليه السلام ، فقال : يا ابن عمّ رسول الله ؛ أفتنّى ، قال : فيم ؟ قال : أتخاف على جناحاً إن ظهني رجل فظلمته ، وشتمني فشتمته ، وقصّر بي فقصرتُ به ؟ فقال : العفو خيرٌ ، ومن انتصر فلا جناح عليه . فقال : يا ابن عمّ رسول الله ؛ أرايت أمراً أتاني فوعدني وغرّني ومنااني ، ثم أخلفني واستخفّ بحُرمتي ، أيسفني أن أهجّوه ؟ قال : لا يصلحُ الهجاء ؛ لأنه لا بدّ لك من أن تهجّوا غيره من عشيرته ، فتظلم من لم يظلمك ، وتشتّم من لم يشتّمك ، وتبغى على من لم ينبغِ عليك ، والبغى مرتّسه وخيم ، وفي العفو ما قد علمت من الفضل ؛ قال : صدقت وبررت .

فلم ينشبْ أنْ أقبل عبد الرحمن بن سِنَعَانَ المَحَارِبِيّ حليفُ قريش ، فلما رأى الأعرابيّ أجله وأعظمه وألطف في مسأله ، وقال : قرّب الله دارك يا أبا مليكة ، فقال ابن العباس : أجرّول ؟ قال : جرّول ! فإذا هو الحطيئة ، فقال ابن عباس : لله أنت ! أي مرّدي <sup>(٤)</sup> قِذاف ، وذائدٍ عن عشيرة ، ومُثْنٍ بعارفةٍ تُوثّأها

\* الأغانى : ٢ - ١٩٢

(١) مجلس رسول الله . أي المكان الذي كان يجلس فيه (٢) هو جرّول بن أوس من بني عبس ؛ كان من خول الشعراء ومتقدميهم ، ولكنه كان ذا شروسة شديدة الهجاء يخاف العرب لسانه ويسترضونه بالمال خوفاً من شره ومات سنة ٥٩ هـ (٣) المطرف : رداء من خبز (٤) المردي : في الأصل حجر يرمى ، ويطلق على الرجل الشجاع فيقال : مردي حروب .

أنت يا أبا مليكة ! والله لو كنت عرصت<sup>(١)</sup> بجنبك بعض ما كرهت من أمر الزُّبرقان كان خيراً لك ، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك ، وشتت من لم يشتبك ، قال : إني والله بهم يا أبا العباس<sup>(٢)</sup> لعالم ؛ قال : ما أنت بأعلم بهم من غيرك ، قال : بلى والله ! يرحمك الله ! ثم أنشأ يقول :

أنا ابنُ محدَّتهم<sup>(٣)</sup> علماً وتجربةً      فسَلْ بسدْرِ تجدني أعلمَ الناس  
سدُّ بن زيدرٍ كثيرٌ إن عددتهمُ      ورأسُ سعد بن زيد آل شماس  
والزُّبرقان ذُنابهم<sup>(٤)</sup> وشرُّهمُ      ليس الذَّنابي أبا العباس كالرَّاسِ

فقال ابن عباس : أقسمت عليك ألا تقول إلا خيراً ، قال : أفعل . ثم قال ابن عباس : يا أبا مليكة ؛ من أشعرُ الناس ؟ قال : أمن الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ، قال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عِرضه      يَفِرُّهُ ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشرَّ يُشْتَمِ  
وما بدونه الذي يقول :

ولست بمستبقٍ أخاً لا تلُثُّه      على شعثٍ ، أيُّ الرجال المهذبُ !  
ولكنَّ الضراعة أفسدتُه كما أفسدت جرّولا - يعني نفسه - والله يابن عمِّ رسول الله لولا الطمعُ والجشعُ لكنتُ أشعرَ الماضين ، فأما الباقون فلا تشكُّ أني أشعرهم وأضردهم<sup>(٥)</sup> سهما إذا رميت !

(١) عرك بجنبه ما كان من صاحبه : احتمله (٢) كنية عبد الله بن العباس (٣) البجدة : دخلة الأمر وباطنه ، والمراد : أنا العالم بالشيء (٤) ذنابهم : ذنبهم (٥) أضردهم .



لما ولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان أراد أن يستصحب يزيد<sup>(١)</sup> بن ربيعة بن مفرغ ، فأبى عليه ، وصحب عباد بن زياد ، فقال له سعيد : أما إذا أبيت أن تصحبني وآثرت عبّاداً فاحفظ ما أوصيك به : إن عبّاداً رجلاً لثيمٌ ، فأياك والدّالة عليه ، وإن دعاك إليها من نفسه ، فإنها خدعة منه لك عن نفسك ، وأقلل زيارته ، فإنه طريف<sup>(٢)</sup> مَلُولٌ ، ولا تُفآخره وإن فآخرك ، فإنه لا يحصل لك ما كنت أحتمله .

ثم دعا سعيد بمال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال : استعين به على سفرك ؛ فإن صحّ لك مكانك من عبّاد ، وإلا فمكانك عندي ممهدٌ فأتني .

ثم سار سعيد إلى خراسان وتخلّف ابن مفرغ عنه ، وخرج مع عبّاد ابن زياد .

قال الراوى : فلما بلغ عيد الله<sup>(٣)</sup> بن زياد صحبة ابن مفرغ أخاه عبّاداً شقّ عليه ، ولما عزم عبّاد على السير إلى سجستان ، جاء عبد الله يودعه ، فدعا ابن مفرغ وقال له : إنك سألت عبّاداً أن تصحبه وأجابك إلى ذلك وقد شقّ على .

فقال له ابن مفرغ : ولم أصلحك الله ؟ فقال : لأنّ الشاعر لا يُقنعه من

\* تاريخ الطبرى : ٦ - ١٧٧ ، الأغانى : ١٧ - ٥٥ ( طبعة الساسى ) .

(١) يزيد بن ربيعة بن مفرغ : شاعر محسن . هزل من شعراء الحماسة ، توفى سنة ٦٩ هـ .

(٢) الطرف : من لا يثبت على صاحب (٣) كان عيد الله والى البصرة على عهد معاوية .

الناس ما يُقْنِعُ بعضهم من بعض ؛ لأنه يظنُّ فيجمل الظنَّ يقيناً ، ولا يعذر في مَوْضِع ؛ وإن عبّاداً يقدم على أرض حرب فيشتغلُ بحروبه وخِراجِه عنك ، فلا تعذِّره أنت وتكسبنا شراً وعاراً .

فقال له : لستُ كما ظنَّ الأمير ، وإن لمعروفه عندي لشكراً كثيراً ، وإنَّ له عندي - إنْ أَغْفَلَ أُمْرِي - عذراً مُمَهِّداً .

قال عبيد الله : لا ، ولكنْ تضمن لي إنْ أَبْطَأَ عنك ما تحبُّه ألاَّ تعجلَ عليه حتى تكتب إليَّ ! قال : نعم ، قال : امض على الطائر الميمون .

قال الراوى : فلما قدم عبّاد سِجِسْتَانَ ، واشتغل بحربه مع التُّركِ وخِراجِه استبطّاه ابن مفرّغ ، ولم يكتب إلى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ، ولكن بَسَطَ لسانه ، فذمّه وهجاه ؛ وكان عبّاد عظيم اللّحية كأنها جُوالق<sup>(١)</sup> ، فدخلت الريح فنفسّتها ، فضحك ابن مفرّغ وقال لرجل كان إلى جنبه :

ألا ليت اللّحي كانت حشيشاً      فنعلفها خيولُ المُسلمينا !<sup>(٢)</sup>

فسمى به الرجل إلى عبّاد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال : لا يحملُ بي عقوبته في هذه السرعة مع الصّحبة لي ، وما أُوخِّرُها إلاَّ لأشفي نفسي منه .

وبلغ الخبرُ ابنَ مفرّغ فقال : إني لأجدُ ريحَ الموت من عبّاد ؛ ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير ؛ إني كنت مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغك رأيه فيّ ، وجميلُ أثره عليّ ، وإني اخترتُك عليه فلم أظفرْ منك بطائل ؛ وأريد أن تأذن لي في الرجوع ؛ فلا حاجة لي في صحبتك .

(١) الجوالق : الوطاء . (٢) كان قد أصاب الجند مع عبّاد ضيق في أعلاف دوابهم .

( ١٤ - قصص العرب ٢ )

فقال له : أمّا اختيارك إياي فإني اخترتك كما اخترتني ، واستصحبك حين سألتني ، وقد أعجلتني عن بلوغ محبتي فيك ؛ وطلبت الآن أن ترجع إلى قومك فتفضحني فيهم ، وأنت على الإذن قادرٌ بعد أن أقضى حقك . فسكت ابنُ مفرغ .

ثم أجرى عباد الخيلَ يوماً ، فجاء سابقاً ، فقال ابن مفرغ يهزأ به : سبق عباد وصلت<sup>(١)</sup> لحيته . فبلغ ذلك عبّاداً ، وبلغه أنه لا يزال يسبه ويذكّره ، فطلب عليه العيل ، ودسّ إلى قوم كان لهم عليه دين ، فأمرهم أن يقدموه إليه ، ففعلوا فحبسه وأضرّ به .

ثم بعث إليه : أن يعني الأراكة<sup>(٢)</sup> وبرّداً ، فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول : أبيعُ المرء نفسه أو ولده ! ثم غرّ به عبّاد حتى باعها لرجل من أهل خراسان ، فقال ابن مفرغ :

شريت برداً ولو ملكت صفقته	لما تطلبت في يسم له رشداً
لولا الدعى ولولا ما تعرض لي	من الحوادث ما فارقته أبداً
أمّا الأراك فكانت من محارمنا	عيشاً لذيذاً وكانت جنة رغداً
كانت لنا جنة كنا نعيش بها	نفنى بها إن خشينا الأزل والنكد <sup>(٣)</sup>
يألتني قبل ما ناب الزمان به	أهلى لقيت على غدوانه الأسد
قد خآنا عيش من لم نخش عثرته	من يأمن اليوم أمّن ذا يعيش غداً
لامتنى النفس في بردي فقلت لها :	لا تهلكي إثر بردهكذا كمداً

(١) المصل في الخيل : هو الذي يتلو السابق . (٢) كانت الأراكة قينة لابن مفرغ ، وبرد غلامه ، رباها ، وكان شديد الضن بهما . (٣) الأزل : الضيق والشدة .

كم من نعيم أصبنا من لذاته قلنا له إذ تولّى : ليته خلداً<sup>(١)</sup> !

ثم قال عباد لحاجبه : ما أرى هذا يبالي بالمقام في الحبس ، فبِعْ فرسه وسلاحه وأثاثه ، واقسم ثمنها بين غُرَمائه . ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم ، وبقيت عليه بقية حبسه بها .

وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذمّ عباد وهجائه ، وهو في محبسه ، زاد نفسه شراً ، فكان يقول للناس - إذا سألوه عن حبسه ما سبّه - رجلٌ أدّبه أميره ليُقوم من أوديه ، أو يكفّ من غُرَبه ، وهذا لعمري خيرٌ من جرّ الأمير ذيله على مُداهنة صاحبه .

فلما بلغ ذلك عبّاداً من قوله رقّ له ، وأخرجه من السجن ، فهرب حتى أتى البصرة ، ثم خرج منها إلى الشام ، وجعل ينتقل في مدنها هارباً ، ويهجو زياداً وولده ، وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم ، ثم تعدّى ذلك إلى أبي سفيان فحذفه وسبّ ولده .

ولما تمادى في ذلك جاء عبّاد إلى أخيه عبيد الله بالبصرة ، فوجده وافداً على معاوية ، فكتب إليه يبعث ما هجا به آل زياد وأبا سفيان .

(١) ذكروا أن الأراكة وبرداً حينما دخلا منزل الحراساني قال له برد - وكان داهية أريباً - : أتدرى ما اشتريت ؟ قال : نعم ، اشتريت هذه الجارية ، فقال : لا والله ما اشتريت إلا العار والدمار والفضيحة أبداً ما حيت ! فجزع الرجل ، وقال له : كيف ذلك ؟ وياك ! قال : نحن ليزيد بن مفرغ ، والله ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشره ، أفتراه يهجو ابن زياد وهو أمير خراسان وأخوه أمير العراقين وعمه الخليفة في أن استبطأه ، ويمسك عنك وقد ابتعتني وابتعت هذه الجارية ، وهي نفس التي بين جنبيه ! والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته على منزلك ! فقال : فاشهد أنك وإياها له ؟ فإن شئنا أن تمضيا إليه فامضيا ، وإن شئنا أن نكون عندنا فافعلا ! قال : فاكتب إليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في الحبس بما فعله ، فكتب إليه بشكر فعله وسأله أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه .

فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية ، ثم استأذنه في قتل ابن مفرغ ، فأبى عليه أن يقتله وقال : أدِّبه ولا تبلغ به القتل .

ثم جعل ابن مفرغ ينتقل من بلد إلى بلد ، فإذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام ؛ فأتى البصرة ، ونزل على الأحنف بن قيس فالتجأ واستجار به ، فقال له الأحنف : إني لا أجير على ابن سمية<sup>(١)</sup> ، إنما يجير الرجل على عشيرته ، فأما على سلطانه فلا .

ثم أتى خالد بن عبد الله فاستجار به ، فأبى أن يجيره ، فأتى عمر بن عبيد الله فوعده ، وأتى طلحة الطلحات فوعده ، ثم أتى المنذر العبدى فأجاره ، وكان عبيد الله بن زياد زوجاً لبنته ، وكان من أكرم الناس عليه ، فاغتر بذلك ، وأدل بموضعه منه وطلبه عبيد الله فقبل له : قد أجارَه المنذر .

فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه ، فلما دخل عليه بعث بالشُّرط ، فكبسوا دارَ المنذر وأتوه بآبن مفرغ ، فلم يشعر المنذر إلا بآبن مفرغ قد أقيم على رأسه . فقام إلى عبيد الله فكلَّمه فيه وقال : أذْكَرُكَ اللهُ أَيُّهَا الأمير ، لا تخفِرْ جوارى فأبى قد أجرته .

فقال عبيد الله : يا منذر ، ليمدحَنَّ أباك وليمدحَنَّك ، ولقد هجانى وهجاني أبي ثم تجيره على الله لا يكون ذلك أبداً ، ولا أغفرُها له . فغضب المنذر ، فقال له عبيد الله : لعلك تُدِلُّ بكريمتك عندي ، إن شئت والله لأينسها بتطبيق البتة<sup>(٢)</sup> .

فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ ، وقال له : بئسما

---

(١) سمية : أم زياد (٢) منصوب على المصدر ، يقال : لأفعله البتة . لكل أمر لا رجعة فيه .



صَحِبَتْ بِهِ عَبَادًا ! فَقَالَ : بئسما صحبني به عباد ! اخترته على سعيد بن عثمان ،  
وَأَنْفَقْتُ عَلَى صَحْبَتِهِ كُلَّ مَا أَفْدَتْهُ وَكُلَّ مَا أَمْلَكَهُ ، ثُمَّ عَامَلَنِي بِكُلِّ قَبِيحٍ ،  
وَتَنَاوَلَنِي بِكُلِّ مَكْرُوهٍ ، مِنْ حُبْسٍ وَغُرْمٍ ، وَشَتْمٍ وَضَرْبٍ ، فَكُنْتُ كَمَنْ شَامَ بَرْقًا  
خَلْبًا فِي سَحَابِ جَهَامٍ ، فَأَرَأَى مَاءَهُ طَمَعًا فِيهِ فَمَاتَ عَطْشًا ، وَمَا هَرَبْتُ مِنْ أَخِيكَ  
إِلَّا لِمَا خِفْتُ أَنْ يُجْرِيَ فِيَّ مَا يَنْدُمُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ صَرْتُ الْآنَ فِي يَدِكَ ، فَشَأْنُكَ  
فَصْنَعُ بِي مَا أَحَبْتَ .

فَأَخَذَ عَيْدُ اللَّهِ فِي تَعْذِيْبِهِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُطَافَ بِهِ ، بِحَالَةِ سَيْثَةٍ ، وَقُرْنِ بَهْرَةٍ  
وَحَنْزِيرَةٍ ، وَالصَّبِيَّانِ حَوْلَهُ يَصِيحُونَ بِهِ وَيَلْحَنُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ رُدُّوا إِلَى السِّجْنِ ، وَسُقِيَ  
فِيهِ مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ . فَقَالَ يَذْكُرُ مَا فَعَلَ بِهِ وَإِهْمَالَ قَرِيْشِ إِيَّاهُ :

دَارَ سَلَمَى بِالْحُبِّ ذِي الْأَطْلَالِ	كَيْفَ نَوْمُ الْأَسِيرِ فِي الْأَغْلَالِ !
أَيْنَ مَنَى السَّلَامُ مِنْ بَعْدِ نَائِي	فَارْجُمْنِي لِي تَحِيَّتِي وَسُؤَالِي !
أَيْنَ مَنَى نَجَائِي وَجِيَادِي	وَعَزَائِي ، سَقَى الْإِلَهَ غَزَالِي !
أَيْنَ ، لَا أَيْنَ جُنَّتِي وَسِلَاحِي	وَمَطْلَايَا سَبَرْتُهَا لِارْتِمَالِي !
هَدَمَ الدَّهْرُ عَرْشَنَا فَتَدَاعَى	قَبْلَيْنَا إِذْ كُلُّ عَيْشٍ بِالِ
إِذْ دَعَانَا زَوَالُهُ فَاجْتَبَانَا	كُلُّ دُنْيَا وَنَعْمَةٍ لَزَوَالِ
أَمْ قَضَيْنَا حَاجَاتِنَا فإِلَى الْمَوْتِ	تِ مَصِيرُ الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ
لَا وَصَوْمِي لِرَبِّنَا وَزَكَاتِي	وَصَلَاتِي أَدْعُو بِهَا وَابْتِهَالِي
مَا أَتَيْتُ الْغَدَاةَ أَمْرًا دَنِيًّا	وَلَدَى اللَّهِ كَابِرُ الْأَعْمَالِ
أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَرْهَبُ بِالْقَتْلِ	لِي بَلَفَتِ النَّكَالَ كُلَّ النَّكَالِ
فَاخْشَ نَارًا تَقْذِفُ الْوُجُوهُ وَيَوْمًا	يَقْدِفُ النَّاسَ بِالْإِهْوَاحِ النَّقَالِ

قد تعدّيت في القصاص وأدرَكَ  
وكسرت السنَّ الصحيحة مِنِّي  
وقرّتم مع الخنازير هراً  
وأطلمت مع العقوبة سجنًا  
يفسلُ الماء ما صنعت ، وقولي  
لو قبلت الفداء أورُمت مالى  
لو بغيرى من معشرٍ لعبِ الله  
كم بكاني من صاحب و خليلِ  
تَ دُحُولاً<sup>(١)</sup> لمشر أقتالِ  
لا تُذِلّنى قُمْنُكْرُ إِذْلالِي  
وَيَمِينِي مَفْلُوءَةً وَشمالِي  
فكم السجّين؟ أو متى إرسالي!  
راسخ منك في العظام البوالي  
قلت : خذه ، فداء نفسى مالى  
رُ لما ذمّ نصرتى واحتيالى  
حافظ الغيب حامدٍ للخصال!

\*\*\*

ليت أنى كنت الحليف للخمِ  
بدلاً من عصابة من قريشِ  
خَذَلُونى وهم لذاك دعُونى  
لا تدعنى ، فذاك أهلى ومالى  
وجُذامٍ أو طيّء الأُجبالِ  
أسلمونى للخصم عند النّضالِ  
ليس حامى الذّمار بالخِذالِ  
إنّ حَبْلِكَ من متين الحبالِ  
وعصيت النصيح ، خَلَّ ضَلالِي!  
حسرتا إذ أطمعتُ أمر غواتي

ولكن عبيد الله أرسله إلى أخيه عبّاد بسجستان ، فكلّمت اليمانية فيه  
بالشام معاوية ؛ فأرسل رسولاً إلى عبّاد أن يحمل إليه ابن مفرغ ، فحُمِلَ من  
عنده ، وقال في طريقه :

(١) القحط : النّار .

عَدَمَنْ مَا لَعِبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ      نَجُوتِ، وَهَذَا تَحْمِيلِينَ طَلِيقٌ<sup>(١)</sup>  
 لِعَمْرٍى لَقَدْ نَجَّاهُ مِنْ هُوَّةِ الرَّذَى      إِمَامٌ وَحَبْلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيقٌ  
 سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ نِعْمَةٍ      وَمِثْلِي بِشُكْرِ النِّعَمِينَ حَقِيقٌ  
 فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ بَكَى وَقَالَ : رَكِبَ مِنِّي مَا لَمْ يَرْكَبْ مِنْ مُسْلِمٍ ، عَلَى غَيْرِ  
 حَدَّثٍ وَلَا جَرِيرَةٍ أَقَالَ أَوْ لَسْتُ الْقَاتِلُ :  
 أَلَا أَبْلُغُ مَعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ . . . . .  
 أَفَلَمْ تَقُلْ :  
 فَأَشْهَدُ . . . . .

فِي أَشْعَارِ كَثِيرَةٍ هَجَوْتُ بِهَا زِيَادًا ! أَذْهَبَ فَقَدْ عَفَوْنَا عَنْ جُرْمِكَ ، أَمَّا لَوْ إِيَّاَنَا  
 تَعَامَلْ لَمْ يَكُنْ مِمَّا كَانَ شَيْءٌ ؛ انْطَلِقْ ، وَفِي أَيِّ أَرْضٍ شَتَّتَ فَانْزِلْ . فَتَزِلْ الْمَوْصِلَ .

(١) عَدَس : اسْمُ زَجَرِ الْبَغَالِ .

### ٨٣ — عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب \*

قال شيخ من أهل مكة :

لما أتى عبد الله<sup>(١)</sup> بن الزبير قتل مصعب<sup>(٢)</sup> أخيه أضرب عن ذكره أياما حتى تحدثت به إمام مكة في الطرق ، ثم صدر المنبر ، فجلس عليه مليا لا يتكلم ، فنظرت إليه والكآبة على وجهه ، وجبينه يرشح عرقا ، فقلت لآخر إلى جنبي : ماله لا يتكلم ؟ أترأه يهاب المنطق ! فوالله إنه لخطيب ، فأتراه يهاب ! قال : أراه يذكر قتل مصعب سيد العرب ، وهو بفظيع تذكره غير ملوم . فقال : « الحمد لله الذي له الخلق والأمر وملك الدنيا والآخرة ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ألا إنه لم يذل - والله - من كان الحق معه وإن كان مفردا ضعيفا ، ولم يعز من كان الباطل معه ، وإن كان في العدة والعدد والكثرة » .

ثم قال : « إنه قد أتانا خبر من العراق ، ببلد الفدر والشقاق ، فساءنا وسرنا ؛ أتانا أن مصعبا قتل - رحمة الله عليه ومغفرته ! فأما الذي أحزننا من ذلك فإن لفراق الحميم لدعة يحدوها حيمه عند المصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذو الرأي والدين إلى جميل الصبر ، وأما الذي سرنا منه ، فإننا قد علمنا أن قتله شهادة له ، وأنه

\* الأغاني : ١٧ - ١٦٦

(١) انظر صفحة ١٢٦ (٢) كان من أجواد العرب ، وولاه أخوه عبد الله بن الزبير المراقين فسار إليه عبد الملك بن مروان بجيش ووجه أخاه محمد بن مروان على مقدمته فلقبه مصعب فقاتله ، فقتل مصعب . ودخل عبد الملك الكوفة ، وبايع له أهلها .

عز وجل جاعل ذلك لنا خيرةً إن شاء الله تعالى .

إنَّ أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن ، لقد قُتِل أبوه وعمه وأخوه وكانوا  
خيارَ الصالحين ؛ إنَّا واللهِ ما نموتُ حتف أنوفنا ؛ ما نموت إلا قتلاً قمصاً<sup>(١)</sup> بالرماح ،  
وتحتَ ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مرِّوان ؛ والله ما قُتِل منهم رجلٌ في  
جاهلية ولا إسلام قط ؛ وإنما الدنيا عارية من الملك القهار ، الذي لا يزول سلطانه ،  
ولا يبيد ملكه ، فإن تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الأشر البطر ، وإن تُذبر  
عنى لا أبكى بكاء المهتر<sup>(٢)</sup> . ثم نزل !

---

(١) قمصه : قتله مكانه (٢) المهتر : الذى فقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن .



اجتمع عمر بن أبي ربيعة ، وجيل <sup>(١)</sup> بن عبد الله المذري ، فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها :

لقد فرح اثا شون أن صرمت <sup>(٢)</sup> حبل  
يقولون : مهلاً با جميل ، وإني  
خيل لي فيما عشتما هل رأيتما  
أبيت مع الهلاك <sup>(٣)</sup> ضيفاً لأهلها  
أفنى أيتها القلب اللجوج عن الجهل  
فلو تركت عقلي معي ما طلبتها  
حتى أتى على آخرها . ثم قال لعمر : يا أبا الخطاب ، هل قلت في هذا الروي شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فأنشدني ، فأنشده :

جری ناصح بالود بيني وبينها  
فلما تواقفنا عرفت الذي بها  
قلن لها : هذا عشاء وأهلنا  
فقلت : فما شئت ؟ قلن لها : انزلي  
فقر بني يوم الحصاب إلى قتلي  
فقر بني يوم الحصاب <sup>(٤)</sup> إلى قتلي  
قريباً ألما تسامي مركب البغل !  
فلأرض خير من وقوف على رخل

\* الأغاني : ١ - ١١٥ ( طبعة دار الكتب ) ، زهر الآداب : ٢ - ٢٤٠

(١) بعد جميل بن معمر مثال الفزل البدوي الضيف ، نشأ في البادية ، وأحب ابنة عمه بثينة وعرف بها ، وقال فيها شعراً كثيراً وقد لقي في سبيل حبه الضيف والعداء ، مات سنة ٢٨ هـ

(٢) صرمت حبل : قطعت الصلة بي (٣) الهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس ابتغاء معروفهم

(٤) جل : علم على امرأة ، وهو يقصد بها بثينة . (٥) طلايها : طلي لإياها .

(٦) الحصاب كالخصب : موضع رمى الجمار .

نُجُومٌ دَرَارِيٌّ تَكْتَفِنُ صُورَةَ  
فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خَيْفَةً أَنْ يَرَى  
فَقَالَتْ - وَأَرَخْتُ جَانِبَ السُّرِّ : إِنَّمَا  
فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِي لَمْ مِنْ تَرَقَّبٍ  
فَلَمَّا اقْتَصَرْنَا دُونَهُنَّ حَدِيثُنَا  
عَرَفْنَا الَّذِي تَهْوَى قَلْبُنَا ائِذْنِي لَنَا  
فَقَالَتْ : فَلَا تَلْبِثِي قَلْبِي : تَحْدِثِي  
فَقَمْنًا وَقَدْ أَفْهَمْنَا ذَا اللَّابِ أَنْهََا  
فَقَالَ جَمِيلٌ : هَيْهَاتَ يَا أَبَا الْخَطَّابِ ! لَا أَقُولُ وَاللَّهِ مِثْلَ هَذَا سَجِيسَ اللَّيَالِي (١) ،  
وَاللَّهِ مَا يَخَاطَبُ النِّسَاءَ مَخَاطَبَتَكَ أَحَدٌ ، وَقَامَ مَشْمُورًا .

(١) هُوجٌ : جَمْعُ هُوجَاءَ ، وَهِيَ الْمَتَعَجَّلَةُ فِي السَّيْرِ كَأَنَّ بِهَا هُوجًا وَحَقًّا (٢) الشَّكْلُ : دَلَالَةُ الْمَرْأَةِ وَغَزَلُهَا (٣) أَيْ لَا أَقُولُ مِثْلَ هَذَا أَبَدًا ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَسْتَعْمَلُ لِلتَّأْيِيدِ .

## ٨٥ — لشمر عمر بن أبي ربيعة نَوَطة بالقلب\*

ذُكر شِعرُ الحارث<sup>(١)</sup> بن خالد وشعرُ عمر بن<sup>(٢)</sup> أبي ربيعة عند أبي عتيق في مجلس رجلٍ من ولد خالد بن العاص بن هشام ، فقال : صاحبنا — يعني الحارث ابن خالد — أشعرُهما .

فقال له ابن أبي عتيق . بَعْضَ قولك يا ابن أخى ! لشمر عمر بن أبي ربيعة نَوَطة<sup>(٣)</sup> في القلب ، وعُلُوقٌ بالنفس ، ودَرْكٌ للحاجة ليست لشمر الحارث ، وما عُصِيَّ اللهُ عزَّ وجل بشعرٍ أَكْثَرُ مما عُصِيَّ بشعر عمر بن أبي ربيعة ، فخذ عني ما أصف لك : أشمرُ قریش مَنْ دَقَّ معناه ، وَلَطَفَ مَدْخَلُهُ ، وَسَهَّلَ تَخْرُجُهُ ، وَمَتَّنَ حَشْوُهُ ، وَتَمَطَّطَتْ حَوَاشِيهِ ، وَأَنَارَتْ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ حَاجَتِهِ !

فقال المفضل للحارث : أليس صاحبنا الذي يقول :

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي      عند الجمار يثودها المقل<sup>(٤)</sup>  
لو بُدِّلتْ أَعْلَى مَسَاكِينِهَا      سُفْلًا ، وَأَصْبَحَ سُفْلُهَا يَفْلُو  
فِيكَادِ يَمْرِفُهَا الْخَبِيرُ بِهَا      فِيرْدُهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحَلُّ<sup>(٥)</sup>  
لَمَرَفْتُ مَفْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ      مَنِ الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

\* الأغاني : ١ — ١٠٨ ( طبعة دار الكتب ) ، الأمل : ٢ — ١٧

(١) انظر ص ١٥٣ .

(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي ، اختص شعره بوصف النساء ، وعد ألسب الشعراء وأوصفهم لربات المجال ، وكان يقيم بمكة ويتعرض للعباج ، وله في ذلك أخبار كثيرة تولى سنة ٥٩٣ هـ (٣) النوطة : التعلق (٤) يثودها : يتقلها ، والمقل : الحبس (٥) أقوت الدار : أقفرت وخلت من أهلها ، والمحل : الجذب .

فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي ؛ استرْ على نفسك ، واكتمْ على صاحبك ،  
ولا تشاهدِ المحافلِ بمثلِ هذا ؛ أما تطيرُ الحارثُ عليها حين قلبَ ربعمها ، فجعل عاليه  
سافله ، ما بقي إلَّا أن يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارةً من سجيل<sup>(١)</sup> ؛ ابن أبي

ربيعة كان أحسنَ صُحبةً للرَّبع من صاحبك ، وأجملَ مخاطبة حيث يقول :

سائلاً الرَّبعَ بالبلي<sup>(٢)</sup> وقولاً هجتَ شوقاً لي الفداة طويلاً  
أين حيَّ حلوك إذ أنت محفو ف بهم أهلٌ أراك جميلاً !  
قال : سارُوا فأمنعوا واستقلُّوا<sup>(٣)</sup> وبرغمي لو استطعتُ سبيلاً  
سئموناً وما سئمنــــــــــــــــــــا مقاماً وأحبُّوا دماً ومهولاً  
فانصرف الرجلُ خجلاً مذعناً .

(١) السجيل : الطين المتحجر . (٢) البلي : تل قصير . (٣) استقلُّوا : واصلوا السير وجدوا

في الارتحال .

## ٨٦- ابن المسيب يفخر بصاحبه\*

قال بعض الرواة :

دخلتُ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مُساحق ؛ وإِنَّه لمعتَمِد على يديَّ إذا مرَرنا بسعيد بن المسيب<sup>(١)</sup> في مجلسه ، فسلمنا عليه ، فردَّ سلامنا ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد ؛ من أشعر ؟ أصحابنا أم صاحبُكم ؟ يعني عبيد الله ابنَ قيس الرقيّات أو عمر بن أبي ربيعة - فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ فقال : حين يقول صاحبنا :

خليلىَّ ما بالُ المَطى كَأَنَّمَا نراها على الأدبار بالقوم تنكص<sup>(٢)</sup>  
وقد أبعدنا الحادي سُرَاهُنْ واتسحى بهنَّ فما يَأْلُو عَجُول مقلص<sup>(٣)</sup>  
وقد قُطِمَتْ أَعناقهنَّ صَبَابَةً فَأَنفُسُنَا مِمَّا تَكَلَّفُ شُخْصُ  
يَزِدُنْ بنا قُرْبًا فيزدادُ شَوْقُنَا إذا زاد طولُ العهدِ ، والبعدُ ينقصُ  
ويتول صاحبكم ما شئت ! فقال له نوفل : صاحبكم أشهرُ بالقول في الغزل -  
أمتع الله بك - وصاحبنا أكثرُ أفانين شعر .

قال : صدقت ؛ فلما انقضى ما بينهما من ذِكْرِ الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعقد يديه ، ويُعده بالخمس كلها ، حتى وفى مائة .

\* الأغاني : ٥ - ٩٢ ( طبعة دار الكتب )

(١) كان سعيد بن المسيب سيد التابعين من الطراز الأول ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع والعبادة ، وله في كل ذلك أخبار ماثورة ، توفي سنة ١٠١ هـ . (٢) المَطى : جمع مطية  
(٣) تنكص : ترجع وتولى وتراجع (٤) مقاس : مِشر جاد في السير .



قال الراوى : فلما فارقناه قلت لنوفل : أترأى استغفر الله من إنشاده الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كلا ! هو كثير الإنشاد والاستشهاد للشعر ، ولكنى أحسبه للفخر بصاحبه !

## ٨٧ — أعشى همدان يهجو ويمدح \*

كان أعشى <sup>(١)</sup> همدان شاعرَ أهل اليمن بالكوفة وفارسهم ، وكان مع خالد ابن عتاب بن ورقاء الرياحى بالرعى ، فلما قدم خالد من مغزاه خرج جواريه يتلقينه ، وفيهن أمٌ ولدٍ له كانت رفيعةَ القدر عنده ؛ فجعل الناس يمرُّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى ، وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً من النُّماس ، فقالت أم ولد خالد لجواريتها : إن امرأة خالد لتفأخرنى بأبيها وعمها وأخيها ، وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المُرَّ تعش <sup>(٢)</sup> !

وسمى الأعشى فقال : مَنْ هذه ؟ فقال له بعضُ الناس : هذه جاريةُ خالد ، فضحك وقال لها : إليك عني بالكُماء <sup>(٣)</sup> ؛ ثم أنشأ يقول :

وما يُذريك ما فرسٌ جرورٌ <sup>(٤)</sup>      وما يُذريك ما خَلُّ السلاح !  
وما يدريك ما شيخٌ كبيرٌ      عداه الدهرُ عن سننِ المِراح <sup>(٥)</sup>  
فأقسمُ لو ركبَتِ الورْدَ <sup>(٦)</sup> يوماً      وليلته إلى وَضَحِ الصِّباح

\* الأغاني : ٦ - ٤٢

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله ، ويكنى أبا المصباح ، شاعر فصيح كوفى من شعراء الدولة الأموية ، وكان أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر ، وقتله الحجاج صبراً حين خروجه عليه مع ابن الأشعث سنة ٨٣ هـ . (٢) تريد الأعشى . (٣) لكُماء : لثيمة . (٤) فرس جرور : لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه . (٥) المِراح : الاختيال والتبخر . (٦) الورد من الخيل : ما بين الكميت والأشقر .

إذن نظرت . . . . .  
فأصبحت الجارية ، فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى ، وقالت : والله  
ما تُكْرَم ، ولقد اجتري عليك فقال لها : وما ذاك ؟ فأخبرته أنها مرت برجل  
في وجه الصبح ، ووصفته له وأنه سبها ، فقال : ذلك أعشى همدان ، فأى شيء  
قال لك ؟ فأنشدته الأبيات ، فبعث إلى الأعشى ، فلما دخل عليه قال له : ما تقول  
هذه ؟ زعمت أنك هجوتها ، فقال : أساءت سمماً ؛ إنما قلت :

مررت بنسوةٍ متمطراتٍ كضوء الصُّبحِ أو بيضِ الأُداحي<sup>(١)</sup>  
على شقِّ البغالِ فصدنَ قلبي بحسن الدَّلِّ والحدَقِ المِلاحِ  
فقلتُ : منَ الظباءِ ؟ فقلنَ : سِرْبٌ بدا لك منَ ظبَاءِ بني رِياحِ  
فقلت : لا ، والله ، ما هكذا قال . . . وأعادت الأبيات .

فقال له خالد : أما لولا أنها قد ولدت مني لو هبتها لك ، ولكي أفتدي  
جنايتها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمت عليك يا أبا المصباح أن لا تعيد في  
هذا المعنى شيئاً بعد ما فرط منك .

(١) الأُداحي : جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل .

## ٨٨ — أشجع الناس شمرأ \*

سأل يوماً عبدُ الملك <sup>(١)</sup> بن مروان : مَنْ أشجعُ الناسِ شمرأ ؟ فقيل عمرو بن حمدر يكرِب . فقال : كيف وهو الذي يقول :

فجاشتُ إلىَّ النفسُ أوَّلَ مرةٍ فرُدَّتْ على مكرُوهيها فاستقرَّت <sup>(٢)</sup>

قالوا : فعمرو بن الإطنابة . فقال : كيف وهو الذي يقول :

وقوِّلى كلما جشأتُ وجاشتُ مكانك تُحمِّدى أو تستريحى <sup>(٣)</sup>

قالوا : فعامر بن الطفيل . قال : كيف وهو الذي يقول :

أقولُ لِنَفْسٍ لا يُجَادُ بِمِثْلِها : أَقَلِّ مِراحاً إنَّى غَيرُ مدبرٍ

قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قال : أربعة ، عباس بن مرداس

والسُّلَمِيُّ ، وقيس بن الخطيم الأوسى ، وعنتر بن شداد العبسى ، ورجل من بنى مزيّنة .

أما عباس فلقوله :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالى أفيها كان حتفى أم سواها

\* مجمع الأمثال : ٢ - ٢٢ .

(١) كان عبد الملك بن مروان ليلاً عاقلاً جباراً ، قوى الهبة ، شديد السياسة حسن التدبير تولى الخلافة سنة ٦٥ ، فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأغاه مصعباً ، وكافح حتى استقرت له الأمور ، ومات سنة ٨٦ هـ (٢) جاشت النفس ؛ اضطربت من الفزع ، وأصل جاشت : غشت هوافضت (٣) جشأت : ارتفعت من حزن أو فزع .

( ١٥ - قصص العرب ٢ )

وأما قيس بن الخطيم فلقوله :

وإني لدى الحرب الموان موكل      بتقديم نفسي لا أريد بقاءها

وأما عنتر بن شداد فلقوله :

إذ تتقون بي الأسنة لم أخيم<sup>(١)</sup>      عنها ولكن قد تضأت مقدمي<sup>(٢)</sup>

وأما المزني فلقوله :

دعوت بني فحافة فاستجابوا      فقلت : ردوا فقد طاب الورود

---

(١) أخيم : أجن      (٢) تضائق مقدمي : تضائق الموضع الذي هو قدامي من أن يدنوه أحد .

## ٨٩ — الحجاج على قبر ابنه \*

لما هلك أبان بن الحجاج ، وأمه أم أبان بنت النعمان بن بشير ، ودفنه الحجاج <sup>(١)</sup>  
قام على قبره ؛ فتمثل بقول زياد الأعمى :

الآن لما كنت أكل من مشى وافتر نابتك عن شباق القارح  
وتكاملت فيك المروءة كلها وأعنت ذلك بالفعال الصالح !

فلما انصرف إلى منزله قال : أرسلوا خلف ثابت بن قيس الأنصاري ؛ فاتاه  
فقال : أنشدني مرثيتك في ابنك الحسن ، فأنشده :

قد أكذب الله من نعى حسنا ليس لتكذيب موته ثمن  
أجول في الدار لا أراك وفي الدار أناس جوارهم غبن <sup>(٢)</sup>  
بذلهم منك ليت أنهم أضحووا ويني وبينهم عدن !

فقال له الحجاج : ارث ابنى أبان . فقال له : لا أجد به ما كنت أجد بحسن ،  
قال : وما كنت تجدّه ؟ قال : ما رأيته قط فشبعت من رؤيته ، ولا غاب عني قط  
إلا اشتقت إليه .

فقال الحجاج : كذلك كنت أجد أبان !

\* ذيل الأمل : ٧

(١) انظر صفحة ٣٧ (٢) ضف .



## ٩٠ — إن صدقناك أغضبك\*

شكا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق وسقم مذهبهم ، وسخط طريقتهم فقال له جامع المحاربى - وكان شيخاً صالحاً خطيباً لسيناً : أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ما شئتوك<sup>(١)</sup> لنسبك ، ولا لبلدك ، ولا لذات نفسك ، ولكنهم نقموا أفعالك ؛ فدع ما يُبغضهم عنك إلى ما يُدنيهم منك ، والتمس العافية ممن دونك تُعطها ممن فوقك ، وليكن إيقاعك ، بعد وعيدك ، ووعدك<sup>(٢)</sup> بعد وعدك .

فقال له الحجاج : والله ما أرى أن أردّ بنى اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف ! فقال جامع : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار ! فقال الحجاج : الخيار يومئذ لله ! قال جامع : أجل ، ولكن لا تدري لمن يجعله الله !

فغضب الحجاج وقال : يا هناه<sup>(٣)</sup> ، إنك من محارب !

فقال جامع :

وللحرب سُميناً - وكان محارباً إذا ما ألقنا أمسى من الطمن أحمرًا فقال له الحجاج : والله لقد هممت أن أخلع لسانك ، وأضرب به وجهك .

\* زهر الآداب : ٤ - ٤٨ ، البيان والتبيين : ٢ - ٦٨ ، المقد الفريد : ٢ - ١٥١ ، عيون الأخبار : ٢ - ٢١٢

(١) شئتوك : أبغضوك (٢) الوعيد فى الشر ، والوعد فى الخير (٣) ياهناه : يافلان .

فقال جامع : إن صدقناك أغضبتناك ، وإن كذبتناك أغضبتنا الله ، وغضب  
الأمير أهون علينا من غضب الله .

فقال الحجاج : أجل ! وسكن واشتغل ببعض الأمر ، فخرج جامع ، وانسل  
من صفوف الناس .

### ٩١ — الحجاج يخطب\*

دخل الحجاج الكوفة ؛ فصعد المنبر ، فانكسر تحت قدمه لوزح ، فلم أنهم  
قد تطيروا له بذلك ؛ فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله تعالى ، وقال :

شاهت الوجوه<sup>(١)</sup> ، وتبت<sup>(٢)</sup> الأيدي ، وبوئتم بغضب من الله ! إذا انكسر  
عود جذع ضعيف تحت قدم أسد شديد تفاءلتم بالشؤم ! إني على أعداء الله تعالى  
لأنكد من الغراب الأبقع<sup>(٣)</sup> ، وأشأم من يوم نحس مستمر ، وإني لأعجب من  
لوط وقوله : ﴿ أَوَ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ؛ فأي ركن  
أشد من الله تعالى !

أو ما علمتم ما أنا عليه من التوجه إلى أمير المؤمنين ، وقد وليت عليكم أخى  
محمد بن يوسف ، وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله معاذاً في أهل اليمن ! فإنه

\* المستطرف : ٢ — ٨٥

(١) شاهت الوجوه : قبحت (٢) تبت يداه : خسرتا (٣) الأبقع : الذى فيه سواد وبياض .

أمره أن يُحسِنَ إلى مُحْسِنِهِمْ ، ويتجاوزَ عن مُسِيئِهِمْ ؛ وقد أمرته أن يسيءَ إلى مُحْسِنِكُمْ ، وألاَّ يتجاوزَ عن مُسِيئِكُمْ .

وأنا أعلم أنكم تقولون بعدى : لا أحسنَ اللهَ له الصحابةُ ! وأنا معجلُ  
لكم الجوابَ ؛ لا أحسنَ اللهَ عليكم الخِلافةَ ! أقولُ قولى هذا وأستغفرُ اللهَ العظيمَ  
لى ولكم .

## ٩٢ — جميل أشمر الناس\*

حدث أحد الرواة فقال :

دخل علينا كثر<sup>(١)</sup> يوماً وقد أخذ بطرف رِبَطَتِهِ<sup>(٢)</sup> ، وألقى طرفها الآخر

وهو يقول : هو والله أشمرُ الناس حيث يقول :

وخبرُ ثَمَانِي أَنْ تَيْمَاءَ<sup>(٣)</sup> مَنْزِلٌ ليلي إذا ما الصَّيْفُ ألقى المَرَامِيَا

فهذه شهر الصَّيْفِ عني قد انقضتْ فَا لِلنَّوَى تَرْمِي بليلى المَرَامِيَا !

ويجُرُّ رِبَطَتَهُ حتى يبلغ إلينا ، ثم يولى عنا ويَجْرُها ويقول : هو والله أشمرُ

الناس حيث يقول :

وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شئتِ كدَّرتِ عِيشَتِي وَإِنْ شئتِ بعد الله أَنْعَمْتَ بَالِيَا

وَأَنْتِ الَّتِي مَأمِنٌ صَدِيقٌ وَلَا عِدَا يَرى نَضْوَا مَا أَبْقِيتِ إِلَّا رَثِي لِيَا

ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشمر الناس ؛ فقلنا : مَنْ تعنى يا أبا صخر ؟

فقال : وَمَنْ أعنى سِوَى جميل ! هو والله أشمر حيث يقول هذا .

\* الأغاني : ٨ - ١٢٥ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) كثر بن عبد الرحمن : شاعر من أهل الحجاز ، أخباره معهزة كثيرة ، توفي سنة ١٠٥ .

(٢) الربطة : كل ملاءة غير ذات لفقين ؛ كلها نسج واحد وقطعة واحدة (٣) تيماء : منزل

لبنى عذرة .

### ٩٣ — مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ؟\*

قال عبد الملك بن مسلم : كتب عبدُ الملك بن مروان إلى الحجاج : إنه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبتُ منه ، ولم يبقَ لي إلا مُناقلةُ<sup>(١)</sup> الإخوان الأحاديث ؛ وقبلك عامرُ الشعبي<sup>(٢)</sup> ، فابعث به إلىَّ يحدِّثني .

فدعا الحجاج بالشعبيَّ وجهَّزه ، وبعث به إليه ، وأطراه في كتابه .

فخرج الشعبيُّ ، حتى إذا كان يباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لي ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبيُّ ، قال : حيَّاكَ الله ! ثم نهض ، وأجلسه على كرسيه ، فلم يلبث أن خرج إليه فقال : ادخل .

قال الشعبيُّ : فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسيٍّ ، وبين يديه رجل أبيضُ الرأس واللحية على كرسيٍّ ، فسلمتُ فردَّ السلام ، ثم أومأ إليَّ ، فقصدتُ عن يساره ، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ! فأظلم عليَّ ما بيني وبين عبد الملك ، ولم أضِبر أن قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس ؟ فعجِب عبدُ الملك من عَجَلتي قبل أن يسألني عن حالي ، ثم قال : هذا الأخطل ! فقلت : يا أخطل ، أشعرُ منك الذي يقول<sup>(٣)</sup> :

---

\* أمالي المرتضى : ٣ - ١٠١ ، خزائن الأدب : ٢ - ١١٨ ( المطبعة السلفية ) ، الأغاني : ٩ : ١٦٢ ( طبعة الساسي ) .

(١) المناقلة في المنطق : أن تحدِّثه ومحدِّثك (٢) هو عامر بن شراحيل . كوفي المنشأ ، تابعي جليل القدر وافر العلم ، يقال إنه أدرك خمسمائة من الصحابة . توفي سنة ١٠٣ هـ .

(٣) قال النابغة هذا الشعر حين نظر إلى النعمان بن الحارث أخى عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن أبي شمر ( مهذب الأغاني : ٢ - ٢٣٥ ) .



هـَذَا غِلَامٌ حَسَنٌ وَجْهَهُ      مُقْتَبِلُ الْخَيْرِ مَرِيعُ الْقَامِ  
لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الْأَصْغَرِ      وَالْأَعْرَجِ خَيْرِ الْأَنْكَمِ  
ثُمَّ لِنَسْدِ وَلَهْنَدٍ فَقَدْ      يَنْجَعُ فِي الرِّوَضَاتِ مَاءُ الْقَامِ  
خَسْبَةً آبَاءُ هُمْ مَا هُمْ      هُمْ خَيْرٌ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الْمَدَامِ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : رَدَّهَا عَلَيَّ ، فَرَدَدْتُهَا حَتَّى حَفَظَهَا ؛ فَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : هَذَا الشَّعْبِيُّ ، قَالَ : صَدَقَ وَاللَّهِ ، النَّابِغَةُ أَشْرَمَنِي !  
قَالَ الشَّعْبِيُّ : ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا شُعْبِي ؟ قُلْتَ : بِخَيْرٍ -  
قَالَ : لَا زِلْتَ بِهِ - ثُمَّ ذَهَبَتْ لِأَصْنَعِ مَعَاذِيرِي لِمَا كَانَ مِنْ خِلَافِي عَلَى الْحِجَاجِ مَعَ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَثِ .

فَقَالَ : مَهْ ! فَإِنَا لَا نَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْمَنْطِقِ ، وَلَا تَرَاهُ مُنَافِي قَوْلٍ وَلَا فَعْلٍ حَتَّى  
تُفَارِقَنَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ ؟ قُلْتَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ فَضَّلَهُ  
عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ عَلَى جَمِيعِ الشُّعْرَاءِ ، وَذَاكَ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا وَبِيَابَهُ وَقَدْ  
غَطَفَانُ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ غَطَفَانَ ، أَيُّ شُعْرَائِكُمُ الَّذِي يَقُولُ :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً      وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ  
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً      تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ  
كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ      إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ  
لَئِنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً      لِمِْلَفِكَ الْوَاشِي أَغْشَى وَأَكْذَبُ  
وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلُهُ      عَلَى شَمْتٍ ؛ أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ !

قَالُوا : النَّابِغَةُ ؛ قَالَ فَأَيُّكُمْ الَّذِي يَقُولُ :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المتأى عنك واسع  
خطاطيف<sup>(١)</sup> حُجْنٌ فى حبال متينة تُمَدُّ بها أيدى إليك نوازِعُ

قالوا : النابغة ؛ قال أَيْكُم الذى يقول :

إلى ابن مُحَرَّقٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي وراحلتى وقد هدتِ الميُونُ  
أَتَيْتُكَ عَارِيًا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تَظَنُّ بِي الظُّنُونُ  
فَأَلْفَيْتِ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخْنُهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

قالوا : النابغة ، قال : هذا أشعر شعرائكم . ثم أقبل عبدُ الملك على الأخطل  
فقال : أتحب أن لك قياضاً<sup>(٢)</sup> بشمرك شعر أحد من العرب ، أو تحب أنك قلته ،  
فقال : لا والله ، إلا أنى وددت أنى كنت قلت أحياناً قالها رجل منا ؛ كان والله  
مُغْدِفٌ<sup>(٣)</sup> القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال : وما قال ؟ فأنشده :

إِنَّا مَحْيُوكَ فَاسَلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتِ<sup>(٤)</sup> بِكَ الطُّوَلُ  
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلاً وَلَا ذُو خَلَةٍ يَصِلُ  
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ ، وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ  
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهَى ؛ وَلَأَمْ الْخَطِيءُ الْهَبْلُ  
قَدْ يَدْرِكُ الْمَتَانِي بِمَضِ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَفْجِلِ الزَّلَلُ

قال الشعبي : فقلت : قد قال القطامي أفضل من هذا ، قال : وما قال ؟

قلت : قال :

طَرَقْتُ جَنُوبَ رَحَالِنَا مِنْ مَطَرِيقٍ مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَرِيبَ اللَّعْنِقِ

(١) الخطاف : حديدة حجناء تعقل بها البكرة ، والحجن : الاعوجاج .

(٢) القياضة : المبادلة والمعاوضة (٣) أغدق قناعه : أرسله على وجهه (٤) يقال : طال

طولك أى عمرك .

حتى أتيتُ على آخرها ، فقال عبد الملك : ثكَلَتِ القطاميُّ أمُّه ! هذا والله الشعر ، ثم قال : يا شعبي ، أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قالت : الخنساء قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت : لقولها :

وقائلة والنَّعشُ قد فاتَ خطوبَها      لتدرِكه : يالْهفَ نفسي على صخرِ!

الاثكَلَتِ أمُّ الدَّرين غَدَوا به      إلى القبر ، ماذا يحملون إلى القبرِ !

فقال عبد الملك : أشعر والله منها ليلي الأخيلىة حيث تقول :

مُهْمَمُهُ الكُشْحُ والسُّرْبُ بالْمُنْخَرِقِ      عنه القميصُ لسِرِّ اللَّيْلِ مُحْتَفِرُ

لا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاءَ وَمُصْبَحَهُ      في كلِّ حَيٍّ ، وإنْ يَفْزُوه يُنْتَظَرُ

ثم قال : يا شعبي ، لعله شق عليك ما سمعته ! فقلت : إي والله يا أمير المؤمنين

أشدَّ المشقة ، إني قد حدثتك فلم أؤدك إلا أبيات النابغة في الفلام .

ثم قال عبد الملك : يا شعبي ، إنما أعلمناك هذا ، لأنه باغى أن أهل العراق

بتطاولون على أهل الشام ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبنونا على

السلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم ردَّدَ على أبيات ليلي حتى

حفظتها ، وأذن لي فأنصرفت ، فكنت أوَّلَ داخل وآخر خارج .

٩٤ — الشعبيّ عند عبد الملك بن مروان \*

قال الشعبيّ : دخلت على عبد الملك بن مروان في علّته التي مات فيها ، فقلت :  
 كيف تجددك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا شعبيّ ؛ أصبحت كما قال عمرو بن قبيثة <sup>(١)</sup> :  
 كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تَسْمِينَ حِجَّةً      خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِنَانَ <sup>(٢)</sup> لَجَامِي  
 رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى      فَكَيْفَ بَعْدَ يَوْمِي وَلَيْسَ بِرَّامٍ !  
 فَلَوْ أَنَّي أَرَمْتُ بَنَاتِي رَمِيَّتْهَا      وَلَكِنِّي أَرَمْتُ بِغَيْرِ سِهَامٍ  
 وَأَهْلَكْنِي تَأْمِيلُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ      وَتَأْمِيلُ عَامٍ بَعْدَ ذَاكَ وَعَامٍ  
 عَلَى الرَّاحَتَيْنِ تَارَةً وَعَلَى الْمَصَا      أَنْوَاءُ ثَلَاثًا بَعْدَ هَنٍّ قِيَامِي  
 فقلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال لبيد ، وقد بلغ  
 سبعين حجة :

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً      خَلَعْتُ بِهَا عَنْ مَنْكِبِي رِدَائِيَا  
 فَلَمَّا بَلَغَ سَبْعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً قَالَ :  
 بَاتَتْ تَشَكُّي إِلَى النَّفْسِ مُجْهِشَةً <sup>(٣)</sup>      وَقَدْ حَمَلْتُكَ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا  
 فَإِنْ تَزَادَى ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا      وَفِي الثَّلَاثِ وَفَاءٌ لِلثَّمَانِينَا  
 فَلَمَّا بَلَغَ مِائَةً سَنَةً قَالَ :

\* الأغاني : ١٦ - ١٥٩ ( طبعة الساسي ) ، مذهب الأغاني : ٢ - ٦٢  
 (١) هو عمرو بن قبيثة : شاعر جاهليّ مقدم ؛ أقام في الحيرة مدة ، وخرج مع امرئ القيس في  
 توجهه إلى قيصر ، فمات في الطريق (٢) عنان اللجام : السير الذي يشد به (٣) الجهش والإجهاش  
 أن يفرغ الإنسان إلى غيره ، وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء .

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولها      وسؤالِ هذا الخلقِ كيف ليبد !  
فلما بلغ مائةَ سنةٍ وعشرا قال :

أليس ورأى إن تراختَ مِنِّي      لزومِ العصا تُحَنِّي عليها الأصابع  
أخبر أخبارَ القرون التي خَلَّتْ      أدبَ كَأَنِّي كَلَمًا قَت رَا كَم  
فلما بلغ ثلاثين ومائة سنة ، وقد حَضَرَتْهُ الوفاة قال :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَن يَـبِـشَ أَبُوهَا      وهل أَنَا إِلَّا مِنْ رِيبَةٍ أَوْ مُضَرٍّ !  
خَانَ حَانَ يَوْمًا أَن يَمُوتَ أَبُوكَ      فَلَا تَخْـمِشَا وَجْهًا وَلَا تَحْلَقَا الشَّـمْرَ  
وقولا : هو المرء الذي لا صَدِيقَه      أضاع ، ولا خَانَ الخليلَ ولا غَدَرَ  
إلى الحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا      وَمِنْ يَبْكَ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ<sup>(١)</sup>

قال الشعبي : فتبسمَ عبد الملك وقال : لقد قويت من نفسي بقولك يا عامر ، وإني  
لأجد خِفًا ومأبى من بأس ، وأمر لي بَصِلة . وقال لي : اجلس يا شعبي ؛ فحدثني ما بينك  
وبين الليل . فجلست فحدثته حتى أُسِيتُ وخرجت من عنده ، فما أصبحت  
حتى سمعت الواعية في داره<sup>(٢)</sup> .

---

(١) اعتذر : أتى بعذر (٢) الواعية : الصراخ والصوت .



## ٩٥ — تَلَطَّفَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَجَّاجِ \*

كان عبد الله بن الحجاج شجاعاً فاتكاً صُعلوكاً من صعاليك العرب ، وكان متسرعاً إلى الفتن ، فكان ممن خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك ابن مروان .

فلما ظفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير ، فكان معه حتى قُتِلَ ، ثم جاء إلى عبد الملك متفكراً ، واحتال حتى دخل عليه ، وهو يطعم الناس ، وجلس حَجْرَةً<sup>(١)</sup> ، فقال له : مالك يا هذا لاتأكل ! قال : لأستحلُّ أن آكل حتى تأذن لي . قال : إني قد أذنت للناس جميعاً ، قال : لم أعلم ، أفأأكل بأمرك ؟ قال : كل . فأكل وعبد الملك ينظر إليه ويمجّب من فعله .

فلما أكل الناس جلس عبد الملك في مجلسه ، وجلس خواصّه بين يديه ، وتفرّق الناس ، فجاء عبد الله ووقف بين يديه ، واستأذنه في الإنشاد فأذن له ، فأنشد :

أبلغ أمير المؤمنين فإني لما لقيت من الحوادث مُوجِعَ  
مُنِعُ القرار فجئت نحوك هارباً جيش يُجرُّ ، ومَقْنَبٌ يتلمع<sup>(٢)</sup>

فقال عبد الملك : وما خوفك لا أم لك ! فقال عبد الله :

إن البلادَ علىّ وهي عريضةٌ وعِرتُ مَذاهِبُها ، وسُدَّ المَطْلَعُ

فقال عبد الملك : ذلك بما كسبت يداك ، وما اللهُ بظلام للعبيد ، فقال

عبد الله :

\* الأغاني : ١٢ - ٢٥ ( طبعة الساسي )

(١) حجرة : منفرداً في ناحية (٢) المقنب : جماعة الخيل تجتمع للفارة ، ويتلمع : يضيء .

إنّ الذى يَعْصِيكَ مِنَّا بعدها من دينه وحياته متودع  
آتى رضاك ولا أعود لمثلها وأطيع أمرك ما أمرت وأسمع  
فقال له عبد الملك : هذا لا نقبله منك إلا بعد المعركة بك وبذنبك، فإذا عرفت  
الحوبة<sup>(١)</sup> قبلت التوبة ؛ فقال عبد الله :

ولقد وطئت بنى سعيد وطأة وابن الزبير فرشه متضمض  
فقال عبد الملك : لله الحمد والمنة على ذلك ، فقال عبد الله :

ما زلت تضرب منكبا عن منكبي تملو ويسفل غيركم ما يرفع  
لا يستوى خاوى نجوم آفل والفجر منبلجا إذا ما يطلع  
وضعت أمية واسطين لقومهم ووضعت وسطهم فقم الموضع  
يت أبو العاصى بناء بربرة على المشارف عزه ما يدفع

فقال له عبد الملك : إن توريتك عن نفسك لترينى ، فأى الفسقة أنت !  
وماذا تريد ؟ فقال :

حرّبت<sup>(٢)</sup> أصيبيتى يد أرساتها وإليك بعد معادها ما ترجع  
وأرى الذى يرجو ثراث محمد أفلت نجومهم ونجمك يسطم

فقال عبد الملك : ذلك جزاء أعداء الله ، فقال عبد الله :

فأرحم أصيبيتى الذين كأنهم حجل تدرج بالشربة وقع<sup>(٣)</sup>

فقال عبد الملك : لا أنعشهم الله ، وأجاع أكبادهم ، ولا أبقى وليداً من نسلهم،  
فإنهم نسل كافر فاجر لا يبالى ما صنع ، فقال عبد الله :

---

(١) الحوبة : الإثم (٣) حربه : سلب ماله ، وأصيبة : تصفير صبية (٣) الحجل : حيوان ،  
والشربة : موضع بنجد .

مال لهم مما يُضَنّ جمعتهم يوم القليب فحيز عنهم أجمع  
فقال له عبد الملك : لعلك أخذته من غير حله وأنفقت في غير حقه ، وأرصدت  
به لمشاقة أولياء الله ، وأعددت له مساوئة أعدائه ، فزرعه منك إذا استظهرت به على  
معصية الله : فقال عبد الله :

أذنو لترحمني وتَجَبَّرُ فاقتي فأراك تدفعني ، فأين المدفع !  
فتبسم عبد الملك وقال له : إلى النار ! فمن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن الحجاج ؛  
وقد وطئت دارك ، وأكلت طعامك ، وأنشدتك ، فإن قتلتنى بمد ذلك فأنت  
وما تراه ، وأنت بما عليك في هذا عارف ! ثم عاد إلى إنشاده فقال :

ضاقت ثياب الملبسين وفضلهم عني ، فألبسني فتوبك أوسع  
فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه لا تبست ! فالتحف به ،  
ثم قال له عبد الملك : أولى لك ! والله لقد طاولتك طمعا في أن يقوم بعض  
هؤلاء فيقتلك . فأبى الله ذلك ، فلا تجاورني في بلد ، وانصرف آمنا ، وأقم  
حيث شئت !

## ٩٦ — نُصَيْبٌ عِنْدَ عَبْدِ الْمَزِينِ بْنِ مَرْوَانَ \*

قال نُصَيْبٌ <sup>(١)</sup> : قلت الشعر وأنا شابٌ فأعجبني قولي ؛ فجعلت آتى مَشِيخَةً من بني ضَمْرَةَ ، ومَشِيخَةً <sup>(٢)</sup> من خُزَاعَةَ ، فأنشِدم القصيدةَ من شمرى ، أنسبها إلى بعضِ شمرائهم الماضين فيقولون : أحسن والله ! هكذا يكونُ الكلامُ ! وهكذا يكون الشعر .

فلما سمعتُ ذلك منهم علمتُ أني مُحْسِنٌ ؛ فازمعوا وأزمعتُ الخروجَ إلى عبدالمزير بن مروان ، وهو يومئذٍ بمصر ؛ فقلت لأختي أُمَامَةَ — وكانت عاقلةً جَلْدَةً : أَيْ أُخَيَّةُ ؛ إِنِّي قَدْ قُلْتُ شِعْرًا ، وَأَنَا أُرِيدُ عَبْدَ الْمَزِينِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَأَرْجُو أَنْ يُعْتِقَكَ اللَّهُ بِهِ وَأُمِّكَ وَمَنْ كَانَ مَرْقُوقًا <sup>(٣)</sup> مِنْ أَهْلِ قَرَأَتِي .

قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! يَا بِنَ أُمَّ ، أَتَجْتَمِعُ عَلَيْكَ الْخَصْلَتَانِ : السَّوَادُ ، وَأَنْ تَكُونَ ضُحْكَةً <sup>(٤)</sup> لِلنَّاسِ ؟ قلت : فاسمى . فأنشدتها فسمعت ، فقالت : يَا أَبِي أَنْتَ أَحْسَنُ وَاللَّهُ ! فِي هَذَا رَجَاءٌ عَظِيمٌ ، فَأَخْرِجْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .

فخرجت على قَمُودٍ لِي حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَوَجَدْتُ بِهَا الْفَرَزْدَقَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَرَّجْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : أَنْشِدْهُ وَأَسْتَنْشِدْهُ ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ شَمْرَى . فأنشدته ، فقال لى : وَيْلَكَ ! أَهَذَا شِعْرُكَ الَّذِي تَطْلُبُ بِهِ الْمُلُوكُ ؟ قلت :

\* الأغانى : ١ - ٣٢٥ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) هو نصيب بن رباح : كان رقيقاً لبض العرب ، ثم اشتراه عبد العزيز ، وكان شاعراً غلاماً مقدماً في النسب والمدح ، وكان عفيفاً كبير النفس يحيد مدائح الملوك ومراثيهم : توفي سنة ١٠٠ هـ .  
(٢) المشيخة : الشيوخ (٣) مرقوقاً : صار في رق (٤) الضحكة بسكون الحاء : من يضحك الناس منه

( ١٦ - قصص العرب ٢ )

نعم . قال : فليست في شيء . إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل !  
فانفضخت<sup>(١)</sup> عرقاً !

فصحبني رجل من قريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع إنشادي ، وسمع  
ما قال لي الفرزدق ؛ فأومأ إليّ ؛ فقلت إليه ، فقال : ويحك ! هذا شعرك الذي  
أنشدته الفرزدق ؟ قلت : نعم . فقال : قد والله أصبت ، أن كان هذا الفرزدق  
شاعراً لقد حسدك ، فإننا لنعرف محاسن الشعر ؛ فامض لوجهك ، ولا يكسر نك .

فسرّني قوله ، وعلمت أنه قد صدقني فيما قال ، فاعتزمت على المضي ، فمضيت !  
فقدمت مصرَ وبها عبدُ العزيز بنُ مروان ، فحضرتُ بابه مع الناس ، فنُحيتُ  
عن مجلس الوجوه ، فكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجلاً جاء على بغلة ، حسنَ الشّارة ،  
سهل المدخل ، يؤذن له إذا جاء . فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أماشي بغلته ،  
فلما رآني قال : ألك حاجة ؟ قلت نعم ! أنا رجلٌ من أهل الحجاز ، شاعر ، وقد  
مدحتُ الأمير ، وخرجتُ إليه راجياً معروفه ، وقد ازدريت فطردت من الباب ،  
ونُحيتُ عن الوجوه . قال : فأنشدني : فأنشدته ، فأعجبه شعري ، فقال : ويحك !  
أهذا شعرك ؟ فأياك أن تنتحل ! فإن الأمير راويةٌ عالم بالشعر ، وعنده رُواةٌ ، فلا  
تفضيخني ونفسيك ، فقلت : والله ما هو إلا شعري . فقال : ويحك ! فقل أبياتاً  
تذكر فيها خوف<sup>(٢)</sup> مصر وفضلها على غيرها ، وألقني بها غداً .

فغدوت عليه من غد فأنشدته قولي :

سَرَى الهمُّ تثنيني إليك طلائعهُ بمصر وبالخوف اعترتني روائعهُ

(١) انفضخت عرقاً : تدفقت عرقاً (٢) الخوف : بمصر خوفان ؛ الشرق والغربي وهما متصلان .



وبات وسادى ساعدٌ قلٌّ لِحْمِهِ      عن المظم حتى كاد تَبْدُو أشاجِهُه<sup>(١)</sup>

قال : وذِكرْتُ فيها الغيث فقلت :

وكم دون ذاك العارض البارق الذى      له اشتَقْتُ من وجهِ أسيلٍ مَدَامِهْ

تمشى به أفناءه<sup>(٢)</sup> بكر ومذحجٍ      وأفناء عمرو ، وهو خِصْبٌ مرابِهْ

فكلُّ مسيلٍ من تهامة طيب      دميثُ الرُّبَا نَسَقِي البحارَ دَوَافِهْ<sup>(٣)</sup>

أعِنِّي على برق أريك وميضه      تضيء دُجْنَاكَ الظلام لوامِقهْ

إذا اكتملت عيناً محبٍ بضوئه      تجافت به حتى الصباح مضاجِمهْ

فقال : أنت والله شاعر ! احضِرْ بالباب حتى أذكرك للأمير .

قال : جلستُ على الباب ودخل ، فما ظننتُ أنه أمكنه أن يذكرني حتى دعا

بى ، فدخلت على عبد العزيز ، فسلمت ، فصعد في بصره وصوب ، ثم قال : أنت

شاعر ، ويلك ! قلت : نعم أيها الأمير ! قال : فأنشدني فأنشدته فأعجبه شمرى .

وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا أيمن بن خريم الأسدي بالباب . قال :

اأذنْ له ، فدخل فاطمأن ، فقال له الأمير : يا أيمن ، كم ترى ثمن هذا العبد ؟ فنظر إلى

فقال : والله لنعم الغادى في أثرِ الخاض<sup>(٤)</sup> ، هذا أيها الأمير ؟ أرى ثمنه مائة دينار .

فقال : فإن له شعراً وفصاحة ! فقال لى أيمن : أتقول الشعر ؟ قلت : نعم . قال :

فيه ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن ، أرفعه وتخفضه أنت ؟ قال : لكونه أحق أيها

الأمير ، ما لهذا وللشعر ؟ مثل هذا يقول الشر أو يحسن شعراً ؟ فقال : أنشده يانصيب ،

فأنشدته .

(١) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف (٢) أفناء بكر ومذحج :

أخلاق الناس (٣) الدوافع : مسایل الماء (٤) الخاض : الحوامل من النوق ، وهو يريد : لنعم

هذا العبد يرعى الإبل .

فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمن ؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . قال : هو والله أشعر منك . قال : أمني أيها الأمير ! قال : إي والله منك . قال : والله أيها الأمير إنك لمول طرف<sup>(١)</sup> . قال : كذبت ، والله ما أنا كذلك ، ولو كنت كذلك ما صبرت عليك ، تنازعني التحية ، وتواكلني الطعام ، وتتكىء على وسائدي وفرشي ، وبك ما بك ! وكان بأيمن يياض .

قال : ائذن لي أن أخرج إلى بشر بالعراق<sup>(٢)</sup> ، واحملني على البريد . قال : قد أذنت لك ، وأمر به فحمل على البريد إلى بشر . فقال فيه بمدحه ويعرض بأخيه عبد العزيز :

ركبتُ من المقطم في جمادى	إلى بشر بن مروان البريداً
ولو أعطاك بشر ألف ألف	رأى حقاً عليه أن يزيداً
أمير المؤمنين أقم ببشر	عمود الحق إن له عموداً
ودع بشراً يقوّمهم ويحدث	لأهل الزيف إسلاماً جديداً
كان التاج تاج بني هرقل	جلوه لأعظم الأيام عيـداً
على ديباج خدي وجه بشر	إذا الألوان خالفت الحدودا <sup>(٣)</sup>
قال . فأعطاه بشر مائة ألف درهم .	

(١) يقال رجل طرف : إذا كان لا يثبت على عهد (٢) بشر بن مروان : أخو عبد العزيز ابن مروان (٣) في قوله هذا يعرض بكلف كان بوجه عبد العزيز بن مروان .

## ٩٧ - سليمان بن عبد الملك وسميه \*

أَقْبَلَ عَلَى سُلَيْمَانَ <sup>(١)</sup> بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ فَتَى مِنْ بَنِي عَبَسَ ، وَسَمِيَّ : فَأَعْجَبَهُ ، فَقَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : سُلَيْمَانُ ، قَالَ : ابْنُ مَنْ ؟ قَالَ : ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ! فَأَعْرَضَ عَنْهُ ؛ وَجَعَلَ يُفَرِّضُ <sup>(٢)</sup> لِمَنْ دُونَهُ ، فَعَلِمَ الْفَتَى أَنَّهُ كَرِهَ مُوَافَقَةَ اسْمِهِ وَاسْمَ أَبِيهِ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا عَدَمْتَ اسْمَكَ ، وَلَا شَقَى اسْمٌ يُوَافِقُ اسْمَكَ ، فَارْضَ ؛ فَإِنَّمَا أَنَا سَيْفٌ بِيدِكَ ، إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ قَطَعْتَ ، وَإِنْ أَمَرْتَنِي أَطَعْتُ ؛ وَسَمِيَّ فِي كِنَانَتِكَ أَشَدُّ إِنْ أُرْسِلْتُ ، وَأَنْفَذُ حَيْثُ وَجَّهْتُ .

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ وَهُوَ يَخْتَسِرُهُ : مَا قَوْلُكَ يَا فَتَى لَوْ لَقِيتَ عَدُوًّا ؟ قَالَ : أَقُولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ! قَالَ سُلَيْمَانُ : أَكُنْتَ مَكْتَفِيًّا بِهَذَا لَوْ لَقِيتَ عَدُوًّا دُونَ ضَرْبٍ شَدِيدٍ ؟

قَالَ الْفَتَى : إِنَّمَا سَأَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : مَا أَنْتَ قَائِلٌ ؟ فَأَخْبَرْتُكَ ، وَلَوْ سَأَلْتَنِي : مَا أَنْتَ فَاعِلٌ ؛ لِأَنْبَأْتُكَ ، إِنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَضَرَبْتُُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَتَقَصَّفَ <sup>(٣)</sup> ، وَلَطَعْتُ بِالرَّمْحِ حَتَّى يَتَقَصَّفَ !

فَأَعْجَبَ بِهِ سُلَيْمَانُ وَأَلْحَقَهُ فِي الْمَطَاءِ بِالْأَشْرَافِ ، وَتَمَثَّلَ :  
إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهُ الْفَتَى ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِهِ كَلًّا فَقَدْ كَمَلَ الْفَتَى

\* ابن أبي الحديد : ١ - ٣٢٢

(١) كَانَ سُلَيْمَانُ مَلِكًا غَيُورًا ، نَهَى بِحُبِّ الطَّعَامِ ، كَمَا كَانَ فَصِيحًا لِسًا ، تَوَفَّى سَنَةَ ٩٩ هـ .  
(٢) يُقَالُ أَفَرَضَ لَهُ : إِذَا جَعَلَ لَهُ فَرِيضَةً ، وَالْفَرِيضَةُ ، الْبَعِيرُ الْمَأْخُوذُ فِي الزَّكَاةِ ، ثُمَّ السَّعْيُ فِيهِ حَتَّى سَمِيَ الْبَعِيرُ فَرِيضَةً مِنْ غَيْرِ الزَّكَاةِ (٣) التَّعْقِيفُ : التَّعْوِيجُ .

## ٩٨ — عقيد الندى \*

قال الحارث بن سليمان : شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أتيتك مُستَعْدِيًا . قال : وَمَنْ بك ؟ قال : موسى شَهَوَات <sup>(١)</sup> . قال : وماله ؟ قال : سَمِعَ <sup>(٢)</sup> بى ، واستطال فى عِرْضى .

فقال : يا غلام ؛ هلى بموسى ، فأتني به ، فأتني به ، فقال : وملك ! أَسَمَّيتَ به واستَطَلَّتْ فى عِرْضِهِ ؟ قال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، ولكنى مدحتُ ابنَ عمه ففضب هو .

قال : وكيف ذلك ؟ قال : أردتُ شراءَ جاريةٍ لم يبلغ ثمنها جِدَّتِي <sup>(٣)</sup> ، فأتيتُه وهو صديق ، فشكوتُ إليه ذلك ، فلم أصب عنده شيئاً ، فأتيتُ ابنَ عمه سعيدَ ابن خالد ، فشكوتُ إليه ما شكوتُه إلى هذا . فقال : تَعُودُ إلى ؛ فتركته ثلاثاً ثم أتيتُه ، فَسَهَّلَ مِنِّى إِذْنِي ، فلما استقربى المجلس قال : يا غلام ؛ قل لقيمتى : هاتِ وديمتى .

فَفَتَحَ باباً بَيْنَ بَيْتَيْنِ ، وإذا بجارية ، فقال لى : أهذه بُفَيْتُكَ ؟ قلت : نعم ، فِدَاكَ

\* الأغاني ٣ : ٣٥٣ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) هو موسى بن يسار مولى قريش ، ويكنى أبا محمد ، وشهوات ، لقب غلب عليه ، كان سؤولاً ملحماً ، وكان كلُّ رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس تباكى ، فإذا قيل له : مالك ؟ قال : أشتهى هذا ، فلقب موسى شهوات (٢) سمع به فى الناس : شهره ونفضه (٣) الحدة : الفنى ، ويريد هنا ما عنده من مال .

أبى وأمى ! قال : اجلس . ثم قال : يا غلام ؟ قل لقيمتي : هاتى ظبيّة<sup>(١)</sup> نفقتي ،  
فأتى بظبيّة ، فنثرت بين يديه ، فإذا مائة دينار ، فرُدّت في الظبيّة . ثم قال :  
عتيدة طيبى<sup>(٢)</sup> ، فأتى بها ؛ ثم قال : ملحفّة<sup>(٣)</sup> فراشى ، فأتى بها ؛ فصيّر ما في الظبية  
وما في العتيدة في حواشى الملحفّة ، ثم قال : شأنك بالجارية واستعن بهذا .

فقال له سليمان بن عبد الملك : فذلك حين تقول ماذا ؟ قال : قلت :

أبا خالد - أغنى سعيد بن خالد أخا العرف ، لا أغنى ابن بنت سعيد  
ولكنى أغنى ابن عائشة الذى أبو أبويه خالد بن أسيد  
عقيد<sup>(٤)</sup> الذى ما عاش يرضى به الندى فإن مات لم يرض الندى بعقيد  
دعوه دعوه إنكم قد رقدتم وما هو عن أحسابكم برقود  
قتلت أناسا هكذا في جلودهم من الغيظ لم تقتلهم بحديد

فقال سليمان : طي يا غلام بسعيد بن خالد ، فأتى به ، فقال : أحق ما وصفك  
به موسى ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فأعاد عليه . فقال : قد كان ذلك  
يا أمير المؤمنين . قال : فما طوّقتك هذه الأفعال ؟ قال : دين ثلاثين ألف دينار .  
فقال له : قد أمرت لك بمثلها وبمثلها وبثلث مثلها ، فحملت إليه مائة ألف  
دينار .

قال الحارث : فلقيت سعيد بن خالد بعد ذلك فقات له : ما فعل المال الذى  
وصلك به سليمان ؟ قال : ما أصبحت والله أملك منه إلا خمسين ديناراً . قلت :  
ما اغتاله ! قال : خلة<sup>(٥)</sup> من صديق ، أوفاقة من ذى رحم .

(١) الظبية هنا : جراب صغير من جلد ظي (٢) العتيدة : الحقة يكون فيها طيب الرجل  
أو العروس (٣) الملحفّة : الملاءة . (٤) عقيد الندى : حليف الكرم (٥) الخلة :  
الحاجة والفقير .



## ٩٩ — خليفة يمتطى الفقراء ويمنع الشعراء \*

لما استخلف عمر<sup>(١)</sup> بن عبد العزيز وفدت إليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله ، فأقاموا ببابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول حتى قدم عدى بن أرطاة على عمر — وكانت له منه مكانة — فقال جرير :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمَرْجِي مَطِيَّتُهُ      هَذَا زَمَانُكَ إِنِّي قَدْ مَضَى زَمَنِي  
أَبْلَغُ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَاقِيَهُ      أَنِّي لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ<sup>(٢)</sup> فِي قَرْنٍ  
وَحْشُ الْمَكَانَةِ مِنْ أَهْلِي وَمِنْ وَلَدِي      نَائِي الْمَحَلَّةِ عَنْ دَارِي وَعَنْ وَطَنِي

فقال : نعم أبا حَرَزَةَ وَنَعْمَى عَيْن ! فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الشعراء ببابك ، وأقوالهم باقية ، وسهامهم مسنونة .

قال : يا عدى ، مالى وللشعراء !

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله قد مدح وأعطى ؛ وفيه أسوة لكل مسلم . قال : مَنْ مدحه ؟ قال : عباس بن مرداس ؛ فكساه حلة قطع بها لسانه .

\* العقد الفريد : ١ - ١٠٨ ، ثمرات الأوراق : ١ - ٧١ .

(١) ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة ٥٩٩ هـ ، وكان من خيار الخلفاء علماً ، زاهداً ، عابداً ، تقياً ، سار سيرة مرضية ، وسلك المثل الأعلى فى الحكم . توفى سنة ١٠١ هـ (٢) صنده : أوثقه .

قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟ قال : ابنُ عمك عمرُ بنُ أبي ربيعة القرشي .

قال : لا قرَّب اللهُ قرابته ، ولا حياً وجهه ؛ أليس هو القائل :

ألا ليتَ أني يومَ تدنونيَّتي شَمِمتُ الذي ما بينَ حينِكَ والقمِـ

وليتَ طهورى كان ريقك كله وليتَ حنوطى من مُشاشِكَ<sup>(١)</sup> والدمِـ

ويا ليتَ سلمى فى القبورِ ضجيمتى هنالك أو فى جنَّةٍ أو جهنمِـ

فليتَه تمنى لقاءها فى الدنيا ، ثم يملُ عملاً صالحاً ، والله لا يدخل على أبداً .

فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : جميل بن مَعمر العذرى .

قال : أليس هو القائل :

ألا ليتنا نحياً جميعاً وإن نَمُتْ يُوافى لى الموتى ضريحى ضريحها

فأنا فى طولِ الحياةِ براغبٍ إذا قيل قد سوى عليها صفيحها<sup>(٢)</sup>

أظلمَ نهارى لا أراها وتلتقى مع الليل رُوحى فى المنام ورُوحها

والله لا يدخل على أبداً . فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : كثير عزة ،

قال : أليس هو القائل :

رُهبانُ مدَّينَ والذين عهدتهم يكون من حذرِ الفراق قُعودا

لو يسمعون كما سمعتُ حديثها خرُّوا لعزة رَكماً وسجودا

أبعده الله ! فوالله لا يدخلُ على أبداً ، فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال :

الأحوص الأنصارى . قال : لا دَخَلَ على أبداً ، أليس هو القائل - وقد أفسد

على رجلٍ من أهل المدينة جاريته حتى هربَ بها منه :

الله بينى وبين سيِّدِها يفرُّ عني بها وأتَّبِعُ

(١) المشاش : رموس المظام ؛ مثل الركبتين والرفقين والنكبين . (٢) الصفايح : الحجارة

المريضة ؛ واحدها صفيح وصفيحة .

فمن بالباب وغيره ممن ذكرت؟ قال : همام بن غالب الفرزدق ! قال : أليس هو القائل :

هما دلتان من ثمانين قامَةً      كما انقضت باز أقتم الریش كاسِرُهُ  
فلما استوت رجلاى بالأرض قالتا :      أحى يَرْجى أم قتيل نحاذِرُهُ ؟  
قلت : ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا      ووليت فى أعقاب كَيْسَلٍ أبادِرُهُ  
والله لا دخل على أبدأ ، فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟ قال : الأخطل التغلبي  
قال : أليس القائل :

ولستُ بصائم رَمَضانَ عمرى      ولستُ بآكلٍ لحم الأضاحى<sup>(١)</sup>  
ولستُ بزاجر عَنَساً<sup>(٢)</sup> بـكُوراً      إلى بطحاء مَكَّة للنجاح  
ولستُ بقائم كالمير يدعو      قبيل الصبح حى على الفلاح  
ولكنى ساشربها شمولاً<sup>(٣)</sup>      وأسجد عند مُنبج الصباح<sup>(٤)</sup>  
أبعده - أبعده الله - عني ا فوالله لا دخل على أبدأ ، ولا ولى لي بساطاً ،  
فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت؟ قال : جرير ، قال أليس هو القائل :  
ذمّ المنازل بعد منزلة اللوى      والميش بعد أولئك الأيام  
طرفتكَ صائدة القلوب وليس ذا      وقت الزيارة فارجمى بسلام  
فإن كان ولا بد فهذا ، فأذن له .

قال عدى بن أرطاة : فخرجتُ إليه ، فقلت : ادخل يا جرير ، فدخل  
وهو يقول :

إن الذى بعث النبى محمداً      جعل الخلافة فى إمام عادل

(١) الأضاحى : جمع أضحية وهى شاة يضحي بها . (٢) المنس : البازل الصلبة من الإبل .  
(٣) الشمول : البارد من الخمر . (٤) انبلج الصبح : أضاء وأشرق .

وسم الخلائق عدله ووفاءه حتى ارعوا وأقام ميل المائل  
والله أنزل في الكتاب فريضة لابن السبيل والفقير العائل  
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولمة بحب العاجل  
فلما مثل بين يديه قال : يا جرير ، اتق الله ، ولا تقل إلا حقاً ،  
فأنشأ يقول :

كم باليامة من شعاء أرملة ومن ينيم ضيف الصوت والنظر !  
من بمدك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم يدرج<sup>(١)</sup> ولم يطر  
أذكر الجهد والبلوى التي نزلت أم قد كفاني ما بلغت من خبري  
إنالرجو - إذا ما الفيث خلفنا - من الخليفة ما نرجو من المطر  
نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر  
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن حاجة هذا الأرملة الذكرا  
الخير ما دمت حياً لا يفارقنا بوركت يا عمر الخيرات من عمر !

فقال : يا جرير ، ما أرى لك فيما هاهنا حقاً ! قال : يا أمير المؤمنين ، إني ابن  
سبيل ومنه قطع به ! فقال له : ويحك يا جرير ! قد ولينا هذا الأمر ، ولا نملك إلا  
ثلثمائة درهم فمئة أخذها عبد الله ، ومئة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام ، أعطه  
المائة الباقية .

فأخذها جرير ، وقال : والله يا أمير المؤمنين لمي أحب مال اكتسبته ، ثم  
خرج ، فقال له الشعراء : ما وراءك ؟ قال : ما يسوءكم ! خرجت من عند حليفة يعطى  
الفقراء ، ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراض ، وأنشد :

رأيت رقي الشيطان لا تستغزه وقد كان شيطاني من الجن راقيا

# ١٠٠ — الشعراء عند عمر بن عبد العزيز \*

قال حماد الراوية :

دخلت المدينة التمس العلم ، فكان أول من لقيت كثير<sup>(١)</sup> عزّة . فقلت :  
يا أبا صخر ؛ ما عندك من بضاعتي ؟ قال : عندي ما عند الأحوص<sup>(٢)</sup> ونصيب .  
قلت : وما هو ؟ قال : هما أحق بإخبارك . فقلت له : إنا لم نحث المولى نحوم  
شهرأ نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكره ، وقل من يفعل ذلك ، فأخبرني عما  
سألتك ليكون ما تخبرني به حديثاً آخذه عنك .

فقال : إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان ، قدّمت أنا ونصيب  
والأحوص ، وكل واحد منا يدلّ بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر . فكان  
أول من لقينا مسلة بن عبد الملك ، وهو يومئذ فتى العرب ، وكل واحد منا ينظر  
في عطفه لا يشك أنه شريك الخليفة في الخلافة ، فأحسن ضيافتنا وأكرم مثوانا ،  
ثم قال : أما علمتم أن إمامكم لا يعطى الشعراء شيئاً ، قلنا : قد جئنا الآن ، فوجه  
لنا في هذا الأمر وجهها . فقال : إن كان ذو دين من آل مروان قد ولى الخلافة فقد  
بقي من ذوى دنياهم من يقضى حوائجكم ، ويفعل بكم ما أنتم له أهل .

فأقمنا على بابه أربعة أشهر لا نصل إليه ، وجعل مسلة يستأذن لنا فلا  
يؤذن . فقلت : لو أتيت المسجد يوم الجمعة فتحفظت من كلام عمر شيئاً ! فأتيت

\* الأغاني : ٩ - ٢٥٦ ( طبعة دار الكتب ) ، العقد الفريد : ١ - ٢١٣ .

(١) انظر صفحة ٢٢٥ (٢) انظر صفحة ١٤٨ .



المسجد فأنا أول من حفظ كلامه ، سمعته يقول في خطبة له : « لكل سَفَرِزَادٍ لا محالة ، فزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتَّقْوَى ، وكونوا كمن عَيْنَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ له من ثوابه وعِقابه ، فمِلْ طلباً لهذا وخوفاً من هذا . ولا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُو قُلُوبَكُمْ ، وتنقادوا لعدوكم » .

« واعلموا أَنَّهُ إِنَّمَا يَطْمَئِنُّ بِالدُّنْيَا مَنْ وَثِقَ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ . فَأَمَّا مَنْ لَا يُدَاوِي جُرْحًا إِلَّا أَصَابَهُ جُرْحٌ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ بِالدُّنْيَا ! أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ آمُرَكُمْ بِمَا أَنْهَى نَفْسِي عَنْهُ فَتَخْسَرَ صَفْقَتِي ، وَتَبْدُو عَيْلَتِي ، وَتُظْهِرَ مَسْكَنَتِي يَوْمَ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدَقُ » .

فَارْتَجَعَ الْمَسْجِدُ بِالْبُكَاءِ ، وَبَكَى عَمْرٌ حَتَّى بَلَ ثَوْبُهُ ، وَظَنْنَا أَنَّهُ قَاضٍ كَنَبِهِ . فَبَلَغْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقُلْتُ : جَدِّدَا لِعَمْرٍ مِنَ الشَّعْرِ غَيْرَ مَا أَعَدَدْنَاهُ ، فَلَيْسَ الرَّجُلُ بِدُنْيَوِي .

ثُمَّ إِنْ مَسَلَمَةَ اسْتَأْذَنَ لَنَا يَوْمَ جُمُعَةٍ بَعْدَ مَا أُذِنَ لِلْعَامَّةِ . فَدَخَلْنَا فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْنَا ؛ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ طَالَ الثَّوَاءُ <sup>(١)</sup> ، وَقُلْتُ الْفَائِدَةُ ، وَتَحَدَّثْتُ بِجَفَائِكَ إِيَّانَا وَفُودُ الْعَرَبِ .

فَقَالَ : يَا كَثِيرٌ ؛ أَمَا سَمِعْتَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، أَفَمِنْ هَؤُلَاءِ أَنْتَ ؟ قُلْتُ لَهُ - وَأَنَا ضَاحِكٌ : أَنَا ابْنُ سَبِيلٍ وَمُنْقَطَعٌ بِهِ ! قَالَ : أَوْلَسْتَ ضَيْفَ أَبِي سَعِيدٍ ! قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ . مَا أَحْسَبُ مَنْ كَانَ ضَيْفَهُ ابْنُ سَبِيلٍ ، وَلَا مُنْقَطَعًا بِهِ .

(١) الثَّوَاءُ : الْمَكْتُ وَالْإِنَامَةُ .

ثم استأذنته في الإنشاد ، فقال : قل ، ولا تقل إلا حقاً . فإن الله سائلك :

فقلت :

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تُخَفْ  
وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي  
لَقَدْ لَبِستُ لُبْسَ الْهُلُوكِ<sup>(١)</sup> ثِيَابَهَا  
وَتُومِضُ أَحْيَانًا بَعِينَ مَرِيضَةً  
أَعْرَضْتَ عَنْهَا مَشْمُزًا كَأَنَّمَا  
وَقَدْ كُفْتُ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُنَمِّعٍ  
وَمَا زِلْتُ سَبَّاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ  
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ  
تَرَكَتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُوْنِقًا  
فَأُضِرَّرْتَ بِالْفَسَادِ وَشَمَّرْتَ لِلَّذِي  
وَمَالِكَ أَنْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ  
سَمَّاكَ<sup>(٢)</sup> هَمْ فِي الْفَوَادِ مُوَرِّقٌ  
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا  
يَقُولُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي  
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمَسْلُومُونَ لَقَسَمُوا  
قَعَسْتُ بِهِ مَا حَجَّ اللَّهُ رَاكِبٌ

بَرِيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمٍ  
فَعَلْتَ ، فَأُضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمٍ  
وَأَبَدْتَ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفِّ وَمِقْصَمٍ  
وَتَبَسَّيْتُ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ الْمُنْظَمِ  
سَقَّتْكَ مَدُوفًا<sup>(٢)</sup> مِنْ سَمَامٍ وَعَلَقَمٍ  
وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مُزِيدِ الْمَوْجِ مُقَمِّمٍ  
صَعَدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمَقْدَمِ  
لَطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمٍ  
وَأَثَرَتْ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مَصْمَمٍ  
أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْهَوْلِ مُظْلَمٍ  
سَوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَعِيَتْ وَدِرْهَمٍ  
صَعِدْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسُلْمٍ  
مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ  
بِأَخَذِ لَدِينَارٍ وَلَا أَخْذِ دِرْهَمٍ  
لَكَ الشَّطْرُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نَدَمٍ  
مُغْدٍ مُطِيفٌ بِالْمَقَامِ وَزَمَزَمٍ

(١) الهلوك من النساء : الفاجرة المتساقطة على الرجال (٢) مدوفا : مخلوطاً ، والسمام : السم

(٣) سمالك : ارتفع .

فَارْبِحْ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لِمَبَايِعِ وَأَعْظِمْ بِهَا أَعْظِمَ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمْ !  
فَقَالَ لِي يَا كَثِيرٌ ؛ إِنْ اللَّهُ سَأَلْتُكَ عَنْ كُلِّ مَا قُلْتَ . ثُمَّ تَقْدُمُ إِلَيْهِ الْأَحْوَصَ  
فَاسْتَأْذَنَهُ فَقَالَ : قُلْ ، وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا ، فَإِنْ اللَّهُ سَأَلْتُكَ . فَأَنْشَدَهُ :

وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا خُطْبَةٌ مِنْ مَوَائِفِ بِمَنْطِقٍ حَقٍّ أَوْ بِمَنْطِقٍ بَاطِلِ  
فَلَا تَقْبَلَنَّ إِلَّا الَّذِي وَافَقَ الرِّضَا وَلَا تَرْجِعَنَّ كَالنِّسَاءِ الْأَرَامِلِ  
رَأَيْتُكَ لَمْ تَعْدِلِ عَنِ الْحَقِّ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً فَعَلَ الظُّلُومِ الْمَجَادِلِ  
وَلَكِنْ أَخَذْتَ الْقَصْدَ جُهْدَكَ كَلَّةً وَتَقَفُوا مِثَالِ الصَّالِحِينَ الْأَوَائِلِ  
فَقُلْنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَأَ لَنَا وَمَنْ ذَا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مُرُوقِهِ  
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ عَوَّدْتَنَا خِلَافُ وَلَوْ لَا الَّذِي قَدْ عَوَّدْتَنَا خِلَافُ  
لَمَّا وَخَدْتَ شَهْرًا بِرَحْلِي جَسْرَةً<sup>(٢)</sup> وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ  
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقًا لَا يَعْيِيهِ  
فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَنَحْضَ مَوَدَّةٍ فَذَاذُوا عَدُوَّ السَّلَامِ عَنْ عُقْرِ دَارِهِمْ  
فَقَبْلَكَ مَا أَعْطَى الْهَنِيدَةَ جِلَّةً عَلَى الشَّعْرِ كَغَبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلِ<sup>(٤)</sup>

(١) السهم العائر : الذي لا يدري من أين أتى (٢) الجسرة : الناقة العظيمة (٣) المناصل :  
جميع منصل وهو السيف القاطع (٤) هنيدة : اسم المائة من الإبل خاصة ، ويريد بكعب  
كعب بن زهير ، والسديس : من الإبل ما دخل في الثامنة ، والبازل : ما بلغ التاسعة .

رسولُ الإلهِ المصطفى بنبوءةٍ عليه سلامٌ بالضحَا والأصائل  
فكلُّ الذي عدَدْتُ يكفيك بعضُهُ ونيلُك خيرٌ من بحور السوائل  
فقال له عمر : يا أحوص ؛ إن الله سائلُك عن كل ما قلت . ثم تقدم إليه  
نصيب فاستأذن في الإنشاد ، فأبى أن يأذن له ، وغضب غضبا شديدا ، وأمره باللعاق  
بدايق<sup>(١)</sup> ؛ وقال لنا : ما عندي ما أعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم  
منه . فانتظروا حتى خرج ، فأمر لي وللأحوص بثلاثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة  
وخمسين درهما . فما رأيت أعظم بركة من الثلاث المائة التي أعطاني ، ابتعتُ بها  
وصيفةً فعلتُها بألف دينار .

---

(١) دايق : قرية قرب حلب .

## ١٠١ — إيجاز في المقال وبلاغة في البيان \*

قال سُفيان القرشي :

كنا عند هشام<sup>(١)</sup> بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وفدُ أهل الحجاز — وكان شباب الكتاب إذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم — فحضرتُ كلامهم .  
وكان محمد بن أبي الجهم أعظم القوم قدراً ، وأكبرهم سناً ، وأفضلهم رأياً وحلماً ؛  
فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! إن خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت ،  
وأكثر وأطنبت ، والله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وإن  
أذنت في القول قلت . قال : تسكّم ، قال : أفأوجز أم أطنب ؟ قال : بل  
أوجز .

قال : تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خير  
الآخرة والأولى ، إن لي حوائج أفأذكرها ؟ قال : هاتها ، قال : كبرت سني ،  
ونال الدهر مني ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسري ، وينفي فقري فعل !  
قال : وما الذي ينفي فقرك ، ويجبر كسرك ! قال : ألف دينار ، وألف  
دينار ، وألف دينار !

فأطرق هشام طويلاً ، ثم قال : هيهات يا ابن أبي الجهم ! بيت المال لا يمتلئ  
ما ذكرت ، فقال : إن الله آثرك لجلسك ، فإن تعطينا حقاً أدّيت ، وإن تمنعنا

\* العقد الفريد : ٣ - ١٨٦ ، الأمل : ١ - ١٤٧ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٦٤  
(١) تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وكان غزير العقل ، حليماً عفيفاً ، امتدت  
أيامه ، وجرى فيها كثير من الوقائع . توفي سنة ١٢٥ هـ .



فَسَأَلَ الَّذِي بِيَدِهِ مَاحَوِيَّتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْعَطَاءَ مَحَبَّةً ، وَالنَّمْعَ مَبْفَظَةً ؛ وَاللَّهُ لَأَنْ أَحَبَّكَ أَحَبُّ إِلَى مَنْ أَنْ أُبْفِظَكَ !

قَالَ : فَأَلْفَ دِينَارٍ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَقْضِي بِهَا دِينَارًا فَدَحَنِي <sup>(١)</sup> قِضَاؤُهُ ، وَقَدْ عَنَّا نِي حَمْلُهُ ، وَأَضَرَّ بِي أَهْلُهُ . قَالَ : فَلَا بَأْسَ ؛ تُنَفِّسُ كَرْبَةً ، وَتُؤَدِّي أَمَانَةً . وَأَلْفُ دِينَارٍ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَزَوِّجُ بِهَا مَنْ أُدْرِكُ مِنْ وَلَدِي . قَالَ : نِعْمَ الْمَسْلُوكُ سَلَكَتَ ، أَغْضَضْتَ بَصْرًا ، وَأَعْفَقْتَ وَلَدًا ، وَرَفَعْتَ نَسْلًا . وَأَلْفَ دِينَارٍ لِمَاذَا ؟ قَالَ : أَشْتَرِي بِهَا أَرْضًا يَعْشَى بِهَا وَلَدِي ، وَأَسْتَعِينُ بِفَضْلِهَا عَلَى فَوَائِبِ دَهْرِي ، وَتَكُونُ ذُخْرًا لِمَنْ بَقِيَ بَعْدِي .

قَالَ : فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِمَا سَأَلْتَ . قَالَ : فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّحِمَ خَيْرًا ! ثُمَّ خَرَجَ .

فَاتَّبَعَهُ هِشَامُ بَصْرَةَ ، وَقَالَ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَلْطَفَ فِي سُؤَالٍ ، وَلَا أَرْفَقَ فِي مَقَالٍ مِنْ هَذَا ، هَكَذَا فَلْيَكُنِ الْقُرْشِيُّ . أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْرِفُ الْحَقَّ إِذَا نَزَلَ ، وَنَكْرَهُ الْإِسْرَافِ وَالْبَخْلِ ، وَمَا نَعْطِي تَبْذِيرًا ، وَلَا نَمْنَعُ تَقْتِيرًا ، وَمَا نَحْنُ إِلَّا خُزَّانُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ ، وَأُمْنَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، فَإِذَا أُذِنَ أَعْطَيْنَا ، وَإِذَا مَنَعَ أَبَيْنَا ، وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَائِلٍ بِصَدُقٍ ، وَكُلُّ سَائِلٍ يَسْتَحِقُّ ، مَا جَبَّهْنَا <sup>(٢)</sup> قَائِلًا ، وَلَا رَدَدْنَا سَائِلًا ، وَنَسَأَلَ الَّذِي بِيَدِهِ مَا اسْتَحْفَظْنَا أَنْ يُجْرِيَهُ عَلَى أَيْدِينَا ، فَإِنَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ <sup>(٣)</sup> ؛ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ! فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَقَدْ تَكَلَّمْتَ فَأَبْلَغْتَ ، وَمَا بَلَغَ فِي كَلَامِهِ مَا قَصَصْتَ ؛ قَالَ : إِنَّهُ مَبْتَلَى ، وَابْتَلي الْمَبْتَلَى كَالْمُعْتَلَى !

(١) فدحني : أثقلني (٢) جبهه : لقيه بما يكره (٣) يقدر : يقسم .

## ١٠٢ — سميت فأكديت ، ورجعت فرزقت \*

وفد عُرْوَة <sup>(١)</sup> بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ،  
فلما دخلوا عليه عرف عروة ، فقال له : ألسن القائل :

لقد علمتُ وما الإشراف <sup>(٢)</sup> من خلقي أن الذي هو رزقي سوف يأتيني  
أَسْعَى له قِيَعْنِي تَطْلُبُهُ ولو قعدتُ أتاني لا يمتيني  
وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له : يا أمير المؤمنين ؛  
زادك الله بسطةً في العلم والجسم ، ولا ردّ وافدك خائباً . والله لقد بالفت في الوعظ ،  
وأذكرتني ما أنسانيه الدهر !

وخرج من فوره إلى داحلته ؛ فركبها وترجته راجعاً إلى الحجاز ، فلما كان الليل  
ذكره هشام ، وهو في فراشه ، فقال : رجل من قريش قال حكمة ، ووفد إلى  
فجبهته ورددته عن حاجته ، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول .  
فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جرم ، ليعلم أن الرزق سيأتيه .

\* الشعر والشعراء : ٢٢٥ ، المستطرف : ١ - ٧ ، ابن خلسكان : ١ - ٢١٢  
(١) عروة بن أذينة : كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله شعر في الغزل عفيف رائق ؛  
وقفت عليه سكبنة بنت مرة فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدى	ذهبت نحو سقاء القوم أبترد
هبنى بردت يبرد الماء ظاهره	فمن لئار على الأحشاء تنقد !
فقال لها : نعم . فقالت : وأنت القائل :	
قالت : وأنتتها سرى وبحت به	قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألسن تبصر من حولي ؟ فقلت لها :	غطى هواك وما ألقى على بصري !
قال : نعم ، فالتفت إلى جواربها وقالت : هن الحرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم .	
(٢) الإشراف : التطلع للأمر .	

ثم دعا مولى له ، وأعطاه ألفي دينار ، وقال : الحق بهذه ابن أذينة ، وأعطه إياها ؛  
فأذركه وقد دخل بيته ، ففرع الباب عليه ، فخرج إليه ، فأعطاه المال .  
فقال : أبلغ أمير المؤمنين قولي : سميت فأكدت ، ورجعت إلى بيتي  
فأتاني رزقي .

### ١٠٣ — هذا الذي تعرف البطحاء وطأته \*

حج هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساء أهل الشام ،  
فجهد أن يستلم الحجر ، فلم يقدر من ازدحام الناس ، فنصب له منبر فجلس عليه  
ينظر إلى الناس ، وأقبل على بن الحسين — وهو أحسن الناس وجهاً ، وأنظفهم ثوباً ،  
وأطيبهم رائحة — فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم ، وأخلوا  
له الحجر ليستلمه هيبَةً وإجلالاً .

ففاظ ذلك هشاماً ، وبلغ منه ، فقال رجل لهشام : من هذا أصلح الله الأمير !  
قال : لا أعرفه — وكان به عارفاً — ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ،  
ويسمعوا منه ، فقال الفرزدق — وكان لذلك كله حاضراً : أنا أعرفه ، فسألني ياشامي .  
قال : ومن هو ؟ قال :

هذا الذي تعرف البطحاء<sup>(١)</sup> وطأته      والبيت يعرفه والحل والحرم  
هذا ابن خير عباد الله كلهم      هذا التقى النقي الطاهر العلم

\* الأغاني : ١٤ — ٧٥ ( طبع الساسي ) ، المحاسن والمساوي : ٢٣١ ( طبع ليزج ) .  
(١) البطحاء : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

إذا رأتَه قريشٌ قال قائلمها : إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ  
يسكادُ يُمسكه عرفانٌ <sup>(١)</sup> راحته رُكنُ الحطيم <sup>(٢)</sup> إذا ما جاء يستلمُ  
فليس قولك : من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والمعجمُ  
فجسه هشام فقال في حبسه :

أتمجسني بين المدينة والقي إليها قلوب الناس يهوى منيها !  
يقلبُ رأساً لم يكن رأس سيّدٍ وعيناً له حواء بادٍ عيوبها  
فبعت إليه هشام فأخرجه ، ووجهه إليه علي بن الحسين عشرة آلاف درهم ،  
وقال : اعذر يا أبا فراس ، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به ،  
فردّها ، وقال : ما قلت ما كان إلا لله ، وما كنت لأرزأ <sup>(٣)</sup> عليه شيئاً ، فقال له  
علي : نحن أهل بيت إذا أنفدنا شيئاً ما نرجع فيه .

(١) عرفان : منصوب على أنه مفعول له (٢) الحطيم : حجر الكعبة أو جدارها ، أو ما بين  
الركن وزمزم والمقام (٣) رزأه ماله : أصاب من ماله شيئاً .

## ١٠٤ — واعظ الملوك \*

قال خالد بن صفوان بن الأهم<sup>(١)</sup> :

أوفدني يوسف بن عمر النقي إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق  
فقدِمْتُ عليه ، وقد خرج بقرابته وحشمه وغازيته<sup>(٢)</sup> وجلسائه ، فنزل في أرض  
قاع صحصح<sup>(٣)</sup> ، تنائف أفصح<sup>(٤)</sup> ، في عام قد بكر وسميته ، وتتابع وليه<sup>(٥)</sup> ، وأخذت  
الأرض فيه زيتها على اختلاف ألوان نبتها ؛ من نور ربيع موق<sup>(٦)</sup> ، فهو في  
أحسن منظر ونخبر ، وأحسن مستمطر ، بصعيد<sup>(٧)</sup> كأن ترابه قطع الكافور .  
وقد ضرب له مرادق من حبر<sup>(٨)</sup> ، كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن ، فيه فسطاط  
فيه أربعة أفرشة من خز أحمر ، مثلها مرافقها ، وعليه دراعة<sup>(٩)</sup> من خز أحمر  
مثلها عمامتها ، وقد أخذ الناس مجالسهم .

فأخرجت رأسي من ناحية السماء<sup>(١٠)</sup> ، فنظر إلى شبه المستنطق لي !  
فقلت : أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه ، وجعل ما قلّدتك من هذا الأمر رُشداً ،  
وعاقبة ما يتول إليه حمداً ؛ وأخلصه لك بالثقي ؛ وكثره لك بالثناء ، ولا كدر عليك

\* الأغاني : ٢ - ١٥٣ ( طبعة دار الكتب ) . معجم الأدباء : ١١ - ٢٧

- (١) كان خالد خطيباً بليغاً ولسناً مبيناً ، حسن السر جيد المنادمة ، مات سنة ١٣٣ هـ .  
(٢) غاشية الرجل : من ينتابه من زواره وأصدقائه (٣) القاع الصحصح : الأرض الجرداء  
المستوية ، والتنائف : جمع تنوفة ، وهي أرض لا أنيس بها ولا ماء (٤) الأفصح : الواسع  
(٥) الوسمي : مطر الربيع الأول ، والولي : المطر الذي يلي الوسمي (٦) موق : معجب  
(٧) الصعيد : التراب أو وجه الأرض (٨) الحبر : جمع الحبرة ، وهي نوع منسوج من اليمن  
فيه نقط (٩) الدراعة : الثوب المشقوق من الأمام (١٠) السماء : جمع سمط ، وهو الصف  
من الناس وغيرهم .



منه ماصفاً ، ولا خالطَ سروره بالرّدى . فقد أصبحت للمسلمين ثقةً ، إليك يقصدون في أمورهم ، ويفزعون في مظالمهم ، وما أجدُ شيئاً - يا أمير المؤمنين - هو أبلغُ في قضاء حقك وتوقيع مجلسك ، وما من الله علىّ به من مجالستك ، من أن أذكركَ نعمَ الله عليك ، وأنبئك لشُكرها ؛ وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغُ من حديث من سلكَ قبلك من الملوك ؛ فإن أذن أمير المؤمنين أخبرت به .

فاستوى هشامٌ جالساً - وكان مُتَكثراً - ثم قال : هات يا ابن الأَهم ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامك هذا إلى الخورنق والسدير<sup>(١)</sup> في عام قد بكرَ وسَمِيه ، وتتابعَ وليه ، فهو في أحسنِ منظر ، وأحسنِ مُستمطر ، بصعيد كان ترابه قطع الكافور ، وكان قد أُعطيَ فتاءً<sup>(٢)</sup> السن ، مع الكثرة والغلبة والقهر ؛ فنظرَ فأبعدَ النظر ؛ ثم قال لجلسائه : لمن هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ وهل أحدٌ أُعطيَ مثل ما أعطيت ؟

وكان عنده رجل من بقايا حَمَلَةِ الْحِجَّةِ<sup>(٣)</sup> ، والمضى على أدبِ الحقِّ ومناهجه - ولم تخلُ الأرض من قائمٍ لله بالحجة في عبادته - فقال : أيها الملك ؛ إنك سألت عن أمرٍ ، أفتأذن لي في الجواب عنه ؟ قال : نعم ، قال : رأيته<sup>(٤)</sup> هذا الذي أنت فيه ، أشيء لم تزل فيه ، أم شيء صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنك وصائرٌ إلى غيرك ، كما صار إليك من لدن غيرك ؟ قال : كذلك هو ! قال : فما أراك إلا أعجبتَ بشيء يسيرٍ تكونُ فيه قليلاً ، ويفيبُ عنك طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مُرتَهناً . قال : ويحك ! فأين المهربُ ؟ وأين المطلبُ ؟ فقال : إما أن تقيم

(١) الخورنق والسدير : قصران بالحيرة (٢) الفتاء : الشاب (٣) الحجة : البرهان .

(٤) رأيته : أخبرني .

فِي مُلْكِكَ فَتَعْمَلْ بِطَاعَةِ اللَّهِ رَبِّكَ عَلَى مَاسَاءِكَ وَسِرِّكَ، وَأَمَضِّكَ<sup>(١)</sup> وَأَرْمَضِّكَ<sup>(٢)</sup>،  
وَأَمَّا أَنْ تَضَعَ تَاجَكَ، وَتَخْلَعْ أَطْمَارَكَ<sup>(٣)</sup>، وَتَلْبَسَ أَمْسَاحَكَ<sup>(٤)</sup>، وَتَعْبُدَ رَبَّكَ، حَتَّى  
يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ !

قال الملك : فإذا كان السَّحَرُ فَاقْرَعِ عَلَى بَابِي ؛ فَإِنِّي مُخْتَارُ أَحَدِ الرَّائِينَ ، فَإِن  
اخْتَرْتُ مَا أَنَا فِيهِ كُنْتُ وَزِيرًا لَا يُعْصَى ، وَإِن اخْتَرْتُ فَلَوَاتِ الْأَرْضِ وَقَفَرُ  
الْبِلَادِ كُنْتُ رَفِيقًا لَا يَخَالَفُ .

فلما كان السحر قرع عليه بآبِه ، فإذا هو قد وضع تاجَه ، وخلع أطمارَه ، ولبس  
أَمْسَاحَه ، وتهياً للسياحة ، فلزما والله الجبل ، حتى أتاهما أَمْجَلُهُمَا ، فذلك حيث يقول  
عدي بن زيد ، أخو بني تميم :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِالْهَرِّ أَنْتَ الْمُسْبِرُ الْمَوْفُورُ !  
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ !  
مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدْنَ أَمْنٌ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ !  
أَيْنَ كَسْرَى ، كَسْرَى الْمُلُوكِ أَنْوَشِرُ وَانْ ، أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ !  
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكِرَامُ مُلُوكُ الرِّمِّ ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ  
وَأَخُو الْحَضَرِ<sup>(٥)</sup> إِذَا بَنَاهُ وَإِذَا دَجَلَهُ تُجَبِّي إِلَيْهِ وَالْحَابُورُ<sup>(٦)</sup>  
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلًّا سَا<sup>(٧)</sup> فَللطيرِ فِي ذَرَاهِ وَكُورُ  
لَمْ يَهْبَهُ رَيْبُ الْمُنُونَ فَبَادَ الْمُلْكُ عَنْهُ ، فَبَابَهُ مَهْجُورُ

(١) يقال أمضى : أحرقتي وشق على (٢) أرمضك : أوجعك (٣) الطمر : الثوب الخلق  
(٤) المسح : الكساء من الشعر الغليظ ويجمع على أمساح على قلة (٥) الحضرة : قصر بجبال  
نكريت بين دجلة والفرات بناه الضيزن بن معاوية ، ملك الجزيرة (٦) الحابور : نهر بالجزيرة  
(٧) الكلس : ما يدهن به النزل وغيرها .

وتذكرُ ربَّ الخورتنِ إذْ أشرف يوماً وللهدى<sup>(١)</sup> تفكيرُ  
 سرِّه مألوه وكثرة مايملكُ والبحرُ مفرضاً<sup>(٢)</sup> والسديرُ  
 فارغوى قلبه فقال : وما غبطةٌ حى إلى الماتِ بصيرُ !  
 ثم بعد الفلاح والملك والإمة<sup>(٣)</sup> ورأتهم هُناك القبورُ  
 ثم صاروا كأنهم ورقٌ جفَّ فالوتُ<sup>(٤)</sup> به الصبا والدبورُ  
 فبكى هشام حتى اخضلت<sup>(٥)</sup> لحيته ، وبلت عمامته ، وأمر بنزع أبنيه ، ونقل  
 قرابته وحشمه وغاشيته وجلسائه ، ولزم قصره .  
 فأقبلت الموالى والحشم على فقالوا : ما أردتَ بأمر المؤمنين ! أفسدتَ عليه  
 لذته ، ونفصتَ عليه مأدبته . فقلت : إليكم عنى ، فإنى عاهدت الله عز وجل ألا  
 أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل !

---

(١) يريد بهذه الجملة : أن التفكير طريق الهدى (٢) ممرضاً : متسماً (٣) الإمة : الأمة  
 (٤) ألوت : ذهبت (٥) اخضلت : ابتلت .

## ١٠٥ — إن خالدًا أدل فأمل\*

قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسري ، فألقيته جالسًا على كرسي في بركة ، ماؤها إلى السكابين ، فدعا لي بكرسي فجلستُ عليه ، فقال : يا خالد ؛ ربَّ خالدٍ جلسَ مجلسك ، كان ألوط بقلبي ، وأحبَّ إلى !

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن حِلْمَكَ لا يضيقُ عنه ، فلو صفحتَ عن جُرْمِهِ ! فقال : إن خالدًا أدل فأمل ، وأوجفَ فأجحف ، ولم يدعَ لراجعٍ مَرَجَمًا ، ولا لعودَةٍ موضمًا ، ثم قال : ألا أخبرُك عنه يابن صفوان ؟ قلت : نعم ، قال : إنه ما بدَأني بسؤال حاجةٍ قطُّ مذ قَدِمَ العراق حتى أكونَ أنا الذي أبدؤه بها فقلت : فذاك أحرى أن ترجعَ إليه ، فقال متمثلًا :

إذا انصرفتُ نفسي عن الشيء لم تنكدُ إليه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تقبلُ  
قال خالد : ثم قال لي هشام : حاجتك ، فقلت : تزيدني في عطائي عشرة دنائير . فأطرق ثم قال : ولم ؟ وفيم ؟ العبادَةُ أحدثتها فنعينك عليها ، أم لبلاء حسن أبليتَه عند أمير المؤمنين ، أم لماذا يابن صفوان ! إذن يكثر السؤال ولا يحتملُ ذلك بيتُ المال ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، وفقَّك الله وسدَّك ، أنت والله كما قال أخو خزاعة :

إذا المال لم يوجبْ عليك عطاءهُ قرابةٌ قُربى أو صديقٌ توافقه

مَنَعْتَ وَبَعْضُ الْمَنَعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِتْكَ <sup>(١)</sup> الْمَالُ إِلَّا حَقَائِقُهُ  
فَلَمَّا قَدِمَ خَالِدُ الْبَصْرَةِ ، قِيلَ لَهُ : مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى تَزْيِينِ الْإِمْسَاكِلَةِ ؟ فَقَالَ :  
أَحْبَبْتُ أَنْ يَمْنَعَ غَيْرِي فَيَكْثُرَ مَنْ يَلُومُهُ !

### ١٠٦ — أَبُو النِّجْمِ عِنْدَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ \*

وَرَدَ أَبُو النِّجْمِ <sup>(٢)</sup> عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ لَهُمْ هِشَامُ : صَفُّوا  
لِي إِبِلًا فَقَطَّرُوهَا <sup>(٣)</sup> وَأَوْرِدُوهَا وَأَصْدِرُوهَا ؛ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا ؛ فَأَنْشُدُوهُ ، وَأَنْشُدْهُ  
أَبُو النِّجْمِ :

\* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّوبِ الْمَجْزِلِ \*

حَتَّى بَلَغَ إِلَى ذِكْرِ الشَّمْسِ فَقَالَ : « وَهِيَ عَلَى الْأَفْقِ كَعَيْنٍ . . . . » وَأَرَادَ أَنْ  
يَقُولَ « الْأَحُولُ » ، ثُمَّ ذَكَرَ حَوَالَةَ هِشَامِ ؛ فَلَمْ يَتِمَّ الْبَيْتَ وَأَرْتَجَحَ عَلَيْهِ .

فَقَالَ هِشَامُ : أَجِزْ الْبَيْتَ ؛ فَقَالَ : « كَعَيْنٍ الْأَحُولُ » وَأَتَمَّ الْقَصِيدَةَ ، فَأَمَرَ  
هِشَامَ فَوَجَّاهُ <sup>(٤)</sup> عُنْقَهُ ، وَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ؛ وَقَالَ لَصَاحِبِ شَرْطَتِهِ : يَا رَبِيعَ ؛  
إِيَّاكَ وَأَنْ أَرَى هَذَا ! فَكَلَّمَ وَجْهَهُ النَّاسُ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ أَنْ يَقْرَأَهُ فَفَعَلَ .

قَالَ أَبُو النِّجْمِ : وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِالرُّصَافَةِ يُضِيفُ إِلَّا سُلَيْمُ بْنُ كَيْسَانَ الْكَلْبِيُّ

(١) افْتَلَتَ الشَّيْءُ : أَخَذَتْهُ فِي سُرْعَةٍ ، وَيَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ .

\* الْأَغَانِي : ١٠ - ١٥٥ ( طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ ) ، رَغْبَةُ الْأَمَلِ : ٦ - ٢٣٩

(٢) اسْمُهُ الْفَضْلُ بْنُ قِدَامَةَ أَحَدِ رِجَالِ الْإِسْلَامِ الْفُحُولِ الْمَقْدَمِينَ ، وَفِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ .

(٣) قَطَّرَ الْإِبِلَ : قَرَّبَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ عَلَى نَسْقٍ .

(٤) وَجَّاهُ : وَجَّاهَ بِالْيَدِ وَبِالسَّكِينِ إِذَا ضَرَبَهُ .



وَعَمْرُو بْنُ بِسْطَامِ التَّغْلِبِيِّ ، فَكَنتُ آتِي سُلَيْمًا فَأَتَفِدِّي عِنْدَهُ ، وَآتَى هَمْرًا فَأَتَمَشَى عِنْدَهُ ، وَآتَى الْمَسْجِدَ فَأَيَّتَ فِيهِ .

قال : فَاهْتَمَّ هِشَامُ لَيْلَةً ، وَأَمْسَى لَقِيَسَ النَّفْسَ ، وَأَرَادَ مُحَدَّثًا يَحْدِّثُهُ ؛ فَقَالَ خُطَّامٌ لَهُ : ابْنِي مُحَدَّثًا أَهْرَاقًا شَاهِرًا يَرَوِي الشَّعْرَ .

فَخَرَجَ الْخُطَّامُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي النَّجْمِ ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ لَهُ : قُمْ أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : إِنِّي رَجُلٌ أَعْرَابِي غَرِيبٌ . قَالَ : إِيَّاكَ ابْنِي ، فَهَلْ تَرَوِي الشَّعْرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَأَقُولُهُ .

فَأَقْبَلَ بِهِ حَتَّى أَدْخَلَهُ الْقَصْرَ ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ ، فَأَيَّقَنَ بِالْشَّرِّ ، ثُمَّ مَضَى بِهِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى هِشَامٍ فِي بَيْتٍ صَغِيرٍ ، وَالشَّمْعُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَزْهَرُ<sup>(١)</sup> .

فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُ هِشَامُ : أَبُو النَّجْمِ ؛ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ طَرِيدُكَ ! قَالَ : اجْلِسْ ، فَسَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ : أَيْنَ كُنْتَ تَأْوِي ؟ وَمَنْ كَانَ يُنْزِلُكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ الْخَبِيرَ . قَالَ : وَكَيْفَ اجْتَمَعْتُ لَكَ ؟ قَالَ : كُنْتُ أَتَفِدِّي عِنْدَ هَذَا ، وَأَتَمَشَى عِنْدَ هَذَا . قَالَ : وَأَيْنَ كُنْتَ تَبِيتُ ؟ قَالَ : فِي الْمَسْجِدِ حَيْثُ وَجَدَنِي رَسُولُكَ . قَالَ : وَمَالُكَ مِنْ الْوَلَدِ وَالْمَالِ ؟ قَالَ : أُمَّا الْمَالُ فَلَا مَالَ لِي ، وَأُمَّا الْوَلَدُ فَلِي ثَلَاثُ بَنَاتٍ وَبُنَى يَقَالُ لَهُ شَيْبَانٌ .

فَقَالَ : هَلْ زَوَّجْتَ مِنْ بَنَاتِكَ أَحَدًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ؛ زَوَّجْتُ اثْنَتَيْنِ ، وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ تَجْمِزُ<sup>(٢)</sup> فِي أَيْيَاتِنَا كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ .

قال : وَمَا وَصِيَتْ بِهِ الْأُولَى ؟ فَقَالَ :

(١) يزهر : يتلألأ (٢) تجمز : تعدو وتسرع .

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةَ<sup>(١)</sup> قَلْبًا حُرًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحِمَاةِ شَرًّا  
لَا تَنَامِي ضَرْبًا لَهَا وَجَرًّا حَتَّى تَرَى حُلُومَ الْحَيَاةِ مُرًّا  
وَمِنْ كَسْتِكَ ذَهَبًا وَدُرًّا وَالْحَيِّ عُثْمِيهِمْ بَشَرًا طُرًّا

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت :

سُبِّ الْحِمَاةَ وَابْهَتِي<sup>(٢)</sup> عَلَيْهَا وَإِنْ دَنْتُ فَارْذَلْنِي إِلَيْهَا  
وَأَوْجَعِي بِالْفَهْرِ<sup>(٣)</sup> رَكْبَتَيْهَا وَمِرْقَتَيْهَا وَاضْرِبِي جَنْبَيْهَا  
وظَاهِرِي النَّذْرَ لَهَا عَلَيْهَا لَا تَخْبِرِي الدَّهْرَ بِهَ ابْنَتَيْهَا

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذُهُ ، وسقط على قفاه . فقال : ويحك !  
ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كيعقوب يأمر المؤمنين . قال : فما قلت  
للاثالثة ؟ قال : قلت :

أَوْصِيكِ يَا بِنْتِي فَإِنِّي ذَاهِبٌ أَوْصِيكِ أَنْ تَحْمَدَكِ الْقَرَائِبُ  
وَالْجَارُ وَالضَّيْفُ الْكَرِيمُ السَّاعِبُ لَا يَرْجِعُ الْمُسْكِينُ وَهُوَ خَائِبُ  
وَلَا تَنِي أَظْفَارُكَ السَّلَاحُ<sup>(٤)</sup> مِنْهُنَّ فِي وَجْهِ الْحِمَاةِ كَاتِبُ

وَالزَّوْجَ إِنْ الزَّوْجَ بَنَسِ الصَّاحِبُ

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأى شيء قلت في تأخير تزويجها !

قال : قلت فيها :

---

(١) كان اسمها برة (٢) بهته : قذفه بالباطل ، وقال عليه مالم يفعل (٣) الفهر : الحجر  
علاء الكف (٤) السلاهب : الطويلة .

كَانَ ظَلَامَةً أُخْتُ شَيْبَانَ يَتِيمَةً وَوَالِدَاهَا حَيَّانُ  
الرَّأْسُ قُلُّ كُلُّهُ وَصَيْبَانُ<sup>(١)</sup> وَابِسٌ فِي الرِّجَالِ إِلَّا خَيْطَانُ  
فَهِيَ الَّتِي يُذْعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ

فَقَالَ هَشَامُ لِحَاجِبِهِ : مَا فَعَلْتَ الدَّنَانِيرُ الْمُخْتَوِمَةُ الَّتِي أَمَرْتُكَ بِقَبْضِهَا ! قَالَ :  
هِيَ عِنْدِي ، وَوَزَنَهَا خَمْسِمِائَةً ! قَالَ : فَادْفَعِهَا إِلَى أَبِي النِّجْمِ ؛ لِيَجْعَلَهَا فِي رَجُلٍ  
ظَلَامَةٍ مَكَانَ الْخَيْطَيْنِ !

---

(١) الصَّيْبَانُ : جَمْعُ الصَّوْبَةِ وَهِيَ : بَسَنَةُ الْبَقْلِ ؛ جَمْعُ صَيْبَانٍ .

## ١٠٧ — لا يعرف الكلام إلا بنشره \*

قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت العرب من أحياء القبائل ، فجلس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درؤاس بن حبيب وله أربع عشرة سنة ، عليه شملتان وله ذؤابة . فأحجم القوم وهابوا هشاماً ، ووقعت عين هشام على درؤاس فاستصغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلى إلا وصل حتى الصبيان !

فلم درؤاس أنه يريد ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن دخولي لم يخل بك شيئاً ، ولقد شرفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام نشر ، والسكوت طي ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فانشروا أن لك ! ! وأعجبه كلامه .

فقال : أصابتنا ثلاث سنين ، فسنة أذابت الشحم . وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقت<sup>(١)</sup> العظم ، وفي أيديكم فضول أموال ؛ إن كانت لله فقرتوها على عباده المستحقين لها ، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم ، فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ، ولا يضيع أجر الحسنين . واعلم يا أمير المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لأحياة للجسد إلا به .

فقال هشام : ما ترك الفلام في واحدة من الثلاث عذراً . وأمر أن يقسم في

\* لباب الآداب : ٣٥٣ .

(١) النقي : مخ العظام وشحمها ، ونقي العظم : استخرج نقيه .

باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . فقال : يا أمير المؤمنين ؛  
اردها إلى أعطية أهل باديتي فإني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن  
كفائتهم . قال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون  
عامة المسلمين !!

ولما عاد درواس إلى منزله بعث إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة  
أبطن من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال  
هشام : إن الصنيعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع <sup>(١)</sup> .

---

(١) جمع صنيعة ، وهي المعروف والإحسان .



## ١٠٨ — أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك\*

وفد سعد بن مرة بن جبير — وكان شاعراً — على الوليد<sup>(١)</sup> بن يزيد ، فعرض له في يوم من أيام الربيع ، وقد خرج إلى منزله له ، فصاح به : يا أمير المؤمنين ؛ وَاِفِدْكَ وَزَائِرَكَ وَمُؤَمَّلَكَ ! فَتَبَادَرَ إِلَيْهِ الْحَرَسُ لِيَصْدَوْهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : دَعُوهُ ، اذْنُ إِلَى . فَدَنَا إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ ، شَاعِرٌ ، قَالَ : تَرِيدُ مَاذَا ؟ قَالَ : تَسْمَعُ مِنِّي أَرْبَعَ أَبْيَاتٍ ، قَالَ : هَاتِ ؛ فَقَالَ :

شَمْنٌ<sup>(٢)</sup> الْمَخَايِلَ نَحْوَ أَرْضِكَ بِالْحَيَا<sup>(٣)</sup> وَلَقَيْنَ رَكْبَانًا بُعِرَ فِكَ قُفْلًا

قال : ثم مه ؟ قال :

فَعَمِدُنْ نَحْوَكَ لَمْ يَنْخُنْ لِحَاجَةٍ إِلَّا وَقُوعَ الطَّيْرِ حَتَّى تَرْحَلَا

قال : إن هذا السير حثيث ، ثم ماذا ؟ قال :

يَعْمِدُنْ نَحْوَ مَوْطِي حَجَرَاتِهِ كَرَمًا ، وَلَمْ تَعْدِلْ بِذَلِكَ مَعْدِلًا

قال : قد وصلت إليه فه ؟ قال :

لَا حَتَّ لَهَا نِيرَانُ حَيٍّ قَسَطَلٍ<sup>(٤)</sup> فَاخْتَرَنَ نَارَكَ فِي الْمَنَازِلِ مَنَزَلَا

قال : فهل غير هذا ؟ قال : لا ، قال : أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك ، أعطوه أربعة آلاف دينار ، فقبضها ورحل !

\* الأغاني : ٧ - ٢٤ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) كان الوليد قبل أن يلي الخلافة من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم ، ولما ولي الخلافة انهمك في اللهو والشراب وسماع الغناء ، مات مقتولا سنة ١٢٦ هـ (٢) شمت مخايل الشيء : إذا تطلعت نحوه ببصرك منتظراً له (٣) الحيا : الحصب والمطر (٤) قسطل : اسم لموضعين أحدهما قرب البلقاء من أرض دمشق ، والثاني بين حمص ودمشق .

## ١٠٩ — شاعر بني هاشم \*

لما قال الكُميت<sup>(١)</sup> بن زيد الأسدي الهاشميات قدم البصرة ، فأتى الفرزدق ، فقال : يا أبا فراس ؛ إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك ! قال : ومن أنت ؟ فانتسب له . فقال : صدقت ، فما حاجتك ؟ قال : نِفِثَ عَلَيَّ لِسَانِي ، فَقُلْتُ شِعْرًا ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَضَ عَلَيْكَ مَاقَات ، فَإِنْ كَانَ حَسَنًا أَمَرْتُنِي بِإِذَاعَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَمَرْتُنِي بِسِتْرِهِ ، وَسِتْرَتَهُ عَلَيَّ . فقال : يا ابن أخي ؛ أَحَسِبَ شِعْرَكَ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ ، فَهَاتِ مَاقَلَّتْ رَاشِدًا ، فَأَنْشُدْهُ :

طَرَبْتُ — وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ<sup>(٢)</sup> أَطْرَبُ      وَمَا لِعَبَا مَنِي ، وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ !  
قال : بلى ؛ فَإِنَّكَ فِي أَوَانِ اللَّعْبِ فَالْعَبْ . فقال :

وَلَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ<sup>(٣)</sup> مَنَزِلٍ      وَلَمْ يَتَطَرَّبْنِي بَنِي بَنِي — انْ تُخَضِّبُ  
قال : فما يطربك يا ابن أخي ؟ فقال :

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ كَهْمُهُ      أَصَاحَ غَرَابٌ أَمْ تَعَرَّضُ ثَعْلَبٌ<sup>(٤)</sup>  
قال : فما أنت ؟ ويحك ! وإلى من تَسْمُو ؟ فقال :

\* خزانة الأدب : ٤ — ٢٣٧ ( الطبعة الأميرية ) ، المسعودي : ٢ — ١٩٠

(١) نشأ الكُميت في الكوفة وتأدب على علماءها ، وأخذ عن الأعراب ، وعالج الشعر حتى نبه شأنه ، واتصل بالولاة والهاشميين يمدحهم وينال جوائزهم ، وقد لقي في سبيل مذهبه الشيعي بلاء كثيرًا ، وقد أثار الفتنة بين عدنان وقحطان ، وفتح الشيعة طريق مناظرة خصومهم بالشعر ، وتوفي سنة ١٣٦ (٢) البيض : جمع بيضاء ، يريد النساء (٣) رسم : أثر ، ويتطربني : يحملني على الطرب (٤) الزجر للطير : هو التيمن والتشاؤم بها ، والغراب أعظم ما كانت العرب تتطير به . وهو نوع من العيافة .

ولا السانحات<sup>(١)</sup> البارحات عشية أمر سليم القرن أومر أعضب  
قال : أمّا هذا فقد أحسنت فيه ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يُطلب  
قال : من هم ! ويحك ! قال :

إلى النفر البيض<sup>(٢)</sup> الذين يحبهم إلى الله فيما نابى أتقرب  
قال : أرخني ؛ ويحك ! من هؤلاء ؟ قال :

بنى هاشم رَهْط<sup>(٣)</sup> النبي فإنتى بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب  
قال : لله درُّ بنى أبيك ! أصبت وأحسنت ؛ إذ عدلت عن الزعانف والأوباش ؛  
إذن لا يضرّد<sup>(٤)</sup> سهمك ، ولا يكذب قولك .

ثم مرّ فيها ، فقال له : أظهر ثم أظهر ؛ فإنت والله أشعر من مضى ، وأشعر  
من بقى .

فقدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين ، فأذن له ليلاً ، وأنشده ،  
فلما بلغ من الميمية قوله :

وقتل بالطف<sup>(٥)</sup> غودر منهم بين غوغاء أمة وطفام

بكى أبو جعفر ، ثم قال : يا كميّ ! لو كان عندنا مال لأعطيناك ، ولكن  
لك ما قال رسول الله لحسان بن ثابت : لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا  
أهل البيت !

(١) السانح : ماولاك ميامنه ، والبارح : ماولاك مياسره ، وكان أهل نجد يقيمون بالأول  
ويتشاءمون بالثاني ، وأهل العالية على العكس . والأعضب . الثور المكسور القرن ، وكانوا  
يتشاءمون به (٢) البيض هنا : المشهورين من الأشراف (٣) الرهط : القوم والقبيلة (٤) صرد  
السهم : أخطأ (٥) الطف : موضع قرب الكوفة ، وقتل الطف هو الحسين عليه السلام .

فخرج من عنده فَأَتَى عَبْدَ اللَّهِ بنَ الْحَسَنِ بنَ عَلِيٍّ فَأَنشَدَهُ فَقَالَ لَهُ . إِنْ لِي ضِيعَةً  
أَعْطَيْتُ فِيهَا أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ ، وَهَذَا كِتَابُهَا ، وَقَدْ أَشْهَدْتُ لَكَ بِذَلِكَ شُهُودًا ،  
وَنَاقِلَةً لِيَاكُ .

فَقَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! إِنِّي كُنْتُ أَقُولُ الشَّعْرَ فِي غَيْرِكُمْ أُرِيدُ بِذَلِكَ الدُّنْيَا  
وَالْمَالُ ، وَلَكِنِّي - وَاللَّهِ - مَا قَلَّتْهُ فِيكُمْ إِلَّا لِلَّهِ ، وَمَا كُنْتُ لَأَخْذَ عَلَى شَيْءٍ جَعَلْتُهُ لِلَّهِ  
مَالًا وَلَا ثَمَنًا ؛ فَالْحَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَأَبِي مِنْ إِعْفَائِهِ .

فَأَخَذَ الْكُمَيْتَ الْكِتَابَ وَمَضَى ، فَكُتِبَ أَيَّامًا ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ :  
يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؛ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ ! إِنْ لِي حَاجَةٌ ؟ قَالَ : وَمَا هِيَ ، وَكُلَّ حَاجَةٍ لَكَ  
مُقْضِيَةٌ ؟ قَالَ : كَائِنَ مَا كَانَتْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! قَالَ : هَذَا الْكِتَابُ تَقْبَلُهُ ، وَتَرْجِعُ  
الضِّيعَةَ . وَوَضَعَ الْكِتَابَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَبِلَهُ عَبْدُ اللَّهِ .

وَنَهَضَ عَبْدُ اللَّهِ بنَ مَعَاوِيَةَ بنَ عَبْدِ اللَّهِ بنَ جَعْفَرٍ ، فَأَخَذَ ثَوْبًا ، فَدَفَعَهُ إِلَى  
أَرْبَعَةِ مِنْ غِلْمَانِهِ ، ثُمَّ جَعَلَ يَدْخُلُ دُورَ بَنِي هَاشِمٍ وَيَقُولُ : يَا بَنِي هَاشِمٍ ، هَذَا  
الْكُمَيْتُ قَالَ فِيكُمْ الشَّعْرَ حِينَ صَمَّتِ النَّاسُ عَنْ فَضْلِكُمْ ، وَعَرَضَ دَمَهُ لِبَنِي أُمِيَّةٍ ،  
فَأُثْبِتُوهَ بِمَا قَدَرْتُمْ ! فَيَطْرَحُ الرَّجُلُ فِي الثَّوْبِ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنْ دِرَاهِمٍ وَدَنَانِيرٍ ؛ وَأُعْلِمُ  
النِّسَاءَ بِذَلِكَ ؛ فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَبْعُثُ مَا أُمَكَّنَهَا ، حَتَّى لَهَا لَتَخْلَعَ الْحُلَى عَنْ  
جِسْدِهَا . فَاجْتَمَعَ مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالْدِرَاهِمِ مَا قِيمَتُهُ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

فَجَاءَ بِهَا إِلَى الْكُمَيْتِ فَقَالَ لَهُ : أَتَيْنَاكَ بِجَهْدِ الْمُقِلِّ ، وَنَحْنُ فِي دَوْلَةٍ عَدُوٌّ نَا ، وَقَدْ  
جَمَعْنَا هَذَا الْمَالَ ، وَفِيهِ حُلَى النِّسَاءِ كَمَا تَرَى ، فَاسْتَعِينْ بِهِ عَلَى دَهْرِكَ . فَقَالَ . يَا أَبِي أَنْتَ  
وَأُمِّي ! قَدْ أَكْثَرْتُمْ وَأَطَيْتُمْ ، وَمَا أُرَدْتُ بِمَدْحِي إِيَّاكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، وَلَمْ أَكُ  
لَأَخْذِ لَذَّةٍ ثَمَنًا مِنَ الدُّنْيَا ، فَارْزُدْهُ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجَهْدُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ بِكُلِّ حِيلَةٍ

فأبى ، فقال : أبيتَ أن تقبل فإني رأيت أن تقول شيئا يغضب منه بعض الناس ؛  
لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يجب .

فابتدأ الكميت ، وقال قصيدته <sup>(١)</sup> التي يذكر فيها قومه مناقب من مضر ،  
وربيعة <sup>(٢)</sup> وإياد وأنمار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطنب في وصفهم ، وأنهم أفضل  
من قحطان .

فثارت العصبية في البدو والحضر ، وانحرف أهل اليمن إلى الدعوة العباسية ،  
وأعقب ذلك انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم .

---

(١) من هذه القصيدة :

وجدت الله إذ سمى تزارا وأسكنهم بمكة قاطنينا

لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجينا

وقد تقض دعبل هذه القصيدة على الكميت ، وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها كما فعل  
الكميت ، وذلك في قصيدته التي منها :

أفيق من ملامك يا ظمينا كفاك اللوم مر الأربعينا

ألم تحزنك أحداث الليالي بشين الدواب والقرونا

(٢) كان الكميت من شعراء مضر وأسننها المتعصبين على القحطانية المعارعين بالمثالب .



## ١١٠ — إِنَّ يُعْنِي يَغْلِبُ شَوْمُكَ \*

لما توفى السفاح دخل أبو دلامة <sup>(١)</sup> على المنصور ، والناسُ عنده يعزُّونه

قال :

أُمِيتَ بالأنبارِ يابنَ محمدٍ      لم تستطع عن عُقْرِها <sup>(٢)</sup> تحويلاً  
وَبلى عليك ووبل أهلى كلِّهم      وَيَنَلَا وَعَوَلَاً في الحياة طويلاً  
فَلتَبْكِينَ لك السماءَ مَبْرَةً      وَلَتَبْكِينَ لك الرِّجَالُ عويلاً  
مات النَّدَى إذ مِتَّ يابنَ محمدٍ      فجملته لك في التراب عديلاً  
إني سألتُ الناسَ بمدك كلِّهم      فوجدتُ أسمعَ من سألتُ بخيلاً  
أَلشَّقَوَتِي أَخَرْتُ بِمدكِ لَلَّتِي      تَدَعِ العَزيزَ من الرجال ذليلاً ؟  
فَلأَحلفنَّ يَمِينَ حَقِّ بَرَّةٍ      تالله ما أُعْطِيتُ بِمدكِ سُولا <sup>(٣)</sup>

فأبكى الناسَ قوله ؛ فغضب المنصور غضباً شديداً ، وقال : لئن سمعتك تنشد  
هذه القصيدة ، لأقطعنَّ لسانك ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن أبا العباس أمير المؤمنين  
كان لي مُكْرِماً ، وهو الذي جاء بي من البدو ، كما جاء اللهُ بإخوة يوسف إليه ،  
فقل كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ ، وَهُوَ  
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

\* الأغانى ١٠ - ٢٤٠ ( طبعة دار الكتب ) ، معاهد النصيب : ٢ - ٢١٠

(١) أبو دلامة : اسمه زناد بن الجون ، كوفي المنشأ ، كان أبا عبداً لرجل من بني أسد ثم  
أعتقه ، نبع في الشعر ، واقطع إلى السفاح والمنصور والمهدى ، وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيون  
محاسنه ونوادره توفى سنة ١٦٢ هـ (٢) عقر الدار : أصلها ووسطها (٣) السون : يهز ولا  
يهز : مأسأله .

فسرّى عن المنصور ، وقال : قد أقلناك يا أبا دُلّامة ، فسأل حاجتك ! قال :  
يا أمير المؤمنين ؛ قد كان أبو العباس أمرَ لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً ، وهو  
مريض ، ولم أقبضها ؛ فقال المنصور : ومن يعلم ذلك ؟ قال : هؤلاء - وأشار إلى  
جماعة ممن حضر .

فوثب سليمان بن مُجالد ، وأبو الجُهم ؛ فقالا : صدق أبو دُلّامة ، نحن نعلم ذلك .  
قال المنصور لأبي أيوب الخازن - وهو مَفيظ : يا سليمان ، ادفعها إليه ، وسبّره إلى هذا  
الطاغية - يعنى : عبد الله <sup>(١)</sup> بن علي ، وكان قد خرج بالشام ، وأظهر الخلاف -  
فوثب أبو دُلّامة ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن أخرج معهم ، والله  
إني مشثوم !

قال المنصور : امض ، فإن يُمنى يَغلبُ شوْءُك . فقال : يا أمير المؤمنين ، والله  
ما أحبُّ أن يُجربَ ذلك منى على مثل هذا العسكر ؛ فإنى لا أدرى أيُّهما يَغلبُ :  
يُمنك أم شوْى ؟ إلا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطولُ تجربة .  
فقال : دعنى وهذا ؛ فماتك من الخروج بُدّ . قال : فإنى أصدُقُك الآن ، شهدتُ  
والله تسعةَ عشرَ عسكرياً ، كلّها هُزِمتْ ، وكنتُ سببها ، فإن شئتَ الآن - على  
بصيرة - أن يكونَ عسكريك تمامَ العشرين فافعل .

فضحك المنصور ، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

---

(١) هو عبد الله بن علي ، عم الخليفة المنصور ، خرج عليه ودعا لنفسه ، فوجه إليه المنصور  
أبا مسلم .

## ١١١ — قَتَلَهُمُ الشَّعْرُ\*

كان أبو العباس جالساً في مجلسه على سريره ، وبنو هاشم دونه على الكراسي ، وبنو أمية على الوسائد ، قد ثَنِيَتْ لهم — وكانوا في أيام دَوْلَتِهِمْ يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير ، ويجلس بنو هاشم على الكراسي — فدخل الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ؛ بالباب رجلٌ حجازيٌّ أسود راکبٌ على نجيب ، مُتَلَمِّمٌ<sup>(١)</sup> ، يستأذن ولا يُخْبِرُ باسمه ، ويحلف ألاّ يَحْسُرَ اللثامَ عن وجهه حتى يراك ؛ قال : هذا مولاي سَدِيفٌ ، يدخل ؛ فدخل ، فلما نظر إلى أبي العباس وبنو أمية حوله ، حَدَرَ<sup>(٢)</sup> اللثامَ عن وجهه ثم سلم ، ودنا وقبل يده ، ثم انصرف إلى خلفه ، فقام مقام مثله ، وأنشأ يقول :

أصبح الملكُ ثابتَ الأساسِ      بالبَهَائِلِ<sup>(٣)</sup> من بني العباسِ  
بالصُّدُورِ المُقَدِّمِينَ قديمًا      والرُّءُوسِ القامِمْ<sup>(٤)</sup> الرُّؤُوسِ<sup>(٥)</sup>  
يا أميرَ المطهَّرينَ من الذِّمِّ      ويا رأسَ مُنتَهَى كلِّ راسٍ  
أنت مهدى هاشم وهداها      كم أناسٍ رَجَوْكَ بعد إياسِ  
لا تُقِيلَنَّ عبدَ شمسٍ عِثَاراً      واقطِمْ<sup>(٦)</sup> كلَّ رَقْلَةٍ<sup>(٦)</sup> وغِراسِ  
أنزِلُوها بحيث أنزلها اللهُ      بدارِ الهوانِ والإِنعاسِ

\* الأغاني ٤ — : ٣٤٥ ( طبعة دار الكتب ) ، المحاسن والمساوي : ٤١٠ ، ( ليزج )  
( ١ ) تلم الرجل : وضع اللثام ؛ وهو رد العمامة على الوجه ( ٢ ) حدر اللثام : حطه من علو إلى سفلى ( ٣ ) البهاليل : جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير ( ٤ ) القمقام : السيد الكثير الخير ، الواسع الفضل ( ٥ ) الرؤاس : الولاة والحكام ( ٦ ) الرقلة : النخلة الطويلة التي تفوت اليد .

خوفهم أظهر التودد منهم      وبهم منكم كحز المواسي  
أقصمهم أيها الخليفة وأحسبهم      عنك بالسيف شأفة<sup>(١)</sup> الأرجاس  
واذكرن مصرع الحسين وزيد<sup>(٢)</sup>      وقتيل<sup>(٣)</sup> بجانب المهراس  
والإمام<sup>(٤)</sup> الذي بحرّان أمسي      رهن قبر في غربة وتناسي  
فلقد ساءني وساء سوائي      قريبهم من نمارق وكراسي

فتغير لون أبي العباس ، وأخذه زمع<sup>(٥)</sup> ورعدة ؛ فالتفت بعض ولد سليمان  
ابن عبد الملك إلى رجل منهم ، وكان إلى جنبه ، فقال : قتلنا والله العبد ، ثم أقبل  
أبو العباس عليهم ، فقال : أرى قتلاكم من أهلى قد سلفوا وأتم أحياء تتلذذون  
في الدنيا ، خذوهم ؛ فأخذتهم الخراسانية وضربوهم فأهيدوا ؛ إلا ما كان من  
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بداود بن علي ، وقال له : إن أبي لم  
يكن كآبائهم ، وقد علمت صنيعته إليكم ؛ فأجاره واستوهبه من السفاح ، وقال  
له : قد علمت يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إلينا . فوهبه له ، وقال له : لا تريني وجهه ،  
وليكن بحيث تأمنه ، وكتب إلى عماله في النواحي بقتل بني أمية .

(١) الأرجاس : جمع رجم ؛ وهو القدر (٢) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي  
طالب قتل في أيام هشام بن عبد الملك (٣) المهراس : ماء بأحد ، ويعنى بالقتيل حمزة بن  
عبد المطلب ، قتله يوم أحد غلام لجبير بن مطعم ؛ اسمه وحشى (٤) الإمام الذي بحرّان : هو  
إبراهيم الإمام ، رأس الدولة العباسية ؛ قتله مروان بن محمد صبرا وحبسا (٥) الزمع : شبه الرعدة  
تأخذ الإنسان .

## ١١٢ - المنصور أحق بشعر طريف \*

قال أبو بكر الهذلي : سرتُ مع أمير المؤمنين المنصور <sup>(١)</sup> إلى مكة وسائرته يوماً ، فعرضَ لنا رجل على ناقةٍ حمراء تذهبُ في الأرض ، وعليه جُبَّةٌ خَزَّ وعمامةٌ عَدَنِيَّة ، وفي يده سوط يكادُ يمسُّ الأرض ، سوى الهيئة .

فلما رآه أمرني أن أدعوهُ ، فدعوته فجاء ، فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه وعن ولادة الصدقة ، فأحسنَ الجواب ؛ فأعجبه ما رأى منه ، فقال : أنشدني . فأنشده شعراً لأوس بن حجر وغيره من الشعراء ، وحدثته حتى أتى على شعر لطريف ابن تميم العنبري ؛ وهو قوله :

إن قناتى لنبع <sup>(٢)</sup> لا يؤيسها <sup>(٣)</sup> غمرُ الثِّقَاف <sup>(٤)</sup> ولا دُهنٌ ولا نارُ  
متى أُجِرَ خائفاً تَأَمَّنْ مسارحهُ <sup>(٥)</sup> وإن أُخِفَ آمناً تَقَلَّقْ به الدَّارُ  
إنَّ الأمورَ إذا أوردتها ضدَّرتْ إنَّ الأمورَ لها وزدٌّ وإصدار

فقال : ويحك ! ما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر ؟ قال : كان أثقلَ العرب على عدوّه وطاةً ، وأدرگهم بشار ، وأيمنهم نقيبةً <sup>(٦)</sup> ، وأصلبهم قناةً لمن رام

\* الطبري : ٩ - ٢٩٨

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، ثاني خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وبأساً وبقظة وثباتاً . توفي سنة ١٥٨ هـ .  
(٢) النبع : شجر من أشجار الجبال ؛ تتخذ منه القسي  
(٣) التأيس : التذليل والتأثير ؛ أي لا يؤثر فيها شيء .  
(٤) الثقاف : ماتقوم به الرماح  
(٥) المسارح جمع مسرح : وهو الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالفداء للرعى .  
(٦) النقيبة : النفس ؛ ويمنون النقيبة : مبارك النفس .



هَضْمُهُ ، وأقراهم لضيافته وأحوطهم من وراء جاره ؛ اجتمعت العربُ بمكاظ فكلهم  
أقرّ له بهذه الخلال ، غير أنّ امرأاً أراد أن يقصّر به فقال : والله ما أنت ببعيد  
النّجعة<sup>(١)</sup> ولا قاصد الرّمية<sup>(٢)</sup> ؛ فدعاه ذلك إلى أن جعل على نفسه ألاّ يأكل إلا  
لحم قنص يقتنصه ، ولا ينزع كلّ عام عن غزوة يبعد فيها أثره .  
قال : يا أخا تميم ، لقد أحسّنت إذ وصفت صاحبك ، ولكنني أحقُّ ببيتيه منه ،  
أنا الذي وصف ، لا هو !

---

(١) النّجعة : المذهب في طلب الكلاء (٢) قصد الرمية : أصابها .

### ١١٣ — المحبة مفتاح كل خير \*

دعا المنصور بالربيع<sup>(١)</sup> فقال : سَلْنِي مَا تَرِيدُ ! فقد سَكَتَ حَتَّى نَطَقْتَ ، وَخَفَفْتَ حَتَّى ثَقَلْتَ ، وَأَقَلَّتْ حَتَّى أَكْثَرْتَ !

فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا أَرْهَبُ بِمُحَلِّكَ ، وَلَا أَسْتَصْفِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَعْتَمُّ مَالِكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدَاكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ! وَلَوْ جَازَ أَنْ يَشْكُرَكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمَنَاصِحَةِ لَمَا سَبَقَنِي لَذَلِكَ أَحَدٌ .

قال : صَدَقْتَ ، عَلِمَى بِهَذَا مِنْكَ أَهْلُكَ هَذَا الْحُلْ ، فَسَلْنِي مَا شِئْتَ !

قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقَرِّبَ عَبْدَكَ الْفَضْلَ<sup>(٢)</sup> ، وَتَوْثِرَهُ وَتُحِبَّهُ ! قال : يَا رَبِيعُ ؛ إِنَّ الْحَبَّ لَيْسَ بِمَالٍ يُوَهَّبُ ، وَلَا رُتْبَةٌ تُبَدَّلُ ، وَإِنَّمَا تُؤَكِّدُهُ الْأَسْبَابُ ! قال : فَاجْعَلْ لَهُ طَرِيقًا إِلَيْهِ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ !

قال : صَدَقْتَ ، وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ ! وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ عُمُومَتِي ؛ لَتَعْلَمَ مَالَهُ عِنْدِي ؛ فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ مُحِبَّتِي .

ثُمَّ قَالَ : فَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ يَا رَبِيعُ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ؛ تُسْتَرُّ بِهَا عِنْدَكَ عِيُوبُهُ ، وَتَصِيرُ حَسَنَاتُ ذُنُوبِهِ ! قال : صَدَقْتَ .

\* زهر الآداب : ٢ - ٢٩٩ .

(١) هو الربيع بن يونس ، خدام المنصور ، ثُمَّ تدرج في المناصب عنده إِلَى أَنْ اسْتَوَزَرَهُ ، وَكَانَ جَلِيلًا نَبِيلًا عَارِفًا بِخِدْمَةِ الْخُلَفَاءِ ، مَاتَ سَنَةَ ١٧٠ هـ (٢) هو ابْنُ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَقَدْ وَزَرَ لِلرَّشِيدِ بَعْدَ الْبَرَامِكَةِ ؛ وَلابْنُهُ الْأَمِينُ .

## ١١٤ — المنصور والشعراء\*

قال الربيع بن يونس يوماً لأبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ؛ إن الشعراء  
يبابك ، وهم كثير ، وقد طالت أيامهم ، ونفذت نفقاتهم ، فقال : اخرج إليهم ، وسلم  
عليهم ، وقل لهم : مَنْ مَدَحَنا منكم ؛ فلا يصف الأسد ؛ فإنما هو كلبٌ من الكلاب ،  
ولا الحية ؛ فإنما هي دُويبةٌ مُنْدَنَةٌ تأكل التراب ؛ ولا الجبل ؛ فإنه حجر أصم ،  
ولا البحر ؛ فإنه عطينٌ لَجِبٌ<sup>(١)</sup> ؛ فمن ليس في شعره شيء من هذا فليدخل ،  
ومن كان في شعره شيء منه فليُنصرف . فأبلغهم ؛ فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم<sup>(٢)</sup> بن  
هرمة ، فقال : أنا له ياربيع ، فأدخلني عليه .

فأدخله ، فلما مثل بين يديه ، قال له : ياربيع ؛ قد علمتُ أنه لا يجيبك غيره ،  
فأنشده قصيدته التي منها :

له لحظاتٌ عن حِفْائِي<sup>(٣)</sup> سَرِيرِهِ      إذا كَرَّمَهَا<sup>(٤)</sup> فيها عُقَابٌ ونائلٌ  
فَأَمْ الذي أَمَنْتَ آمَنَةً الرَّدَى      وأم الذي خَوَّفْتَ بالشكل ثائلاً

\* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٦ ، العقد الفريد : ١ - ١٦٥ ، ذيل زهر الآداب : ٨٤ ،  
الفرر : ١٨٥ ، الأغاني : ٦ - ١٠٩ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) لجب : ذو لجب ، وبحر ذو لجب : إذا سمع اضطراب أمواجه (٢) هو إبراهيم بن علي  
ابن هرمة المنتسب إلى قريش ؛ نشأ بالمدينة ، وأخذ عن الرواة والمتقدمين والمتأديين كثيراً ، وقال  
الشعر وأجاده . وتوفي سنة ١٥٠ هـ (٣) الحفائين : الجاهلانيان (٤) كرمها : أرجعها ،  
والنائل : العطاء .

فقال له المنصور : أما لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشده قولك فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً      وكان أبوك قادمةً الجناح  
فقطِّعْ بابن هَرَمَة حتى ما قدر على الاعتذار ، فقال له المنصور : أنت رجل  
شاعر طالب خير ، وكلّ ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلاثمائة  
دينار .

فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ابن هَرَمَة رجلٌ منفاق  
متلاف لا يبقى شيئاً ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها ، يُجرى عليه منها  
ما يكفيه ، ويكفي عياله ، ويكتب بذلك فعل .  
فقال : افعلوا ذلك به .

## ١١٥ — المؤمل يمدح المهدي\*

وفد المؤمل<sup>(١)</sup> بن أميل على المهدي<sup>(٢)</sup> بالرّأي فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ، فاتّصل الخبر بالمنصور ، فكتب إليه أن يمدّله ويقول: إنما كان سبيلك أن تأمرَ للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم ! وكتب إلى كاتب المهدي بإفاد الشاعر إليه . فسأل عنه . فقيل له : قد شَخَص إلى مدينة السلام .

فكتب إلى المنصور بخبره ، فأنفذ المنصور قائداً من قواده إلى النهروان يتصفّح وجوه الناس رجلاً رجلاً ممّن يمرّ به حتى يظفر بالمؤمل .

وسار القائد حتى انتهى إلى القافلة التي فيها المؤمل ، فسأله من أنت ؟ قال : أنا المؤمل بن أميل المحاربيّ الشاعر ، أحدُ زوّار الأمير المهدي ، فقال : إيتاك طلبتُ .

قال المؤمل : فكاد قلبي يتصدع خوفاً من أبي جعفر ، وقبض علىّ؛ ثم أتى بي وأسلمني إلى الربيع ، فأدخلني إلى أبي جعفر ، فسلمتُ تسليمَ مُروّع ، فردّ السلام ،

---

\* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٧ ، مهذب الأعاني : ٤ - ١٣٥ ، أمالي الزجاجي : ٢٦ ، ذيل زهر الآداب : ٨٤ ، الفرر : ١٨٥ ، المحاسن والمساوي : ٢٧٠ ، معجم الأدباء : ٩ - ٢٠٣ .  
 (١) شاعر كوفي من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه وبعده ، وكان في شعره لين ، وله طبع صالح (٢) المهدي هو ابن أبي جعفر المنصور والخليفة بعده ، كان فطناً كريماً شديداً على أهل الإلحاد ، كثير الجلوس بنفسه للمظالم . توفي سنة ١٦٩ هـ .



وقال : أتيت غلاماً غريباً كريماً فخدعته ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما أتيت ملكاً جواداً كريماً فمدحته فحملته أريحيتته على أن وصلني وبرّني ؛ فكان ذلك أعجبه ، فقال له : أنشدني ما قلت فيه ، فأنشده .

هو المهدى إلا أن فيه	مُشابه <sup>(١)</sup> صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما	أناراً يشكّلان على البصير
فهذا في الضياء سراجٌ عدل	وهذا في الظلام سراجٌ نور
ولكن فضل الرحمن هذا	على ذا بالمنابر والسريـر
وبالملك العزيز فذا أمـير	وماذا بالأمير ولا الوزير
ونقص الشهر يُحمدُ ذا ، وهذا	منيرٌ عند نقصان الشهور
فيا بن خليفة الله المصنّى	به تملؤ مفاخرة الفخور
لئن فتّ الملوك وقد توافوا	إليك من السهولة والوعور
لقد سبق الملوك أبوك حتى	ترأهم بين كآبٍ أو حسير
وجئت وراءه تجرى حثيثاً	وما بك حين تجرى من فتور
فقال الناس : ما هذان إلا	بمنزلة الخلق من الجدير
فإن سبق الكبير فأهل سبق	له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبير	فقد خلق الصغير مع الكبير

فقال : أحسنت ! ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم ، ثم قال له :

(١) مشابه : جمع شبه على غير قياس .

أبن المال ؟ قال : هاهو ذا ! قال : ياربيعُ ؛ أُعْطِه مِنْهُ أَرْبَعَةُ آلَافِ دَرَمٍ ،  
وخذ الباقي .

قال المؤمل : فأخذ مني ستة عشر ألفاً ، فأليت على نفسي ألا أدخل العراق  
وللهنصور بها ولاية .

فلما صارت الخلافةُ إلى المهدي رفعتُ إليه رقعة ذكرت فيها قصتي ، فلما قرأها  
ضحك حتى استلقى ، وقال : هذه مظلمة أنا بها عارف ؛ ردُّوا عليه ماله ، وزيدوا  
له عشرين ألفاً ، فأخذتها وانصرفت .

## ١١٦ — مدائح وعطايا\*

أَهْدِيَتْ جَارِيَةَ يَمَانِيَّةَ إِلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ ، فَأَنْشَدَتْهُ شِعْرَ الْمَرْوَانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ<sup>(١)</sup> يَمْدَحُ بِهِ السَّرِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَيَذْكُرُ فِيهِ وَرَاثَةَ الْعَبَّاسِ ، فَسَأَلَهَا : لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ فَأَخْبَرَتْهُ ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ مَرْوَانَ ، فَوَافَاهُ بِالرَّبْذَةِ<sup>(٢)</sup> حَاجًّا ، فَلَقِيَ الرَّبِيعَ بْنَ يُونُسَ وَالْمَنْصُورَ عَلِيلًا ؛ الْعِلَّةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا . فَقَالَ : كُنْ قَرِيبًا حَتَّى نَدْعُوَ بِكَ ، فَلَمْ تَزَلِ الْعِلَّةُ تَشْتَدُّ بِهِ حَتَّى مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ لَهُ الرَّبِيعُ : الْحَقُّ بِالْمَهْدِيِّ<sup>(٣)</sup> وَلَا تَتَخَلَّفْ عَنْهُ ؛ وَانصَرَفَ مَرْوَانُ إِلَى الْيَمَامَةِ ، فَجَعَلَهَا طَرِيقًا ، وَعَلَيْهَا بِشْرُ بْنُ الْمَنْذَرِ وَالْيَا ، فَأَوْفَدَهُ بِشْرُ فِيمَنْ أَوْفَدَهُ ، وَأَعْطَى كُلَّ رَجُلٍ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، فَقَدِمَ مَرْوَانَ عَلَى الْمَهْدِيِّ ؛ وَقَدْ مَدَحَهُ بِأَرْبَعِ قِصَائِدَ . فَأَعْطَاهُ الْمَهْدِيُّ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، فَانصَرَفَ إِلَى الْيَمَامَةِ .

ثُمَّ عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَطَلَبَ الْوَصُولَ بِعُقُوبِ بْنِ دَاوُدَ<sup>(٤)</sup> ، فَأَقَامَ نَحْوًا مِنْ سَنَةٍ ، وَغَضِبَ الْمَهْدِيُّ عَلَى عُقُوبِ بْنِ دَاوُدَ .

قَالَ مَرْوَانَ : يَبْنَؤُنَا أَنَا وَاقِفٌ عَلَى بَابِ الْمَهْدِيِّ إِذْ خَرَجَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنُ مَنْصُورٍ فَقَالَ : يَا بَنَ ابْنِ حَفْصَةَ ؛ ذَكَرَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ آتِفًا ؛ وَهُوَ يَرَاكَ أَشْمَرَ النَّاسِ ، غَيْرَ أَنَّهُ يَقُولُ : لَا حَاجَةَ لَنَا فِيمَا قَبْلَكَ ؛ فَانصَرَفَ عَنْ بَابِنَا .

---

\* المحاسن والمساوي : ٢٤٠ ( طبع لبيزج ) ، الفرج بعد الشدة : ١ - ٧٣  
 (١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . نشأ في أواخر الدولة الأموية ؛ ولم يشتهر إلا في دولة بني العباس ، مدح المهدي ومعن بن زائدة والرشيد ، وبعد من فحول الشعراء ، مات سنة ١٨١ هـ (٢) الربذة : من قرى المدينة (٣) انظر صفحة ٢٨١ (٤) كان يعقوب وزير المهدي ، وكان عالم المنزل عنده ، موضع ثقة منه ، ثم تغير عليه وحبسه ، وما زال في حبسه حتى تولى الرشيد وأخرجه منه .

فانصرفت مغموماً ؛ ثم تذكرت رجلاً أنحدت عنده ، وأنس لديه ؛ فأتيت يزيد بن مزيد ، فشكوت إليه ما قال لي خالد بن يزيد . فقال : أدلك على رجل صدوق ، له رقة ، لعله ينفعك ! قلت : ومن هو ؟ قال : الحسن الحاجب ، فغدوت إلى الحسن ، فشكوت إليه ما حكاه خالد من رأي أمير المؤمنين ؛ فقال : بل ذلك من يعقوب بن داود . فقلت : بأبي أنت وأمي ! أنت ترجو أن يكون ذلك مفتاحاً لما أنا فيه ! قال : ذاك كما أقول لك ، فانصرفت ؛ وقلت :

<p>أَتَانِي مِنَ الْمَهْدِيِّ قَوْلٌ كَأَنَّمَا وَقُلْتُ - وَقَدْ خِفْتُ الَّتِي لَأَشْوَى لَهَا<sup>(١)</sup> وَمَا لِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتُ مُذْنِبًا وَلَا هُوَ - عِنْدَ السُّخْطِ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا - عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَى رَدًّا يَكُنُّهُ يُبْغِضُ لَهُ طَرْفُ الْعَيُونِ وَطَرْفُهُ هَلْ الْبَابُ مُقْضٍ بِي إِلَيْكَ ابْنَ هَاشِمٍ أَتَيْتُ أَمْرًا أَطْلَقْتَهُ مِنْ وَثَاقِهِ وَجَلَّتْ ضَبَابَ الْعُدْمِ عَنْهُ وَرَاشَهُ فَقُلْتُ : وَزِيرٌ نَاصِحٌ قَدْ تَتَابَعَتْ وَمَا كَانَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَرِيعَةٌ وَأِنْ كَانَ مَطْوِيًّا عَلَى الْغَدْرِ كَشْحُهُ</p>	<p>بِهِ احْتَزَّ أَنْفِي مُدْمِنُ الضُّغْنِ جَادِعُ بِلَا حَدَثٍ : إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ سَوَى حِلْمِهِ الصَّافِي مِنَ النَّاسِ شَافِعُ بَغَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ صَانِعُ وَالْحَقُّ نَوْرٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَاطِعُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خَاشِعُ فَعَذَرِي إِنْ أَفْضَى بِي الْبَابُ نَاصِعُ وَقَدْ أُنْشِبَتْ فِي أَخْدَاعِهِ الْجَوَامِعُ<sup>(٢)</sup> وَأَنْهَضَهُ مَعْرُوفُكَ الْمُتَتَابِعُ عَلَيْهِ بِإِنْعَامِ الْإِمَامِ الصَّنَائِعُ وَمَا مَلِكٌ إِلَّا إِلَيْهِ الدَّرَائِعُ فَلَمْ أَذْرِ مِنْهُ مَا تُجْنُ الْأَضَالِعُ</p>
---	--

(١) لاشوى لها : لا يبرء لها

(٢) الجوامع : جمع الجامعة : الغل .

وقلت في قصيدة أخرى :

سَيَحْشَرُ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ خَائِبًا      يَلُوحُ كِتَابٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرُ  
بَدَا مِنْكَ لِلْمَهْدِيِّ كَالصُّبْحِ سَاطِعًا      مِنَ الْفِشِّ مَا كَانَتْ تُجْنُ الضَّمائرُ  
وَهَلْ لِبَيَاضِ الصُّبْحِ إِنْ لَاحَ ضَوْؤُهُ      فَجَابَ الدُّجَا مِنْ نُحْلَمَةِ اللَّيْلِ سَائِرًا  
أَمْرَلَةٌ فَوْقَ الَّتِي كُنْتَ نِلْتَهَا      تَمَاطَيْتَ ! لَا أَفْلَحْتَ مِمَّا تُحَافِرُ

ثم أتيت الحسنَ بعد يومين ، فقال : ما صنعت ؟ فأنشدتهما إياه ، فقال :  
اكتبهما لي . فقلت : قد فعلت . فقال : هاتهما ، فتناولهما ، وقال : لست واضعهما  
من يدي حتى أضعهما في يد المهدي ، ثم مضى .

وأتيته من الغد ، فقال : ما وضعتهما من يدي حتى وضعتهما في يد المهدي !  
فقرأهما فرقاً لك وأمر بإدخالك عليه ؛ فاحضر يوم الاثنين .

فحضرت ، فخرج عليّ ؛ فقال : قد علم أمير المؤمنين بمكانك ، وقد أحب أن  
يجعل لك يوماً يشرفك فيه ويبلغ بك ، قلت : فمضى ؟ بأبي أنت وأمي ! قال :  
يوم الخميس .

فعدتُ إليه يوم الخميس ، فإذا وجوهُ بني العباس يدخلون على المهديّ ، فلما  
تتأَمَّ المجلس دعاني فدخلتُ فسلمتُ فردَّ السلام ، وقال : إنما حبسك عن الدخول  
انقطاعك إلى يعقوب بن داود ، فافتتحت النشيد بما قلت في يعقوب ، فأنشدته ،  
ثم أنشدته :

طَرَقَتْكَ <sup>(١)</sup> زَائِرَةٌ فِي خِيَالِهَا      بِيضَاءِ تَخْلِظُ بِالْجَمَالِ دَلَالِهَا

(١) طرق القوم : أتاهم ليلاً .



قَادَتْ فُرَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا      قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا<sup>(١)</sup> فَأَمَالَهَا  
فَأَنْهَيْتِ النَّاسَ حَتَّى بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِي :

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا      بِأَكْفَكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هِلَالَهَا !  
أَوْ تَجْعَدُونَ مَقَالََةً عَنْ رَبِّكُمْ      جَبْرِيلُ بَلَفَهَا النَّبِيُّ فَقَالَهَا  
شَهِدَتْ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرَ آيَةٍ      بَرَأَيْهِمْ<sup>(٢)</sup> فَأَرَدْتُمْ إِبْطَالَهَا

فَأَعْجَبَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ! فَقُلْتُ : أَشْهَدُوا ، هَذَا وَاللَّهِ الشَّرَفُ ،  
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَجْزِينِي خَيْرًا ، ثُمَّ أَنْشَدْتُهُ :

\* أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ \*

حَتَّى صَرْتُ إِلَى قَوْلِي :

أَيَادِي بَنِي الْعَبَّاسِ بِيضٌ سَوَابِغُ      عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بَادِيَاتٌ عَوَائِدُ  
فَهُمْ يَعْدِلُونَ السَّمَكُ مِنْ قُبَّةِ الْهَدَى      كَمَا يَعْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ  
سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا      يَنْوُو بِصَوَلَاتِ الْأَكْفِ السَّوَاعِدُ  
يَزِينُ بَنِي سَاقِي الْحَجِيجِ<sup>(٣)</sup> خَلِيفَةُ      عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ مِنَ الْحَقِّ شَاهِدُ  
يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ      عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَأَخْلَقُ رَاقِدُ  
كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا      لَرَأَيْتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ  
عَلَى أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ      سَمَقَتْهُ يَدُ الْمَوْتِ الْخُتُوفُ الرَّوَاصِدُ

(١) استقاد : انقاد ، والصبا : الشوق (٢) التراث : ما يتركه الميت لورثته ، ويعني بآخر آية من سورة الأنفال قوله تعالى : « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » (٣) يشير إلى سقاية الحاج ، وهي ما كانت قریش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء ، وكان يلبسها العباس ابن عبد المطلب ، جد الخلفاء العباسيين .

فأشار إلىّ ، فأمسكتُ . فقال : يا بني العباس ، هذا شاعر كم المنقطعُ إليكم ، المعادى فيكم ، فأعطوه ما يسرُّه . فقلت : ينبغي إذ سمعوا كلام أمير المؤمنين ، وعرفوا رأيه أن يصلوني من أموالهم ، فقال : أنا فارضٌ عليهم لك مالا ، ففرضَ على موسى ابنه خمسة آلاف درهم ، وعلى هارون خمسة آلاف ، ثم فرض على القوم على قدرِ حالاتهم ، حتى فرض عليهم سبعة وثلاثين ألف درهم ، والربيعُ يكتبُ كلَّ ما فرض على كل رجل منهم .

فقال واحد ممن حضر : يا أمير المؤمنين ؛ إنما نحن من أهلك ، فأدخِلنا فما أدخلتهم فيه ؛ فجعل عليه ألفاً ، وعلى الربيع ألفين ؛ فتمت أربعين ألفاً .

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ مَنْ لى بهذا المال ؟ قال : هذا - وأشار إلى الربيع . ثم قال : إن أمير المؤمنين يعطيك من صلب ماله . فأمر لى بثلاثين ألف درهم في ثلاثِ بَدَرٍ<sup>(١)</sup> فجى بهنّ ؛ فطرحن قريباً ، فدعوتُ وشكرتُ ، فقال : يا بنى أبي حفصة ؛ ستجيثك صلاتى وبرّى ، ويأتيك منى ما يؤدّيك إلى الغنى .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ قد رأيتُ من قبُولك وبشرِك وسرورك بما سمعت منى ما سَأَرَدادُ به شعراً ، وستسمعُ ويبلغك ، وقلت : يا أمير المؤمنين ؛ لا يبلغ ما أعطيتنى لشاعرٍ بعدى ، قال : أجل ! قلت : وآذيتُ فى زيارتك ؛ قال : نعم .

قلت : يا أمير المؤمنين ، لى عدوٌّ فيك ، وفى أهل بيتك ، فإن رأى أمير المؤمنين ألاَّ يَجْمَلَ لأحدٍ على سلطان دونه ! قال : لا سلطان عليك دون أمير المؤمنين ، فقلت : اكتبْ إلىّ بذلك كتاباً ، فأمر بالكتاب بذلك ! فانصرفت .

فلما صرتُ خَلْفَ السُّرِّ خرج إلىّ خادمٌ بمندبل فيه أربعة أثواب وشئ وثوب

(١) البدره : كيس فيه عشرة آلاف .

خَزَّ<sup>(١)</sup> وَجُبَّةً وَقَمِيصًا. فَقَالَ : أَلْبَسُوهُ وَأَعِيدُوهُ إِلَيَّ ؛ فَلَبِستُ الْخَزَّ وَالْوَشِيَّ عَلَى الثِّيَابِ  
الَّتِي كَانَتْ عَلَىَّ ، وَأَلْقَيْتُ الْقَمِيصَ عَلَى أَحَدِ مَنْكِبَيْيَ وَالْجُبَّةَ عَلَى الْمَنْكِبِ الْآخَرِ .  
فَقَالَ لِي : يَا بْنَ أَبِي حَفْصَةَ ؛ أَتَدْخُلُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَكَذَا ، وَقَدْ مَثَّلْتَ بِنَفْسِكَ !  
فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ كِرَامَةٌ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مَا خَلَعْتُ مِنْهَا شَيْئًا أَطِيقُ حَمْلَهُ .  
ثُمَّ دَخَلْتُ فَلَمَّا رَأَيْتُ تَبَسَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : مُطْرَفُ<sup>(٢)</sup> ، فَأَبْطَأُوا بِهِ ، فَقَالَ : الْمُطْرَفُ -  
وَأَنَا قَائِمٌ - ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةُ : الْمُطْرَفُ . فَلَمَّا أَبْطَأُوا انصرفت ، وَقَعَدْتُ خَلْفَ السِّتْرِ ،  
فَلَمْ أَلْبِثْ أَنْ رُفِعَ السِّتْرُ ، وَخَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى دَابَّةٍ فَقَمْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ :  
الْمُطْرَفُ ، فَمَا بَرِحَ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ ؛ فَتَنَشَّرَ عَلَيَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ مَنْ خَدَمَ  
الرُّومَ ، وَجَائِزَةً سَنِيَّةً ، وَبِرْدَوْنٍ<sup>(٣)</sup> بِسَرَجِهِ وَلِجَامِهِ .

---

(١) الخَزَّ : الحرير (٢) المطرف : ثوب في طرفيه علمان (٣) البردون : الدابة .

## ١١٧ - فصاحة نصيب \*

وجه المهدي نصيباً <sup>(١)</sup> الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبل مَهْرِيَّة <sup>(٢)</sup> ، ووجهه معه رجلان من الشيعة ، وكتب معه إلى عامل اليمن بمشرين ألف دينار ، فمدَّ يده في الدنانير ينفقها في الأكل والشرب ، وشراء الجوارى والتزويج ، فكتب الشيعي بخبره إلى المهدي ، فكتب في حمله موثقاً في الحديد ، فلما دخل على المهدي أنشده شعراً ، قال :

تَأْوِنِي ثِقْلٌ مِنْ أَلَمٍ مُوجِعٍ	فَارَّقَ عَيْنِي ؛ وَاتَّخِلِيُونِ هُجْعُ
هَومٌ تَوَالَتْ لَوْ أَطَافَ بِسِيرُهَا	بَسَلَتِي لَظَلَّتْ صُئُهُ تَتَصَدَّعُ <sup>(٣)</sup>
وَعَادَتْ بِلَادُ اللَّهِ ظُلُمَاءَ حِنْدِسًا	فَخِلْتُ دُجَا ظُلُمَائِهَا لَا تَقْشَعُ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ أَجِدْ	سِوَاكَ مُجِيرًا مِنْكَ يَدْنِي وَيَمْنَعُ
تَلَسَّتْ : هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِي ؟ فَلَمْ أَجِدْ	سِوَى رَحْمَةٍ أَعْطَاكَهَا اللَّهُ تَشْفَعُ
لَنْ جَلَّتْ الْأَجْرَامُ <sup>(٤)</sup> مِنِّي وَأَفْظَمْتُ	أَفْوَكَ عَنْ جَرْمِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
لَنْ لَمْ تَسْفِنِي يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ	فَمَا عَجَزْتُ عَنْ وَسَائِلِ أَرْبَعُ
طُبِعَتْ عَلَيْهَا صِبْغَةٌ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ	عَلَى صَالِحِ الْأَخْلَاقِ وَالِدِينَ تُطْبَعُ

\* الأغاني : ٢٠ - ٢٦ ( طبعة الساسي ) .

(١) هو عبد نشأ بالجماعة ، واشترى للمهدي في حياة المنصور فلما سمع شعره قال : والله ما هو

بدون نصيب مولى بنى مروان ، فأعتقه وزوجه ، وأقطعته ضيعة بالسوداء ، توفي سنة ١٧٥ هـ .

(٢) مهرة بن حيدان : أبو حنيفة في اليمن ، والإبل المهرية منسوبة إليه (٣) سلمى هنا : جبل

(٤) الأجرام : الذنوب .

تَفَافِيكَ عَنْ ذِي الذَّنْبِ تَرْجُو صِلَا حَهْ وَأَنْتِ تَرَى مَا كَانَ يَأْتِي وَيَصْنَعُ  
وَعَفْوُكَ عَمَّنْ لَوْ تَكُونُ جَزِيَّتَهُ لَطَارَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ نَكْبَاهُ زَعَزَعُ  
وَأَنْتِ لَا تَنْفَكُ تَنْمَشُ عَائِراً وَلَمْ تَعْتَرِضْهُ حِينَ يَكْبُو وَيَخْتَمُ<sup>(١)</sup>  
وَحَلَمْتَ عَنْ ذِي الْجَهْلِ مِنْ بَعْدِ مَا جَرَى بِهِ عَنَقُ<sup>(٢)</sup> مِنْ طَائِشِ الْجَهْلِ أَشْنَعُ  
وَأِنِّي لَوْلَاكَ الَّذِي إِنْ جَفَوْتَهُ أَتَى مُسْتَكِينًا رَاهِبًا يَتَضَرَّعُ  
وَأِنِّي لَمَوْلَاكَ الضَّعِيفِ فَأَعْفِنِي فَإِنِّي لَعَفْوٍ مِنْكَ أَهْلٌ وَمَوْضِعُ  
ثُمَّ تَشْفَعُ لَهُ الْهَادِي وَأَعْتَقَهُ ، وَأَمْضَى الْمَهْدَى ذَلِكَ لَهُ ، وَأَمْرٌ بِحَدِيدِهِ فَقُكَّ عَنْهُ ،  
وَوَخَلَعَ عَلَيْهِ عَدَّةً مِنْ الْخَلْعِ ، وَوَصَلَهُ بِالْفَنَى دِينَارٌ ، وَأَمْرٌ لَهُ بِجَارِيَةِ يُقَالُ لَهَا جَمْفَرَةٌ ،  
جَمِيلَةٌ فَائِقَةٌ ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ قِيمَ الرَّقِيقِ : لَا أَدْفَعُهَا إِلَيْكَ أَوْ تَعْطِينِي أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَعَادَ  
إِلَى الْمَهْدَى وَأَنْشَدَهُ :

مَازَلْتُ تَبْذُلُ لِي الْأَمْوَالَ مَجْتَهِدًا حَتَّى لَا أَصْبَحْتُ ذَا أَهْلٍ وَذَا مَالٍ  
زَوَّجْتَنِي يَا بَنَ خَيْرِ النَّاسِ جَارِيَةً مَا كَانَ أَمْثَالَهَا يُهْدَى لِأَمْثَالِي  
زَوَّجْتَنِي بَضَّةً بَيَاضًا نَاعِمَةً كَأَنَّهَا دُرَّةٌ فِي كَفٍّ لَّالٍ<sup>(٣)</sup>  
حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَجَّلَ لِي يَا بَنَ الْخَلَائِفِ - لِي مِنْ خَيْرِ أَعْمَالِي  
فَسَأَلَنِي<sup>(٤)</sup> سَالِمٌ أَلْفًا فَقُلْتُ لَهُ : أَنَّى لِي الْأَلْفُ ؛ يَا قُبِّحَتْ مَنْ سَأَلَ !  
هِيَ بَاتِ أَلْفُكَ إِلَّا أَنَّ أَجْبَى بِهَا مِنْ فَضْلِ مَوْلَى لَطِيفِ الْمَنِّ مِفْضَالٍ  
فَأَمْرٌ لَهُ الْمَهْدَى بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَلِسَالِمٍ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ .

(١) الخَم : الظَّالِم (٢) العَنَقُ فِي الْأَصْلِ : نَوْعٌ مِنَ السِّبْرِ (٣) اللَّال : بِالْمِ الْوَلُولُ .  
(٤) سَأَلَنِي : سَأَلَنِي .



## ١١٨ — أئته الخلافة منقادة \*

جلس المهديُّ للشعراء يوماً فأذن لهم ، وفيهم بشار <sup>(١)</sup> وأشجع ؛ وكان أشجعُ يأخذُ عن بشار ويُعْظِّمُه ، وكان في القوم غيرَ هذين أبو العتاهية <sup>(٢)</sup> ، قال أشجع : فلما سمع بشارُ كلامَ أبي العتاهية قال : يا أخا سليم ؛ أهذا ذلك الكوفيُّ الملقب ؟ قلت : نعم ! قال : لا جزى الله خيراً مَنْ جَمَعَنَا معه . ثم قال له المهديُّ : أنشد ، فقال : ويحك ! أَوْ يُسْتَنْشَدُ أيضاً قَبْلَنَا ! فقلتُ : قد ترى ، فأنشد :

ألا ما لسيِّدتي مالهـا      أدلاً فأحِـلَ إذلالها !  
ولا فقيم تجنَّتُ وما      جنيتُ سقى الله أطلالها  
ألا إن جاريةً للإمـا      م قد أسكنَ الحسنُ سِرِّبـالها  
مشتُ بين حورٍ قصار الخطـا      تُجاذِبُ في المشى أكفـالها  
وقد أنـتـبَ اللهُ نفسـي بها      وأنـتـبَ باللؤـم عـذالها

قال أشجع : فقال لي بشار : ويحك يا أخا سليم ! ما أذرى مِنْ أَى أمرِـيـه أعجب : أمن ضعفِ شِعْره ، أم من تشبيهه بجارية الخليفة ، وهو يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى على قوله :

\* الأغاني : ٤ - ٣٣ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) هو فارسي الأصل ، أخذ أبوه في سبي المهلب بن أبي صفرة ، ثم ولد بشاراً ، وأعتق . ولد أعمى قبيح المنظر ، ونبغ في الشعر ، فكان رئيس شعراء العصر العباسي غير مدافع ، وتوفي سنة ١٦٧ هـ (٢) أبو العتاهية : اسمه إسماعيل بن القاسم ، نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيّاً خليعاً ، ثم أَلَمَ بمذاهب المتكلمين والفلاسفة ، وظهر ذلك في شعره . مات سنة ٢١١ هـ .

أَتَتْهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً      إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَذْيَالُهَا  
فَلَمْ تَكُ تَصْلَحُ إِلَّا لَهُ      وَلَمْ يَكُ يَصْلَحُ إِلَّا لَهَا  
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ      لَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا  
وَلَوْ لَمْ تُطْعَمْ بَنَاتُ<sup>(١)</sup> الْقُلُوبِ      لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا  
وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ مِنْ بُغْضٍ «لَا»      إِلَيْهِ لَيُبْغِضُ مَنْ قَالَهَا

قال أشجع : فقال لي بشار ، وقد اهتزَّ طرباً : ويحك يا أخا سليم ! أترى  
الخليفة لم يطر عن فراشه طرباً لما يأتي به هذا الكوفي .

---

(١) يريد النيات .

## ١١٩ — صريع الفَوَّانِي\*

خرج مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup> بن الوليد ذات يوم ، فلقى يزيد بن منصور الحميريّ بباب الرّشيد ، فسلم فردّ عليه السلام ، ورحب به ، وسأله عن شأنه فخبّره ، وسأله أن يقرّبّه من الخليفة ، وأن يَحْتال حتى يُعَدَّ في مُكَارَحيه ، ومن يجرى عليه أرزاقه ! فقال له الحميريّ : سأأتى لوصولك إلى أمير المؤمنين .

فدخل الحميريّ ، فأصاب أمير المؤمنين لقِسَ<sup>(٢)</sup> النفس ، قد اشتمل عليه الفكرُ في سرعة تقضي أمور الدنيا ، وأنه لا يَنْشَبُثُ منها شيء إلا كان كالظُلِّ الزائل ، والسراب الخادع ! فقال له جعفر بن يحيى : يا أمير المؤمنين ؛ أفتظنُّ أن هذا الفكر يحبسُ عليك الأيام ، ويمنحك مما لا يستمتع به ؛ إنما هذا الذي أنت فيه عارض عرض لك ، وقد كان ملك من الملوك حكياً يقول : الهمُّ مفسدة للنفس ، ومضلة للفهم ، ومشدّة للقلب ، ومن أعظم الخطأ التشاغلُ بما لا يمكن دفعه .

وقال له سليمان بن أبي جعفر : يا أمير المؤمنين ؛ قد قال لقمان الحكيم : من يملك يستأثر ، ومن لا يستشير يندم ، والهمُّ نصف الهرم ، والفقر الموت الأكبر .

\* المحاسن والمساوى : ٢٥٣ ( طبع ليزج ) .

(١) مسلم بن الوليد : من أبناء الأنصار ، كان مداحاً محسناً ، لطيف المعنى رفيق القول ، مدح يزيد ابن مزيد والبرامكة والرّشيد ، وولاه المأمون بريد جرجان ، ولم يزل بها إلى أن مات سنة ٥٢٠ هـ .

(٢) يقال : لقست نفسه من الشيء : انصرف .

فكان الرشيد نشيط ، واندفع عنه ما اعتراه من ذلك الفكر ، فتقدم إليه الحميري ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلفتُ بالباب آنفاً رجلاً من أخوالك الأنصار ، متقدماً في شعره وأدبه وظرفه ؛ أنشدني قصيدة يذكر فيها أنسه ولهوه ولعبه ومحادثته إخوانه ، ويذكر مجالس اتصلت له بأبلغ قولٍ وأحسن وصفٍ وأقرب رصفٍ ، يبعثُ والله على الصبابة والفرح ، ويباعد عن الهم والترح ، وكأنه قد وفق - بيمن أمير المؤمنين ، وسعادة جدّه - لأن يكون مُبرئاً من هذه الشكوى ، زائداً في سرور أمير المؤمنين ، مستدعياً له صلة رَحمه ، والتشرف بخدمته .

فاستفزه السرور والقلق إلى دخوله ، واستماع قصيدته ، وجعل يتابع الرسل بعضهم في أثر بعض ، حتى دخل ، وكان حلو الشائل ، فوصل إليه في وقتٍ قد كان خرج فيه من رسم الشباب وشرته ، ولم يكن في عداد من اضطرب سناً ، وكان - ناهيك من رجل ! معه فهمٌ وتجربة وتميز ومعرفة ، فأنهل حتى سكن ، ثم أذن له في الجلوس ، فانبرى مسلم ينشد قصيدته التي يقول فيها :

أديراً على الكأس لا تشرباً قبلي	ولا تطلباً من عند قاتلي ذحلي <sup>(١)</sup>
فما جزعى أنى أموتُ صبابةً	ولكن على من لا يحل لها قتلي
أحبُّ التي صدتُ وقالت ليربها :	دعيه ؛ الثرياً منه أقربُ من وصلي
بلى ربما وكلتُ عيني بنظرة	إليها تزيد القلب خبلاً على خبل
كتمتُ تباريح الصبابة عاذلي	فلم يدري ما بي ، واسترحتُ من المذل

إلى أن قال :

(١) الذحل : النار .

إذا ما عَلَبْتُ مِنْ ذُوْأَبَةٍ وَاحِدٍ      تَمَشَّتْ بِهِ مَشْيَ الْمَقِيدِ فِي الْوَحْلِ  
فَلَا نَحْنُ مِتْنًا مَوْتَةَ الدَّهْرِ بَقْتَةً      وَلَا هِيَ عَادَتْ بِمَدَّ عِلٍّ وَلَا نَهْلٍ  
سَأْنَقَادُ لِلذَّاتِ مَتَّبِعَ الْهَوَى      لِأَمْضَى هَمًّا أَوْ أُصِيبَ فِتًى مِثْلِي  
هَلِ الْعِيشُ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ مَعَ الصَّبَا      وَتَفْذُ وَصَرِيْعَ الْكَأْسِ وَالْأَعْيُنِ النَّجْلِ !

فجعل الرشيدُ يتناول لها ، ويستحسن ما حكاها من وصف شرابٍ وهو  
وَعَزَلَ وسهولة ألفاظ ؛ فأمر له بمال ، وأمر أن يتخذ له مجلس يتحول إليه ، وجعل  
الرشيد وأصحابه يتناشدون قصيدته ، فسماه يومئذ - بآخر بيت من شعره : صريع  
الغواني !



## ١٢٠ — الرشيد وابن مناذر \*

قال ابن مناذر<sup>(١)</sup> : حج الرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة ، وحجّ معه الفضل بن الربيع ، فبيّأت فيه قولاً أجذت تفيقه ، وتنوّقت<sup>(٢)</sup> فيه ، فدخلت إليه في يوم التروية<sup>(٣)</sup> ، وإذا هو يسأل عني ويطلبني ؛ فبدرني الفضل بن الربيع قبل أن أتكلم فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا شاعر البرامكة ومادحهم — وكان البشر ظهر لي في وجهه لما دخلت — فتنكّر وعبس في وجهي ، فقال الفضل : مره يا أمير المؤمنين أن ينشدك قوله فيهم :

\* أتانا بنو الأملاك من آل برمك \*

فقال : أنشدني ، فأبيت ، فتوعدني وأكرهني فأنشدته :

أتانا بنو الأملاك <sup>(٤)</sup> من آل برمك	فياطيب أخبار وياحسن منظر !
إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت	يبحي وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بنفداد ويملولنا الدجى	بمكة — ما حجّوا — ثلاثة أقمّر
فما صلحت إلا لجود أكفهم	وأرجلهم إلا لأعواد منبر
إذا راض يحيى الأمر ذلت <sup>(٥)</sup> صعابه	وحسبك من راع له ومدبر

\* الأغاني : ١٧ — ٢٥ ( طبعة الساسي )

(١) هو محمد بن مناذر ، شاعر فصيح مقدم في العلم باللغة ، كان في أول أمره ناسكاً متأهلاً ، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس ، وتهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة ، ومدح المهدي ، ومات في أيام المأمون (٢) تنوقت فيه : بالغت في تجويده (٣) التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذي الحجة (٤) الأملاك : الملوك (٥) سهلت .

ترى الناس إجلالا له وكأنهم غرائق<sup>(١)</sup> ماء تحت بازٍ مصرصر<sup>(٢)</sup>  
ثم أتبعْتُ ذلك بأن قلت : كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم ، وكانوا  
في طاعتك ، لم يلحقهم سَخَطُكَ ، ولم تحُلْ بهم نِقْمَتُكَ ، ولم أكن في ذلك مبتدِعًا ،  
ولا خلا أحدٌ من نظرائي من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظلني فضلهم ، وأغنانى  
رِفْدُهم ، فأنيت بما أولوا .

فقال : يا غلام ؛ العلمُ وَجْهُهُ ، فَطِمتُ والله حتى سَدِرْتُ<sup>(٣)</sup> وأظلم ما كان بيني  
وبين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، والله لأحرمنك ، ولا تركتُ  
أحدًا يعطيك شيئًا في هذا العام ! فسُحِبْتُ حتى أخرجت .

وانصرف وأنا أسوأ الناس حالًا في نفسى وحالى ، وما جرى على ؛ لا والله  
ما عندى ما يكفى عيالى لعيدهم ، فإذا بشاب قد وقف على ؛ ثم قال : أعزِزْ علىَّ والله  
يا كبيرنا بما جرى عليك ، ودفع إلى صُرَّة ، وقال : تَبَلَّغْ بما فى هذه ! فظننتها  
دراهم ، فإذا هى ثلثمائة دينار ؛ فقلت : من أنت ؟ جعلنى الله فداك ! قال : أنا أخوك  
أبو نواس ، فاستعنْ بهذه الدنانير واعذرني ، فقبلتها وقلت : وَصَلَك اللهُ يا أخى ،  
وأحسن جزاءك !

(١) الغرائق : جمع غرنوق ؛ وهو طائر أبيض من سيور الماء (٢) المصرصر : من يرجع  
الصوت (٣) سدر بصره : أظلم ولم يبصر :

## ١٢١ — ربيعة الرقي يمدح فلا يثاب \*

امتدح ربيعة الرقي<sup>(١)</sup> العباس بن محمد بن علي ؛ بقصيدة لم يسبق إليها ،  
يقول فيها :

لو قيل للعباس : يا بن محمد ؛      قل : « لا » وأنت مُخلدٌ ماقالها  
ما إن أعدت من المكارم خصلةً      إلا وجدتُك عمها أو خالها  
وإذا الملوكُ تسايرت في بلدةٍ      كانوا كواكبها وكنّت هلالها  
إن المكارم لم تزل مفعولةً<sup>(٢)</sup>      حتى حلت براحتيك عقالها

فبعث إليه العباس بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين  
كاد أن يجن غضباً ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن ترد إلى الرقعة  
من حيث لا يدرى العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة وأمر من كتب  
في ظهرها .

مدحتك مدحة السيف المحلى      لتجري في الكرام كما جريت  
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً      كذبت عليك فيها وافترت

\* الأغاني : ١٥ — ٣٨ ( طبعة الساسي ) ، نهاية الأرب : ٣ — ٢١٥ ، معجم الأدباء : ١١ — ١٣٤  
(١) اسمه ربيعة بن ثابت ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه . وكان من الشعراء الكثيرين  
المجيدون ، ولكن نخل ذكره عن طبقته لبعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ،  
ومع ذلك فما عدم مفضلاً مقدماً له . ومات سنة ١٩٨ هـ (٢) عقل البعير : شد وظيفه إلى  
فراعه ، وهو استعارة من هذا .

ثم دفعها إلى الرسول ، وقال : ضَمِّها في الموضع الذي أخذتها منه ، ففعل .  
فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات ، غَضِبَ ، وقام  
من فورِهِ ، فركب إلى الرشيد - وكان أثيراً<sup>(١)</sup> عنده يبجله ويقدمه ، وكان قد همَّ  
أن يخطبَ إليه ابنته - فرأى الرشيد الكراهةَ في وجهه ، فقال : ما شأنك ؟ قال :  
هيجاني ربيعةُ الرِّقَى .

فأحضره الرشيد ، وقال له : أتتهجوني وآثرَ خلقَ الله عندي ! لقد همتُ أن  
أضربَ عنقك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ والله لقد امتدحتُه بقصيدةٍ ماقال أحدٌ مثلاً  
من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء ، ولقد بالغتُ في الثناء ، وأكثرتُ من الوصف ؛  
فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمرَ بإحضارها فعل .

فلما سمع الرشيد ذلك سَكَنَ غضبه ، وأحبَّ أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس  
بإحضارها ، فتلكأ عليه ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرتَ  
بإحضارها . فأحضرت ، فإذا فيها القصيدةُ بعينها ؛ فاستحسنها واستجادها ، وأعجب  
بها ، وقال : والله ماقال أحدٌ من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء مثلاً ، ولقد صدق  
ربيعةُ فبرَّ .

ثم قال للعباس : كم أثبتتهُ عليها ؟ فسكتَ العباس ، وتغيَّرَ لونه ، وغَضُ بريقه ،  
فقال ربيعةُ : أثابني عليها بدينارين يا أمير المؤمنين ! فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من  
للوَّجدة<sup>(٢)</sup> عليه ، فقال : بحياتي يارِّقِي كم أثابك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين  
ما أثابني إلا بدينارين .

فغضب الرشيد غضباً شديداً ، ونظر في وَجْه العباس ، وقال : سوءة لك ! أيةُ

(١) أثيراً : مكرماً (٢) الموجدة : الغضب .

حال قعدت بك عن إثابته ؟ أقله مال ؟ فوالله لقد موَّلْتُكَ جهدي<sup>(١)</sup> ، أم انقطاع  
المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعت ، أم أصلك ؟ فهو الأصل الذي لا يُدانيه شيء ، أم  
نفسك ؟ لا ذنبَ لي ! بل نفسك واللهِ فعلتُ بك ذلك حتى فضحتَ أجدادك  
وفضحتني وفضحتَ نفسك ، فنكسَ العباس رأسه ، ولم ينطق .

فقال الرشيد : يا غلامُ ؛ أعطِ ربيعةَ ثلاثين ألف درهم وخِلْمةً ، واحمله

على بئلة .

ثم قال له : بحياتي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا نصريحاً ، وفتر  
الرشيد عما كان قد همَّ به من أن يتزوج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاءً واطراحاً .

---

(١) موله : أعطاه مالا كثيراً ، والجهد : الطاقة .

## ١٢٢ — شاعر بين يَدَيِ الرشيد \*

قال أحمد بن سعيد الباهلي : كُنتُ عند الرشيد ، فدخل عليه أشجع <sup>(١)</sup> السلمي  
وَمَنْصُور النمرى <sup>(٢)</sup> ، فأنشده أشجع :

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ	أَلَقْتُ عَلَيْهِ جَمَالَهَا أَيَّامٌ
قَصْرٌ سُقُوفُ الْمَزْنِ دُونَ سُقُوفِهِ	فِيهِ لِأَعْلَامِ الْهُدَى أَعْلَامٌ
فِيهِ اجْتَلَى الدُّنْيَا الْخَلِيفَةُ وَالتَّقْتُ	لِلْمَلِكِ فِيهِ سَلَامَةٌ وَسَلَامٌ
نَشَرَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ كُسُوتَهَا الَّتِي	نَسَجَ الرَّبِيعُ وَزَخَرَفَ الْإِرْهَامَ <sup>(٣)</sup>
أَذْنَتِكَ مِنْ ظِلِّ النَّبِيِّ وَصِيَّةٌ	وَقَرَابَةٌ وَشَجَّتْ <sup>(٤)</sup> بِهَا الْأَرْحَامُ
بَرَقَتْ سَمَاوُكَ فِي الْعَدُوِّ وَأَمْطَرَتْ	هَامًا لَهَا ظِلُّ السُّيُوفِ غَمَامٌ
وَإِذَا سِيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ الْعَدَا	طَارَتْ لَهْنٌ عَنِ الرَّءُوسِ الْهَامُ
تَنْنِي عَلَى أَيَّامِكَ الْأَيَّامُ	وَالشَّاهِدَاتُ : الْحُلُّ وَالْإِحْرَامُ

ولما بلغ قوله :

وَعَلَى عَدُوِّكَ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ رَصَدَانِ ضَوْءُ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامِ

\* أمالي المرتضى : ٤ - ١٧٨ ، الأغاني : ١٢ - ١٩ ، ١٧ - ٣٢ ( طبعة الساسي ) .

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي ، نشأ بالبصرة وقال الشعر وأجاده ، وعد من الفحول ، ثم اتصل بالبرامكة ، واختص بجعفر بن يحيى فأعجب به وأوصله إلى الرشيد (٢) منصور النمرى : نشأ في الجزيرة بين النهرين ، أخذ عن كلثوم المتابي ، ثم قصد إلى البرامكة ، ومدحهم ، ثم قال الشعر السياسي ووصل به إلى الرشيد (٣) الرهمة : المطر الضيف الدائم ، والجمع رهم ( كنب ) ، وأرهمت السماء : أنت بالرم (٤) وشجت : علفت .



فإذا تنبه رُغْتَه وإذا غَفَا سَلَّتْ عليه سيوفك الأحلامُ  
 فاستحسن ذلك الرشيد ؛ وأومأتُ إلى أشجع أن يَقْطَعَ الشعر ؛ إذ علمتُ أنه  
 لا يأتي بمثلها فلم يفعل . ولما أنشده ما بعدها فتر الرشيد وضرب بِمُخْصَرَةٍ (١)  
 كانت بيده الأرض ، واستنشد منصوراً النمرى ، فمرّ والله في قصيدة قلما تقولُ  
 العربُ مثلاً ، ومطلعها :

ما تنقضى حَسْرَةٌ منى ولا جزعُ إذا ذُكِرْتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ  
 بَانَ الشبابُ وفاتتني بلدته صروفُ دهرٍ وأيام لها خُدَعُ  
 ولما بلغ إلى قوله :

ما كنتُ أوفى شبابي كُفَّةً غِرَّتَه حتى انقضى فإذا الدنيا له تبَعُ  
 قال الرشيد : أحسن والله ! لا يتهنى أحدٌ يعيش حتى يخطر في رداء الشباب .  
 ولما بلغ إلى قوله :

أى امرئٍ بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع  
 إن المكارم والمعروف أوديةٌ أحلكَ الله منها حيث تُنْتَجَعُ  
 إذا رفعتَ امرأً فالله رافِعُهُ وَمَنْ وَضَعَتْ مِنْ الْأَقْوَامِ مُتَضَمُّعُ  
 نفسى فداؤك والأبطالُ مُعْلِمَةٌ يوم الوغى والمنايا بينهم قُرْعُ

رمى الرشيد بالخِوان بين يديه ، وصاح وقال : هذا والله أطيبُ من كل طعام ؛  
 وأعطاه سبعة آلاف دينار .

---

(١) المخصرة : ما يتوكأ عليه : كالعصا ونحوها ، وما يأخذه الملك يمشي به إذا خاطب والمخطب  
 إذا خطب .

قال أحمد بن سعيد : فلما خرجنا قلت لأشجع : غمزتك أن تقطع فلم تفعل ،  
ويلك ! ولم تأت بشيء ، فهلا مت بعد البيتين أو خرست ، فكنت تكون  
أشعر الناس !

### ١٢٣ — يبابك أنزلت حاجتي \*

قصده أعرابيٌّ مالك بن طوق التغلبي<sup>(١)</sup> صاحب الرحبة<sup>(٢)</sup> ، وكان رث الهيئة ،  
زريّ الحال ، فَمَنع من الدخول عليه مدة ، إلى أن خرج مالك ذات يوم يريد النزهة  
حول مدينته ؛ فاعترض له الأعرابيُّ ، فردّه رجاله ازدراء به ، فلم يثن ؛ بل اقترب  
منه حتى أخذ بمنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ؛ أنا عائد بك<sup>(٣)</sup> من شر حرّسك !  
فَنَهَمُ<sup>(٤)</sup> عنه ، وقال له : ما حاجتك ؟ قال : أن تُصَنِّيَ إلى كلامي بسمك ،  
وتنظر إلى بطرفك ، وتقبّل على وجهك ، ثم أنشد :

ويابك دون الناس أنزلت حاجتي	وأقبلت أسعى نحوه وأطوف
ويمعني الحجاب والليل مُسْبِل	وأنت بعيدٌ والرجال صفوف
يطوفون حولي عابسين كأنهم	ذئابٌ جياعٌ بينهم خروف
فكيف وقد أبصرت وجهك مقبلا	ترُدّ امرأ وفاقك وهو لهيف
ومالي في الدنيا سواك وما لمن	تركت ورائي مَرَبَعٌ <sup>(٥)</sup> ومصيف

#### ● غرر الحقائق : ١٦٨

(١) مالك بن طوق : أحد ندماء الرشيد ، أقطعه أرضاً بناها نسبت إليه ثم خرج على الرشيد  
فأخذ إليه الجيوش حتى ظفروا به ، وحبس ، ثم عفا عنه (٢) مدينة جبلة بين بغداد والرقّة ،  
بناها مالك على الفرات ، وساعده الرشيد على بنائها بالأموال والرجال (٣) عاذ به : لجأ إليه  
(٤) نههم : زجرهم وكفهم (٥) المربع : منزل القوم في الربيع خاصة .

فَجِئْتُكَ أَبْنَى الْخَيْرِ مِنْكَ فِرَاعْنَى      بِيَابِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ صُنُوفُ  
فَلَا تَجْعَلَنِي لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً      فَقَلْبِي مِنْ صُنْعِ الْقِسَاةِ مَخُوفُ  
فَضَحَكَ مَالِكٌ ، ثُمَّ قَالَ لِحِرَاسِهِ : مَنْ يَعْطِيهِ دِرْهَمًا بِدَرْهَمَيْنِ ؟ فَمَا أَتَمَّ كَلِمَتَهُ حَتَّى  
نُثِرَتِ الدِّرَاهِمُ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحَيَّرَ ، وَاخْتَلَطَ لَدَيْهِ الْحَابِلُ بِالْفَائِلِ ؛  
لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ التَّفَتَّ إِلَى مَالِكٍ ، وَقَالَ لَهُ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟  
قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . فَقَالَ : وَإِلَى مَنْ ؟ قَالَ . إِلَى اللَّهِ أَنْ يَبْقِيَكَ لِلْعَرَبِ ؛ فَإِنَّهُمْ  
لَنْ يَزَالُوا بِخَيْرِ مَا بَقِيَتْ لَهُمْ !

## ١٢٤ — النكث في البيع خير من خيانة الشريك \*

جلس مالك بن طوق في قصره ، في شُبَّاكٍ مطل على رَحْبَتِهِ ، ومعه جاساؤه ؛  
فأقبل أعرابي تَخْبُ<sup>(١)</sup> به ناقته . فقال : إيايَ أراد ، ونحوى قصد ، ولعل منه أدبا  
يُنْقِصُ به . ثم أمر بإدخاله .

فلما مَثَلَ بين يديه قال : ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال : سَيْبُ<sup>(٢)</sup> الأمير ، ورجاء  
نائله ؛ قال : هل قدّمتَ أمام رَغْبَتِكَ وسيلة ؟ قال : نعم ! أربعة أبيات قتلها بظَهْرِ  
البرية ، فلما رأيت ما بباب الأمير من الهَيْبَةِ والجلال استحققتها واستصَفَرْتُهَا .  
قال : فهل لك أن تُنْشِدَنَا أبياتَكَ على أن نجيزك عليها ألفَ درهم ؛ فإن كنت ممن  
أحسنَ رَبحنا ، وإلا فقد نِلْتَ مُرادك ، وربحتَ ! قال : رضيتُ ، وأنشده :

وما زلت أَخْشَى الدهرَ حتى تَعَلَّقْتُ	يداي بمن لا يَتَّقِي الدهرَ صاحبهُ
فلما رَأَى الدهرُ تحت جناحه	رأى مرتقى صعباً مَنِماً مطالبهُ
رَأَى بحيث النجم في رأسٍ باذخ <sup>(٣)</sup>	تُظِلُّ الوري أكنافه وجوانبهُ
فتى كسباء الفيث والناسُ حوله	إذا قُحِطُوا <sup>(٤)</sup> جادت عليهم سحائبهُ

فقال : والله ظَفَرْنَا يا أعرابي ، ورُزِقْنَا الفلج<sup>(٥)</sup> عليك ، والله ما قيمتها إلا  
عشرة آلاف درهم . قال : فإن لي صاحباً شاركته فيها ، وما أراه يرضى بَيْعِي . قال :

\* ذيل زهر الآداب : ٢٨٢ .

(١) الحبب : نوع من السير (٢) السيب : المطاء والمعروف (٣) باذخ : عال (٤) قحطوا :  
أصابهم القحط ، وهو الجذب (٥) الفلج : الفوز والظفر .

أتراك حدثتك نفسك بالنكث<sup>(١)</sup> ؟ قال : نعم ! وجدت النكث في البيع خيراً  
من خيانة الشريك ، فأمر له بعشرة آلاف دينار .

## ١٢٥ — باتت تميرني الإقتار والمدا\*

قال الأضمرى : لقيت أعرابياً بالبادية فاسترشدته إلى مكان ، فأرشدني  
وأنشدني :

ليس العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل  
فكن سائلاً عما عناك فإنما خلقت أبا عقل لتسال بالعقل  
ثم رجعت إلى البصرة فكثت بها حيناً ؛ ثم قدمت البادية ، فإذا بالأعرابي  
جالس بين ظهري قوم ، وهو يقضى بينهم ، فأريت قضية أخطأت قضية الصالحين  
من أقضيته ، ثم جلست إليه وقلت : يرحمك الله ، أما من رشوة ! أما من هدية !  
أما من صلة ! فقال : إذا جاء هذا ذهب التوفيق . فشكوت إليه ما ألقى من  
عذل حيلة لي إياي في طلب المعيشة ، فقال : لست فيها بأوحد ، وإني لشريكك ،  
ولقد قلت في ذلك شعراً ، قلت : أنشدني ، فأنشدني :

باتت تميرني الإقتار والمدا لما رأت لأخيها المال والخدماء  
عنف رأيك ما الأرزاق من جلد ولا من العجز بل مقسومة قسماً  
ياأمة الله إني لم أدع طلباً للرزق — قد تلمين — الشرق والشاماً

\* أمالي المرتضى : ٢ - ١٤٠

(١) بنقض العهد .

لو كان من جلدٍ ذا المالُ أو أدبٍ      لكنتُ أكثرَ من نملِ القرى نَمًا  
أرضى من العيش ما لم تحوجي معه      أن تفتحي لسؤال الأغنياء فَمًا  
واستشعري الصبرَ على الله خالقنا      يوماً سيكشفُ عنا الضرَّ والعدَمَا  
لا تُحوجيني إلى مالٍ بذلتُ له      نفسي لأعقبك التهامَ والندما  
بالله سرَّك أُنِّى اللهُ خوَّلنى      ما كان خوَّله الأعراب والعجما  
ماسرَّنى أننى خوَّلْتُ ذاك ولا      ألا أقولَ لباغى حاجبة نَمًا  
وأُنِّى لم أفِدْ عَقلاً ولا أدبًا      ولا إرثَ والدى مجدًا ولا كَرَمًا  
ففسرة المرء أخرى فى معاشِك مِن      أمرٍ يجرُّ عليكِ الهمَّ والألمَا  
قال : فوالله ما أنشدتها زوجى حتى      حلفتُ ألا تمذُلنى أبدًا .



## ١٢٦ — سكنت عني والله الحمى\*

قال الأصمعي : نزلت ليلة في وادي بني العنبر؛ وهو إذ ذاك غان<sup>(١)</sup> بأهله ،  
فإذا فتية يريدون البصرة ، فأحببت صُحبَتَهُمْ ، وأقمتُ ليلتي تلك ، وإني لو صِيبُ<sup>(٢)</sup>  
محمومٌ ، أخاف ألا أستمسك على راحلتي ، فلما أقاموا ليرحلوا أيقظوني ، فلما رأوا  
حالي حملوني ، وركبَ أحدهم ورائي يُمسكني ، فلما أمعنوا السير تنادوا : ألا فقي  
يُخدو بنا أو ينشدنا ؟ فإذا منشدٌ في سواد الليل يُنشد بصوتٍ ندي حزين :

لعمرك إني يومَ بانوا فلم أُمِتْ	خَفَاتَا <sup>(٣)</sup> على آثارهم لصبور
غداة المنقى <sup>(٤)</sup> إذ رميتُ بنظرةٍ	ونحنُ على متنِ الطريق نسيرُ
فقلت لقلبي حينَ خفَ به الهوى	وكاد من الوجد المبرِّ <sup>(٥)</sup> يطير :
فهذا ولما تمض للبين ليلةٌ	فكيف إذا مرَّتْ عليك شهورُ !
وأصبحَ أعلامُ الأحبة دُهنها	من الأرضِ غول <sup>(٦)</sup> نازِحٌ ومسير
وأصبحتُ نجدى الهوى مُسهمَ الثوى	أزيد اشتياقًا أن يَحِجَّ بعيرُ
عسى الله بعد النأي أن يُسفف الثوى	ويُجمَعَ شملٌ بعدها وسرورُ

قال : فسكنتُ والله عني الحمى ما أحسَّ بها ؛ وقلت لرفيقي : انزل يرحلك الله  
إلى راحلتك فإني مُتَماسِكٌ ، وجزاك الله عن الصعبة خيرًا !

\* أمالي المرتضى ٢ - ١٤٢

(١) غان : أهل (٢) الوصب : المرض (٣) يقال : مات خفَاتًا ؛ أي فجأة (٤) المنقى : طريق  
للمرء إلى الشام ؛ كان في الجاهلية يسكنه أهل تهامة (٥) البر : الشديد (٦) الغول : بحد الشفة.

## ١٢٧ — عجوز تُنشد الأصمى شعرا\*

قال الأصمى : إني لفي سوق ، وقد نزلتُ على رجلٍ من بني كلاب ، كان متزوجاً بالبصرة ؛ إذ أقبلت عجوز على ناقَةٍ لها ، حسنةُ البرَّةِ ، فيها باقٍ جمال ، فأناختْ وعَقَلَتْ ناقَتها ، وأقبلتْ تتوكأُ على مُحجَن<sup>(١)</sup> لها ، فجلست قريباً منا ، وقالت : هل من مُنشد ؟ فقلت للكلابي : أيحضرُك شيء ؟ قال : لا ، فأنشدتها شعرا لبشر بن عبد الرحمن الأنصاوي :

وقصيرةُ الأيام<sup>(٢)</sup> ودَّ جليسُها      لو باع<sup>(٣)</sup> مجلسُها بفقدِ حِمِيمٍ  
من مُحذِيَّات<sup>(٤)</sup> أخى الهوى غُصصَ الجوى      بدلال غانية ومُقلّة رِيمٍ  
صفراء من بقرِ الجوّاء<sup>(٥)</sup> كأنما      خَفَرُ الحياء بها رُدَاعُ سقيم<sup>(٦)</sup>  
قال : فبحثتُ على ركبتيها ، وأقبلتْ تحرش<sup>(٧)</sup> الأرضَ بمحجنِها  
وأنشأت تقول :

فني يأميمَ القلبِ نقرأ نحيّةً      ونشكُ الهوى ثم افعلِ ما بدا لكِ  
فلو قلتِ : طأ في النار أعلمُ أنهُ      هوى لك أو مُدُنٍ لنا من نوالِكِ  
لقدّمتُ رحلي محوها فوطئتها      هُدًى منك لي أو ضلّةً من ضلّالكِ  
سلي البانة العلياء بالأجرع الذي      به البانُ هل حيّيتُ أطلالَ دارِكِ ؟

\* أمالي المرتضى ٢ : ١٣٨

(١) المحجن : العصا المعوجة (٢) يريد : أن أيام جليسها تقصر ، إذ أن أيام السرور موصوفة بالقصر (٣) باع : اشترى ، وهو من الأضداد (٤) يقال : أحذيت الرجل ؛ أعطيته (٥) الجوّاء : موضع (٦) الرُداع : الوجع في الجسد ، وكأنه أراد أنها منقبضة منكسرة من الحياء كما يتغير لون السقيم (٧) تحرش الأرض : تخدشها .

وهل قتُ في أطلالهن عشيةً      مقام أخى البأساء واخترتُ ذلك ؟  
 ليهنك إمساكي بكفى على الحشى      ورقراق عيني خشيةً من زِيالك<sup>(١)</sup>  
 قال الأصمى : فأظلمت علىّ والله الدنيا بحلاوة منطقها ، وفصاحة لهجتها ،  
 فدنوتُ منها وقلت : أنشدتك الله لما زدتنى من هذا ! فرأيت الضحك في عينها  
 وأنشدت :

ومستخفياتٍ ليس يُخفين زُرُنّا	يسحبن أذيال الصباية والشكل <sup>(٢)</sup>
جمعن الهوى حتى إذا ما ملكنه	نزغن وقد أكثرن فينا من القتل
مريضات رجع الطرف خرس عن الخنا	بختل ذوى الألباب بالجدّ والهزل
يمنّفن العذال فيهن ، والهوى	يحذرني من أن أطيع ذوى العذل

---

(١) الزيال : المفارقة (٢) الشكل ( بالفتح والكسر ) : دل المرأة وغزلها :

## ١٢٨ — الأصمعي وبعض الأعراب\*

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر راوية الأصمعي ، في رياض من المذاكرة ،  
تجتنني ثمارها ، وتجتلي أنوارها ، إلى أن أفضنا في ذكر أبي سعيد عبد الملك بن  
قريب الأصمعي ، فقال : رحم الله الأصمعي ! إنه لمعدن حكم ، وبحر علم ، غير أنه  
لم نر قط مثل أعرابي وقف بنا فسلم ، فقال : أيكم الأصمعي ؟ فقال : أناذاك ! فقال :  
أتأذنون بالجلوس ؟ فأذنا له ، وعجبنا من حسن أدبه ، مع جفاء أدب الأعراب !  
قال : يا أصمعي ؛ أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنك أثق بهم معرفة بالشعر  
والعريية ، وحكايات الأعراب ! قال الأصمعي : منهم من هو أعلم مني ، ومن  
هو دوني !

قال : أفلا تنشدني من بعض شعر أهل الحضر حتى أقيسه على شعر أصحابنا !  
فأنشده شعرا لرجل امتدح به مسلمة بن عبد الملك :

أمسلم أنت البحر إن جاء وارداً	وليث إذا ما الحرب طار عقابها <sup>(١)</sup>
وأنت كسيف الهندواني <sup>(٢)</sup> إن غدت	حوادث من حرب يعب عباها
وما خلقت أكرومة <sup>(٣)</sup> في امرئ له	ولا غاية إلا إليك مآبها
كانك ديان عليها موكل	بها ، وعلى كفك يجرى حسابها
إليك رحلنا العيس <sup>(٤)</sup> إذ لم نجد لها	أخا ثقة يرجي لديه ثوابها

\* زهر الآداب : ٢ - ١٠٠

(١) طار عقابها : كناية عن اشتداد الحرب . (٢) الهندواني : منسوب إلى رجال الهند .

(٣) الأكرومة : فعل الكرم . (٤) العيس : الإبل يخاطب بياءها شقيرة .

فتبسم الأعرابي ، وهز رأسه ؛ فظننا أن ذلك لاستحسانه الشعر ، ثم قال :  
يا أصمى ! هذا شعرٌ مُهلِهٌ ، خَلَقَ النسيج ، خطوؤه أكثرُ من صوابه ، يغطي  
عيوبه حسنُ الرّوى ورواية المنشد ! يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ، والأسد  
أنخرشتم<sup>(١)</sup> المنظر ، وربما طرده شِرْذِمَةٌ من إمائنا ، وتَلَاَعَبَ به صبياننا ، ويشبهونه  
بالبحر ، والبحرُ صعبٌ على مَنْ رَكِبَهُ ، مُرٌّ على مَنْ شَرِبَهُ ! وبالسيف ، وربما خان  
في الحقيقة ، ونبا عن الضريبة ! ألا أنشدتني كما قال صبيٌّ من حيننا !

قال الأصمى : وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

الموت يكره أن يلتق منيته      في كرهه عند لف الخيل بالخيل  
و راحم الشمس أبقي الشمس كاسفة      أو زاحم الصم ألبأها إلى النيل  
أمضى من النجم إن نابتة نابتة      وعند أعدائه أجرى من النيل  
لا يستريح إلى الدنيا وزيتها      ولا تراه إليها صاحب الذيل  
بقصر المجد عنه في مكارمه      كما يقصر عن أفصاله قولى !

قال أبو نصر : فأبهتتنا والله ما سمعنا من قوله .

ثم قال الأعرابي : ألا تنشدني شعراً ترتاح إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ؟  
فأنشده لابن الرّقاع العاملى :

وناعمة تجلو بعود أراك      مؤثرة<sup>(٢)</sup> يسبي المغانق طيها  
أراك إلى نجد تحن وإنما      منى كل نفس حيث كان حبيبها

فتبسم الأعرابي ، وقال : يا أصمى ؛ ما هذا بدون الأول ، ولا فوقه ؛

(١) شتم : كربه (٢) تأشير الأسنان : تحزيرها .

ألا أنشدتنى كما قلتُ ؟ قال الأصمى : وما قلتَ جُمِلْتُ فذاك ! فأنشده :

تعلّقتها بكرةً وعَلّقتُ جِهاً      فقلبي عن كل الورى فارغٌ بكرُ  
إذا احتجبت لم يكفك البدر ضوءها      وتكفيك ضوء البدر إن حُجب البدر  
وما الصبر عنها - إن صبرت - جدته      جميلاً ، وهل فى مثلها يحسن الصبر !  
ولو أن جلد الذر<sup>(١)</sup> لامسَ جلدها      لكان لِمَسِّ الذر فى جلدها أثرُ

فقال لنا الأصمى : اكتبوا ما سمعتم ، ولو بأطراف المدى فى رقاق الأ كباد .  
وأقام عندنا شهراً ؛ فجمع له الأصمى خمسمائة دينار ! وكان يتماهدُنا فى الحين  
بعد الحين ، حتى مات الأصمى وتفرق أصحابنا !

---

(١) الذر : صغار النمل .



## ١٢٩ — شعرٌ مُرتَجَلٌ\*

جلس جعفر<sup>(١)</sup> بن يحيى بالصَّالِحِيَّة<sup>(٢)</sup> ، يشرب على مُسْتَشْرِفٍ له فجاءه  
أعرابي من بني هلال ، فاشتكى واستأح<sup>(٣)</sup> بكلام فصيح ، ولفظٍ مثله يعطف  
المستول .

فقال له جعفر: أتقول الشعر يا هلالى ؟ فقال : كنت أقوله وأنا حدثٌ أتملحُ به ،  
ثم تركته لما صرتُ شيخاً ، قال : فأنشدنا لشاعرٍ كرمٍ حميد بن ثور ، فأنشده قوله :  
لَمِنَ الدِّيارِ بِجَانِبِ الْخُمْسِ كَمِطٌ ذِي الْحَاجَاتِ وَالنَّفْسِ  
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا - وَكَانَ أَشْجَعُ التَّلَمِيّ حَاضِرًا الْمَجْلِسَ - فاندفع يُنشد  
مديحاً في جعفر ، قاله لوقته على الوزن والقافية :

ذَهَبَتْ مَكَارِمُ جَعْفَرٍ وَفَعَالُهُ      فِي النَّاسِ مِثْلَ مَذَاهِبِ الشَّمْسِ  
مَلِكٌ تَسْوَسُ لَهُ الْمَعَالَى نَفْسُهُ      وَالْعَقْلُ خَيْرُ سِيَاسَةِ النَّفْسِ  
فَإِذَا تَرَاءَتْهُ الْمُلُوكُ تَرَا جُمُوعًا      جَهْرَ الْكَلَامِ بِمَنْطِقِ هَمْسٍ  
سَادَ الْبَرَامِكُ جَعْفَرٌ وَهُمْ الْآلَى      بَعْدَ الْخِلَافِ سَادَةُ الْإِنْسِ

فقال له جعفر : صِفْ موضعنا ، فقال :

\* الأغاني ١٧ - ٣٢ ( طبعة الساسي )

(١) جعفر بن يحيى : كان على القدر بعيد المهمة عظيم الكرم ، ذا منزلة قريبة عند الرشيد ،  
كما كان سمح الأخلاق ، طلق الوجه ، ظاهر البشر ، فصيحاً لساناً ، قتله الرشيد سنة ١٨٧ هـ .  
(٢) الصالحية : محلة ببغداد (٣) استأح : طلب العطاء .

قُصُور الصَّالِحَةِ كَالْمَذَارِي لِبِسْنِ ثِيَابِهِنَّ لِيَوْمِ عُرْسِ  
مُطَلَّاتٍ عَلَى بَطْنِ كِسْتِهِ أَيْدِي الْمَاءِ وَشِيَا نَسَجِ غُرْسِ  
إِذَا مَا الطَّلَّ أَثَرٌ فِي ثَرَاهُ تَنْفَسَ نَوْرُهُ مِنْ غَيْرِ نَفْسِ  
فَتَنْفِقُهُ<sup>(١)</sup> السَّمَاءُ بِصَبْغِ وَرْسِ وَتَصْبِغُهُ بِأَكْوَسِ عَيْنِ شَمْسِ

فَقَالَ جَعْفَرٌ لِلْأَعْرَابِيِّ : كَيْفَ تَرَى صَاحِبَنَا يَا هَلَالِي ؟ فَقَالَ : أَرَى خَاطِرَهُ طَوَّعَ  
لِسَانَهُ ، وَبَيَانَ النَّاسِ تَحْتَ بَيَانِهِ ، وَقَدْ جَعَلْتُ لَهُ مَا تَصِلُنِي بِهِ ؛ فَقَالَ : بَلْ نَصَلُكَ  
يَا أَعْرَابِي وَنَرْضِيهِ ، وَأَمْرٌ لِلْأَعْرَابِيِّ بِمِائَةِ دِينَارٍ ؛ وَلِأَشْجَعِ بِمِائَتَيْنِ .

---

(١) الْفَبْرَقُ : شَرَابُ الْمَشْيِ ، وَالصَّبُوحُ : شَرَابُ الصَّبَاحِ .

١٣٠ — هَوَّنتَ عَلَى الْعَزْلِ \*

وَلَى الرَّشِيدِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى خُرَّاسَانَ <sup>(١)</sup> ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ يُهْنِئُونَهُ ،  
ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الشُّعْرَاءُ ، فَقَامَ أَشْجَعُ السُّلَمَى آخِرَهُمْ ، وَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ ، فَأُذِنَ  
لَهُ فَأَنشَدَ :

أَنْصَبُ لِلْبَيْنِ أَمْ تَجْزَعُ      فَإِنَّ الدِّيَارَ غَدًا بَلَقَمُ  
غَدًا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى      وَيَكْثُرُ بَاكِ وَمُسْتَرْجِعُ  
وَتَقْنَى الطَّلُولِ وَيَبْقَى الْهَوَى      وَيَصْنَعُ ذُو الشَّوْقِ مَا يَصْنَعُ

حتى انتهى إلى قوله :

وَدَوَّيَّةٌ <sup>(٢)</sup> بَيْنَ أَقْطَارِهَا      مَقَاطِيعُ أَرْضِينَ لَا تُقْطَعُ  
تَجَاوَزَتْهَا فَوْقَ رِيْعَانَةٍ <sup>(٣)</sup>      مِنْ الرِّيحِ فِي سِيرِهَا أَسْرَعُ  
إِلَى جَعْفَرٍ نَزَعَتْ رَغْبَةً      وَأَيُّ فَتَى نَحْوَهُ تَنْزَعُ !  
فَمَا دُونَهُ لَا مَرِيَّ مَطْمَعُ      وَلَا لَامَرِيَّ غَيْرِهِ مَقْنَعُ  
وَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَنْ حَطَّه      وَلَا يَضَعُونَ الَّذِي يَرْفَعُ  
يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ      وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ  
تَلُوذُ الْمُلُوكِ بِأَبْوَابِهِ      إِذَا نَالَهَا الْحَدَثُ الْأَفْظَعُ  
بَدِيهَتُهُ مِثْلُ تَدْيِيرِهِ      مَتَى رُمَّتْهُ فَهُوَ مُسْتَجْمَعُ

\* الْأَغَانِي : ١٧ — ٧ ( طَبْعَةُ السَّاسِي ) .

(١) خُرَّاسَانَ : بِلَادٌ وَاسِعَةٌ كَانَتْ حُدُودَهَا أَوَّلَ مَا يَلِي الْمِرَاقَ (٢) الدَّوْيَةُ : الْفَلَاةُ

(٣) الرِّيعَانَةُ : النَّاقَةُ الْكَثِيرَةُ اللَّبَنِ .

وكم قائلٍ إذ رأى ثروتى ، وما فى فضولِ الفنى أضنعُ  
غداً فى ظلالِ ندى جعفرٍ يجرُّ ثيابَ الفنى أشجعُ  
فقل لخراسانَ : تحياً فقد أتاها ابنُ يحيى الفتى الأروع<sup>(١)</sup>  
فأقبل عليه جعفرٌ ضاحكاً ، واستحسن شعره ، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ  
أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

قال الراوى : ثم بدا للرّشيد فى ذلك التدبير ، فعزل جعفرأ عن خراسان بعد  
أن أعطاه العهد والكتاب . وعقد له العقد ، وأمر ونهى ، فوجم لذلك جعفر ،  
فدخل عليه أشجع وقال :

أمست خراسانُ تمزى بما أخطأها من جعفر المرتجى  
كان الرشيدُ المعتلى أمره ولى عليه المشرق الأبلج  
ثم أراه رأيه أنه أمسى إليه منهم أحوجا  
فكم به الرحمن من كربة فى مدة تقصر قد فرجا

فضحك جعفر وقال : لقد هونت على العزل ، وقت لأمير المؤمنين بالعدو ؛  
فسلنى ما شئت ، فقال : قد كفانى جودك ذلة السؤال ، فأمر له بألف  
دينار أخرى .

(١) الأروع : من يجبك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته .

## ١٣١ — أرى الأيام لا تدني الذي أرتجى \*

قال محمد بن أمية<sup>(١)</sup> : كنت جالساً بين يدي إبراهيم بن المهدي ، فدخل إليه أبو المتاهية ، وقد تنسك ولبس الصوف ، وترك قول الشعر إلا في الزهد . فرفعه إبراهيم ، وسر به ، وأقبل عليه بوجهه .

فقال له أبو المتاهية : أيها الأمير ؛ بلغني خبر فتى في ناحيتك ومن مواليك يعرف بابن أمية ، يقول الشعر ، وأنشدت له شعراً فأعجبني ، فما فعل ! فضحك إبراهيم ، ثم قال : لعله أقرب الحاضرين مجلساً منك .

فالتفت إلى فقال : أنت هو فديتك ؟ فقلت له : أنا محمد بن أمية جعلتُ فداءك ! وأما الشعر فإنما أنا شاب أعبتُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبثُ الشاب . فقال لي : فديتك ؛ ذاك والله زمانُ الشعر وإبانهُ ، وما قيل فيه فهو غررهُ وعيونه ، وما زال يُنشطني ويؤنسني حتى رأى أني قد أنستُ به .

ثم قال لإبراهيم بن المهدي : إن رأى الأمير — أكرمه الله — أن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر ! فقال لي إبراهيم : بحياتي يا محمد أنشده ، فأنشدته :

رُبَّ وعدٍ منك لا أنساه لي      أوجبَ الشكرَ وإن لم تفعلِ

\* الأغاني : ١١ — ٣٠ ( طبعة الساسي )

(١) محمد بن أمية كاتب شاعر ظريف ، كان نديماً لإبراهيم بن المهدي .

أَقْطَعُ الدَّهْرَ بظنِّ حسن      وَأَجَلِي غَمْرَةً مَا تَنْجَلِي  
كَلَّمْتُ يَوْمًا صَالِحًا      عَرَضَ الْمَكْرُوهُ لِي فِي أَمَلِي  
وَأَرَى الْأَيَّامَ لَا تُدْنِي الَّذِي      أُرْتَجِي مِنْكَ وَتَدْنِي أَجَلِي  
فَبَكَى أَبُو الْقَتَاهِيَةِ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُ عَلَى لَحْيَتِهِ ، وَجَمَلَ يَرُدُّ الْبَيْتَ  
الْأَخِيرَ مِنْهَا وَيَنْتَعِبُ ، وَقَامَ فَخَرَجَ وَهُوَ يَرُدُّهُ وَيَبْكِي ، حَتَّى خَرَجَ إِلَى  
الْبَابِ !



١٣٢ — حديث عن دُعبل \*

قال عمرو بن مَسْمَدَة : حضرتُ أبا دُلفَ عند المأمون - وقد قال له : أىُّ شيء تَرَوِي لأخى خُزاعة ؟ فقال : وأىُّ خُزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومنَ تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال : أمّا مِن أنفسهم ؛ فأبو الشَّيْص ودُعبل<sup>(١)</sup> وابن أبي الشَّيْص ، وداود ابن أبي رَزِين ؛ وأمّا من مواليتهم فطاهر وابنه عبد الله .

فقال : ومنَ عسى في هؤلاء أن يُسأل عن شعرة سوى دُعبل ! هات ؛ أى شيء عندك فيه ؟ فقال : وأىُّ شيء أقول في رجل لم يترك أهل بيته حتى هَجَّاهم ، فَقَرَنَ إحسانهم بالإساءة ، وبذلهم بالمنع ، وجودهم بالبخل ، حتى جمل كل حسنة منهم بإزاء سيئة ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطلب بن عبد الله ابن مالك - وهو أصدقُ الناسِ له ، وأقربُهم منه : وقد وفد إليه في مصر ، فأعطاه الجزيل ، وولَّاه ؛ ولم يمنعه ذلك أن قال فيه :

اضربْ نَدَى طَلْحَةٍ<sup>(٢)</sup> الطَّلَحَاتِ مُتَبِدِّأً      بلوأم مُطَلِّبٍ فیتا وكنْ حَكَا

\* الأغاني : ١٨ - ٤٤ ( طبعة الساسي )

(١) هو دُعبل بن علي بن رزين ، من خُزاعة . شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزراءهم ولا أولادهم ، ولا ذى نباهة ؛ أحسن إليه أو لم يحسن ، وتوفي سنة ٢٤٦ هـ . (٢) طلحة الطلحات : قيل اسمه طلحة بن عبد الله ، وإنه إنما سمي طلحة الطلحات بسبب أمه ، وهى صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ، وإن أباها طلحة بن الحارث ، فقد تكلفه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقد مدحه سحبان بن وائل الباهلي ، فقال :

ياطلح أكرم من مشى      حسباً وأعطاهم لتالد  
منك العطاء فأعطى      وعلى مدحك في الشاهد

فقال له طلحة : احكم ، فقال : برذونك الورد ، وغلامك الحجاز ، وقصرك الذى يمكن كذا ، وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أف لك ! سألتني على قدرك ولم تسألني على قدرى ! لو سألتني كل عبد وكل دابة وكل قصر لي لأعطيتك !

تَخْرُجُ خُرَازَةُ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ      فَلَا تَحْسِبْ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا  
فَقَالَ الْمَأْمُونُ : قَاتِلَهُ اللَّهُ ! مَا أَغْوَصَهُ وَالْطَفَهَ وَأَذْهَاهُ ! وَجَعَلَ يَضْحَكُ .  
ثُمَّ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْ شَيْءٍ تَحْفَظُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِذِعْبِلِ ؟  
فَقَالَ : أَحْفَظُ آيَاتًا لَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : هَاتِهَا ، وَيْحَكَ ! فَأَنْشَدَهُ  
عَبْدُ اللَّهِ قَوْلَهُ :

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الصَّبَابَاتِ      أَيَّامَ أَرْفُلٍ فِي أَثْوَابِ لَذَائِي  
أَيَّامَ غُصْنِي رَطِيبٌ مِنْ لَيَّانَتِهِ      أَصْبُو إِلَى غَيْرِ جَارَاتٍ وَكُنَّائِي <sup>(١)</sup>  
دَعَّ عَنْكَ ذِكْرَ زَمَانٍ فَاتَ مَطْلَبُهُ      وَاقْدِفْ بِرَحْلِكَ عَنْ مَتْنِ الْجَهَالَاتِ  
وَاقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَائِلُهُ      نَحْوَ الْهَدَاةِ بَنِي بَيْتِ الْكَرَامَاتِ  
فَقَالَ الْمَأْمُونُ : إِنَّهُ قَدْ وَجَدَ وَاللَّهِ مَقَالًا فَقَالَ ، وَنَالَ بِبَعِيدِ ذِكْرِهِ مَا لَا يَنَالُهُ  
فِي وَصْفِ غَيْرِهِمْ .

ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ أَحْسَنَ فِي وَصْفِ سَفَرٍ سَافِرَهُ ، فَطَالَ ذَلِكَ السَّفَرُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ فِيهِ :  
أَلَمْ يَأْنِ <sup>(٢)</sup> لِلسَّافِرِ الَّذِينَ تَحْمَلُوا      إِلَى وَطْنٍ قَبْلَ الْمَمَاتِ رَجُوعُ ؟  
فَقُلْتُ - وَلَمْ أُمْلِكْ سِوَابِقَ عِبْرَةٍ :      نَطَقَنْ بِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُ <sup>(٣)</sup>  
تَبَيَّنَ ! فَمَكَ دَارُ تَفَرُّقٍ شَمْلُهَا      وَشَمْلُ <sup>(٤)</sup> شَتَّتٍ عَادَ وَهُوَ جَمِيعُ  
كَذَاكَ اللَّيَالِي صَرَفُهَا <sup>(٥)</sup> كَمَا تَرَى      لِكُلِّ إِنَاسٍ جَذْبَةٌ وَرَبِيعُ <sup>(٦)</sup>  
ثُمَّ قَالَ : مَا سَافَرْتُ قَطُّ إِلَّا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ نَصَبَ عَيْنِي فِي سَفَرِي وَهَجْرِي  
وَمَسَلَّتِي حَتَّى أَعُودَ !

(١) الكنة : امرأة الابن أو الأخ (٢) يَأْنِ : يقرب ويحضر . والسفر : المسافرين  
(٣) العبرة : الدمعة ، وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق إلى الوطن والأهل (٤) الشمل :  
اجتماع من أمر أو ما تفرق منه ، والشئت : التفرق ، والجميع : المجتمع (٥) صرف الليالي :  
أحداثها . (٦) جذبة وربيع : حالنا خير وشر .

### ١٣٣ — دِعْبِلٌ عِنْدَ وَائِلِيٍّ مِصْرَ\*

قال دِعْبِلٌ بن علي : حججتُ أنا وأخي رَزِينُ ، وأخذنا كتباً إلى المطلبِ  
ابن عبدِ الله بن مالك ، وهو ممصر يتولّاها .

فصِرْنَا من مكة إلى مصر ، فصحبنا رجلٌ يعرف بأحمد بن السراج ، فما زال  
يحدثُنا ويؤنسنا طولَ طريقنا ، ويتولى خِدْمَتَنَا ، كما يتولّاها الرُّفقاء والأتباع ،  
ورأيناه حسنَ الأدب — وكان شاعراً ولم نعلم — وكَتَمْنَا نَفْسَهُ ، وقد علم ما قصدنا له ؛  
فعرضنا عليه أن يقول في المطلب قصيدةً نَنَحِّلُهُ إياها ، فقال : إن شئتم ، وأرانا  
بذلك سروراً وتقبُّلاً له ، فعملنا قصيدة ، وقلنا له تُنَشِّدُها المطلب ، وإنك تنتفع بها ،  
قال : نعم .

ووردنا مِصْرَ به ، فدخلنا إلى المطلب ، وأوصلنا إليه كتباً كانت معنا ،  
وأنشدناه ، فسرَّ بموضعنا ووصفنا له أحمد بن السراج هذا ، وذكرنا له أمره ،  
فأذن له ، فدخل عليه ، ونحن نظنُّ أنه سَيُنَشِّدُ القصيدة التي نَحْنُلَاهُ إياها ، فلما مثل  
بين يديه عدلَ عنها وأنشده :

لم آت مُطَلِّباً إِلَّا بِمَطْلَبٍ      وَهَمَّةٍ بَلَغَتْ بِي غَايَةَ الرَّتَبِ  
أَفْرَدْتُهُ بِرَجَاءِ أَنْ تَشَارَكَهُ      فِي الْوَسَائِلِ أَوْ الْقَاهِ فِي الْكُتُبِ<sup>(١)</sup>  
رَحَلْتُ عَيْسَى إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَلَى      مَا كَانَ مِنْ وَصَبٍ فِيهَا وَمِنْ نَصَبٍ

\* الأغاني : ١٨ — ٤٧ ( طبعة الساسي ) .

(١) قال دعبل : أشار بهذا إلى الكتب التي أوصلتها إليه وهي بين يديه ، فكان ذلك أنشد  
على من كل شيء مر بي .

أَلْقَى بِهَا وَبَوَّجَهَا كُلَّ هَاجِرَةٍ (١)      نَكَادُ تَقْدَحُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَصَبِ  
 حَتَّى إِذَا مَا قَضَتْ نَسْكَى ثَنِيَّتُهَا (٢)      عِطْفَ (٣) الزُّمَامِ فَأَمَّتْ سَيِّدَ الْعَرَبِ  
 فَأَمَّتْكَ (٤) وَقَدْ ذَابَتْ مَفَاصِلُهَا      مِنْ طَوْلِ مَا نَعَبَ لَاقَتْ وَمِنْ نَقَبِ (٥)

فصاح مُطَلَّب : لبيك لبيك ! ثم قام إليه ، فأخذه بيده وأجلسه معه ، وقال :  
 يا غلام ؛ البدر (٥) فأحضرت ، ثم قال : الخَلَمُ ، فنشرت ، ثم قال : الدواب ،  
 فقيدت ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا ، وحسدناه عليه ؛ وكان  
 حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر ، وغيظنا بكتمه إيانا نفسه واحتياله  
 علينا أكثر وأعظم ، فخرج بما أمر له ، وخرجنا صِفْراً .

قال الراوى : ومكث دعبل أياماً ، ثم ولّاه المطلب أسوان ، ولكن دعبلا  
 كان قد هجاه غيظاً منه فقال :

أَمَطَّلَبُ أَنْتَ مُسْتَعَذِبٌ      مُحَيَّا (٦) الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْتَلُ  
 سَتَاتِيكَ إِمَّا وَرَدْتَ الْعِرَاقَ      صَحَائِفُ يَأْتِرُهَا دِيعِبِلُ  
 مُنَمَّقَةٌ بَيْنَ أَثْنَاهَا      نَحَازِ نَحْطُ فَلَا تَرَحَّلُ  
 وَضَعْتَ رَجَالًا فَضَرَّهُمْ      وَشَرَّفْتَ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبُلُوا (٧)  
 إِذَا الْحَرْبُ كُنْتَ أَمِيرًا لَهَا      فَخَظَّمْ مِنْكَ أَنْ يُقْتَلُوا  
 شِيعَارُكَ فِي الْحَرْبِ يَوْمَ الْوَعَى      إِذَا انْهَزَمُوا : عَجَّلُوا عَجَّلُوا !

(١) الهاجرة : لأنها تكون في القيظ نصف النهار  
 أمه وأمه بمعنى قصده (٤) قب البعير ؛ إذا حنى  
 عشرة آلاف (٦) الحيا من كل شيء : شدته  
 (٢) عطف الشيء : جانبه (٣) يقال :  
 (٥) البدر : جمع بدره ( بفتح الباء ) وهي  
 (٧) روى هذا البيت :  
 وقدمت قوما فلم ينبلوا

هَازِمُكَ الْفُرُّ مشهورة يُقَرِّطِسُ<sup>(١)</sup> فِيهِنَّ مَنْ يَنْضِلُ  
فَأَنْتَ إِذَا مَا اتَّقَوْا آخِرُ وَأَنْتَ إِذَا انْهَزَمُوا أَوَّلُ<sup>(٢)</sup>

و بلغ المطلب هجاؤه إياه بعد أن ولّاه ؛ فعزله عن أسوان ، وأنفذ إليه كتاب  
العزل مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل  
الكتاب إليه ، وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر ، واصعد مكانه ؛ فلما أن علا  
المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب ، فقال له دِعْجِل : دعني أخطب فإذا نزلت  
قرأته ، قال : لا ، قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه . فقرأه ، وأنزله عن المنبر  
معزولا .

---

(١) قرطس : أصاب القرطاس ، أى الغرض (٢) قال دعبل : قال لى المطلب : ما تفكرت في  
قولك قط :

إن كاثرونا جثنا بأسرته أو واحدونا جثنا بمطلب  
إلا كنت أحب إلى ، ولا تفكرت والله في قولك لى :  
وعاديت قوماً فما ضرهم وقدمت قوماً فلم ينبلوا  
إلا كنت أبغض الناس لى .

## ١٣٤ — دِعْبِلُ وَعَلَى الرضا \*

قال دِعْبِلُ بن علي : دخلتُ على علي بن موسى الرضا — عليه السلام فقال لي :  
أُنشدني شيئاً مما أحدثتَ ، فأنشدته <sup>(١)</sup> :

مدارسُ آياتٍ خلَّتْ من تلاوةٍ      ومنزلٍ وحيٍ مُقْفِرٍ المرصّاتِ <sup>(٢)</sup>  
لآلِ رسولِ الله بالخيفِ من منى      وبالرُّكنِ والتَّعْرِيفِ ، والجمراتِ  
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرٍ      وحمزة والسجّاد ذِي الثِّفَنَاتِ <sup>(٣)</sup>

حتى انتهيتُ إلى قولي :

بنفسى أتمُّ من كهولٍ وفتيةٍ      لفكٌ عُنَاةٍ <sup>(٤)</sup> أو لحملٍ دِيَاتِ  
أحبّ قصي الرّحْم من أجل حبِّكم      وأهجرُ فيكم أُسْرَتِي وبناتِي  
وأكنتمُ حُبِّيكمُ مخافةً كاشحٍ      عنيدٍ لأهلِ الحقِّ غيرِ مُؤَاتِ  
لقد حَفَّتِ الأيَّامُ حولي بشرّها      وإني لأرجو الأمنَ بعد وفاتِي  
ألم ترَ أنّي من ثلاثين حِجَّةً      أروحُ وأغدو دائم الحسراتِ  
أرى فيهم في غيرهم متقسّما      وأيديهم من قِيَّيْهم صَفِرَاتِ

\* الأغاني : ١٨ — ٤٢ ( طبعة الساسي ) ، معجم الأدباء ١١ ، ١٠٨

(١) تمد هذه القصيدة من أحسن الشعر وفاخر المدائح (٢) المرصات : جمع عرصة : وسط الدار ، والمعنى أنه لا أنيس بها (٣) يمدد أسماء آل البيت ، وذو الثفّنات علي بن الحسين بن علي ، وسمى بذلك ، لأن طول السجود أثر في ثفّناته ، والثفنة من الإنسان : الركبة (٤) العناة : جمع عان ، وهو الأسير .



قَالَ رَسُولُ اللَّهِ نَحَفُ جُسُومُهُمْ وَآلُ زِيَادٍ حُفْلُ الْقَصَرَاتِ<sup>(١)</sup>  
 إِذَا وَتَرُوا<sup>(٢)</sup> مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ أَكْفًا عَنِ الْأُوتَارِ مِنْقَبِضَاتٍ  
 فَبَكَى حَتَّى أَغْمَى عَلَيْهِ ، وَأَوْمَأَ إِلَى خَادِمٍ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ : أَنْ اسْكُتْ ، فَسَكَتَ  
 سَاعَةً . ثُمَّ قَالَ لِي : أَعِدْ ، فَأَعَدْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا ، فَقَالَ لِي : أَحْسَنْتَ ،  
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ مِمَّا ضُرِبَ بِاسْمِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ وَقْتُ  
 لِأَحَدٍ بَعْدَ ، وَأَمَرَ لِي مَنْ فِي مَنْزِلِهِ بِحُلِيِّ كَثِيرٍ أَخْرَجَهُ الْخَادِمُ إِلَى .  
 فَقَدِمْتُ الْمَرَّاقَ ، فَبَيْعْتُ كُلَّ دَرَاهِمٍ مِنْهَا بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ ، اشْتَرَاها مِنِّي الشَّيْخَةُ ،  
 فَحَصَلْ لِي مِائَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَالٍ اعْتَقَدْتُهُ<sup>(٣)</sup> .

قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ : ثُمَّ اسْتَوْهَبَ دِغْبَلٌ مِنَ الرِّضَا ثَوْبًا قَدْ لَبَسَهُ لِيَجْعَلَهُ فِي  
 أَكْفَانِهِ ، فَخَلَعَ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، وَبَلَغَ أَهْلَ قَوْمِ خَبْرُهَا ، فَسَأَلُوهُ  
 أَنْ يَبِيعَهُمْ إِيَّاهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ لَمْ يَفْعَلْ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ ، فَأَخَذُوهَا  
 مِنْهُ غَضَبًا ، وَقَالُوا لَهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْخُذَ الْمَالَ فَافْعَلْ ، وَإِلَّا فَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ لَهُمْ :  
 إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا طَوْعًا ، وَلَا تَنْفَعُكُمْ غَضَبًا ، وَأَشْكُوكُمْ إِلَى الرِّضَا ؛ فَصَالَحُوهُ  
 عَلَى أَنْ أُعْطَوْهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، وَفَرَدَ كُفْرًا مِنْ بَطَاتِهَا ، فَرَضَى بِذَلِكَ !

(١) القصرات : جمع قصرة (بالتحريك) وهي أصل العنق ، وحفل : ممتلئة ، والمعنى أن أعناقهم  
 مملوءة غلظة من طول العيم (٢) الوتر : الثار ، أو الظلم فيه ، والقصود : أنهم إذا اعتدى  
 عليهم لا يستطيعون رد الاعتداء (٣) اعتقدته : اقتنيته .

## ١٣٥ — سَجِّدُوا لِشِعْرِهِ !\*

حدث دِعْبِلُ الشاعر : أنه اجتمع هو ومُسلم وأبو الشَّيْص<sup>(١)</sup> وأبو نُوَاس في مجلس ، فقال لهم أبو نواس : إن مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه ، ولهذا اليوم مابعد ، فليأت كل واحد منكم بأحسن ما قال فليُنشده ، فأنشد أبو الشَّيْص :

وَقَفَ الهوى بى حيثُ أنتِ فليس لى متأخر عنه ولا متقدّم  
أجد الملامّة فى هوائكِ لذيدة حبّاً لذكرك فليُلمني اللّوم  
وأهنتني فأهنتُ نفسى صاغراً ما من يهون عليك من يُكرّم!  
أشبهت أعدائى فصرتُ أحبهم إذا كان حظّى منك حظّى منهم  
فجعل أبو نواس يعجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينقضى عجه ، ثم أنشد مسلم أبياتاً من شعره الذى يقول فيه :

فأقسمتُ أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع  
فقطتُ بأيديها ثمارَ نحرها كأيدى الأسارى أثقلتها الجوامع<sup>(٢)</sup>  
قال دِعْبِلُ : فقال لى أبو نواس : هات أبا على ، وكأنى بك قد جئتنا بأم  
القلادة فأنشدته :

أينَ الشبابُ ؟ وأيّة<sup>(٣)</sup> سلكا ؟ أم أين يطالب ؟ ضلّ بَلْ هلكا

\* العقد الفريد : ٤ - ٢ ، مهذب الأغاني : ٧ - ٢٢٤ ، ديوان مسلم : ٢٠٩ ( طبعة أوربا ) .  
(١) هو محمد بن رزين عم دعبل ، كان من شعراء عصره ، متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر  
لوقوعه بين شعراء كانوا أكثر منه شهرة . توفى سنة ١٩٦ هـ (٢) جمع جامعة : وهى الغل ؛  
لأنها تجمع البدين إلى الضيق (٣) أى أية سبيل .

لا تَعَجِّبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى  
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ صَبْرُكَ يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكَ !  
لا تَطْلُبَا بظُلَامَتِي<sup>(١)</sup> أَحَدًا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْتَرَا

ثم سألنا أبا نواس أن يُنشد ، فأنشد :

لا تَبْكِ هَندًا وَلَا تَطْرُبِ إِلَى دَعْدٍ وَاشْرَبِ عَلَى الْوَرْدِ<sup>(٢)</sup> مِنْ حَمَاءِ كَالْوَرْدِ  
كَأَسًا إِذَا انْحَدَرَتْ فِي كَفِّ شَارِبِهَا أَخَذَتْ بِحَمْرَتِهَا فِي الْعَيْنِ وَالْخَدِّ  
فَالْخمرُ يَا قُوْتَهُ ، وَالْكَأْسُ لَوْلُوْتُهُ فِي كَفِّ جَارِيَةِ مَمْشُوقَةِ الْقَدِّ  
تَسْقِيكَ مِنْ عَيْنِهَا خمرًا وَمِنْ يَدِهَا خمرًا ، فَمَا لَكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ  
لِي نَشُوتَانِ وَلِلنَّدَمَانِ وَاحِدَةٌ شَيْءٌ خَصَصْتَ بِهِ مِنْ يَدِنِهِمْ وَحْدِي  
فَقَامُوا كُلُّهُمْ ، فَسَجَدُوا ! فَقَالَ : أَفَعَلْتُمُوهَا أَعْجَمِيَّةٌ ؟ لَا كَلْتُمْ ثَلَاثًا .

(١) الظلامه : ما احتمله من الظلم ، والمراد هنا موته عشقاً من أثر النظر بعينه والحب بقلبه

(٢) الورد : الماء الذي يورد .

## ١٣٦ — إنما الدنيا أبو دلف !\*

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أقسم على من حضرَ مِنَّ يحفظُ قصيدةَ عليّ ابنِ جبلة<sup>(١)</sup> الأعمى في القاسم<sup>(٢)</sup> بن عيسى ألا أنشدَها ؛ فقال بعضُ الجلساء : قد أقسم أميرُ المؤمنين ، ولا بدَّ من إبرارِ قسمه ، وما أحفظُها ، ولكنها مكتوبة عندى . قال : قم فجتني بها . فمضى وأتاه بها ، وأنشده :

ذادَ ورَدَ الفىُّ عن صدرِه	وارعَوَى واللَّهُوُ من وطَرِه
وأبَتَ إلا البـــــــــــــــــكاء له	ضحكات الشيب في شعرِه
ندمى أن الشباب مَضَى	لم أبْلَفْه مَدَى أشرِه <sup>(٣)</sup>
حَسَرْتُ <sup>(٤)</sup> عَسْنَى بِشاشَتِه	وذَوَى الحمودُ من ثمرِه
ودِمِ أهدرتُ من رَشَاٍ <sup>(٥)</sup>	لم يَرِدْ عَقْلًا <sup>(٦)</sup> على هَدَرِه

\*\*\*

دَعْ جَدَا قحطان أو مُضِرِّ	في يمانِيهِ ، وفي مُضِرِّه
وامتدَحْ من وائلٍ رجلاً	عُصْرُ الآفاق من عُصرِه

\* الأغاني : ٨ - ٢٥٩ ( طبعة دار الكتب ) .

- (١) عليّ بن جبلة ، ويلقب بالعكوك : شاعر مطبوع عذب اللفظ ، لطيف المعاني ، مداح حسن التصرف ، استنفذ شعره في مدح أبي داف العجلي وأبي عامر الطوسي ، وزاد في تفضيل أبي دلف ؛ حتى فضله على أهل مصر كلهم . أسخط المأمون وكان سبباً في تعذيبه . توفي سنة ٢١٣ هـ .
- (٢) كنيته أبو دلف ، وكان محله في الشجاعة وعلو المثل عند الخلاء وعظم الفناء في المشاهد وحسن الأدب وجودة الشعر محلاً لم يكن لأحد من نظرائه (٣) أشر ( كفرح ) : مرح
- (٤) حسرت : انكفشت (٥) الرشا : ( في الأصل ) ولد الظبي (٦) العقل : الدية .

الْمَنَايَا فِي مَقَانِيهِ<sup>(١)</sup> وَالْعَطَايَا فِي ذَرَا حُجَرِهِ  
 مَلِكٌ تَنْدَى أَنَامِلُهُ كَانِبَلَاجِ النَّوْءِ عَنْ مَطَرِهِ  
 مُسْتَهْلٌ عَنْ مُوَاهِبِهِ كَابْتِسَامِ الرُّوْضِ عَنْ زَهْرِهِ  
 جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاكِبُهُ أُمِنَتْ عَدْنَانُ فِي نَفَرِهِ  
 إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ<sup>(٢)</sup> بَيْنَ مَبْدَأِهِ وَمُحْتَضَرِهِ  
 فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ  
 كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَضَرِهِ  
 مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرُمَةٌ يَكْتَسِيهَا يَوْمَ مُفْتَخَرِهِ

ففضب المأمون، واغتاظ، وقال: لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه.  
 ثم قال: اطلبوه حيث كان؛ فطلب فلم يقدر عليه. ولما اتصل به الخبر هرب إلى  
 الجزيرة، فكتب إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة إلى الشام، وظفروا به  
 هناك، وأخذ وحمل إلى المأمون.

ولما وصل إليه سبه، وقال له: أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَضَرِهِ  
 مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرُمَةٌ يَكْتَسِيهَا يَوْمَ مُفْتَخَرِهِ

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه! فقال له: يا أمير المؤمنين؛ أنتم أهل بيت

(١) المقاب: جمع مقنب؛ وهو جماعة الخيل تغير (٢) قيل: إنه بينا أبو دلف يسير مع  
 معقل مرا بقصر، فأشرفت منه جاريتان، فقالت إحداها للآخرى: هذا أبو دلف الذي يقول فيه  
 الشاعر: «إنما الدنيا أبو دلف»، فقالت الأخرى: أو هذا؟ قد والله كنت أحب أن أراه منذ  
 سمعت ما قيل فيه، فالتفت أبو دلف إلى معقل، فقال: ما أنصفنا علي بن جبلة ولا وفينا حقه، وإن  
 ذلك لمن كبير همي، وكان قد أعطاه ألف درهم.

لا يُقَاسُ بِكُمْ أَحَدٌ ؛ لأن الله جلَّ وعزَّ فضلكم على خلقه ، واختاركم لنفسه ، وإنما  
عنيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانه ، فقال : والله ما استثنيت أحداً ،  
ولست استحلّ دمك لذلك ، ولكني أستحله بقولك وكفرك في شرك ، حيث تقول  
القول الذي أشركت فيه :

أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مَنَازِلَهَا      وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ  
وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرْفٍ إِلَى أَحَدٍ      إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ  
كَذَبْتَ . . . مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، الْمَلِكُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ،  
ثُمَّ أَمْرٌ بِعِقَابِهِ !



## ١٣٧ - مِدْحَة شاعر وعِطِيَة أمير\*

قال علي بن جبلة : زرتُ أبا دُلْفٍ بالجبل<sup>(١)</sup> ، فكان يُظهر من إكرامِي  
وبرِّي والتحفِي<sup>(٢)</sup> بي أمراً مفرطاً ، حتى تأخرت عنه حيناً حياءً ؛ فبعث إلى مَعْقِلَ  
ابن عيسى ، فقال : يقول لك الأمير : قد انقطعت عني ، وأحسبك استقلتَ برِّي  
بك ، فلا يفضيئك ذلك فساوِده فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعني إلا  
إفراطه في البر ، وكتبتُ إليه :

هَجَرْتُكَ لَمْ أَهْجُرْكَ مِنْ كَفْرِ نِعْمَةٍ      وَهَلْ يُرْتَجَى نَيْلُ الزِيَادَةِ بِالْكَفْرِ !  
وَلَكِنِّي لَمْ أَتِيكَ زَائِراً      فَأَفْرَطْتَ فِي بَرِّي عَجَزْتُ عَنْ الشُّكْرِ  
فَمِلَّانَ<sup>(٣)</sup> لَا آتِيكَ إِلَّا مُسَلِّماً      أَزُورُكَ فِي الشَّهْرَيْنِ يَوْمًا أَوْ الشَّهْرِ  
فَإِنْ زِدْتَنِي بَرًّا تَزِيدْتُ جَفْوَةً      وَلَمْ تَلْقِنِي طَوْلَ الْحَيَاةِ إِلَى الْحُشْرِ !  
فَلَمَّا قَرَأَهَا مَعْقِلُ اسْتَحْسَنَهَا ، وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ! أَمَا إِنْ الْأَمِيرَ لَتَعْجِبُهُ  
هَذِهِ الْمَعَانِي .

فلما أوصلها إلى أبي دُلْفٍ قال : قاتله الله ! ما أشعره وأدقَ معانيه ! وأعجبته  
وأجابني لوقته - وكان حسن البديهة حاضر الجواب :

أَلَا رَبَّ ضَيْفٍ طَارِقٍ قَدْ بَسَطَتْهُ      وَأَنْسَتْهُ قَبْلَ الضِّيَافَةِ بِالْبُشْرِ

\* الأغاني : ٧ - ٢٥٦ ( طبعة دار الكتب )

(١) بلاد الجبل : مدن بين أذربيجان والعراق

(٢) تحنى به : بالغ في إكرامه

(٣) يريد فن الآن .

أتاني يرجيني فما حال دونه      ودون القرى والعرف من نائلي سترى  
وجدت له فضلاً على بقصده      إلى ، وبراً زاد فيه على برى  
فزودته مالا يقل بقاءه      وزودني مدحاً يدوم على الدهر  
وبعث إلى بالآيات مع وصيف له ،      وبعث إلى بألف دينار ؛ فقلت حينئذ :  
إنما الدنيا أبو دلف      بين مبداه ومحتضره

## ١٣٨ - بين أبي تمام وعبد الله بن طاهر\*

لما شَخَصَ أبو تمام<sup>(١)</sup> إلى عبدِ الله بن طاهر<sup>(٢)</sup> وهو بخراسان ، أقبل الشتاء وهو هناك : فاستنقل البلد ، وكان عبد الله وجد<sup>(٣)</sup> عليه ، وأبطأ بجائزته ؛ لأنه نثر عليه ألف دينار ، فلم يمسسها بيده ترفعاً عنها ، فقال : يحقر فعلى ، ويرفع على ! فكان يبعث إليه بالشىء بعد الشىء كالقوت . فقال أبو تمام :

لم يبقَ للصيفِ رسمٌ ولا طَلَلٌ ولا قشيبٌ فيستكسى ولا سَمَلٌ<sup>(٤)</sup>  
عدلٌ من الدمع أن يبكي المصيفَ كما يُبكي الشبابُ ويُبكي اللهُو والغزلُ  
يمنى الزمانِ انقضى معروفها وغدتْ يُسراه وهى لنا من بعدها بدَلٌ

فبلغت الأبيات أبا العميث شاعر آل طاهر ، فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبد الله

ابن طاهر .

ثم دخل إلى عبد الله فقال : أيها الأمير ؛ أتهاون بمثل أبى تمام ، وتجنفوه ! فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره ، والإحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره ، والتوقى لدمه يُوجبُ على مثلك رعايته ومراقبته ،

\* الأغاني : ١٥ - ١٠٢ ( طبعة الساسي )

- (١) هو حبيب بن أوس ، ولد بالشام ثم انحدر إلى مصر ، فروى الأدب وأتقن الشعر ، ثم سار إلى بغداد فمدح الخليفة وغيره ، وارتفع ذكره وتقدم على شعراء عصره ومات سنة ٢٣١ هـ .  
(٢) عبد الله بن طاهر : ولد سنة ٢٨١ هـ في خلافة الرشيد ونشأ نشأة مجيدة ، ثم نشأ في كنف المأمون حيث كان أبوه من أكبر قواده . ثم حل عند المأمون بعد وفاة أبيه محله ، وكان كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات إليه . وكان عبد الله أيضاً ظريفاً شاعراً مترسلاً جيد الغناء . تولى سنة ٢٣٨ هـ (٣) وجد عليه : غضب (٤) السمل : الثوب الخلق .

فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السكن شفيح ! وقد قصدك عاقداً بك أمله ، مُعَمِّلاً إليك ركابَه ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك مايلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ، ولو لم يأت بفائدة ولا سُمِعَ فيك منه ما سُمِعَ إلا قوله .

يَقُولُ فِي قَوْمِسِ<sup>(١)</sup> صَحْبِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ الشَّرَى وَخُطَا الْمَهْرِيَّةِ<sup>(٢)</sup> الْقَوْدِ<sup>(٣)</sup> أَمَطَّامَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَوْثَمَ بِنَا ؟ فَقُلْتُ : كَلَّا ! وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ لَكُنْفِي ! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ لَقَدْ نَبَّهْتُ فَأَحْسَنْتَ ، وَعَاثَبْتُ فَأَوْجَعْتُ ، وَلَكِ وَلَآبِي تَمَامُ الْعُتْبَى<sup>(٤)</sup> . ادْعُهُ يَا غِلَامَ مَدْعَاهُ . فَنَادَاهُ يَوْمَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِأَلْفِي دِينَارٍ وَمَا يَحْمِلُهُ مِنَ الظَّهْرِ ، وَخَافَ عَلَيْهِ خِلْمَةُ تَامَةٍ مِنْ ثِيَابِهِ ، وَأَمَرَ بِبَذْرِ قَتِهِ<sup>(٥)</sup> إِلَى آخِرِ عَمَلِهِ .

---

(١) قَوْمِس : إقليم في طبرستان (٢) الإبل المهرية : تنسب إلى مهرة : حى في العرب .  
 (٣) القود : جمع أقود وهو الطويل الضيق (٤) أعتبه : سره بعد ما ساءه ، والاسم العتبي  
 (٥) البزقة : الخفازة .

١٣٩ — لا يهجنك من بصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبدول \*

ارتاح محمد<sup>(١)</sup> بن عبد الله بن طاهر يوماً للمنادمة ، وقد حضره ابن طالوت ، وكان وزيره وأخص الناس به وأحضرهم لخلواته ، فأقبل عليه ، وقال : لا بد لنا اليوم من ثالث تطيب لنا به المعاشرة ، وتلد بمنادمته الموانسة ؛ فمن ترى أن يكون ؟ وأعفنا أن يكون شرير الأخلاق ، أودنس الأعراق ، أو ظاهر الإملاق .

قال ابن طالوت : فأعملت الفكر ، وقلت : أيها الأمير ؛ خطر ببالى رجل ليس علينا من مجالسته مثونة ، وقد برئ من إبرام<sup>(٢)</sup> المجالسين ، وخلا من ثقل اللوانسين ، خفيف الوطأة إذا أذنته ، سريع الوثبة إذا أمرته .

قال : ومن ذلك ؟ قلت : مانى<sup>(٣)</sup> الموسوس . قال : أحسنت والله ! فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب الشرطة ؛ فصار به إلى الأمير ، فأخذ ونظف وأدخل الحمام ، وألبس ثياباً نظافاً ، وأدخل عليه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، فقال محمد : وعليك السلام يا مانى . أما آن لك أن تزورنا على حين توفان منا إليك ، ومنازعة قلوب منا نحوك ؟ فقال : الشوق شديد ، والحب عتيد ، والمزار بعيد ، والحجاب صعب ، والبواب فظ ؛ ولو سهل لنا فى الإذن لسهلت علينا الزيارة !

\* الأغاني : ٢٠ - ٨٥ ( طبعة الساسى ) المسعودى : ٢ - ٢٤٥

(٢) توفى سنة ٢٥٣ هـ وذلك فى خلافة المعتز . وكان من الجود والكرم وغزارة الأدب ما لم يكن عليه أحد من نظرائه (٢) أبرمه : أمه (٣) مانى الموسوس : اسمه محمد بن القاسم ، شاعر لبن الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلا فى الغزل ، ومانى لقب غلب عليه .

فقال : أَلَطَفْتَ فِي الاسْتِئْذَانِ ، فَلْيَلْطَفْ لَكَ فِي الْإِذْنِ ؛ لَا يَمْنَعُ مَانِي أَيَّ وَقْتٍ  
وَرَدَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ .

ثُمَّ أُذِنَ لَهُ فِي الْجُلُوسِ فَجَلَسَ ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ ، وَأَخَذَ  
مَجْلِسَهُ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ تَشَوَّقَ إِلَى السَّمَاعِ مِنْ مَوْئِنَةِ جَارِيَةِ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ فَأَحْضَرَتْ ،  
فَكَانَ أَوَّلُ مَا غَنَتْ بِهِ :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ - إِذْ غَدَوَا فَتَحَمَلُوا - دَمُوعِي عَلَى الْخَدَيْنِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ  
وَقَوْلِي وَقَدْ زَالَتْ بِلَيْلِ جَهْلِي بَوَاكِرُ تُحَدِّدِي : لَا يَكُنْ آخِرَ الصِّدْقِ  
فَقَالَ مَانِي : أَحْسَنْتِ ! وَبِحَقِّ الْأَمِيرِ إِلَّا مَا زِدْتِ فِيهِ :

وَقَدَّتْ أَنَا جِي الْفِكْرَ وَالْدَمْعُ حَاطِرٌ عَمَلَةٌ مَوْقُوفٌ عَلَى الضَّرِّ وَالْجَهْدِ<sup>(١)</sup>  
وَلَمْ يُعَذِّنِي هَذَا الْأَمِيرُ بِمَذَلِهِ عَلَى ظَالِمٍ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ وَالصَّدِّ  
فَانْدَفَعْتُ تَغْنِيَهُ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : أَعَاشِقُ أَنْتِ ؟ فَاسْتَحْيَا ، وَغَمَزَهُ ابْنُ طَالُوتَ  
أَلَّا يَبُوجَ لَهُ بَشْيٌ فَيَسْقُطَ مِنْ عَيْنِيهِ ، وَقَالَ : مَبْلَغُ طَرْبٍ وَشَوْقٍ كَانَ كَأَمْنًا فَظَهَرَ ؛  
وَهَلْ بَعْدَ الشَّيْبِ صَبَوَةٌ !

ثُمَّ اقْتَرَحَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَوْئِنَةِ هَذَا الصَّوْتِ :

حَجَّبُوهَا عَنِ الرِّيحِ لِأَنِّي قُلْتُ : يَارِيحُ بَلْفِيهَا السَّلَامَا  
لَوْ رَضُوا بِالْحِجَابِ هَانَ وَلَكِنْ مَنَعُوهَا عَنِ الرِّيحِ الْكَلَامَا  
فَفَنَنْتُهُ ؛ فَطَرْبُ مُحَمَّدٍ ، وَدَعَا بِرَطْلِ فَشْرَبَ ، فَقَالَ مَانِي : مَا عَلَى قَائِلِ هَذَا الشَّعْرِ  
لَوْ زَادَ فِيهِ :

---

(١) الضَّرُّ : سُوءُ الْحَالِ ، وَالْجَهْدُ : الْمَشَقَّةُ .



فَتَنَفَّسْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ لَطِيفِي : آهَ إِنْ زُرْتَهُ طَيْفَهَا إِمَامَا  
خُصَّهُ بِالسَّلَامِ مِنْ فَاخِشَى يَمْنَعُوهَا لِشَقْوَتِي أَنْ تَنَامَا  
لَكَانَ أَثَقَبَ <sup>(١)</sup> لَزَنْدِ الصَّبَابَةِ بَيْنَ الْأَحْشَاءِ ، وَأَشَدَّ تَفْلُلاً إِلَى الْكَبَدِ <sup>(٢)</sup>  
الْصَادِيَةِ مِنْ زَلَالِ الْمَاءِ ، مَعَ حَسَنِ تَأْلِيفِ نَظْمِهِ ، وَالْإِتِّهَادِ بِالْمَعْنَى إِلَى نِهَايَةِ تَمَامِهِ ؛  
فَقَالَ مُحَمَّدٌ : أَحْسَنْتَ ! ثُمَّ أَمْرٌ مُؤَنِّسَةٌ بِالْحَاقِمَتَيْنِ الْأُولَيْنِ ، وَالْفَضَاءَ بِهِمَا ،  
فَفَعَلْتُ . ثُمَّ غَنَتُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

يَا خَلِيلِي سَاعَةً لَا تَرِيْمَا <sup>(٣)</sup> وَعَلَى ذِي صَبَابَةٍ فَأَفِيْمَا  
مَا مَرَّرَنَا بِدَارِ زَيْنَبٍ إِلَّا هَتَكَ الدَّمْعُ سِرَّانَا الْمَكْتُومَا  
فَاسْتَحْسَنَهُ مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ مَانِي : لَوْلَا رَهْبَةُ التَّعْدِي لِأَضْفَتِ إِلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ  
يَتَيْنِ لَا يَرِدَانِ عَلَى سَمْعِ ذِي أُبٍ فَيَصْدِرَانِ إِلَّا عَنْ اسْتِحْسَانٍ لِهَمَا ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ :  
يَا مَانِي ؛ الرِّغْبَةُ فِي حَسَنِ مَا تَأْتِي بِهِ حَائِلَةٌ دُونَ كُلِّ رَهْبَةٍ ، فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ !  
فَقَالَ :

ظُبِيَّةٌ كَالْمَلَالِ لَوْ تَلَحَّظَ الصَّخْرُ رَ بَطَرْفٍ لِفَادَرَتُهُ هَشِيمَا  
وَإِذَا مَا تَبَسَّمَتْ خِلَتْ إِيْمَا ضَ بُرُوقٍ أَوْ لَوْلُؤًا مَنْظُومَا  
فَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا مَانِي ! فَأَجِزْ <sup>(٤)</sup> هَذَا الشَّعْرُ :

لَمْ تَطْلُبِ اللَّذَاتِ إِلَّا بِمَنْ طَابَتْ بِهَا اللَّذَاتِ مَانُوسَه  
غَنَتُ بِصَوْتِ أَطْلَقْتُ عَابِرَةً كَانَتْ بِسَجْنِ الصَّبْرِ مَحْبُوسَه  
فَقَالَ مَانِي :

وَكَيْفَ صَبَرَ النَّفْسَ عَنْ غَادَةٍ أَظْلَمَهَا إِنْ قُلْتُ : طَاوُسَه !

(١) ثَقَبَتِ النَّارُ : انْقَدَتِ . وَالزَنْدُ : الْعُودُ الَّذِي يَقْدَحُ بِهِ الْإِثَارَ وَهُوَ الْأَعْلَى (٢) الْكَبَدُ : مُؤَنِّسَةٌ  
وَقَدْ تَذَكَّرَ (٣) لَا تَرِيْمَا : لَا تَبْرَحَا (٤) الْإِجَازَةُ فِي الشَّعْرِ : أَنْ تَمَّ شَعْرٌ غَيْرُكَ .

وَجُرْتُ إِنْ شَبَّهْتُهَا بِأَنَّهُ<sup>(١)</sup> فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ مَفْرُوسُهُ  
وغيرُ عدلٍ إِنْ عدَلْنَا بِهَا جَوْهَرَةً فِي الْبَحْرِ مَفْمُوسَةٌ  
ثُمَّ سَكَتَ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ : مَا عَدَا فِي وَصْفِهِ لَهَا ، فَقَالَ مَانِي :

جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ فَمَا فِكْرَةٌ تُلْحِقُهَا بِالنِّعَةِ مُحْسُوسَةٌ  
فَقَالَ مُحَمَّدٌ : أَحْسَنْتَ ! فَقَالَتْ مُؤَنِّسَةٌ : وَجِبَ شُكْرُكَ يَا مَانِي . نَسَاءُ عَدَاكَ  
الْدَّهْرُ ، وَعَظْفٌ عَلَيْكَ إِيْلَفُكَ ، وَقَارَنُكَ سُرُورُكَ ، وَفَارَقَكَ مَحْذُورُكَ ، وَاللَّهُ يُدِيمُ  
لَنَا ذَلِكَ بِيَقَاءٍ مِنْ بِهِ اجْتَمَعَ شَمْلُنَا ، فَقَالَ لَهَا مَانِي - عِنْدَ قَوْلِهَا : « وَعَظْفٌ عَلَيْكَ  
إِيْلَفُكَ » - مَجِيبًا :

لَيْسَ لِي إِيْلَفٌ فَيُعْطِنِي فَارَقْتُ نَفْسِي الْأَبَاطِيلُ  
أَنَا مُوَصُولٌ بِنِعْمَةٍ مِنْ حَبْلِهِ بِالْمَجْدِ مُوَصُولٌ  
أَنَا مَغْبُوطٌ بِنِعْمَةٍ مِنْ طَبْعِهِ بِالْمَجْدِ مَأْمُولٌ  
فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ ابْنُ طَالُوتَ بِالْقِيَامِ فَهَضَّ ، وَهُوَ يَقُولُ :

مَلِكٌ قَلَّ النَّظِيرُ لَهُ زَانَهُ الْفُرِّ الْبَهَائِيلُ  
طَاهِرِيُّ فِي مَوَاقِبِهِ عُرْفُهُ فِي النَّاسِ مَبْذُولُ

فَقَالَ مُحَمَّدٌ : وَجِبَ جَزَاؤُكَ لِشُكْرِكَ عَلَى غَيْرِ نِعْمَةٍ سَبَقَتْ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ابْنِ  
طَالُوتَ ، فَقَالَ : لَيْسَتْ خَسَاسَةُ الْمَرْءِ ، وَلَا اتِّضَاعُ دَهْرِهِ ، وَلَا نُبُوُّ الْعَيْنِ عَنِ الظَّاهِرِ  
بِمُذْهَبٍ مَا رَكِبَ فِيهِ مِنَ الْأَدَبِ ، وَمَا أَخْطَأَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ حِينَ يَقُولُ .

لَا يَمُجِّبُكَ مِنْ يَصُونُ ثِيَابَهُ خَوْفَ الْغُبَارِ وَعَرْضُهُ مَبْذُولُ  
فَلَرَبِّمَا افْتَقَرَ الْفَتَى فِرَاقَهُ دَنَسِ الثِّيَابِ وَعَرْضُهُ مَفْسُورُ

فَلَمْ يَزَلْ مُحَمَّدٌ يُجَرِّيَا عَلَيْهِ رِزْقَهُ حَتَّى تَوَفَّى !

(١) الْبَانُ : ضَرْبٌ مِنَ الشَّجَرِ .

## ١٤٠ — سِمْيَاءُ\*

سُمِّيَ بِأَبِي الْحَسَنِ <sup>(١)</sup> عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعُلَوِيِّ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَقِيلَ لَهُ : إِنْ فِي مَنْزِلِهِ سِلَاحًا وَكُتُبًا وَغَيْرَهَا مِنْ شَيْئَةٍ ، فَوَجِّهْ إِلَيْهِ لَيْلًا مَنْ هَجَمَ عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ عَلَى غَفْلَةٍ يَمْنَنُ فِي دَارِهِ ، فَوُجِدَ فِي بَيْتٍ وَحْدَهُ ، مَظْلُوقٍ عَلَيْهِ ، وَعَلَيْهِ مِذْرَعَةٌ <sup>(٢)</sup> مِنْ شَعْرِ ، وَلَا بَسَاطَ فِي الْبَيْتِ إِلَّا الرَّمْلُ وَالْحَصَى ، وَعَلَى رَأْسِهِ مِأْخَفَةٌ <sup>(٣)</sup> مِنَ الصُّوفِ . مُتَوَجِّهًا إِلَى رَبِّهِ يَتَرَنَّمُ بآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ .

فَأَخَذَ عَلَى مَا وَجِدَ عَلَيْهِ ، وَحَمَلَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ؛ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالْمُتَوَكِّلُ يَشْرَبُ ، وَفِي يَدِهِ كَأْسٌ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ أَغْظَمَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِهِ شَيْءٌ مِمَّا قِيلَ فِيهِ ، وَلَا حَالُهُ يُتَعَلَّلُ عَلَيْهِ بِهَا ؛ فَنَازِلَهُ الْمُتَوَكِّلُ الْكَأْسَ الَّتِي فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا خَاسِرَ لَحْمِي وَدَمِي قَطْ ! فَأَعْفَنِي مِنْهُ ، فَأَعْفَاهُ ، وَقَالَ : أَنْشِدْنِي شِعْرًا أَسْتَحْسِنُهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَقَلِيلُ الرَّوَايَةِ لِلْأَشْعَارِ ؛ فَقَالَ : لَا يَدُ أَنْ تَنْشِدَنِي فَأَنْشِدْهُ :

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ      عُلْبُ <sup>(٥)</sup> الرِّجَالِ فَمَا أَغْنَتْهُمُ الْقُلَلُ  
وَأَسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عَزٍّ مِنْ مَعَالِقِهِمْ      فَأَوْدَعُوا حُفْرًا ، يَا بَنَسَ مَا نَزَلُوا !

\* ابن خلكان : ١ - ٣٢٢

(١) هو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان مولده بالمدينة ، وأقام بها ، ولما كثرت السعاية به عند المتوكل قله إلى سر من رأى فأقام بها ٢٠ سنة . وتوفي سنة ٢٥٤ هـ .

(٢) المِذْرَعَةُ : نوع من الثياب (٣) المِأْخَفَةُ : اللباس فوق سائر اللباس يتقى به البرد كالصوف

(٤) العُلْبُ : جمع أغلب وهو الشجاع ، وأصل الأغلب : الأسد .

ناداهم صارخ من بعد ما قُبِرُوا : أين الأسرة والتيجان والحلل !  
 أين الوجوه التي كانت منعمة من دونها تُضرب الأستار والكِلَل !  
 فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم : تلك الوجوه عليها الدود يقتتل  
 قد طالما أكلوا دهنأ وما شَبِعُوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا  
 وطالما عَمَرُوا دُوراً لتحصنهم ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا  
 وطالما كنزوا الأموال وادَّخَرُوا فخلفوها على الأعداء وارتحلوا  
 أضحت منازلهم قفراً معطلة وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا  
 فأشفق من حضر على علي ، وظنوا أن بادرة تبدر منه إليه ، ولكن المتوكل  
 بكى بكاء طويلاً ، حتى بليت دموعه لحيته وبكى من حُضره ، ثم أمر برفع الشراب ،  
 وقال : يا أبا الحسن ؛ أعليك دين ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار ! فأمر بدفعها إليه ،  
 وردّه إلى منزله من ساعته مكرماً .

## ١٤١ — أشعر من بالشام ومن بالعراق \*

دخل أبو نصر المنذرى على أبي العلاء<sup>(١)</sup> الممرى فى جماعة من أهل الأدب ؛  
فأنشد كل واحد من شعره ما تيسر ، وأنشده أبو نصر :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاء مضاعفُ الفيثِ العميم  
نزلنا دَوْحَهُ<sup>(٢)</sup> فَحَنَّا علينا حُنُوَّ الوالداتِ على الفَطِيمِ  
وأرشفنا على ظمِ زُلالاتِ<sup>(٣)</sup> أَلَذَّ من المُدامةِ<sup>(٤)</sup> للنديمِ  
يَصُدُّ الشمسَ أنى واجهتنا فيحبُّها ويأذُنُ للنسيمِ  
بروع<sup>(٥)</sup> حَصَاهُ حَالِيَةَ<sup>(٦)</sup> المذارى فتلس جانب العقْدِ النّظيمِ

فقال أبو العلاء : أنت أشعر من بالشام .

ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد ، فدخل المنذرى عليه فى جماعة من أهل الأدب  
ببغداد ، وأبو العلاء لا يعرف منهم أحداً ، فأنشد كل واحد منهم ما حضره من شعره ،  
حتى جاءت نوبة المنذرى فأنشده :

لقد عرض الحمامُ لنا بِسَجْعٍ إذا أضفى له رَكْبٌ تلاحى<sup>(٧)</sup>

\* المستطرف : ١ - ٤٦ .

(١) أبو العلاء الممرى : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التبوخى الممرى الضرير الفيلسوف المؤلف  
نشأ بالمعرة ، ودرس على أبيه وأهله صبيّاً ، ثم على علماء حلب وأعلى الشام حتى صار عالماً فى الاشتهار ،  
ثم ذهب إلى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها ، ومكث فيها فلم يطب له العيش فرجع إلى منزله ولم  
يخرج منه . وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ (٢) الدوح : جم دوحه : الشجرة المظلمة من أى  
شجر كان (٣) ماء زلال : عذب (٤) المدامة : الخمر (٥) بروع : يفرع (٦) حليت  
للرأة : صارت ذات حلى ، فهى حلية وحالية (٧) تلاحى : تنازع .

شجى<sup>(١)</sup> قلب الخلى فليل : غنى وبرح<sup>(٢)</sup> بالشجى<sup>(٣)</sup> فليل : نأحا  
وكم للشوق فى أأشاء صبر إذا اندملت أجد لها جراحا  
ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى وسكران الفؤاد وإن تصاحى  
بذاك بنو الهوى سكرى صعاة كأحداق المأ مرضى صحاحا  
فقال أبو العلاء : ومن بالعراق : ( عطفأ على قواه : من بالشام<sup>(٤)</sup> ) !

---

(١) شجاء : أأربه (٢) برح به الأمر : جهده (٣) الشجى : الحزين .  
(٤) المعروف أن الأيات الأولى لمحدونه الأندلسية .



١٤٢ — ابن جاح ينشد المعتضد بن عباد شعره \*

ورد ابن جاح الشاعر على المعتضد بن عباد ، فدخل الدار المخصوصة بالشعراء فسألوه ، فقال : إني شاعر ! فقالوا : أنشدنا من شعرك ؛ فأنشدهم شعراً ضحكوا منه وازدروا .

فقال بعض عقلائهم : دعوه ، فإن هذا شاعر ، وما يبعد أن يدخل مع الشعراء ويندرج في سلكهم ؛ فلم يبالوا كلام الرجل .

فبقى معهم ، وكان لهم في تلك الدولة يومٌ مخصوص ، لا يدخل فيه على الملك غيرهم ، فقال بعضٌ لبعض : هذه شُئمةٌ <sup>(١)</sup> بنا أن يكون مثلُ هذا البادى يُقدِّم علينا ، ويجترئ على الدخول .

فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان ، وقدروا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ، ويكون ذلك حسماً لعله إقدام مثله عليهم .

فلما كان اليوم المذكور ، وقعد السلطان في مجلسه ، ونُصِبَ الكرسي لهم ، رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم في ذلك اليوم ، فأمر بذلك فصعد الكرسي ، وانتظروا أن ينشد مثل ذلك الشعر المضحك ، فقال :

قَطَّفتَ يا يومَ النوى أكبادى      وحرمت عن عيني لذيذ رُقَادى  
وتركتنى أرعى النجوم مَسَّهَداً      والنَّارُ تُضرمُ في صميم فُؤادى

\* نفع الطيب : ٢ - ٤٦٨

(١) الشاعة : الفظاعة ، والأسم الشئمة .

فـكأنما آلى الظلامُ أليَّةً      لا ينبجلى إلا إلى ميمـاد  
ولرب خرق<sup>(١)</sup> قد قطعت نياطه      والليل يرقلُ في ثياب حـداد  
بشِـمْلَةٍ<sup>(٢)</sup> حَرَفٍ<sup>(٣)</sup> كأنَّ ذَمِيلَهَا      سَرَحٌ<sup>(٤)</sup> الرياح ، وكلُّ برق غادى  
والنجمُ يحدوها وقد ناديتها :      ياناقتي عُوجى على عَبَّادِ  
ملك إذا ما أُضْرِمَت نار الوغى      وتلاقت الأجناد بالأجناد  
فترى الجسوم بلا رموس تنثنى      وترى الرؤوس لَقَى<sup>(٥)</sup> بلا أجساد  
يأيها الملك المؤملُ والذي      قُدُماً سِما شرفاً على الأنداد  
إن القريض لكاسدٌ في أرضنا      وله هنا سوقٌ بغير كساد  
فجلبت من شعري إليك قوافياً      يَفْنَى الزمان وذِكْرُها متمادى  
مِنْ شاعِرٍ لم يضطلع أدباً ولا      خَطَّتْ يداها صحيفةً بمداد  
فقال له الملك : أنت ابن جاح ؟ فقال : نعم ! فقال : اجلس ، فقد وليتك رئاسةَ  
الشعراء ، وأحسن إليه ، ولم بأذن في الكلام في ذلك لأحدٍ بعده !

(١) الحرق : القفر والأرض الواسعة (٢) الشملة : السريضة (٣) الحرف : الناقة الضامرة  
(٤) سرح الرياح : لإرسالها (٥) اللقى : ما طرح .

## البَابُ الرَّابِعُ

---

في القصص التي تسرد بارع ملّحهم ، ورائع طرفهم ،  
في جواباتهم المسكتة ، وتصرفاتهم الحكيمة ، وتخلصاتهم  
اللبقة ، مما يدل على حضور الذهن وسرعة البديهة ،  
وشدة المارئة .

## ١٤٢ - حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالنَّابِغَةُ \*

قال حسان بن ثابت : قدمتُ على النعمانِ بن المنذر وقد امتدحتهُ ، فأتيتُ حاجبه عَصَامَ بن شَهْرٍ فجلستُ إليه ، فقال : إني لأرى عرباً ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم قال : فكن قحطانياً ، قلت : فأنا قحطاني ، قال : فكن يثربياً ، قلت : فأنا يثربي ، قال : فكن خَزْرَجِيّاً ، قلت : فأنا خزرجي ، قال : فكن حسانَ ابن ثابت . قلت : فأنا هو !

قال : أَجِئْتَ بِمَدْحَةِ الْمَلِكِ ؟ قلت : نعم ، قال : فإني أُرِيدُكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ ، فإنه يسألك عن جَبَلَةِ بن الأيهم ويسئبه ، فأياك أن تساعدَه على ذلك ، ولكن أَمِرٌ ذِكْرَه إصراراً لا توافقُ فيه ولا تخالف ، وقل : مادخولُ مثلي أيُّها الملك بينك وبين جَبَلَةٍ وهو منك وأنت منه ! وإن دعاك إلى الطعام فلا تؤاكله ، فإن أقسم عليك فأصِيبْ منه اليسيرَ إصابتَ بآرٍ قَسَمه ، متشرفٍ بمؤاكلته ، لا أكلَ جائعٍ سَفِيبٌ<sup>(١)</sup> ، ولا تُطِلْ مُحَادَثَتَه ، ولا تبدوهُ بإخبارٍ عن شيء حتى يكونَ هو السائل لك ، ولا تُطِلْ الإقَامَةَ في مجلسه .

فقلت : احسن الله رِفْدَكَ ! قد أَوْصَيْتَ واعيأ . ودخل ، ثم خرجَ إلى فقال لي : ادْخُلْ ، فدخلتُ فَسَلَّمْتُ وَحَيَّيتُ تَحِيَّةَ الْمُلُوكِ .

ثم جرى بيني وبينه في شأن جَبَلَةَ ما قاله عصام كأنه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرني ، ثم استأذنتُهُ في الإنشاد فأذن لي ؛ فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلت ما أمرني عَصَامُ به ، وبالشراب ففعلت مثل ذلك ، فأمر لي بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ وخرجت .

\* الأغاني : ٩ - ١٦٤ ( طبعة الساسي )

(١) السفب : الجوع ؛ ولا يكون إلا مع تعب .

فقال لى عصام : بَقِيْتُ عَلَى وَاحِدَةٍ لَمْ أُوصِكَ بِهَا ، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ النَّابِغَةَ <sup>(١)</sup> الذِّبْيَانِي قَدِمَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا قَدِمَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُ جَظٌّ سِوَاهُ ، فَاسْتَأْذَنَ حِينَئِذٍ وَانصَرَفَ مَكْرَمًا ؛ فَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْصَرِفَ تَجْفُؤًا .

فَأَقَمَتْ بِيَابَهُ شَهْرًا ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ فَزَارِيَانُ كَانَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النِّعْمَانِ دُخْلًا <sup>(٢)</sup> ، وَكَانَا مَعَهُمَا النَّابِغَةُ قَدْ اسْتَجَارَ بِهِمَا ، وَسَأَلَهُمَا مَسْأَلَةَ النِّعْمَانِ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمَا قَبَّةً مِنْ أَدَمَ ، وَلَمْ يَشْعُرَا أَنَّ النَّابِغَةَ مَعَهُمَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا بِطِيبٍ وَالطَّافِ مَعَ قَيْنَةٍ مِنْ إِمَائِهِ ، فَكَانَا يَأْمُرَانِهَا أَنْ تَبْدَأَ بِالنَّابِغَةِ قَبْلَهُمَا ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِلنِّعْمَانِ ، فَعَلِمَ أَنَّ النَّابِغَةَ ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهَا شَعْرَهُ :

\* يَادَارِمِيَّةُ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسِّنْدِ \*

وَسَأَلَهَا أَنْ تُغْنِيَهُ بِهِ إِذَا أَخَذَتْ فِيهِ الْحَرَّ ، فَفَعَلَتْ ، فَأَطْرَبَتْهُ ، فَقَالَ : هَذَا شَعْرُ النَّابِغَةِ .

ثُمَّ خَرَجَ فِي غَيْبٍ <sup>(٣)</sup> سَمَاءَ ، فَعَارَضَهُ الْفَزَارِيَانُ وَالنَّابِغَةُ بَيْنَهُمَا قَدْ خَضِبَ بِحَنَاءَ ، فَأَقْنَأُ <sup>(٤)</sup> خَضَابَهُ ، فَلَمَّا رَأَى النِّعْمَانُ قَالَ : هِيَ بِدَمٍ كَانَتْ أُخْرَى أَنْ تُخَضِبَ ! فَقَالَ الْفَزَارِيَانُ : أَيْتُ اللَّعْنِ ! لَا تَثْرِيبَ ! قَدْ أَجْرَنَاهُ وَالْعَفْوُ أَجْلٌ ، فَأَمَّنَهُ وَاسْتَنْشَدَهُ أَشْعَارَهُ .

قَالَ حَسَانُ : فَحَسَدْتُهُ عَلَى ثَلَاثٍ لَا أُدْرِي عَلَى أَيَّتِهِنَّ كُنْتُ لَهُ أَشَدَّ حَسَدًا ؛ عَلَى إِدْنَاءِ النِّعْمَانِ لَهُ بَعْدَ الْمُبَاعَدَةِ ، وَمُسْلَمَتِهِ لَهُ وَإِصْفَائِهِ إِلَيْهِ ؟ أَمْ عَلَى جَوْدَةِ شَعْرِهِ ؟ أَمْ عَلَى مَائَةِ بَعِيرٍ مِنْ عَصَافِيرِهِ <sup>(٥)</sup> أَمْرٌ لَهُ بِهَا ؟

(١) هُوَ زَبَادُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، مِنْ ذِيَّانٍ مِنْ قَيْسٍ ، وَهُوَ مِنَ الْأَشْرَافِ الَّذِينَ غَضَّ الشَّعْرَ مِنْهُمْ كَمَا غَضَّ مِنْ أَمْرِ الْقَيْسِ ، مَدَحَ النِّعْمَانُ صَاحِبَ الْحَيْرَةِ وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ مَلِكَ الْفَسَّاسَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَنَزَلَةٌ كَبِيرَى عِنْدَ شُعْرَاءِ عَصْرِهِ ، فَإِذَا جَاءَ عَكَازُ ضَرَبُوا لَهُ قَبَّةً مِنْ جِلْدٍ وَجَاءَ الشُّعْرَاءُ يَنْشُدُونَهُ أَشْعَارَهُمْ (٢) دَخَلَ : خَاصَةً (٣) غَيْبَ سَمَاءَ : أَيُّ بَعْدَ أَنْ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ (٤) أَقْنَأُ خَضَابَهُ : سَوَدَهُ (٥) الْعَصَافِيرُ : الْإِبِلُ كَانَتْ لِلْمَنْذَرِ تَتَخَذُ نَجَائِبَ لِلْمُلُوكِ .

## ١٤٤ — أية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية ! \*

رَافِقَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سِيرِهِ ؛  
ثُمَّ انْتَهَوْا جَمِيعًا إِلَى مَجْلِسٍ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَإِذَا مَشَايِخُ لَهُمْ أَقْدَارٌ وَهَيْئَاتُ .  
فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ — وَكَانَ مُقَدِّمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ — فَسَلَّمَ وَقَالَ : تَمَنَّي الْقَوْمَ ؟ قَالُوا : مِنْ  
شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ ، يَا أَبِى  
أَنْتَ وَقَوْمِي ! لَيْسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ عِزٍّ فِي قَوْمِهِمْ ، وَهَؤُلَاءِ غُرُرٌ فِيهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ  
مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو ، وَهَانِيُّ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ ، وَالنَّعْمَانُ بْنُ شَرِيكَ ؛ وَكَانَ  
مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو قَدْ غَلَبَهُمْ جَهَالًا وَلِسَانًا ، وَكَانَتْ لَهُ غَدِيرَتَانِ <sup>(١)</sup> تَسْقُطَانِ عَلَى صَدْرِهِ ،  
فَكَانَ أَدْنَى الْقَوْمِ مَجْلِسًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : كَيْفَ الْعَدَدُ فِيكُمْ ؟  
فَقَالَ لَهُ : إِنَّا لَنَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ ، وَلَنْ تُغْلِبَ أَلْفٌ مِنْ قَلَّةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ الْمَنْعَةُ  
فِيكُمْ ؟ فَقَالَ : عَلَيْنَا الْجَهْدُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ جَدٌّ <sup>(٢)</sup> . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَكَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ  
وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ ؟ فَقَالَ : إِنَّا أَشَدُّ مَا نَكُونُ لِقَاءَ حِينَ نَغْضِبُ ، وَإِنَّا لَنُؤَثِّرُ الْجِيَادَ عَلَى  
الْأَوْلَادِ ، وَالسَّلَاحَ عَلَى اللَّقَاحِ <sup>(٣)</sup> ، وَالنَّصْرَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ يُدِيلُنَا مَرَّةً ، وَيُدِيلُ عَلَيْنَا <sup>(٤)</sup>  
مَرَّةً ، لَعَلَّكَ أَخُو قُرَيْشٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ كَانَ بَلَاغُكُمْ أَنَّهُ رَسُولُ فَهَاهُو ذَا .  
فَقَالَ مَفْرُوقٌ : قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّهُ يَذْكُرُ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَجَلَسَ ،

\* ابن كثير : ٣ — ١٤٤ ، الروض الأنف : ١٠ — ٢٦٤

(١) الفديرة : الذؤابة (٢) الجدد : الحظ (٣) اللقوح : اللاقة الحلوب ، وجمعها لقاح .

(٤) يريد ، نغلب مرة ، ويغلبنا العدو مرة .



وقام أبو بكر يُظَلِّه بثوبه ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله ، وأن تؤوؤوني وتنصروني ، حتى أؤدّي عن الله الذى أمرنى به ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله ، وكذّبت رسوله ، واستغفنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد » .

قال مفروق : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى <sup>(١)</sup> : « قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِبَائُهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ؛ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

فقال مفروق : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى <sup>(٢)</sup> : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

فقال مفروق : دعوت الله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك <sup>(٣)</sup> قوم كذبوك وظاهروا عليك - وكأنه أحب أن يشركه في الكلام هانى بن قبيصة - فقال : وهذا هانى بن قبيصة شيخنا .

(١) سورة الأنعام ١٥١ ، وما بعدها .

(٢) سورة النحل ٩٠ وما بعدها .

(٣) أفك : كذب

فقال هانى : قد سمعتُ مقالَتَكَ يا أخا قريش ، وصدقتُ قولك ، وإني أرى  
أنَّ تزكنا ديننا ، واتباعنا دينك لِمَجْلَسِ جَلَسْتَهُ إلينا ليس له أولٌ ولا آخر - زَلَّةٌ في  
الرأى ، وطيشةٌ في العقل ، وقلةٌ نظري في العاقبة ؛ وإنما تكون الزَّلَّةُ مع المجلة ،  
وإن من ورائنا قوماً نكرهه أن نَمَقِدَ عليهم عقداً ، ولكن ترجعُ ونرجعُ ، وتنظرُ  
وتنظرُ - وكأنه أحبُّ أن يشركه في الكلام المثنى بن حارثة - فقال : وهذا  
المثنى شيخنا وصاحبُ حرَبنا . .

فقال المثنى : قد سمعتُ مقالَتَكَ ، واستحسنْتُ قولك يا أخا قريش ، وأعجبني  
ما تكلمتَ به ؛ والجواب هو جواب هانى بن قبيصة ، فإننا إنما نزلنا الصَّريين<sup>(١)</sup> :  
اليمامة والسَّمامة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هذان الصريان ؟  
فقال له : أما أحدهما فطفوف<sup>(٢)</sup> البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس  
وأناه كسرى ، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذهُ علينا كسرى ألا نُحدِثَ حدثاً ، ولا  
نُؤوى محدثاً ، ولعلَّ هذا الأمر الذى تدعوننا إليه مما تكرهه الملوك ؛ فأما ما كان  
مما يلي بلاد العرب فذنبُ صاحبه مَغْفُورٌ ، وعذره مقبول ، وأما ما كان مما يلي بلاد  
فارس فذنبُ صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فإن أردت أن ننصرَكَ  
ونمنعَكَ مما يلي العرب فعلنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أسأتمُ  
الرد إذ أفصَحْتُم بالصدق ؛ إنه لا يقومُ بدين الله إلا مَنْ حاطه من جميع  
جوانبه » .

(١) كل ماء مجتمع صرى ، وتثنيته صريان ، ويروى : « نزلنا بين صيرين فقال رسول الله : وما  
هذان الصيران ؟ قال : مياه العرب وأناه كسرى » . والصير : الماء الذى يحضره الناس . لسان  
العرب - مادة صرى (٢) طفوف : جمع طف ؛ وهو ساحل البحر وجانب البر .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرايتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم أتسبّحون الله وتقدّسونه؟ » فقال له الذممان بن شريك : اللهم وإنّ ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً » .

ثم نهض قابضاً على يدي أبي بكر ، والتفت إلى علي وقال . يا علي ؛ أية أخلاق للعرب كانت في الجاهلية ! ما أشرفها ! بها يتحاجزون في الحياة الدنيا .

## ١٤٥ — مسلم يَحْتَالُ عَلَى قُرَيْشٍ\*

أسلم الحجاج<sup>(١)</sup> بن عِلاطِ السَّهْمِيِّ ، ولم تعلم قُرَيْشٌ بِإِسْلَامِهِ ؛ فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيْبَرَ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَكَّةَ ، فَيَأْخُذَ مَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ — وَكَانَتْ لَهُ أَمْوَالٌ مُتَفَرِّقَةٌ هُنَاكَ ، وَهُوَ رَجُلٌ غَرِيبٌ بَيْنَهُمْ — فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي أَحْتَاجُ أَنْ أَقُولَ<sup>(٢)</sup> . قَالَ : فَقُلْ ؛ فَصَارَ إِلَى مَكَّةَ .

فَقَالَتْ قُرَيْشٌ : هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ عِنْدَهُ الْخَبْرُ . قَالَ : فَقُولُوا . فَقَالُوا : بَلَّغْنَا أَنَّ الْقَاطِعَ<sup>(٣)</sup> قَدْ خَرَجَ إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ : نَعَمْ ! فَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ قَتْلًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، وَأَخَذُوهُ أَسِيرًا ، وَقَالُوا : نَرَى أَنَّ نُكَارِمَ<sup>(٤)</sup> بِهِ قُرَيْشًا ؛ فَندفعه إليهم ؛ فَلَا تَزَالُ لَنَا هَذِهِ الْيَدُ فِي رِقَابِهِمْ ، وَإِنَّمَا بَادَرْتُ لَجْعِ مَالِي ؛ لَعَلِّي أَصِيبُ بِهِ مِنْ قَلٍّ<sup>(٥)</sup> مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَيْهِ التَّجَارُ ، وَيَتَّصِلَ بَيْنَهُمُ الْحَدِيثُ .

فاجتهدوا في أَنْ يَجْعُوا إِلَيْهِ مَالَهُ أَسْرَعَ جَمْعٍ ، وَسُرُّوا أَكْثَرَ السُّرُورِ ، وَقَالُوا : بَلَا رُغْمَ<sup>(٦)</sup> !

وَأَتَاهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ كَالْمَرْأَةِ الْوَالِيَةِ<sup>(٧)</sup> ، فَقَالَ : وَنَحْكُ يَا حَجَّاجُ !

### \* الكامل للمبرد : ١ — ٢٠٧

(١) وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ، فأسلم (٢) يريد : أقول على جهة الاحتيال (٣) يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم البار الواصل رحمه ، وكانوا يرمونه — سفهاً — بالقاطع ، أى القاطع رحمه (٤) كآرمه : غلبه في الكرم (٥) يريد من غنائم ذلك القل (٦) وقالوا بلا رغم : يريد وفعلوا ذلك بلا كره ، الصرب تجعل القول عبارة عن الفعل ، وتطلقه على غير الكلام (٧) الواله : ذهاب العقل والتحير من شدة الوجد ، ويقال امرأة والاه ورجل والاه .

ما تقول ؟ فقال : أ كاتمٌ عليّ خبري ؟ فقال : إى والله ، فقال : فالبث<sup>(١)</sup> عليّ شيئاً حتى يخفّ موضعي .

ثم سار إليه ، فقال له : الخبرُ والله على خلاف ما قلتُ لهم ؛ خلقتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فتح خيبر ، وخلقتُهُ والله مُعْرِضاً بابنة ملكهم<sup>(٢)</sup> ، وما جئتُك إلا مسلماً ؛ فاطورِ الخبر ثلاثاً ، حتى أعجز<sup>(٣)</sup> القومَ ، ثم أشعهُ ، فإنه والله الحق .

فقال العباس : ويحك ! أحقُّ ما تقول ؟ قال : إى والله . فلما كان بعد ثلاثة تخلّق<sup>(٤)</sup> العباسُ وأخذ عصاه ، وخرج يطوف بالبيت ؟ فقالت قريش : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلّدُ ، فقال : كلا ومن حلقتُم به ، لقد فتح رسول الله خيبر ، وأُغرِسَ بابنة ملكهم ! فقالوا : مَنْ أتاكَ بها الحديث ؟ فقال : الذي أتاكم بخلافه ، ولقد جاءنا مسلماً .

ثم أتت الأخبار من النواحي بذلك ! فقالوا : أفلتنا الخبيث ، أولى له<sup>(٥)</sup> !

---

(١) امكث ، وهو يريد اصبر (٢) يريد صفية بنت حيي بن أخطب (٣) أعجز القوم : صيرهم عاجزين (٤) التخلّق : الطيّب ، وتخلّق : طاب ثوبه به (٥) أولى له : كلمة تهديد وتوعد

## ١٤٦ — إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه \*

جاء أعرابي<sup>(١)</sup> إلى علي رضي الله عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتك . وإن أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك ؛ فقال له عليّ : خطبها في الأرض ؛ فإني أرى الضر عليك . فكتب : إني فقير . فقال : يا قنبر<sup>(١)</sup> اكسّه حُلتي !

فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حُلّةً تبلى محاسنها	فسوف أكسوك من حسن الثنا حُللاً
إيه أبا حسنٍ قد نلت مكرمةً	ولست تبقي بما قدّمته بدلاً !
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه	كالغيث يحيي نداء السهل والجبل
لا تزهد الدهر في عرفٍ بدأت به	كل أمرئ سوف يجزي بالذي فعلا

فقال عليّ : يا قنبر ؛ زده مائة دينار ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لو فرقتها في المسلمين لأصلحت بها من شأنهم ! فقال عليّ : صه يا قنبر ؛ فإني سمعت النبي يقول : اشكروا لمن أثنى عليكم ، وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه !

\* أدب السياسة : ١٧٦ ، المستطرف : ٢ - ٢٤٤

(١) قنبر : مولى علي رضي الله عنه .



## ١٤٧ — ما رأيته لاحي أحداً إلا غلبه \*

قال عبد الله بن عمر : كنتُ عند أبي يومًا ، وعنده نفرٌ من الناس ، فجرى ذكر الشعر ، فقال : مَنْ أَشْعَرُ العرب ؟ فقالوا : فلان وفلان . فطلع عبد الله بن عباس ، فسلم وجلس ، فقال عمر : قد جاءكم الخبير ؟ من أشعر الناس يا عبد الله ؟ قال : زهير بن أبي سلمى ، قال : فَأَنْشِدْنِي مما تستجيده له ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه مدح قوما من غطفان ، يقال لهم بنو سنان فقال :

لو كان يَقْعُدُ فوقَ الشَّمْسِ من كَرَمٍ	قومٌ بأولهم أو تَجِدُهُم قَعْدُوا
قومٌ ، سنانٌ أبوهم حينَ تَنَسَّبُهُمْ <sup>(١)</sup>	طابوا وطاب من الأولاد ما وَلَدُوا
إنْسٌ إذا أَمِنُوا ، جِنٌّ إذا فَرَّعُوا	مُرَزَّوون <sup>(٢)</sup> بهاليل <sup>(٣)</sup> إذا جَهَدُوا <sup>(٤)</sup>
مُحْسَدُونَ <sup>(٥)</sup> على ما كان من نهم	لا يَنْزِعُ اللهُ مِنْهُم مَّالَهُ حُسِدُوا

فقال عمر : والله لقد أحسن ! وما أرى هذا المدح يصلحُ إلا لهذا البيت من هاشم ؛ لقرابتهم من رسول الله .

فقال ابنُ عباس : وفقك الله يا أمير المؤمنين ، فلم تزل مَوْفَقًا .

فقال عمر : أتدرى يا ابنَ عباس ما منع الناسَ منكم ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين !

\* ابن أبي الحديد : ٣ - ١٠٧ ، تاريخ الطبري : ٥ - ٣٠

(١) نسبه ينسبه : ذكر نسبه ، وسأله أن ينتسب (٢) المرزءون : الكرماء

(٣) البهلول : السيد الجامع لكل خير (٤) جهد - كنع : جد واجتهد (٥) حسده :

تمنى أن تتحول إليه نعمته .

قال : لَكِنِّي أَدْرِي ، قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : كَرِهْتُ قُرَيْشٌ أَنْ تَجْتَمِعَ لَكُمْ النُّبُوَّةُ وَالْخِلَافَةُ فَتُجَحِّفُوا<sup>(١)</sup> النَّاسَ جَحْفًا ؛ فَنَظَرْتُ قُرَيْشَ لَأَنْفُسِهَا فَاخْتَارْتُ ، وَوَفَّقْتُ فَأَصَابَتْ .

فقال ابنُ عباس : أَيُضِيطُ أمير المؤمنين عَنِ غَضَبِهِ فَيَسْمَعُ ؟ قال : قل ما تشاء . قال : أَمَا قَوْلُ أمير المؤمنين : إِنْ قُرَيْشًا كَرِهَتْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِقَوْمٍ : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ » . وَمَا قَوْلُكَ : إِنْ كُنَّا نَجْحَفُ ، فَلَوْ جَحَفْنَا بِالْخِلَافَةِ جَحْفًا بِالْقِرَابَةِ ، وَلَكُنَّا قَوْمٌ أَخْلَقْنَا مُشْتَقَّةً مِنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ، الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » . وَقَالَ لَهُ : « وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : فَإِنْ قُرَيْشًا اخْتَارَتْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ » .

وقد علمتَ يا أمير المؤمنين أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ لَذَلِكَ مَنْ اخْتَارَ ، فَلَوْ نَظَرْتُ قُرَيْشَ مِنْ حَيْثُ نَظَرَ اللَّهُ لَهَا لَوُفِّقْتُ وَأَصَابْتُ .

فقال عمر : عَلَى رِسْلِكَ<sup>(٢)</sup> يَا بَنَ عَبَّاس ! أَبْتَ قُلُوبَكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ إِلَّا غَشَا فِي أَمْرِ قُرَيْشَ لَا يَزُولُ ، وَحَقْدًا عَلَيْهَا لَا يَحُولُ .

فقال ابنُ عباس : مَهَلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَنْسَبُ قُلُوبَ بَنِي هَاشِمٍ إِلَى الْغَشِّ ؛ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ مِنْ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي طَهَّرَهُ اللَّهُ وَزَكَّاهُ ، وَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » .

وَأَمَّا الْحَقْدُ ؛ فَكَيْفَ لَا يَحْقِدُ مَنْ غَضِبَ شَيْئُهُ ، وَيَرَاهُ فِي يَدِ غَيْرِهِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ :

(١) أَجْحَفَ بِهِ : ذَهَبَ (٢) عَلَى رِسْلِكَ : عَلَى مَهْلِكِ .

ما أنت يا ابن عباس ؟ فقد بلغني عنك كلامٌ أكره أن أخبرك به ، فتزول منزلتُك عندي ! قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ أخبرني به فإنَّ يكُ باطلاً فثلي أماط الباطلَ عن نفسه ، وإنَّ يكُ حقاً فإنَّ منزلتي عندك لا تزول به ! قال : بلغني أنك لا تزال تقول : أخذَ هذا الأمرَ حسداً وظلماً .

قال : أما قولك يا أمير المؤمنين : « حسداً » : فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة ، فنحن بنو آدم المحسود ، وأما قولك : « ظلماً » فأمر المؤمنين يعلمُ صاحب الحقَّ مَنْ هو !

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ألم تحتجَّ العربُ على العجم بحق رسول الله ، واحتجَّت قريش على سائر العرب بحق رسول الله ، فنحن أحقُّ برسول الله من سائر قريش .

فقال له عمر : قم الآن فارْجِعْ إلى منزلك . فقام ، فلما ولى هتَفَ به <sup>(١)</sup> عمر : أيها المنصرف ؛ إني على ما كان منك لرايع حقك . فالتفت ابن عباس فقال : إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله . فمن حفظه لحق نفسه حفظ ، ومن أضاعه لحق نفسه أضاع ، ثم مضى .

فقال عمر لجلسائه : واهاً لابن عباس ! ما رأيته لآحَى <sup>(٢)</sup> أحداً قط إلا خَصَمَهُ <sup>(٣)</sup> !

(١) هتف به : ناداه .

(٢) لاحاه : نازعه (٣) خاصمه فخصمه : غلبه .

## ١٤٨ — المغيرة بن شعبة وأحد الأعراب \*

خرج المغيرة بن شعبة ، وهو على الكوفة يومئذ ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعي بعد مطر يسير بظهر الكوفة ؛ فلقى أعرابياً من بني تميم الله بن ثعلبة . وهو لا يعرف المغيرة <sup>(١)</sup> .

فقال له المغيرة : من أين أقبلت يا أعرابي ؟ قال : من السماوة ، قال : كيف تركت الأرض خلفك ؟ قال : عريضة <sup>(٢)</sup> أريضة ، قال : وكيف كان المطر ؟ قال : عني الأثر ، وملاً الحفر .

قال : ممن أنت ؟ قال : من بكر بن وائل ، قال : كيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتهم لم أعرف غيرهم ، قال : فما تقول في بني شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا ، قال : فما تقول في بني ذهل ؟ قال : سادة نوكة <sup>(٣)</sup> ، قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك ، وإن ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تميم الله بن ثعلبة ؟ قال : رعاء <sup>(٤)</sup> البقر ، وعراقيب الكلاب ، قال : فما تقول في بني يشكر ؟ قال : صريح <sup>(٥)</sup> تحسبه مولى ، قال : فمجل ؟ قال : أحلاس الخيل <sup>(٦)</sup> ، قال : لخمينة ؟ قال :

\* الأغاني : ١٥ — ١٣٨ ( طبعة الساسي ) .

(١) المغيرة بن شعبة : صحابي جليل ، شهد في عهد رسول الله بعض المواقع ، وشهد كثيراً من الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين . وتوفي سنة ٥١ هـ (٢) يقال : أرض أريضة ؛ إذا كانت زكية معجبة (٣) نوكة : جمع أنوك وهو الأحمق (٤) رعاء : جمع راع (٥) الصريح : الخالص النسب (٦) الخلس (في الأصل) : كساء على ظهر البعير تحت البرذعة ، ويقال : هو جلس بيته ؛ إذا لم يبرح مكانه ، والمراد هنا أنهم يلزمون ركوب الخيل مغيرين أو محاربين .

يطعمون الطعام ، ويضربون الهام ، قال : فعزّة ؟ قال : لا تلتقي بهم الشفتان لؤماً !  
 قال : فأخبرني عن النساء ، قال : النساء أربع : ربيع مُربع ، وجميع يجمع ،  
 وشيطان سَمَمَع ، وغُل لا يخلع ، قال : فسّر ، قال : أما الربيع فالتى إذا نظرت  
 إليها سرّتك ، وإذا أقسمت عليها برّتك ؛ وأما التى هى جميع يجمع ، فالمرأة تنزوجها  
 فتجمع نسبك إلى نسبها ؛ وأما الشيطان السَمَمَع ؛ فالكالحة فى وجهك إذا دخلت ،  
 والمولولة فى إترك إذا خرجت ؛ وأما الغُل الذى لا يخلع ، فبنت عمك السوداء ،  
 القصيرة الورّهاء<sup>(١)</sup> الذميمة التى قد نثرت لك بطنها ؛ إن طلقها ضاع ولدك ، وإن  
 أمسكتها فعلى جدّك أنفك . ثم قال له : ما تقول فى أميرك المغيرة ؟ قال : أعور زنّاء ،  
 فقال الهيثم : فضّ الله فاك ا ويلك ! هذا الأمير المغيرة ، فقال : إنها كلمة والله تُقال ؛  
 فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنده يومئذ أربع نسوة ، وستون أمة ، ثم قال له :  
 ويحك ! هل يقدم أحدٌ على هذه الكبيرة وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم قال لهن المغيرة :  
 ازمينَ إليه بحُلّيكُنّ ، فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهباً وفضّةً ا

(١) الورهاء : الحرقاء فى الصل أو الحقاء .

## ١٤٩ — دَهَاءُ بَعْرُ بنِ العاصِ\*

لما نزل عليُّ بنُ أبي طالب الكوفةَ بعدَ فراغه من أمرِ البصرة كتب إلى معاويةَ كتاباً يدعوهُ إلى البيعة ، وأرسلَ جريرَ بن عبد الله البجلي ، قدم عليه به الشام ، فقرأه فاغتمَ بما فيه وذهبت أفكارُهُ كلَّ مذهب ؛ وطاول جريراً بالجواب عن الكتاب ، حتى كَلَّمَ قوماً من أهلِ الشام في الطلب بدم عثمان بن عفان فأجابوه ووثقوا له .

وأحبَّ الزيادة في الاستظهار ، فاستعانَ بأخيه عُتْبَةَ بن أبي سُفْيَان ؛ فقال : استعن بعمر بن العاص ؛ فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه ، وقد اعتزل عثمان ابن عفان في حياته ، وهو لأمرِك أشدُّ اعتزالاً ، إلا أن يُشَمِّنَ له دينُهُ ، فسيبيعك ، فإنه صاحب دنيا .

فكتب إليه معاوية : أما بعد ، فإنه كان من أمر عليٍّ وطلحة والزبير ما قد بلغك ، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة ، وقدِمَ علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وقد حبستُ نفسي عليك ، فأقبل إذا كرك أموراً لا تَعْدَمُ مَغَبَّتُهَا إن شاء الله .

فلما قدِم الكتاب على عمرو استشار ابنه : عبد الله بن عمرو ، ومحمد بن عمرو ؛ فقال لهما : ما تريان ؟ فقال عبد الله : أرى أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبضَ وهو عنك راض ، والخليفتان بعده ، وقُتِلَ عثمان وأنت غائب عنه ؛ فقرَّ في منزلك



فلست مجمولا خائفة ، ولا تزيدُ على أن تكون حاشيةً لمعاوية ، على دنيا أوشكتما أن تهلكا وتفارقاها .

وقال محمدٌ : أرى أنك شيخُ قریش وصاحبُ أمرِها ، وإن نصرمت هذا الأمرُ - وأنت فيه غافل - تصاغرُ أمرُك ؛ فالملقُ بجاعة أهل الشام ، وكن يدًا من أيديها ، طالباً بدمِ عثمان ، فإنه سيقومُ بذلك بنو أمية .

فقال عمرو : أنت يا عبد الله قد أمرتني بما هو خير لي في ديني ، وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ، وأنا أنظر .

ثم دعا عمرو غلامه وُردان - وكان داهيةً مارداً - فقال : ارحل يا وُردان ، ثم قال : احطط يا وُردان ! ثم قال : ارحل يا وُردان ، احطط يا وُردان . فقال له وُردان : خاطت أبا عبد الله ، أما إنك إن شئت أنبأتك بما في قلبك ، قال : هات ، ويحك ! قال : اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : علىَّ معه الآخرة في غير دنيا ، وفي الآخرة عوضٌ عن الدنيا ومعاويةُ معه الدنيا بغير آخرة ، وليس في الدنيا عوضٌ من الآخرة ، وأنت واقف بينهما .

قال : قاتلك الله ! ما أخطأت مافي قلبي ، فما ترى يا وُردان ؟ قال : أرى أن تقيمَ في بيتك ؛ فإن ظهر أهلُ الدين عشتَ في عفو دينهم ، وإن ظهر أهلُ الدنيا لم يستغنوا عنك ، قال : الآن لما شهرت العرب سئري إلى معاوية !

ثم ارتحل حتى قدم على معاوية ، وعرف حاجته إليه ، فباعده من نفسه ، وكايد كلُّ واحد منهما صاحبه .

فقال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبد الله ؛ طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها وُرد ولا صدر . قال : وما ذاك ؟ قال : منها أن محمد بن أبي حذيفة كسر ( ٢٤ قصص العرب - ٢ )

سِجَنَ مصر ، فخرج هو وأصحابه ، وهو من آفات هذا الدين ؛ ومنها أن قيصر زحف  
بجماعة الروم ليغلب على الشام ؛ ومنها أن عليا نزل الكوفة ، ونهياً للمسير إلينا .

فقال عمرو : ليس كل ما ذكرت عظيماً ؛ أما ابن أبي حذيفة فما يمتاظمك<sup>(١)</sup>  
من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه رجلاً يقتله ، أو يأتك به ، وإن قاتل لم  
يضرك ؛ وأما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب والفضة ، وسله المودة فإنه  
إليها سريع ؛ وأما علي ، فلا والله يامعاوية ، ما يسوى العرى بينك وبينه في شيء  
من الأشياء ، وإن له في العرب حظاً ، ما هو لأحد من قريش ، وإنه لصاحب ما هو  
فيه إلا أن تظلمه .

قال معاوية : يا أبا عبد الله ؛ إنى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله  
وشق عصا المسلمين ، وقتل الخليفة وأظهر الفتنة ، وفرق الجماعة وقطع الرحم .

فقال عمرو : والله يامعاوية ، ما أنت وعلى عدلاً بعير ، أيس لك هجرته ولا  
سابقته ، ولا صُحبته ولا جهاده ، ولا فقهِه ، ولا علمه ؛ والله إن له مع ذلك حظاً  
في الحرب ليس لأحد غيره ، ولكني قد تمودت من الله تعالى إحساناً وبلاء جليلاً ،  
فما تجعل لي إن شايعتك على حربيه ، وأنت تعلم ما فيه من الفرر والخطر ؟ قال :  
حُكْمُكَ ، فقال : مصر طعمة ، فتلك معاوية وقال : يا أبا عبد الله ؛ إنى  
أكره لك أن تتحدث العرب عنك أنك إنما دخلت في هذا الأمر لمرض  
الدنيا ! قال عمرو : دغني عنك ، فقال معاوية : إنى . شئت أن أمنيك وأخذعك  
لفعلت . قال عمرو : لعمر الله ما مثلى يُخدع ، لأنما أكره من ذلك ، فقال معاوية :  
ادن مني أسارك . فدنا منه عمرو ليساره ، فعض معاوية أذنه ، وقال : هذه خدعة ،

(١) لا يعظم عليك .

هل ترى في البيت أحداً غيري وغيرك ! ثم تَلَكَّأَ عليه وانصرف عمرو .

فلما حضر عتبة بن أبي سفيان قال لمعاوية : أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر ؟

فقال معاوية : يا عتبة ؛ بت عندنا الليلة . فلما جَنَّ الليل على عتبة رفع صوته ليدسمع

معاوية وقال :

أيها المانع سيفاً لم يهزَّ      إنما ملت على خزٍ وقزَّ

أعط عمراً إن عمراً تاركٌ      دينه اليوم لدنياً لم تُحزَّ

أعطه مصرَ وزدّه مثلها      إنما مصرٌ لمن عزَّ فبزَّ

واترك الحرص عليها ضلَّةً      واشتب النار لمقرور يُكزَّ

إن مصر لعلَى أولنا      يُغلب اليوم عليها من عجز

فلما سمع معاوية قول عُتْبَةَ أرسل إلى عمرو فأعطاه مصر ، وكتب له

كتاباً بها .

## ١٥٠ — بين معاوية وهانى بن عروة\*

ولّى معاويةُ كثيرَ بن شهاب المذحجى خراسان ؛ فاخْتَنَ مالا كثيرا ،  
ثم هرب فاستتر عند هانى<sup>(١)</sup> بن عروة المرادى ، فبلغ ذلك معاوية ، فنذر دم هانى ؛  
فخرج هذا فكان فى جوار معاوية .

ثم حضر مجلسه — ومعاوية لا يعرفه — فلما نهض الناسُ ثبتَ مكانه ، فسأله  
معاوية عن أمره ؛ فقال : أنا هانى بن عروة . فقال : إن هذا اليوم ليس بيوم يقول  
فيه أبوك :

أرجلُ بجمتى<sup>(٢)</sup> وأجرُ ذيلى وتحملُ شكتى<sup>(٣)</sup> أفق<sup>(٤)</sup> كميته<sup>(٥)</sup>  
أمشى فى سركة بنى غطيف إذا ما ساكنى ضمّ أبيت  
فقال له هانى : أنا اليوم أعزُّ منى ذلك اليوم ! فقال له : بم ذاك ؛ فقال :  
بالإسلام يا أمير المؤمنين . فقال له : أين كثيرُ بن شهاب ؟ قال : عندى فى عسكر  
يا أمير المؤمنين ، فقال له معاوية : انظر إلى ما اختأنه ؛ فخذ منه بعضا ، وسوّغه  
بعضا .

\* الكامل ١ : ٧٢

(١) هانى بن عروة بن الفضاض : من قراء الكوفة ، وكان من خواص على بن أبى طالب ،  
قتل مع مسلم بن عقيل رسول الحسين إلى الكوفة (٢) الجمة : مجتمع شعر الرأس (٣) الشكة :  
السلاح (٤) فرس أفق : رائح (٥) الكيت : الذى خالط حرته قنوه .

دخل عمرو<sup>(١)</sup> بن العاص يوماً على معاوية بعد ما كبر ودقّ ، ومعه موله  
ورّدان ، فأخذا في الحديث ، وليس عندهما غير ورّدان ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين  
ما بقي مما تستلذه ؟ فقال : أما الثياب فقد لبستُ من لَبِنِها وجيّدّها حتى وهى بها  
جلدى ، فما أدرى أيها ألين ؟ وأما الطعام فقد أكلتُ من لينه وطَيِّبته حتى ما أدرى  
أيه ألذ وأطيب ؟ أمّا الطيب فقد دَخَلَ خياشيمي منه حتى ما أدرى أيه أطيب ؟  
فما شئء ألذّ عندي من شراب بارد في يوم صائف ، ومن أن أنظر إلى بنى ، وبنى  
بنى يدورون حولي !

فما بقي منك يا عمرو ؟ قال : مال أغرسه فأصيبُ من ثمرته ومن غلّته . فالتفت  
معاوية إلى ورّدان فقال : ما بقي منك يا ورّدان ؟ قال : صنيعة كريمة سنية أعلقها  
في أعناق قوم ذوى فضل وأخطار ، لا يكافئون عليها حتى ألقى الله تعالى ، وتكون  
لصّقى في أعقابهم بعدى . فقال معاوية : تبّاً لجلسنا سائر اليوم ! إن هذا العبد  
غلبني وغلبك !

\* المسعودى ١ : ٦٦

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل : أسلم سنة ثمان مع خالد بن الوليد ، وولاه معاوية مصر ثلاث  
سنين ، ثم حضرته الوفاة قبل الفطر يوم ، سنة ٤٢ هـ .

## ١٥٢ — ما عليه لو عرض\*

دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة ، وقد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه ؛ فكره قضاءها وتشاغل .

فقال عمرو : يا معاوية ؛ إن السخاء فطنة ، واللؤم تغافل ، والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين ! فقال معاوية : يا عمرو ؛ بماذا تستحق منا قضاء الحوائج العظام ؟ فغضب عمرو ، وقال : بأعظم حق وأوجب ؛ إذ كنت في بحر عجاج<sup>(١)</sup> ؛ فلولا عمرو لفرقت في أقل مائة وأرقه ؛ ولكني دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه ، ثم دفعتك فيه أخرى ، فصرت في أعلى الموضع منه ؛ فمضى حكمك ، ونفذ أمرك وانطلق لسانك بعد تلجلجيه ، وأضاء وجهك بعد ظلمته .

فتناوم معاوية ، وأطبق جفنيه ملياً ، فخرج عمرو ، فاستوى معاوية جالساً ، وقال لجلسائه : رأيتم ما خرج من فم ذلك الرجل ! ما عليه لو عرض ! ففى التعريض<sup>(٢)</sup> ما يكفى ، ولكنه جبهنى بكلامه ، ورمانى بسموم سهامه .

فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ، إن الحوائج لتُقضى على ثلاث خصال : إما أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقاً ، فتقضى حاجته بحقه ، وإما أن يكون السائل لثيماً فيصون الشريف نفسه عن لسانه ، فيقضى حاجته ، وإما أن يكون المستول كريماً فيقضيها لكرمه صغرت أو كبرت .

\* ابن أبي الحديد ٢ : ٤٠١

(١) بحر عجاج : لثاته صوت (٢) التعريض : ضد التصريح .



فقال معاوية : لله أبوك ! ما أحسن ما نظقت به ! وبعث إلى عمرو فأخبره ،  
وقضى حاجته ، ووصله بصلته جليلة .

فلما أخذها ولي منصرفاً ، فقال معاوية : « فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ  
يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » . فسمعها عمرو ، فالتفت إليه مُفَضِّباً ، وقال : والله  
يا معاوية لا أزال آخذ منك قهراً ، ولا أطيع لك أمراً ، وأحفر لك بئراً عميقة إذا  
وقعت فيها لم تُدْرِكَ إلا زميماً<sup>(١)</sup>

فضحك معاوية فقال : ما أردتك يا أبا عبد الله<sup>(٢)</sup> بالكلمة ، وإنما كانت آية  
تلوتها من كتاب الله عرّضت بقلبي ، فاصنع ما شئت !

---

(١) الرميم : البالي .  
(٢) كنية عمرو بن العاص .

## ١٥٣ — لا يأتينا غير طالب فقه أو طالب فضل \*

دخل عبد الله بن صفوان على عبد الله بن الزبير - وهو يومئذ بمكة - فقال :  
أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تُصِيبَكَ من الأيام جائحةٌ لا أبُك منك على دنيا ولا دين

فقال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبد الله بن عباس يفقه الناس ، وعبيد الله أخوه يُطعم الناس ، فما أبقياً لك ؟ فأحفظه ذلك ، وأرسل صاحب شرطته عبد الله ابن مطيع وقال له : انطلق إلى ابني عباس ، فقل لهما : أعمدتما إلى راية ترابية قد وضعها الله فنصبتهما ! بدداً عني جفككما ، ومن ضوى<sup>(١)</sup> إليكما من ضلال أهل العراق وإلا فملت وفملت . . .

فقال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس : ثكلتك أمك ! والله ما يأتينا من الناس غير رجلين : طالب فقه أو طالب فضل ، فأى هذين تمنع ! فقال أبو الطفيل<sup>(٢)</sup> :

لا در در الليالى كيف نُضحكنا منها خطوبٌ أعاجيبٌ وتُبكيها  
ومثل ما تحدث الأيام من غيرِ يابنِ الزبير عن الدنيا تسليها  
كُنّا نجي ابنَ عباس فيقبسنا<sup>(٣)</sup> علماً ويكسبنا أجراً ويهدينا

\* الأغاني ١٣ : ١٦١ ( طبعة الساسي )

(١) ضوى : انضم (٢) هو عامر بن وائلة ، كانت له حبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بعده طويلاً ، وكان من شيعة علي بن أبي طالب ، وله منه عمل خاص (٣) يقبسنا : يملنا -

ولا يزال عبيد الله مترعة  
قالير والدين والدنيا بدارها  
إن النبي هو النور الذي كشفت  
وربطه عصمة في ديننا ولم  
ولست - فاعلمه - أولى منهم رحماً  
فقيم تمنعهم عنا وتمنعنا  
لن يؤتى الله من أخزى يفضهم  
جفانه مطما ضيفا ومسكينا  
نقال منها الذي نثني إذا شينا  
به عمايات باقينا وماضينا  
فضل علينا وحق واجب فينا  
بابن الزير ولا أولى به ديناً  
منهم وتؤذيهم فينا وتؤذينا؟  
في الدين عزاً ولا في الأرض تمكيناً

بقائه .. فإن كان في نفس أمير المؤمنين هنة من ساع أو واش أو حاسد فأمر المؤمنين  
أولى بالتفضل على عبده ، ومن أفنى عمره في طاعته .

فقبل وفادتهم ، وقبل العذر من ممن ، وأمر بصرفهم إليه .

فلما صاروا إلى ممن وقرأ الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه ، وشكر أصحابه ،

وخلع عليهم وأجازهم ، فقال مجاعة :

آليت في مجلس من وائل قسماً  
يامن إنك قد أوليتني نعماً  
فلا أزال إليك الدهر منقطعاً  
ألا أيمك يامن بأطاع  
عمت لجيماً وخصت آل مجاع  
حتى يشيد بهلكي هتفة الناعي

١٥٤ — ابن أبي محجن عند معاوية\*

وفد ابنُ أبي محجن علي معاوية ، فقام خطيباً ، فأحسن ، فحسده معاوية .  
فقال له : أنت الذي أوصاك أبوك بقوله :

إذا متَّ فادفني إلى جنبِ كَرَمَةٍ      تروى عظامي بعد موتي عُروَقُهَا  
ولا تدفني في الفلاة فإنني      أخافُ إذا ماتتُ ألا أذوقَهَا  
قال : بل أنا الذي يقول أبي :

لا تسألِ الناسَ مآلِي وكثرته      وسائلِ الناسِ ماجُودِي وما خُلِقِي  
أعطِي الحسامَ غداةَ الرَّوْعِ حصته      وعاملُ الرمحِ أَرْوِيهِ مِنَ العَلَقِ<sup>(١)</sup>  
وأطمِنُ الطَّمَنَةَ النجلاء<sup>(٢)</sup> عن عَرَضِ      وأكتمُ السرَّ فيه ضَرْبَةُ العُنُقِ  
ويعلمُ الناسُ أني من سرائِهِمْ<sup>(٣)</sup>      إذا تطيشُ يدُ الرِّعْدِ عِدِيدَةٍ<sup>(٤)</sup> الفَرَقِ<sup>(٥)</sup>

فقال له معاوية : أحسنتَ والله يا ابن أبي محجن ، وأمر له بصلة وجائزة .

\* المستطرف ٢ : ٢٣٦ ، ذيل زهر الآداب ٦٨ .

(١) العلق : الدم الغليظ (٢) النجلاء : الواسمة (٣) سراة : جمع السرى : وهو الرئيس  
(٤) الرعديدة : الجبان (٥) الفرق : شديد الفزع .

## ١٥٥ - ذكّرني يوم النفخ في الصور \*

قدم سعيد<sup>(١)</sup> بن جبير على الحجاج فقال له : ما اسمك ؟ قال : سعيد ، قال : ابن من ؟ قال : ابن جبير ، قال الحجاج : بل أنت شقي بن كسير . قال سعيد : أمي أعلم باسمي واسم أبي ، قال الحجاج : شقيت وشقيت أمك . قال سعيد : الغيب يعلمه غيرك ، قال الحجاج : لأوردنك حياض الموت ! قال سعيد : أصابت إذن أمي اسمي .

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى ! قال سعيد : لو أعلم أن ذلك بيدك لا تتخذنك إلها .

قال الحجاج : فما قولك في محمد ؟ قال سعيد : نبي الرحمة ، وإمام الهدى . قال الحجاج : فما قولك في الخلفاء ؟ قال سعيد : لست عليهم بوكيل ، كل امرئ بما كسب رهين . قال الحجاج : أشتمهم أم أمدحهم ؟ قال سعيد : لا أقول ما لا أعلم . قال الحجاج : أيهم أعجب إليك ؟ قال : أَرْضَاهُمْ خَالِقِي ، قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ فقال : علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم . قال الحجاج : صف لي قولهم في علي ؟ أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال سعيد : لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ، ولو رأيت

\* ابن خلكان ٢ : ٢٠٥ ، المعارف لابن قتيبة ١٩٧

(١) أخذ سعيد بن جبير العلم عن ابن عباس وابن عمر ، وكان من أجمع التابعين لعلم الفقه والتفسير وكان ورعا تقيا ، خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الرحمن هرب سعيد فلحق بمكة ، ولكن واليها يومئذ خالد بن عبد الله القسري أخذه وأرسله إلى الحجاج ، فقتله سنة ٩٥ هـ .

من في النار علمت ؛ فما سؤالك عن غيبٍ قد حُفِظَ بالحجاب ! قال الحجاج : فأى رجل أنا يوم القيامة ؟ قال سعيد : أنا أهونُ على الله من أن يُطْلِعَنِي على الغيب . قال الحجاج : أبيت أن تصدقني . قال سعيد : بل لم أرد أن أكذبك .

قال الحجاج : دَغَ عنك هذا كله وأخبرني ؛ مالك لم تضحك قط ؟ قال : لم أر شيئاً يضحكني ، وكيف بضحك مخلوقٍ من طين ، والطين تأكله النار ، ومُنْقَلَبُهُ إلى الجزاء ! قال الحجاج : فأنا أضحك ؛ قال سعيد : كذلك خلقنا الله أطواراً . قال الحجاج : هل رأيت شيئاً من اللهو ؟ قال : لا أعلم . فدعا الحجاج بالعود والناس ، فلما ضُربَ بالعود ونُفِخَ في الناي بكى سعيد : قال الحجاج : ما يبكيك ؟ قال : هو الحزن ؛ ذكرتني أمراً عظيماً . أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور ، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فمن الشاء تُبْعَثُ معها يوم القيامة ، فقال الحجاج : أنا أحبُّ إلى الله منك ؛ أنا مع إمام الجماعة ، وأنت مع إمام الفرقة . قال سعيد : ما أنا بخارج على الجماعة ولا أنا براضٍ عن الفتنة ، ولكن قضاء الرب نافذٌ لا مردَّ له .

قال الحجاج : كيف ترى ما نجمعُ لأمر المؤمنين ؟ قال سعيد : لم أره . فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكِسْوَةِ والجوهر ، فوَضِعَ بين يديه . قال سعيد : هذا حسنٌ إن قمتَ بشرطه ، قال الحجاج : وما شرطه ! قال : أن تشتري له بما تجمَعُ الأمنَ من الفرع الأكبر يوم القيامة ، قال الحجاج : أتحبُّ أن تنالَ منه شيئاً ؟ قال : لا أحبُّ ما لا يحبُّ الله .

قال الحجاج : ويلك ! قال سعيد : الويل لمن زُحْزِحَ عن الجنة فأدخل



النار ، قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه . فلما أذبرَ ضحكك؟ قال : ما يضحكك يا سعيد؟  
قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك ، قال الحجاج : ا ضربوا عُنقه .  
قال سعيد : دعني أصل ركعتين . فاستقبل القبلة وهو يقول : إني وجهت وجهي  
للذي فطرَ السموات والأرض حَنِيفاً وما أنا من المشركين . قال الحجاج : اصرفوه  
عن القبلة ، قال سعيد : فأينما تَوَلَّوْا فثمَّ وجه الله إن الله واسع عليم . قال الحجاج :  
لم نُوَكِّلْ بالسراير ، وإنما وُكِّلْنَا بالظواهر . قال سعيد : اللهم لا تسلطه على أحد  
يقتله بعدى .

ثم ضربت عنقه .

## ١٥٦ - أعرابي عند الحجاج \*

قال زيد بن عمرو : سمعت طاوساً يقول : بينا أنا بمكة إذ دُفِعتُ إلى الحجاج ابن يوسف ، فثنى لى وساداً فجلست ، فبينما نحن نتحدث إذ سمعتُ صوتَ أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتَّلبية <sup>(١)</sup> ، فقال الحجاج : علىَّ بالملأى فأُتِيَ به فقال : مَنْ الرجل ؟ قال : من أفناء <sup>(٢)</sup> الناس . قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فَعَمَّ سألتنى !

قال : من أى البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج : فكيف خلفتَ محمد <sup>(٣)</sup> بن يوسف ؟ - يعنى أخاه - قال : خلفته عظيماً جسيماً خراجاً ولاجاً <sup>(٤)</sup> ! قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فَعَمَّ سألتنى ؟ قال : كيف خلفتَ سيرته في الناس ؟ قال : خلفته ظلوماً غشوماً عاصياً للخالق ، مطيعاً للمخلوق !

فأزورّ من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك على هذا وأنت تعلم مكانته منى ! فقال له الأعرابي : أفترأى بمكانة منك أعزّ منى بمكانتى من الله تبارك وتعالى وأنا وافدٌ بيته ، وقاضى دينه ، ومصدقُ نبيّه - صلى الله عليه وسلم ! فَوَجَمَ لها الحجاجُ ، ولم يُحرَ <sup>(٥)</sup> له جواباً ، حتى خرج الرجلُ بلا إذن !

\* العقد الفريد ٢ : ٢٦٧

(١) التلبية : أن يقول الرجل ليك ، ومعنى ليك : لزوماً اطاعتك  
(٢) أفناء الناس : أخلاطهم ، وهو جمع فنو (٣) كان عامله باليمن (٤) الخراج الولاة : العظيم الاحتيال (٥) ما أطار جواباً : مارد .

١٥٧ — دعاني مَنْ هو خير منك \*

حجّ الحجاجُ فنزل بيمض المياه ، ودعا بالفداء ، فقال لحاجبه : انظر من يتفدّي معي وأسأله عن بعض الأمر ! فنظر الحاجب فإذا هو بأعرابي نائم بين شملتين<sup>(١)</sup> من شعر فضرّبه برجله ، وقال : انت الأمير .

فأتاه ، فقال له الحجاج : اغسل يدك وتفدّ معي ؛ قال : إنه دعاني مَنْ هو خير منك فأجبته ، فقال الحجاج : من الذي دعاك ! قال : الله تعالى دعاني للصوم فصُمت ؛ قال : في هذا اليوم الحارّ ! قال : نعم ، صمتُ ليوم أحرّ منه ؛ قال : فأفطر وتصوم غداً ؛ قال : إن ضمنت لي البقاء إلى الغد ! قال : ليس ذلك إلى . قال : فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدرُ عليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : إنك لم تطيبه ولا الخبز ، ولكن طيبته العافية !

\* عيون الأخبار ٢ : ٣٦٦

(١) الشلة : كساء يشتمل به .

## ١٥٨ — أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو \*

دخل أيوب <sup>(١)</sup> ابن القرية على الحجاج - وكان فيمن أسير من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث ، فقال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : ثلاثة صفوف ، كأنها ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف !

فقال له الحجاج : بئسما منيت به نفسك يا ابن القرية ! أتراني ممن تخدعه بكلامك وخطبك ؟ والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نطى هذه ! قال : أقلني عثرتي ، وأسفني ريتي ، فإنه لا بد للجواد من كبوة ، ولل سيف من نبوة ، وللحليم من صبوة ! قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو ! ألسن القائل - وأنت تمعرض لحزب الشيطان ، وعدو الرحمن : « تفدّوا بالحجاج قبل أن يتمشى بكم » ! ثم قدمه ففرض عنقه !

\* زهر الآداب ٤ : ٤٩

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس ، والقرية أمه ، وهو من بني هلال بن ربيعة ، وكان لساناً خطيباً ، قتله الحجاج لما بلغه من ميله مع ابن الأشعث .

١٥٩ — ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب \*

قال الشعبي : لما انهزم ابن الأشعث <sup>(١)</sup> ضاقتُ بِن الأرض ، وكرهتُ تركَ عيالي وولدي ؛ فلقيتُ يزيدَ بنَ أبي مسلم ، وكان لي صديقاً ، وكانت الصداقة تنفع عنده — فقلتُ له : قد عرفتَ الحالَ بيني وبينك ، وقد صرنا إلى ما ترى ! قال : يا أبا عمرو ؛ إن الحجاجَ لا يُكذِّب ولا يُعَوِّي <sup>(٢)</sup> ولا يُنبِّح ، ولكن قم بين يديه ، وأقرِّ بذنبك ، واستشهدني ما شئتَ .

فوالله ما شعرَ الحجاجُ إلا وأنا مائلٌ بين يديه ، فقال : أعامر ؟ قلت : نعم أصلح الله الأمير ! قال : ألم أقدم العراقَ فأحسنْتُ إليك وأذنيْتُكَ ، وأفدْتُكَ هلى أمير المؤمنين ، واستشَرْتُكَ ! قلت : بلى أيها الأمير .

قال : فأينَ كنتَ مِن هذه الفتنة ؟ قلت : استشمرنا الخوف ، واكتحلنا السهرَ ، وأحزنَ بنا المنزل ، وأوحشَ بنا الجنبُ ، وفقدنا صالح الإخوان ، وشملتنا فِتنةٌ لم نكن فيها بررةً أتقياء ، ولا فجرةً أقوياء ؛ وهذا يزيد بن أبي مسلم قد كان يعرف عُذري ، وكنتُ أكتبُ إليه .

فقال : صدق ؛ أصلح الله الأمير ! قد كان يكتبُ إليَّ بعذره ، ويخبرني بحاله . فقال الحجاج : فهذا الأحق ضربنا بسيفه ، ثم جاءنا بالأكاذيب ؛ كان وكان ؛ انصرف إلى أهلك راشداً .

\* العقد الفريد : — ١٥١ ، ذيل الأمل : ٢٢٠ ( الطبعة الأميرية ) ، مروج الذهب : ٢ — ٥٧٣

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج ، وخرج معه القراء والعلماء

(٢) يريد أنه لا يكلم بخير ولا شر . اللسان — نبه .

## ١٦٠ — الحجاج وأنس بن مالك \*

حدث سعيد بن جويرية قال :

خرجتُ خارجةً على الحجاج بن يوسف ، فأرسل إلى أنس بن مالك أن يخرج معه فأبى ؛ فكتب إليه يشتمه . . . فكتب أنس بن مالك إلى عبد الله ابن مروان يشكوه ، وأدرج كتاب الحجاج في جوف كتابه .

قال إسماعيل بن عبد الله : بعث إلى عبد الملك بن مروان في ساعة لم يكن يبعثُ إلى في مثلها ، فدخلتُ عليه وهو أشدُّ ما كان حنقًا وغيظًا ، فقال : يا إسماعيل ، ما أشدَّ أن تقول الرعية : ضُف أمير المؤمنين وضاق ذُرْعُه في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئة ! فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كتب إليّ يذكر أن الحجاج قد أضرَّ به وأساء جواره ، وقد كتبت في ذلك كتابين : كتاباً إلى أنس بن مالك والآخر إلى الحجاج ، فاقبضهما ، ثم اخرج على البريد ؛ فإذا ورَدَت العراق فابدأ بأنس بن مالك ، وادفع إليه كتابي ، وقل له : اشتدَّ على أمير المؤمنين ما كان من الحجاج إليك ، ولن يأتى إليك أمر تكرهه إن شاء الله . ثم ائت الحجاج ، فادفع إليه كتابه وقل له : اغتررتَ بأمر المؤمنين غرّة لا أظنه يخطئك شرُّها . ثم افهم مايتكلم به وما يكون منه حتى تفهمنى إياه إذا قدمت علىّ إن شاء الله .



قال إسماعيل : قَبِضْتُ الْكِتَابَيْنِ وَحَرَجْتُ عَلَى الْبَرِيدِ حَتَّى قَدِمْتُ الْعِرَاقَ ،  
فَبَدَأَتْ بِأَنْسَ بْنِ مَالِكٍ فِي مَنْزِلِهِ ؛ وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَتَهُ  
فَدَعَا لَهُ وَجْزَاهُ خَيْرًا . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ قُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا هَمْزَةَ ؛ إِنْ الْحِجَابُ  
عَامِلٌ ، وَيَقْدِرُ أَنْ يَضُرَّكَ وَيَنْفَعَكَ ، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُصَالِحَهُ ، قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ؛  
لَا أَخْرِجُ عَنْ رَأْيِكَ .

ثُمَّ أَتَيْتُ الْحِجَابَ ، فَلَمَّا رَأَى رَحْبَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَرَاكَ  
فِي بَلَدِي هَذَا ؛ قُلْتُ : وَأَنَا وَاللَّهِ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَرَاكَ ، وَأَقْدَمْتُ عَلَيْكَ بِغَيْرِ الَّذِي أُرْسِلْتُ  
بِهِ إِلَيْكَ ؛ قَالَ : وَمَا ذَلِكَ ؟ قُلْتُ : فَارَقْتُ الْخَلِيفَةَ وَهُوَ أَغْضَبُ النَّاسِ عَلَيْكَ ؛ قَالَ :  
وَلَمْ ؟ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ؛ فَجَعَلَ يَقْرُؤُهُ وَجَبِينَهُ يَمْرُقُ ، فَمَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ :  
ارْكَبْ بِنَا إِلَى أَنْسَ ، قُلْتُ لَهُ : لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي سَأَتَلَطَّفُ بِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَأْتِيكَ ،  
وَذَلِكَ لِلَّذِي أَشْرْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحَتِكَ .

وَأَلْقَى كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا فِيهِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ  
عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْحِجَابِ بْنِ يَوْسُفَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ عَبْدٌ طَمَتْ<sup>(١)</sup>  
بِكَ الْأُمُورُ فَطَغَيْتَ ، وَعَلَوْتَ فِيهَا حَتَّى جُرْتَ قَدْرَكَ ، وَعَدَوْتَ طَوْرَكَ ، وَابْتَدَأَ اللَّهُ  
لَاغْمَزَنَّاكَ كَبْعُضَ غَمَزَاتِ السُّيُوفِ لِلشَّعَالِ ، وَلَا رُكُضَنَّاكَ رَكُضَةً تَدْخُلُ مِنْهَا فِي  
وِجَارِكَ ! إِذَا كَرَّ مَنَاسِبَ آبَائِكَ بِالطَّائِفِ ، إِذَا كَانُوا يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى أَكْتَافِهِمْ ،  
وَيَحْفِرُونَ الْآبَارَ فِي الْمَنَاهِلِ<sup>(٢)</sup> بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَدْ نَسِيتَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَأَبَاؤُكَ  
مِنَ الدَّنَاءَةِ وَاللُّؤْمِ وَالضَّرَاعَةِ ؛ وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِطَالَةُ مَنْكَ عَلَى أَنْسَ بْنِ  
مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ جُرْأَةً مِنْكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،  
وَعُرَّةً بِمَعْرِفَةِ غَيْرِهِ وَنَقَمَاتِهِ وَسَطْوَانِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَ سَبِيلَهُ ، وَاعْتَدَ إِلَى غَيْرِ مُحِجَّتِهِ

(١) طامت : علت (٢) المناهل : يجمع منهل وهو المشرب .

ونزل عند سخطته . وأظنك أردت أن تروزه<sup>(١)</sup> بها ، لتعلم ما عنده من التغير  
والنكير فيها ، فإن سوءتها مضيت قدماً ، وإن غصصت وليت دبراً ، فعليك  
لعنة الله ، من عهد أخيفش<sup>(٢)</sup> العيين ، أصك<sup>(٣)</sup> الرجلين . وإيم الله ، لو أن أمير  
المؤمنين علم أنك اجترمت منه جرماً ، وانتهكت له عرضاً لبعث إليك من يسحبك  
ظهراً لبطن ؛ حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك فيحكم فيك بما أحب ، ولم يخف  
على أمير المؤمنين تبوؤك ، ولكل نبياً مستقر ، وسوف تعلمون .

قال إسماعيل : فانطلقتُ إلى أنس ، فلم أزل به حتى انطلق معي إلى الحجاج ،  
فلما دخلنا عليه قال : يفر الله لك أبا حمزة ! عجبت باللائمة ، وأغضبت علينا  
أمير المؤمنين ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير ، فقال أنس : إنك كنت تزعم  
أنا الأشرار والله سمأنا الأنصار ، وقلت : إنا من أبخل الناس والله يقول فينا :  
وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . وزعمت أنا أهل نفاق والله  
تعالى يقول فينا : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ  
إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا » . فكان المخرج والمشتكى في  
ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولّى من ذلك ما ولاه الله ، وعرف من حقنا  
ما جهلت ، وحفظ منا ما ضيقت ، وسيحكم في ذلك ربّ هو أَرْضَى للمرضى ،  
وأسخط للمُسخط ، وأقدر على الغير في يوم لا يشوب الحقّ عنده الباطل ، ولا النور  
الظلمة ، ولا اهذى الضلال ، والله لو أن اليهود أو النصارى رأَتْ من خدام موسى بن  
عمران أو عيسى بن مريم يوماً واحداً لرأت له ما لم تروا لي في رسول الله صلى الله  
عليه وسلم عشر سنين !

(١) تروزه : تجربه (٢) الحفش : ضف البصر مع ضيق في العين (٣) الصكك : أن تضرب  
إحدى الركبتين الأخرى عند العدو فتؤثر فيها أثراً .

فاعتذر إليه الحجاج وترضاه حتى قبل عذره ورضى عنه ، وكتب برضاه وقبوله عذره إلى عبد الملك بن مروان .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك : « إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .  
بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد - أصلح الله أمير المؤمنين ، وأبقاه وسهّل حظّه وأحاطه ، ولا أعدّ مناه - فإن إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين - أعزّ الله نصره - قدم على بكتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ؛ وجعاني من كل مكروه فداءه - يذكر شقيمتي وتوبيختني بأبائي وتعييري بما كان قبل نزول النعمة بي من عند أمير المؤمنين - أتمّ الله نعمته عليه وإحسانه إليه ، ويذكر أمير المؤمنين - جلعني الله فداءه - استطلة مني على أنس بن مالك خادم رسول الله صل الله عليه وسلم . »

« وأمير المؤمنين - أصلحه الله في قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الهدى وخاتم الأنبياء أحقّ من أقال عثرتي ، وعفا عن ذنبي ، فأمهلتني ولم يجعلني عند هفوتي ؛ للذي جبل عليه من كريم طبائعه ، وما قلده الله من أمور عبادته ، فرأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - في تسكين روعتي وإفراج كربتي ، فقد ملئت رعباً وفرقاً من سطوته ، وفجأة نقيمته . وأمير المؤمنين - أقاله الله العثرات ، وتجاوز له عن السيئات ، وضاعف له الحسنات ، وأعلى له الدرجات - أحقّ من صفح وعفا وتعمّد<sup>(١)</sup> ، وتعمّل وأبقى ، ولم يشمت فيّ عدواً مكباً<sup>(٢)</sup> ، ولا حسوداً مضباً<sup>(٣)</sup> ، ولم يجرّ عني غصصاً ، والذي وصف

---

(١) تعمّد : ستر ما كان عنده . (٢) أكب عليه : إذا أقبل ولزم . (٣) أضب : حمل الغيظ والحقد .

المؤمنين من صنيعته إلى ، وتنويهه لي بما أسند إلى من عمله ، وأوطأني من رقاب رعيته صادق فيه مجزى بالشكر عليه ، والتوسل مني إليه بالولاية ، والتقرب له بالكفاية .

« وقد عاين إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه نزولي عند مسرة أنس بن مالك ، وخضوعي عند كتاب أمير المؤمنين ، وإقلاذه إياي ، ودخوله بالمصيبة علي ما سيعلمه أمير المؤمنين ، فإن رأى أمير المؤمنين - طوقني الله بشكره ، وأعاني على تأدية حقه ، وبلغني إلى ما فيه موافقة مرضاته ، ومد لي في أجله - أن يامر لي بكتاب من رضاه وسلامة صدره ما يؤمنني به من سفك دمي ، ويرد ما شرد من نومي ، ويطمئن به قلبي ، فقد ورد علي أمر جليل ، خطبه عظيم ، وأمره شديد . »

« أسأل الله ألا يسخط أمير المؤمنين ، وأن يثبتني في حزمه وعزمه ، وسياسته وفراسته ، ومواليه وحشمه ، وعماله وصنائه ، ما يحمد به حسن رأيه وبعد همته ، إنه ولي أمير المؤمنين ، والذآب عن سلطانه ، والصانع في أمره والسلام . »

قال إسماعيل : لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قل : يا كاتب؛ أفرخ روع أبي

محمد ، وكتب إليه بالرضا عنه !

## ١٦١ — الحجاج والفضبان بن القبيثري \*

سأل الحجاج يوماً الفضبان<sup>(١)</sup> بن القبيثري عن مسائل يمتحنه فيها ، قال له :  
مَنْ أكرمُ الناس ؟ قال : أفقهُم في الدين ، وأصدقهم لليمين ، وأبذلهم للمسلمين ،  
وأكرمهم للمهانين ، وأطعمهم للمساكين .

قال : فمن ألامُّ الناس ؟ قال : المعطى على الهوان ، المقتر على الإخوان ،  
الكثير الألوان .

قال : فمن شرُّ الناس ؟ قال : أطولهم جفوة ، وأدومهم صبوة ، وأكثرهم  
خلوة ، وأشدُّهم قسوة .

قال : فمن أشجعُ الناس ؟ قال : أضربهم بالسيف ، وأفراهم للضيّف ، وأتركهم  
للحيّف<sup>(٢)</sup>

قال : فمن أجبنُ الناس ؟ قال : المتأخر عن الصفوف ، المنقبض عن الزخوف ،  
المرتعش عند الوقوف ، المحبُّ ظلال السقوف ، الكاره لضرب السيوف .

قال : فمن أثقلُ الناس ؟ قال : المتفنن في الملام ، الضنين بالسلام ، المهذار<sup>(٣)</sup>  
في الكلام ، المقبب<sup>(٤)</sup> على الطعام .

\* المستطرف : ١ - ٤٧

(١) الفضبان بن القبيثري من أشراف العراق ، وكان من دعاة الرواية أيام حرب عبد الملك  
ابن مروان مع مصعب بن الزبير (٢) الحيف : الجور والظلم (٣) المهذار : كثير الهذيان ،  
وأهذر في كلامه : أكثر (٤) قبقب الرجل : حق .



قال : فَمَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ قال : أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا ، وَأَقْوَمُهُمْ مِيزَانًا ، وَأَدْوَمُهُمْ غُفْرَانًا ، وَأَوْسَعُهُمْ مِيدَانًا .

قال : لله أبوك ! فكيف يُعرف الرجلُ الغريبُ ؛ أحسبُ هو أم غير حسيب ؟ قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ ! إن الرجلَ الحسيبَ بذلك أدبُهُ وعقلُهُ ، وشمائلُهُ وعِزَّةُ نفسه ، وكثرةُ احتماله ، وبشاشته ، وحسنُ مداراته على أصله ؛ فالعاقلُ البصيرُ بالأحساب يعرفُ شمائلَهُ ، والنذلُ الجاهلُ بجهلِهِ ؛ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الدُّرَّةِ ، إذا وقعتْ عند من لا يعرفها ازْدَرَاهَا ، وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها ؛ فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنةٌ نفيسةٌ .

فقال الحجاج : لله أبوك ! فَمَنْ العاقلُ ؟ وَمَنْ الجاهلُ ؟ قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ العاقلُ الذي لا يتكلم هذرًا ، ولا ينظر شرًّا ، ولا يضر غدرًا ، ولا يطلب عذرًا ؛ والجاهلُ هو المهدار في كلامه ، المنان بطعامه ، الضنين بسلامه ، المتطاول على إمامه ، الفاحش على غلامه .

قال : لله أبوك ! فَمَنْ الحازم الكيس ؟ قال : المقبل على شأنه ، التارك لما لا يعنيه .

قال : فَمَنْ العاجز ؟ قال : المعجبُ بآرائه ، الملتفتُ إلى ورائه .

قال : هل عندك من النساء خبرٌ ؟ قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ ! إني بشأنهنَّ خيرٌ ، إن النساء من أمهات الأولاد بمنزلة الأضلاع ؛ إن عدَّتْهَا انكسرت ، ولهنَّ جوهرٌ لا يصلح إلا على المدارة ؛ فمن داراهنَّ انتفع بهن ، وقرت عينه . ومن شاورهن كدزن عيشه ، وتكدرت عليه حياته ، وتنفضت لداته ؛ فأكرمهنَّ أعفهنَّ ، وأفخر أحسابهن العفة ؛ فإذا زلنَ عنها فهنَّ أنتن من الجيفة .



فقال له الحجاج : يا غضبان ؛ إني موجهك إلى ابن الأشعث وإفدأ ؛ فماذا أنت قائل له ؟ قال : أصلح الله الأمير ! أقول ما يُرَدِّيه <sup>(١)</sup> ويؤذيه ويضنيه ! فقال : إني أظنك لا تقول له ما قلت ، وكأني بصوتك يجلجل في قصرى هذا ، قال : كلا ، أصلح الله الأمير ! سأحدّد له لسانى ، وأجرى به في ميدانى .

فعمد ذلك أمره بالمسير إلى كَرْمَان ؛ فلما توجه إلى ابن الأشعث ، بعث الحجاج عَيْنًا عليه - وكان يفعل ذلك مع جميع رسله .

فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له : إن الحجاج قد همّ بخلعك وعزّلك ؛ فخذُ حذرًا ، وتقدّ به قبل أن يتعشّى بك ، فأخذ حذرَه عند ذلك . ثم أمر للغضبان بجائزة سنّية ، وخِلْع فاخرة ؛ فأخذها وانصرف راجعًا .

فأتى إلى رملة كَرْمَان في شدة الحر والقيظ - وهى رملةٌ شديدة الرَّمْضاء <sup>(٢)</sup> - فضرب قُبَّتَه فيها ، وحطّ عن رواحله ، فبينما هو كذلك إذا بأعرابى من بنى بكر ابن وائل ، قد أقبل على بعير ، قاصدًا نحوه ، وقد اشتد الحر ، وحميت الغزاة <sup>(٣)</sup> وقت الظهيرة ، وقد ظمى ظمًا شديدًا ، فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال الغضبان : هذه سنّةٌ وردّها فريضة ، قد فاز قائلُها ، وخسرتارِكُها ؛ ما حاجتك يا أعرابى ؟ فقال : أصابتنى الرَّمْضاء ، وشدة الحر والظمأ ؛ فتيمّمت قُبَّتُك ، وأرجو بركتها .

قال الغضبان : فهلا تيمّمت قبةً أكبر من هذه وأعظم !

قال : أيتها تعنى ؟ قال : قبة الأمير ابن الأشعث ! قال : تلك لا يُوصل إليها ! قال : إن هذه أمتعُ منها ! فقال الأعرابى : ما اسمك يا عبد الله ؟ قال :

(١) أرداه : أهلكه (٢) الرّمض : وقع الشمس على الرمل وغيره (٣) الغزاة هنا : الشمس .

آخذ ، فقال : وما تعطى ؟ قال : أكره أن يكون لى اسمان !

قال : بالله من أين أتيت ؟ قال : من الأرض ! قال : فأين تريد ؟ قال : أمشى فى مَنَّا كِبها<sup>(١)</sup> ، فقال الأعرابى - وهو يرفع رجلاً ، ويضع أخرى ، من شدة الحر - أتقرض الشعر ؟ قال : إنما يقرض الفأر ؟ فقال : أفدَسْجَم ؟ قال : إنما تسْجَمُ الحَمَامَة ! فقال : يا هذا ، ائذن لى أن أدخل قُبَّتِكَ ! قال : خَلْفَكَ أوسعُ لك ! فقال : قد أحرقنى حرُّ الشمس ! قال : مالى عليها من سلطان ! فقال : إنى لا أريد طعامك ولا شرابك ، قال : لا تتعرض لما لاتصل إليه ، ولو تَلَفْتَ روحك ! فقال الأعرابى : سبحان الله ! قال : نعم من قبل أن تطلع أضرارُك ! فقال : ما عندك غير هذا ؟ قال : بلى ، هراوة أضربُ بها رأسك ! فاستغاث الأعرابى : يا جار بنى كعب !

قال الفضبان : بئس الشيخ أنت ! فوالله ما ظلمك أحدٌ فتستغيث ! فقال الأعرابى : مارأيتُ رجلاً أقسى منك ؛ أتيتك مستغيثاً فحجبتنى وطردتنى ، هلا أدخلتنى قُبَّتَكَ وطارحتنى القريض ؟ قال . مالى بمحادثتك من حاجة ! فقال الأعرابى : بالله ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الفضبان بن القَبْعَثْرِ . قال : اسمك منكرا ، خُلِقا من غضب ! قال : قِفْ متوكئاً على باب قُبَّتى برجلك هذه السوجاء ! فقال : قطعها الله إن لم تكن خيراً من رجلك هذه الشنماء !

قال الفضبان : لو كنت حاكماً لجرت فى حكومتك ، لأن رجلى فى الظل قاعدة ، ورجلك فى الرمضاء قائمة .

(١) المنكب : ناحية كل شىء .

فقال الأعرابي : إني لأظنُّ : هرك فاسداً . قال : ما أقدرني على إصلاحه !  
فقال الأعرابي : لا أرضاك الله ولا حيّاك ، ثم ولى وهو يقول :

لا بارك الله في قوم تَسُودُهُمُ إني أظنك - والرحمن - شيطاناً  
أنت قَبَّته أرجو ضيافته فأظهر الشيخ ذو القرّنين حرماناً

فلما قدم الفضبان على الحجاج - وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن  
الأشعث وبين الأعرابي - قال له الحجاج : يا غضبان ، كيف وجدت أرضَ  
كرمان ؟ قال : أصلح الله الأمير ! أرض يابسة ، الناسُ بها ضعاف ؛ إن كثروا  
جاعوا ، وإن قلوا ضاعوا .

فقال له الحجاج : ألسنت صاحب الكلمة التي بلغني أنك قلتها لابن الأشعث :  
« تعدُّ بالحجاج قبل أن يتعشى بك » ؟ فوالله لأحبسَنَّك عن النوساد ، ولأنزلنك عن  
الجباد ، ولأشهرنك في البلاد !

قال : الأمان أيها الأمير ! فوالله ما ضرتُّ من قيلت فيه ، ولا نفعت من  
قيلت له !

فقال له : ألم أقل لك : كَأني بصوتك يجلجل في قصرى هذا ! اذهبوا به  
إلى السجن .

فذهبوا به؛ فقيدَ وسجن ، فكث ما شاء الله .

ثم إن الحجاج ابتنى الخُصْرَاءَ بِوَاسِطِ فَأُعْجِبَ بِهَا ، فقال لمن حوله : كيف  
تَرَوْنَ قَبَتِي هذه وبناءها ؟ فقالوا : أيها الأمير إنها حصينة مباركة ، منيعة نضرة  
بهجة ، قليلٌ عَيْبُهَا ، كثيرٌ خَيْرُهَا ، قال : لِمَ لَمْ تخبروني بنصح ؟ قالوا : لا يَصِفُهَا  
لك إلا الغضبان .

فبعث إلى الغضبان فأحضره ، وقال له : كيف ترى قبتي هذه وبناءها ؟ قال :  
أصلح الله الأمير ؛ بنيتها في غير بلدك ، لالك ولا لولدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها  
وارثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها بياق !

فقال الحجاج : قد صدق الغضبان ، رُدّوه إلى السجن .

فلما حملوه قال : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ <sup>(١)</sup> » .

فقال : أنزلوه ، فلما أنزلوه قال : « رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ

الْمُنْزِلِينَ » . فقال : اضربوا به الأرض ، فلما ضربوا به الأرض قال :

« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » .

فقال : جُردّوه ، فأقبلوا يجردونه ، وهو يقول : « بِسْمِ اللَّهِ تَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا

إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

فقال الحجاج : ويلكم ! اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا . ثم عفا عنه ، وأنم

عليه ، وخلق سبيله .

---

(١) مقرنين : مطبقين .

١٦٢ — حسن تخلص\*

صَعِدَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ الْمِنْبَرَ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ عَلَى مَكَّةَ ،  
فَذَكَرَ الْحُجَّاجَ ، فَحَمْدَ طَاعَتِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، بِأَمْرِهِ فِيهِ  
بِشْتَمِ الْحُجَّاجِ وَنَشْرِ عِيُوبِهِ ، وَإِظْهَارِ الْبَرَاءَةِ مِنْهُ ؛ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى  
عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنْ إِبْلِيسَ كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ يُظْهَرُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ  
مَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبْنِهِ مَا خَفِيَ عَلَى  
مَلَائِكَتِهِ ؛ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ أَمْرَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ، فَظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانَتْ يَخْفِيهِ  
عَنْهُمْ ، فَلَعَنُوهُ .

وَإِنْ الْحُجَّاجُ كَانَ يُظْهَرُ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا نَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ  
اللَّهُ أَطْلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبْنِهِ عَلَى مَا خَفِيَ عَنْهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ  
أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَعَنَهُ ؛ فَالْعَنُوهُ لِمَنَّهُ اللَّهُ ! ثُمَّ نَزَلَ .

١٦٣ — بُثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان \*

دخلت بُثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان ، فانصرف إلى عزة ، وقال :  
أنتِ عزة كثير؟ قالت : لست لكثير بعزة ؟ لكنني أمٌ بكر ، قال : أتروين  
قول كثير :

وقد زعمتُ أني تغيّرتُ بعدها ومن ذا الذي ياعزُّ لا يتغيّر !

قالت : لست أروى هذا ، ولكنني أروى قوله :

كأنى أنادى أو أكلّمُ صخرةً من الصمّ لو تمشى بها المصم<sup>(١)</sup> زلتِ

ثم انحرف إلى بُثينة فقال : أنت بُثينة جميل ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين !

قال : ما الذى رأى فيك جميل حتى لهج بكرك من بين نساء العالمين ؟ قالت :

الذى رأى الناسُ فيك فجملوك خليفتهم . فضحك حتى بدا له ضرس أسود لم يرَ

قبلَ ذلك ، وفضل بُثينة على عزة فى الجائزة .

وأمرهما أن يدخلتا على عائكة<sup>(٢)</sup> فدخلتا عليها ، فقالت لعزة : أخبرينى عن

قول كثير :

قضى كلُّ ذى دين فوفى غريمه وعزة ممطولٌ معنّى غريمها

ما كان دينه ؟ وما كنتِ وعدته ؟ قالت : كنت وعدته صلة ثم تأثمت<sup>(٣)</sup> منها .

\* المستطرف : ١ - ٦٩ ، الأملى : ١ - ٤٨ .

(١) الأصم من الوعول : ما فى ذراعيه أو فى أحدهما يابس وسائر أسود أو أحر .

(٢) عائكة : امرأة عبد الملك (٣) تأثمت : تخرج .



## ١٦٤ — مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟

قال عبد الملك لجريز : من أشعرُ الناس ؟ فقال : ابن العشرين <sup>(١)</sup> ، قال : فما رأيك في ابني <sup>(٢)</sup> أبي سلمى ؟ قال : كان شعرها نيراً يأمر المؤمنين . قال : فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : اتخذ الخبيثُ انشعرَ نملين ، وأقسمُ بالله لو أدركته لرفعتُ ذِلَّاهُ <sup>(٣)</sup> . قال : فما تقول في ذى الرِّمَّة ؟ قال : قدَّرَ من ظريف الشعر وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد . قال : فما تقول في الأخطل ؟ قال : ما أخرج لسانُ ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول في الفرزدق ؟ قال : في يده والله نَبْعَةٌ <sup>(٤)</sup> من الشعر قد قبض عليها . قال : فما أراك أبقيتَ لنفسك شيئاً ، قال : بلى والله يا أمير المؤمنين ، إني لمدينةُ الشعر التي منها يخرجُ وإليها يعودُ ، نَسَبْتُ <sup>(٥)</sup> فَأَطْرَبْتُ ، وَهَجَوْتُ فَأَرْدَيْتُ <sup>(٦)</sup> ، ومدحتُ فَأَسْدَيْتُ ، وأرملتُ <sup>(٧)</sup> فَأَغْزَرْتُ ، وزجرتُ فَأَبْجَرْتُ ، فأنا قلتُ ضروبَ الشعرِ كلها ، وكلُّ واحدٍ قال نوعاً منها . قال : صدقت !

\* الأغاني : ٨ - ٥٣ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) يعني طرفه . (٢) يعني زهيراً وابنه كعباً . (٣) ذلال القميص : ما يلي الأرض من أسافله ،

ويريد أنه كان يلزمه ويخدمه . (٤) النبع : شجر تتخذ منه القسي . وتتخذ من أغصانه السهام ،

الواحدة نبعة . (٥) نسب بالمرأة : شَبَّ بها في الشعر . (٦) أرديت : أهأكت .

(٧) الرمل في الشعر : غير القصيد والرجز .

## ١٦٥ — سليمان بن عبد الملك وأبي حازم \*

دخل سليمان<sup>(١)</sup> بن عبد الملك المدينة ، فأقام بها ثلاثاً ، ثم قال : أما هنا رجلٌ  
من أدرك أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ؟ فقيل له : بلى ، ها هنا  
رجل يقال له أبو حازم . فبعث إليه ، فجاءه .

فقال له سليمان بن عبد الملك : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟ فقال له أبو حازم :  
وأى جفاء رأيت منى ؟ قال له سليمان : أتانى وجوهُ أهل المدينة كلهم ، ولم تأتني !  
فقال له : أعيدُك بالله أن تقول ما لم يكن ، ماجرى بينى وبينك معرفة ، آتيتك  
هكذا ؟ فقال سليمان : صدق الشيخ !

ثم قال سليمان : يا أبا حازم ، ما لنا نكره الموت ؟ فقال أبو حازم : لأنكم  
خرّبتُم آخِرَتَكم ، وعمرتُم دُنياكم ، فأنتم تكرهون أن تُنقلوا من العُمران إلى  
الخراب . قال : صدقت يا أبا حازم ، كيف القدومُ على الله ؟ فقال : أما المُحسن  
فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالآبق<sup>(٢)</sup> يقدم على مولاه . فبكى  
سليمان ، وقال : ليت شعرى ما لنا عند الله يا أبا حازم ! فقال أبو حازم : اغرض  
نفسك على كتاب الله عز وجل تعلم ما لك عند الله ، فقال : يا أبا حازم ؛ أين نُصيبُ  
تلك المعرفة في كتاب الله عز وجل ؟ قال أبو حازم : عند قوله تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ

\* مسامرات الأبرار : ١ - ١٧٤ ، العفو . الفريد : ٢ - ١٠٧

(١) انظر صفحة ٣٢٩ (٢) الآبق : الهارب .

لَقِيَ نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» . فقال سليمان : يا أبا حازم ؛ فأين رحمةُ الله ؟ قال أبو حازم : قريبٌ من المحسنين .

قال سليمان : يا أبا حازم ، مَنْ أحمق الناس ؟ قال أبو حازم : من باع آخرته بدنيا غيره . فقال سليمان : ما أسمعُ دعاء الناس ؟ قال : دعاءُ الخَبِيثِينَ<sup>(١)</sup> إليه . قال سليمان : ما أزكى الصدقة ؟ فقال أبو حازم : جهدُ المُقِلِّ . فقال سليمان : يا أبا حازم : ما تقول فيما نحن فيه ؟ فقال أبو حازم : أَعَفْنَا مِنْ هَذَا ؛ فقال سليمان : نصيحة بَلَفَتْهَا . قال أبو حازم : إِنْ أَنَا سَأَلْتُكَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا إِجْمَاعٍ مِنْ رَأْيِهِمْ ، فَسَفَكُوا الدَّمَاءَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، فَلَيْتَ شَعْرَى مَا قَالُوا ، وَمَا قِيلَ لَهُمْ ! فقال بعض جلسائه : بئس ما قلتَ يَا شَيْخُ ! فقال أبو حازم : كَذَبْتَ ، إِنْ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ لِبَيِّنَاتِهِ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ، فقال سليمان : يا أبا حازم ؛ كَيْفَ الْأَخْذَ بِذَلِكَ ؟ قال أبو حازم : تَأْخُذُهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَتَضَعُهُ فِي أَهْلِهِ ، فقال له سليمان : اصْحَبْنَا يَا أبا حازم ، تَصِيبُ مِنَّا وَنَصِيبُ مِنْكَ ، فقال : أَعِيدُكَ مِنْ ذَلِكَ ! قال سليمان : وَلَمْ ؟ قال : أَخَافُ أَنْ أُرْكَنَ إِلَيْكُمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، فَيَذِيقَنِي اللَّهُ مِنْهَا ضَعْفَ<sup>(٢)</sup> الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ !

قال سليمان : يا أبا حازم ، فَأَشِيرْ عَلَيَّ . فقال أبو حازم : اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، أَوْ أَنْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ . قال سليمان : يا أبا حازم ، ادْعُ لَنَا بِخَيْرٍ . فقال أبو حازم : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَلِيِّكَ فَبَشِّرْهُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ كَانَ عَدُوُّكَ فَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيئِهِ ، فقال سليمان : عِظْنِي يَا أبا حازم ، فَقَدْ أُوجِزْتَ ، فقال : إِنْ كُنْتَ وَلِيَّهِ فَخَسْبُكَ ، وَإِنْ كُنْتَ عَدُوَّهُ فَمَا يَنْفَعُكَ إِذَا رَمَى بِقَوْسٍ بِغَيْرِ وَتَرٍ .

(١) الإخبات : الخشوع (٢) أى ضعف العذاب حياً وميتاً .

فقال سليمان : يا غلام ، إيت بمائة دينار ، ثم قال : خذها يا أبا حازم ، فقال أبو حازم : لا حاجة لي بها ، إني أخاف أن تكون قد أعطيتها لما سمعت من كلامي ، إن موسى عليه السلام لما هرب من فرعون وورد ماء مدين ، وجد عليه جاريتين تذودان ، قال : ما خطبكما ؟ قالتا : لا نسقي حمة ، يُصدر الرعاء (١) وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ، ثم تولى إلى الظل ، فقال : رب إلى لما أنزلت إلى من خير فقير : ولم يسأل على عون الله أجرا على دينه ، فلما أنكر ذلك أبوها ، وقال : ما أعجلكما ؟ قالتا : وجدنا رجلا صالحا فسقى لنا ، قال : فما سمعناه يقول ؟ قالتا : سمعناه يقول : « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » . فقال : ينبغي أن يكون هذا جائعا ؟ تنطلق إحداكما ، فتقول له : إن أبي يدعوك ليجزيك أجرا ما سقيت لنا .

فخرج من ذلك موسى — عليه السلام — وكان طريدا في فيافي الصحراء ، فأقبل والجارية أمامه ، فهبت ريح ، فكشفتها له — وكان ذا خلق — فلما بلغ الباب ، دخل ، وإذا طعام موضوع . قال شعيب : أصب يا فتى من هذا الطعام ، قال موسى — عليه السلام : أعوذ بالله . قال شعيب : ولم ؟ قال موسى : لأننا من بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا . قال شعيب — عليه السلام : لا والله ، لكنها عادتى وعادة آبائي ، نظم الطعام ، ونقرى الضيف . فجلس موسى فأكل .

فإن كانت هذه الدنانير عوضا لما سمعت من كلامي ، فأنا أرى أكل الميتة والدم في حال الضرورة أحب إلى من أخذها .

فكان سليمان أعجب بأبي حازم ، فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ؛ أيسرُّك أن يكون الناس كلهم مثله ! قال الزهري : إنه لجأري منذ ثلاثين سنة

(١) الرعاء : الرعاة .

ما كلمته بكلمة قط ، قال له أبو حازم : صدقت ، إنك نسيت الله فنسيتني ، ولو  
أحببت الله لأحببتني ، قال الزهري : أنشمتني ؟ قال سليمان : أنت شمت نفسك ،  
أما علمت أن للجار على جاره حقاً ! قال أبو حازم : إن بني إسرائيل لما كانوا على  
الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء ، وكانت العلماء ترضى بدينها عن الأمراء ،  
فاستغنت الأمراء عن العلماء ، واجتمع القوم على المعصية ، فشغلوا وانتكسوا ، ولو كان  
علماءنا هؤلاء يصونون علمهم ، لها بهم الأمراء . قال الزهري : كأنك لي تريد ، وبى  
تعرض ، قال : هو ما تسمع !

## ١٦٦ — ضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شَتَّتْ \*

لَمَّا وَلِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخِلَافَةَ ، أَتَى بِبِزِيدِ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ — مَوْلَى الْحِجَابِ ، فِي جَامِعَةِ <sup>(١)</sup> ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيًّا قَبِيحًا تَقْتَحِمُهُ <sup>(٢)</sup> الْعَيْنُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ سُلَيْمَانُ قَالَ : لَمَنْ اللَّهُ امْرَأً أَجْرَكَ رَسَنَكَ <sup>(٣)</sup> ، وَوَلَى مِثْلَكَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَنِّي مُدْبِرٌ ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَلَيَّ مُقْبِلٌ لَا اسْتَعْظَمْتَ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَصَفَرْتَ ، وَلَا اسْتَجَلَلْتَ مَا اسْتَحْقَرْتَ .

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَيْنَ تَرَى الْحِجَابَ ، أَيُّهُوَ فِي النَّارِ أَمْ اسْتَقَرَّ فِي قَمَرِهَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَقُلْ هَذَا ، إِنَّ الْحِجَابَ قَمَعَ لَكُمْ الْأَعْدَاءَ ، وَوُطِّئَ لَكُمْ الْمَنَابِرَ ، وَزَرَعَ لَكُمْ الْمُهَيْبَةَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ . . . . . وَبَعْدَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ أَيْبِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَشِمَالِ أُخْيَيْكَ الْوَلِيدَ ، فَضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شَتَّتْ ! فَصَاحَ بِهِ سُلَيْمَانُ : أَخْرِجْ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ! ثُمَّ التَفَتَ إِلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ : قَبِحَهُ اللَّهُ ، مَا كَانَ أَحْسَنَ تَرْثِيهِ لِنَفْسِهِ وَلِصَاحِبِهِ !

\* الْأَمَالِيُّ : ١ - ٢١٥ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ : ١ - ١٥٠ ، مَرْوَجُ الذَّهَبِ : ٢ - ١٦٤ ، الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ : ١ - ٢١٠ .

(١) الْجَامِعَةُ : الْقَيْدُ (٢) تَقْتَحِمُهُ : تَزْدَرِيهِ (٣) أَجْرَهُ رَسَنَهُ : يَرِيدُ تَرْكَهُ يَصْنَعُ مَا يَشَاءُ .



## ١٦٧ — مناظرة مع الخوارج\*

بعث هُرُ بن عبد العزيز إلى شوذب الجُرُوري<sup>(١)</sup> وأصحابه حين خرجوا بالجزيرة؛ فجاءوه برجلين منهم: أحدهما من بني شيبان، والآخر حبشي اسمه عاصم، وهو أشد الرجلين حجّةً ولسانا.

وصعدا إليه في غرفة معه فيها ابن عمه عبد الملك وكاتبه مزاحم، وأعلموه مكانهما، فقال: ابحثوها ألا يكون معهما حديدة، ثم أدخلوها، ففعلوا.

فلما دخلا قالوا: السلام عليكم، ثم جلسا، فقال لهما عمر: أخبراني ما أخرَجَكُما مُخْرَجَكُما هذا؟ وأي شيء نقيم علينا؟ فقال عاصم: والله ما نقمنا عليك في سيرتك، فإنك لتَجْري العدلَ والإحسان، ولكن بيننا وبينك أمرٌ إن أعطيتناهُ فأنْت منّا ونحنُ منك، وإن منَعْتناهُ فلست منّا ولسنا منك! قال عمر: وما هو؟ قال: رأيتك خالفت أعمالَ أهل بيتك، وسلكتَ غيرَ طريقهم، وسميتَها مظالم؛ فإن زعمتَ أنك على هُدًى وهم على ضلال فابْرَأْ منهم والعَنهم، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرِّق.

فقال عمر: إني قد عرفت أنكم لم تخرجوا لطلب الدنيا ولكنكم أردتم الآخرة

\* سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم: ١٣٠

(١) الحرورية: طائفة من الخوارج، ينسبوت إلى حروراء، وهو موضع بظاهر الكوفة، كان فيه أول اجتماعهم حين خالفوا على بن أبي طالب. وشوذب: اسمه بسطام من بني بشكر.

فأخطأتم سبيلها ، وأنا سائلكم عن أمر ! فبالله لتصدقاني عنه فيما بلغه علمكما .  
 قالا : نفعل ، قال : رأيتم أبا بكر وعمر ؟ أليسا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون  
 لهما بالنجاة ؟ قالا : بلى . فقال : هل تعلمون أن العرب ارتدت بعد رسول الله فقاتلهم  
 أبو بكر ؛ فسفك الدماء ، وسبي الذراري ، وأخذ الأموال ؟ قالا : قد كان ذلك .  
 قل : فهل تعلمون أن عمر لما قام بعده رد تلك السبايا إلى عشائهم ؟ قالا : قد كان  
 ذلك . قال : فهل يرى أبو بكر من عمر ، أو عمر من أبي بكر ؟ قالا : لا ؟ قال :  
 فهل تبرأون من واحد منهما ؟ قالا : لا !

قال : أخبراني عن أهل النهر وان ؛ أليسوا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون  
 لهم بالنجاة ؟ قالا : بلى ! قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم  
 كفوا أيديهم ، فلم يخيفوا آمنة ولم يسفكوا دما ، ولم يأخذوا مالا ؟ قالا : قد كان  
 ذلك . قال : فهل تعلمون أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع عبد الله بن وهب  
 استعرضوا الناس فقتلهم ، وعرضوا لعبد الله بن خباب صاحب النبي صلى الله عليه  
 وسلم ؛ فقتلوه وقتلوا جاريته ، ثم صبّحوا حياً من العرب فاستعرضوهم فقتلوا الرجال  
 والنساء والولدان ، حتى جعلوا يلقون الأطفال في قدور الأقط<sup>(١)</sup> وهي تفور بهم ؟  
 قالا : قد كان ذلك ! قال : فهل يرى أهل الكوفة من أهل البصرة ، أو أهل  
 البصرة من أهل الكوفة ؟ قالا : لا ! قال : فهل تبرأون من طائفة منهما ؟  
 قالا : لا !

قال عمر : أخبراني رأيتم الدين واحد أم اثنين ؟ قالا : بل واحد ! قال :

(١) الأقط : شيء يستخرج من الخيض الفنى .

فهل يسمعكم فيه شيء يُعجزني ؟ قالوا : لا ! قال : فكيف وسمعكم أن توليتم أبا بكر وعمر ، وتولّى كل واحدٍ منهما صاحبه ، وقد اختلفت سيرتهما ! أم كيف وسمع أهل الكوفة أن تولوا أهل البصرة وأهل البصرة أهل الكوفة وقد اختلفوا ، وكيف وسمعكم أن توليتهموهم جميعا وقد اختلفوا في أعظم الأشياء ؛ في الدماء والأموال ، ولا يسمنى - بزعمكما - إلا لعنُ أهل بيتي والبراءة منهم ! فإن كان لعنُ أهل الذنوب فریضة مفروضة لا بد منها ، فأخبرني عنك أيها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون ! قال : ما أذكرُ متى لعنته . قال : ويحك ! فيسمعك تركُ لعن فرعون ، ولا يسمنى بزعمك إلا لعنُ أهل بيتي والبراءة منهم ! ويحكم ! إنكم قوم جهال ، أردتم أمرا فأخطأتموه ، فأنتم تقبلون من الناس ماردٌ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتردون عليهم ما قبل منهم ، ويأمنُ عندكم من خاف عنده ؛ ويخاف عندكم من آمن عنده . قالوا : ما نحن كذلك . قال : بل تقرؤون بذلك الآن .

هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الناس وهم عبدة أوثان ؛ فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان ؛ وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فمن فعل ذلك حقن دمه ، وأمينَ عنده ، وكان أسوة بين المسلمين ، ومن أبى ذلك جاهدَه ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلستم أنتم اليوم تبرأون ممن يخلع الأوثان ، ومن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتلعنونه وتقتلونه ، وتستحلون دمه ، وتلقون من يأبى ذلك من سائر الأمم من اليهود والنصارى ؛ فتحرمون دمه ويأمن عندهم ؟ فقال عاصم : مارأيت حجةً أبين ولا أقرب مأخذاً من حجتك ؛ أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنتى برىء ممن خالفك .

وقال للشيباني : فأنت ماتقول ؟ قال : ما أحسنَ ماقلت ؛ وأبين ماوصفت ؛

ولكن أكره أن أفقات على المسلمين بأمر لا أدري ما حاجتهم فيه ، حتى أرجع إليهم ، فلعلّ عندهم حجة لا أعرفها . قال : فأنت أعلم ، ثم أمر لعاصم بعطائه ، وأقام عندهم خمس عشرة ليلة ثم مات ، ولحق الشيباني بقومه فقتل معهم .

### ١٦٨ — ليس الأمر بالسن\*

قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتهمياً للكلام ، فقال : أكبروا أكبروا ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه ليس بالسن ، ولو كان الأمر كذاً . بالسن لكان في المسلمين من هو أسن منك ، فقال عمر : صدقت ، رحلك الله ، تكلم !

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنا لم نأتك رغبة ولا وهبة ؛ أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا ، وقدمت علينا بلادنا ؛ وأما الرهبة فقد أمنتنا الله بعد ذلك من جورك ، قال : فمن أنتم ؟ قال : وفد الشكر .

فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك ! فإن ناساً خدعهم الثناء ، وغرهم شكر الناس فهلكوا . وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم ؛ فألقى عمر رأسه على صدره !

لما أقبل عمر بن عبد العزيز على رد المظالم ، وقطع عن بني أمية جوائزهم وأرزاق أحراسهم ، ورد ضياعهم إلى الخراج ، وأبطل قطائعهم فأفقرهم ، ضجوا من ذلك ؛ فاجتمعوا إليه وقالوا : إنك قد أجلبت<sup>(١)</sup> المال للمسلمين ، وأفقرت بني أبيك ، فيما ترد من هذه المظالم ؛ وهذا أمر قد وليه غيرك قبلك ، فدعهم وما كان منهم ، واشتغل أنت وشأنك ، واعمل بما رأيت .

قال لهم : هذا رأيكم ؟ قالوا : نعم ! قال : ولكني لا أرى ذلك ، والله لو دبت<sup>(٢)</sup> إلا تبقى في الأرض مظلمة إلا ردتها !

فخرجوا من عنده ، ودخلوا على عمر بن الوليد بن عبد الملك - وكان كبيرهم وشيخهم - فسألوه أن يكتب إلى عمر يوبخه لعله أن يردّه عن مسألتهم ، فكتب إليه :

« أما بعد فإنك أزريت<sup>(٣)</sup> على من كان من قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم ، وميرت بغير سيرتهم وسميتها المظالم ؛ نقصاً لهم ، وعيباً لأعمالهم ، وشناً لمن كان بعدهم من أولادهم ، ولم يكن ذلك لك ؛ فقطمت ما أمر الله به أن يوصل ، وعملت بغير الحق في قرابتك ، وعمدت إلى أموال قريش ومواريتهم وحقوقهم ، فأدخلتها بيت مالك ظلاً وجوراً وعدواناً ، فاتق الله يا بن عبد العزيز وراقبه ؛ فإنك إن

\* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٥٢ ، ابن أبي الحديد : ٤ - ٧ ، ١

(١) أجلب : طلب (٢) أزرى عليه : طابه .



شططت لم تظمن على منبرك ، وإن خصصت ذوى قرابتك بالقطيعة والظلم ؛  
فوالله الذى خصّ محمداً صلى الله عليه بما خصّه به من الكرامة ، لقد ازدادت  
من الله بُمداً فى ولايتك هذه التى تزعم أنها بلاء عليك وهى كذلك ! فاقصد فى  
بعض مَنيلك وتحمُّلك . اللهم فاسأل سليمان <sup>(١)</sup> بن عبد الملك بما صنع بأمة محمد  
صلى الله عليه وسلم ! »

فكتب عمر بن عبد العزيز إليه :

« من عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد . سلام على من اتبع الهدى ، أما  
بعد فإن أول أمرك يا فلان أن أمك بُناة كانت أمةً تدخل دُورِ خص ، وتطوف فى  
جوانبها ، والله أعلم بها ، فاشترأها ذُبيان بن ذُبيان من فِء المسلمين ، فأهداها إلى  
أبيك فحملت بك ، فبئس الحامل وبئس المحمول ، ثم نشأت فكنت جباراً شقيماً .  
كتبت إلى تظلمنى <sup>(٢)</sup> ، وزعمت أن حرمتك وأهل بيتك فى بيت مال المسلمين ،  
الذى فيه حق القرابة والضعيف والمساكين وابن السبيل ، وإنما أنت كأحدهم ؛ لك  
ماهم ، وعليك ما عليهم . »

وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله ، الذى استعملك صبيّاً سفيهاً تحكّم فى دماء  
المسلمين وأموالهم برأيك ، ولم يكن يحمله على ذلك إلا حبُّ الولد ، ولم يكن ذلك له  
ولا حق له فيه ، فويلك ثم ويل أبيك ! ما أكثر طلابكما وخصماء كما يوم القيامة !  
وكيف النجاة لمن أكثر خصماؤه ؟

« وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من جعل لفلاة البربرية سهماً فى فِء المسلمين

(١) سليمان بن عبد الملك هو الذى عهد إلى عمر بن عبد العزيز بالخلافة (٢) ظلمه : نسب الظلم  
إليه .



« وَصَدَقَاتِهِمْ . أَهَاجَرْتِ ؟ ثَبَّحْتُكَ أُمُّكَ ! أُمُّ بَايَعَتْ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ فَتَسْتَوْجِبُ  
سَهَامَ الْمُقَاتِلِينَ » !

« وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ اسْتَعْمَلَ قُرَّةَ بْنِ شَرِيكَ أَعْرَابِيًّا جَلْفًا  
جَافِيًّا عَلَى مِصْرَ ، وَأُذِنَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ وَالْبِرَابِطِ <sup>(١)</sup> وَالْخَمْرِ .

« وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ <sup>(٢)</sup> عَلَى جَمِيعِ الْمَغْرِبِ ،  
يَجْبِي الْمَالَ الْحَرَامَ ، وَيَسْفِكُ الدَّمَ الْحَرَامَ . رَوَيْدُكَ ! لَوْ قَدْ التَقْتُ عَلَيْكَ خَلْقَتَا  
الْبَطَانِ <sup>(٣)</sup> ، وَطَالَتْ بِي حَيَاةٌ ، وَرَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، تَفَرَّغْتُ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ ،  
فَأَقْتَمْتُ عَلَى الْحِجَةِ <sup>(٤)</sup> الْبَيْضَاءُ ؛ فَطَالَمَا تَرَكْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَكُمْ ، وَأَخَذْتُمْ فِي بَنِيَّاتِ  
الطَّرِيقِ <sup>(٥)</sup> ؛ وَمَنْ وَرَاءَ هَذَا مَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْرَ رَأْيٍ رَأَيْتُهُ : بَيْعُ رَقَبَتِكَ ،  
وَقِسْمُ ثَمَنِكَ بَيْنَ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ . فَإِنْ لَكُلِّ مُسْلِمٍ فِيكَ سَهْمَانِ فِي  
كِتَابِ اللَّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَلَا يَنَالُ سَلَامُ اللَّهِ الظَّالِمِينَ » .

---

(١) البرابط : جمع بربط وهو العود (٢) ولي الوليد يزيد بن أبي مسلم على ثلاثة أخماس المغرب ،  
يقتل ويصلب ويقطع (٣) البطان : حزام الرجل ، له حلقتان في كل طرف حلقة يصعب النقاؤهما ،  
وإذا التقتا بلغ الشد غايته ، وهو مثل يضرب حين بلوغ الشدة منهاهما (٤) الحججة : جادة الطريق  
(٥) بنيات الطريق : الطرق الصغار تنشب من الجادة .

## ١٧٠ — فى وفاة عمر بن العزيز\*

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مَسْلَمَةُ بن عبد الملك ، فقال :  
يا أمير المؤمنين ؛ إنك قد فَرَرْتَ أفواهَ وَلَدِكَ من هذا المال ، فلو أوصيت بهم إلى  
وإلى نظرائى من قومك فكفوك مَثُوتَهُمْ !

فلما سمع مقالته قال : أجلسونى . فأجلسوه فقال : قد سمعتُ مقالتك يا مَسْلَمَةُ .  
أما قولك : إني قد فَرَرْتَ أفواهَ وَلَدِي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ، ولم  
أكن لأعطيتهم شيئاً لغيرهم ، وأما ما قلت فى الوصية فإن وصيتى فيهم : ( الله الذى  
نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ) ، وإنما وَلَدُ عمر بين أحد رجلين : إما  
رجل صالح فسيفنيه الله ، وإما غير ذلك فلن أكون أولَ مَنْ أعانته بالمال على  
معصية الله .

ادعُ لى بَنِيّ : فأتوه ؛ فلما رآهم ترقرت عيناه ، وقال : بنفسى فتية تركتهم  
عالة لا شيء لهم ! وبكى .

يا بَنِيّ ؛ إني تركت لكم خيراً كثيراً لا تمرّون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم  
ألا رأوا لكم حقاً ؛ يا بَنِيّ ، إني قد ميّلتُ<sup>(١)</sup> بين الأمرين : إما أن تستغنوا وأدخل  
النار ، أو تفتقروا إلى آخر الآبد وأدخل الجنة . فأرى أن تفتقروا فذلك أحبُّ إلى .  
قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله !

\* سيرة عمر : ١١٧

(١) ميل بين الأمرين : تردد فى أيهما يفعل .

١٧١ — رأى خالد بن صفوان في الشعراء \*

قال هشام بن عبد الملك لِشَبَّةَ بن عِقَالٍ ، وعنده جريرٌ والفرزدق والأخطلُ ،  
وهو يومئذ أميرٌ : ألا تُخْبِرُنِي عن هؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضهم ، وهتكوا  
أستارهم ، وأغروا بين عشائهم في غير خيرٍ ولا برٍّ ولا نفعٍ ، أيهم أشعرُ ؟  
فقال شَبَّةُ : أمّا جرير فيفرفُ من بحرٍ ، وأمّا الفرزدقُ فينحتُ من صخرٍ ،  
وأما الأخطلُ فيجيدُ المدحَ والفخرَ .

فقال هشام : ما فسرّت لنا شيئاً نحصله ! فقال : ما عندي غيرُ ما قلتُ !  
فقال لخالد<sup>(١)</sup> بن صفوان : صِنِّهم لنا يا بن الأَهمّ ؛ فقال : أما أعظمهم فخراً ،  
وأبعدهم ذِكْراً ، وأحسنهم عُذْراً ، وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلامهم عللاً ،  
الطامى<sup>(٢)</sup> إذا زخرَ ؛ والحامى إذا زأَرَ ، والسامى إذا خطرَ ؛ الذى إن هدرَ<sup>(٣)</sup> قال ،  
وإن خطرَ صال ، الفصيحُ اللسان ، الطويلُ العنان . فالفرزدق .  
وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوئاً ، الذى إن هجا وَضَعَ<sup>(٤)</sup> ،  
وإن مدح رَفَعَ ، فالأخطل .

وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكمهم لعدوّه سِتْراً ؛ الأغرُّ الأبلقُ ،

\* الأغاني : ٨ - ٨١ ( طبعة دار الكتب ) ، معجم الأدباء : ١١ - ٢٥

(١) أحد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان يجالس هشام بن عبد الملك ؛ ولكنه كان بخيلاً ، وتوفي سنة ١٣٥ هـ (٢) الطامى : من طمى الماء ؛ إذا ارتفع وملاً النهر ، وزخر البحر : امتلاً (٣) هدر البعير : ردد صوته في حنجرتة ، وهدر الحمام . كثر صوته (٤) خفض .

الذى إن طَلَبَ لم يُسَبِّقْ ، وإن طُلِبَ لم يُلَحَقْ ؛ فخرير ، وكلهم ذكى الفؤاد ،  
رَفِيعُ العِمَاد ، وَارِى الزُّنَاد .

فقال له مَسْلَمَةُ بن عبد الملك . ماسمنا بمثلك يا خالدُ في الأولين ، ولا رأينا  
في الآخرين ؛ وأشهدُ أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عِطفاً ، وأعفهم مَقالا ،  
وأكرمهم فعلا .

فقال خالد : أتمَّ الله عليكم نِعَمَهُ ، وأجزلُ لديكم قِسَمَهُ <sup>(١)</sup> وأنسَ بكم الفُرْبَةَ ،  
وفرَّجَ بكم الكُرْبَةَ . وأنت ، والله - ماعلتُ أيها الأمير - كريمُ الفِرَاسِ ، عالمٌ  
بالناس ، جوادٌ فى المَحَلِّ ، بَسَّامٌ عند البَدَلِ ، حَلِيمٌ عند الطيشِ ، فى ذِرْوَةِ <sup>(٢)</sup>  
قَرِيشٍ ، وَلُبَّابٍ <sup>(٣)</sup> عبد شمس ، ويومُك خيرٌ من أمس .

فضحك هشام وقال : مارأيتُ كَتَخْلَصِكَ يا بن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم ،  
حتى أَرْضَيْتَهُم جميعاً ، وسلمت منهم .

---

(١) القسم : جمع قِسمَة ، وهى الرزق وما قسمَ - (٢) ذروة : أعلى (٣) لباب : خلاصة .

١٧٢ — المنصور وابن طاوس \*

قال مالك بن أنس : بعث إلى أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاوس ، فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له ، وبين يديه أنطاع<sup>(١)</sup> قد بسطت ، وجُلادٌ بأيديهم السيوف ؛ لضرب رقاب الناس ، فأومأ إلينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلاً ، ثم التفت إلى ابن طاوس ، فقال له : حدثني عن أبيك .

قال : نعم ؛ سمعتُ أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أشركهُ الله في حكمه ، فأدخل عليه الجورَ في عدله » : ثم أمسك ساعة ، قال مالك : فضمنتُ ثيابي تخافةً أن يملأني دمه .

ثم التفت إليه أبو جعفر ، فقال ، عِظْني يا ابنَ طاوس ، قال : نعم ، أما سمعتَ الله يقول : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَامَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ<sup>(٢)</sup> بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ؛ الَّذِينَ طَفَّوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ » .

قال مالك : فضمنتُ ثيابي أيضاً تخافةً أن يملأني دمه ، فأمسك المنصور ساعة حتى اسودَّ ما بيننا وبينه ، ثم قال : يا ابنَ طاوس ؛ ناولني الدواة ، فأمسك ابن طاوس ، ولم يناولهُ إياها وهي في يده ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال :

\* العتد الفريد للملك السعيد : ٥٦

(١) الأنطاع : جمع نطع وهو جلد يفرش (٢) جابوا : خرقوا الصخر فاتخذوه بيوتاً .

أخشى أن تكتبَ بها معصيةَ لله فأصكونَ شريكك فيها . فلما سمع ذلك المنصور  
قال : قوماً عني !

قال ابن طاووس : ذلك ما كنا نبغي ! قال مالك : فما زلتُ أعرفُ لابنِ  
طاووس بعدها فضلَه .

### ١٧٣ - بديهة معن \*

قدم معنُ بن زائده من اليمن ودخل على أبي جعفر المنصور ، فقال له : قد بلغ  
أمير المؤمنين عنك شيء ؛ ولولا مكانك عنده ورأيه فيك لغضب عليك ، قال :  
وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألفَ دينار لقوله  
فيك :

معن بن زائده الذي زيادته به شرفاً على شرف بنو شيبان  
أن عُسِدَ أيامَ الفَعالِ فإِنما يوماء يومٌ ندَى ويومٌ طِمان  
فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُهُ ما بلغتُ لهذا الشعر ، وإنما أعطيتُهُ  
لقوله :

ما زلتَ يومَ الهاشمية<sup>(١)</sup> مُعَلِّناً بالسيف دون خليفة الرحمنِ  
فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مُهَنَّد وسِنان  
فاستحيا المنصور ، وقال : إنما أعطيتُهُ ما أعطيتُهُ لهذا القول ! قال : نعم ،

\* الأغاني : ١٠ - ٨٦ ( طبعة الساسي ) .

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح قريبا من الكوفة .



يا أمير المؤمنين ! والله لولا مخافةُ الشنعة لأمكنته من مفاتيح الأموال ، وأبجته  
إياها ، فقال له المنصور : لله درك من أعرابي ! ما أهون عليك ما يعز على الرجال  
وأهل الحزم !

### ١٧٤ — رسول معن \*

أراد معنُ بن زائدة أن يوفدَ إلى أبي جعفر المنصور قوماً يسألون سخيته ،  
ويستطفون قلبه عليه ، وقال : قد أفنيتُ عمرى فى طاعته ، وأتعبتُ نفسى ، وأفنيتُ  
رجالى فى حربِ اليمى ، ثم يسخطُ علىَّ أنْ أنفقتُ المال فى طاعته !  
فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة ، وكان فيمن اختارَ جماعة بن الأزهر ،  
فجملَ يدعو الرجال واحداً واحداً ، ويقول : ماذا أنت قائل لأمر المؤمنين إذا  
وجهتُك إليه ؟ فيقول : أقول وأقول . . . حتى جاءه جماعة بن الأزهر ، فقال : أعزَّ  
الله الأمير ! تسألنى عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا باليمن ! أقصدُ لحاجتك حتى أتأتى  
لها كما يمكن وينبغى ؛ فقال : أنتَ صاحبى .

ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المزنى وقال : شدَّ على عضد ابن عمك ،  
وقدّمه أمامك ، فإن سها عن شيء فتلافه . واختار من أصحابه ثمانية نفرٍ معهما ، حتى  
تموا عشرة وودّعهم ومضوا ، حتى صاروا إلى أبي جعفر .

فلما صاروا بين يديه تقدّموا ، فابتدأ جماعة بحمد الله والثناء عليه والشكر له

\* تاريخ الطبرى : ٩ - ٢٩٥ .

حتى ظنَّ القومُ أنه إنما قصدَ لهذا ؛ ثم كرَّ على ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكيف اختاره الله من بطون العرب ، ونشر من فضله حتى تعجب القوم ؛ ثم كرَّ على ذكر أمير المؤمنين المنصور ، وما شرفه الله به وما قلَّده ؛ ثم كرَّ على حاجته في ذكر صاحبه . فلما انتهى كلامه ، قال المنصور : أمَّا ما وصفتَ من حمدِ الله ، فالله أجلُّ وأكبر من أن تبلغه الصفات ؛ وأمَّا ما ذكرت من النبي صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله بأكثر مما قلت ، وأمَّا ما وصفتَ به أمير المؤمنين فقد فضله الله بذلك ، وهو معينه على طاعته إن شاء الله ، وأمَّا ما ذكرت من صاحبك فكذبت ولوئمت ؛ ثم أمر المنصور بإخراجهم . قال : صدق أمير المؤمنين ، والله ما كذبتُ في صاحبي .

فأخرجوا ، فلما صاروا إلى آخر الإيوان أمر برده مع أصحابه ، فقال ، أعدْ ما ذكرت . فكرَّ عليه الكلام حتى كأنه في صحيفة يقرؤه ؛ فقال له مثل القول الأول ؛ فأخرجوا حتى برزوا جميعاً ، وأمر بهم فوقفوا ، ثم التفت إلى من حضره من مضر ، فقال : هل تعرفون فيكم مثل هذا ؟ والله لقد تكلم حتى حسدته ، وما معنى أن أتم على رده إلا أن يقال : تعصب عليه لأنه ربَّعي ، وما رأيتُ كالיום رجلاً أربط جاشاً ولا أظهر بيانا ؛ رده يا غلام !

فلما صار بين يديه أعاد السلام وأعاد أصحابه ، فقال له المنصور : اقصد لما جئتُك وحاجة صاحبك ، قال : يا أمير المؤمنين ، ممنُ بن زائدة عبدك وسيفك ومهمك ، رميتَ به عدوك ف ضربَ وطعنَ ورمى ، حتى سهلَ ماحزُن ، وذل ما صعب ، واستوى ما كان معوجاً من اليمن ؛ فأصبحوا من خول أمير المؤمنين - أطال الله

بقائه .. فإن كان في نفس أمير المؤمنين هنة من ساعٍ أو واشٍ أو حاسدٍ فأمر المؤمنين  
أولى بالتفضل على عبده ، ومن أفتى عمره في طاعته .

فقبل وفادتهم ، وقبل العذر من مَن ، وأمر بصرفهم إليه .

فلما صاروا إلى مَن وقرأ الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه ، وشكر أصحابه ،  
وخلع عليهم وأجازهم ، فقال مجاعة :

آليتُ في مجلسٍ من وائلٍ قسماً	ألا أيـمـك يـمـنٌ بأطـاعـ
يامن إنك قد أوليتني نِعماً	عمت لُجِئاً وخَصّت آلَ مَجـاعـ
فلا أزالُ إليك الدَّهرَ منقطعاً	حتى يُشيدَ بهلكي هتفةُ النـاعـي

## ١٧٥ — كبير\*

دخل عمارة<sup>(١)</sup> بن حمزة على المهدي ، فلما استقر به الجلوس ، قام رجل كان المهدي قد أعدّه ليتهكم به ، فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : مَنْ ظلمك ؟ قال : عمارة غصبني ضيقتي - وذكر ضيعة من أحسن ضياع عمارة ، وأكثرها خراجاً - فقال المهدي لعمارة : قم فاجلس مع خصمك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما هو لي بخصم ؛ إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين .

فلما انصرف المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل ، وما كان لباسه ، وأين كان موضع جلوسه !

---

\* نهاية الأرب : ٣ - ٣٧٣ ، معجم الأدباء : ٥ - ٢٤٧

(١) مولى عبد الله بن العباس ، ثم مولى السفاح ، ثم مولى أبي جعفر المنصور ، وكان تياهاً معجباً بنفسه ، جواداً كريماً معدوداً في سراة الناس ، وكان فصيحاً بليغاً وكان أعور دميماً . وكان المنصور والمهدي يقدمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه ، وولي لهما أعمالاً كباراً .

١٧٦ — قنّاعة \*

قال أبو دُلف المِجلى :

حجبتُ فرأيتُ أبا العتاهية واقفاً على أعرابي في ظلٍّ مِيلٍ<sup>(١)</sup> ، وعليه شملة  
إذا غطى بها رأسه بدتُ رجلاه ، وإذا غطى رجله بدا رأسه ؛ فقال أبو العتاهية :  
يا هذا ؛ لولا أن الله أقنع بعض العبادِ بشر البلاد ، ما وسّع خيرُ البلاد جميعَ  
العباد ؛ ثم قال له : من أين معاشُكم ؟ فقال : منكم معشرَ الحاجِّ ؟ تمرون بنا  
فننال من فضولكم<sup>(٢)</sup> ، وتنصرفون فيكون ذلك ؛ فقال له : إنما نمرّ وتنصرف  
في وقتٍ من السنة ، فمن أين معاشُكم ؛ فأطرق الأعرابي ثم قال : لا والله لأدرى  
ما أقول إلا أنا نرزق من حيث لا نَحْتَسِبُ<sup>(٣)</sup> أكثر مما نرزق من حيث نَحْتَسِبُ ؛  
فولى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طالبَ الدنيا      دَعِ الدنيا لشانِكَا !  
وما تصنعُ بالدنيا      وظلُّ الميل يكفِيكَا ؟

\* الأغاني : ٤ - ٨٣ ( طبعة دار الكتب ) .

(١) الميل : منار يبنى للمسافر      (٢) فضول الغنائم : ما فضل منها      (٣) أى من حيث

لا تقدر .

## ١٧٧ — الرشيد وعبد الملك بن صالح\*

رُفِعَ إلى الرشيد أن عبد الملك<sup>(١)</sup> بن صالح يطلبُ الخلافةَ لنفسه ، ويطمحُ فيها ، وأن البرامكة كانوا له في ذلك عوناً ، وأيدَ هذه السعاية ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك وخادمه قُمامة . فأحضر إلى الرشيد ، فلما دخل عليه قال : أ كُفِرَ بالنعمة وجُحوداً لجليل المنة والتَّكْرمة ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لقد بُوتُ إذن بالندم ، وتعرّضت لاستِحلال النقم ، وما ذاك إلا بغيٌ حاسدٍ نافسني فيك المودة والقربة ، وتقديّم الولاية ؛ إنك يا أمير المؤمنين خليفةُ رسول الله في أمته ، وأمينه على عثرته<sup>(٢)</sup> ، لك عليها فرضُ الطاعة وأداء النصيحة ، ولها عليك المدلُّ في حُكْمها والغفران لذنوبها .

فقال الرشيد : أتضعُ لي من لسانك ، وترفعُ لي من جنانك ! هذا كاتبك قمامة يخبر بفلك وفساد نيتك ، فاسمع كلامه !

فقال عبد الملك : أعطاك ما ليس في عقده ، ولعله لا يقدر أن يعفّضني<sup>(٣)</sup> أو يبهتنى بما لم يعرفه مني . وأحضر قمامة . فقال له الرشيد : تقدّم غير هائب ولا خائف . قال قمامة : أقول : إنه عازم على القدر بك والخلاف عليك ! فقال عبد الملك :

\* المحاسن والمساوى : ٥٤٦ ( طبع ليزج ) ، تاريخ الطبرى : ١٠ - ٨٩ ، العقد الفريد : ١ - ١٤٣ ، الكامل لابن الأثير : ٦ - ٧٢ ، زهر الآداب : ٢ - ٢٨٣ .

(١) هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، و ر في الباسيين في درجة السفاح والنصور نسباً . ولاء الرشيد الحروب في الثغور ؛ فقام بذلك خير قيام ، إلى أن عزله الرشيد ، وحبسه بعد نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ (٢) العترة : نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأولون ممن مضى وغبر . (٣) يقال : عضه فلاناً ؛ أى بهته وقال فيه ما لم يكن .



أهو كذلك يا قُمامة؟ قال : نعم ، لقد أردتَ خَتَلٌ<sup>(١)</sup> أمير المؤمنين . فقال عبد الملك : كيف لا يكذب عليَّ من خلفي ، وهو يبهتني في وجهي !

فقال له الرشيد : وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بعتوك ، وفساد نيتك ؛ ولو أردتُ أن أحتجَّ عليك بحجة لم أجد أعذل من هذين لك ، فبم تدفهما عنك ؟ فقال عبد الملك : هو مأمور ، أو عاق مجبور ، فإن كان مأموراً فمعدور ، وإن كان عاقاً ففاجر كفور ، أخبر الله بعداوته وحذر منه بقوله : « إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » . فنهض الرشيد وهو يقول : أمّا أمرك فقد وضح ، ولكنني لا أعجل حتى أعلم الذي يرضى الله فيك ، فإنه الحكم بيني وبينك ، فقال عبد الملك : رضيتُ بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً ، فإنني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه .

فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، ودخل عبد الملك عليه فسلم ، فلم يرد عليه الرشيد ! فقال عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتجُّ فيه ، فقال الرشيد : لِمَه ؟ فقال : لأن أوله جرى على غير السُّنة فأنا أخاف آخره ، قال : وما ذاك ؟ قال : لم ترد على السلام . أنصف نصفة العوام . فقال الرشيد : السلام عليكم اقتداء بالسُّنة ، وإشارة للعهد ، واستمالة للتحية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر وقال :

\* أريدُ حياته ويريدُ قتلي \*

أما والله لأكأني أنظر إلى شوئبوبها<sup>(٢)</sup> قد همع ، وعارضها<sup>(٣)</sup> قد لمع ، وكأني

---

(١) ختله : خدعه (٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، وهمع : سال (٣) العارض : السحاب المعارض في الأفق .

بالوعيد قد أوري ناراً تسطع فأقلع عن برّاجم<sup>(١)</sup> بلا معاصم ، ورموس بلا غلاصم<sup>(٢)</sup> . فهلا مهلا ، بي والله سهل لكم الوغر ، وصفاً لكم الكدر ، وألفت إليكم الأمور أزميتها ، فنذار لكم نذاراً قبل حلول داهية ، خبط باليد ، لبوط<sup>(٣)</sup> بالرجل !

فقال عبد الملك : اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولأك وفي رعيّتك التي استرعاك ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع الثواب ؛ فقد نخلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة ، وشددت أواخي<sup>(٤)</sup> ملكك بأثقل من ركني يلمّم<sup>(٥)</sup> ، وتركت عدوك مشتغلاً ؛ فالله الله في رحلك أن تقطعه بعد أن بلّته<sup>(٦)</sup> ، يظنّ أفصح الكتاب بمضيه<sup>(٧)</sup> ، أو يفي باغ ينهش اللحم ، ويلغ في الدم ! فقد والله سهلت لك العور ، وذلت لك الأمور ، وجهت على طاعتك القلوب في الصدور . فكم من ليل تمام فيك كابدته ، ومقام ضيق لك قمته ! كما قال أخو بني جعفر بن كلاب :

ومقام ضيق فرّجته بينان ولسان وجّـدل  
لو يقوم الفيل أو فيّاله<sup>(٨)</sup> زلّ عن مثل مقامى وزحل<sup>(٩)</sup>

فقال له الرشيد : أمّا والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك ؛ ثم أمر بحبسه ، فحبس عند الفضل بن الربيع .

ثم بعث الرشيد إلى يحيى بن خالد وهو في السجن : « إن عبد الملك بن صالح

(١) البراجم : مفاصل الأصابع (٢) الغلاصم : جم غلصة ، وهي اللحم بين الرأس والعنق  
(٣) يقال : لبط به الأرض ؛ أي ضرب (٤) أواخي : جم آخية : عروة تربط إلى وتد مدقوق  
وتشد فيه الدابة (٥) يلمّم : جبل من الطائف على ليلتين (٦) بلّته : لزمته (٧) المضه :  
الكذب والتمية (٨) الفيال : صاحب الفيل (٩) زحل : زال عن مكانه .

أراد الخروج على ومنازعتي في الملك ، وقد علمت ذلك ، فأعلمني ما عندك فيه ، فإنك إن صدقتني أعدتُك إلى حالك .

فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما اطلعتُ من عبد الملك على شيء من هذا ، وواطلعتُ عليه لكنتُ صاحبه دونك ؛ لأن ملكك كان ملكي ، وسلطانك سلطاني والخيرُ والشرُّ كانا فيه على ولي ؛ فكيف يجوز لعبد الملك أن يطعم في ذلك مني ! وهل كنتُ إذا فعلتُ ذلك به يفعل بي أكثر من فعلك ! أعيدُك بالله أن تظنَّ بي هذا الظنَّ ؛ ولكن كانت رجلاً محتملاً ، بسرُّني أن يكون في أهلك مثله ، فوليته لما أخذتُ<sup>(١)</sup> من مذهبه ، ومِلْتُ إليه لأدبه واحتماله .

فلما أتى الرسولُ الرشيدُ بهذا أعاده عليه وقال : إن أنتَ لم تقرَّ على عبد الملك قُتِلتُ ابنك الفضل ؛ فقال له يحيى : أنتَ مسلط علينا فافعل ما شئت ، على أنه إذا كان من هذا الأمر شيءٌ فالذنبُ فيه لي ، فمِمَّ يدخل الفضل في ذلك ! فقال الرسولُ للفضل : قم ، فإنه لا بدَّ لي من إنفاذ أمر أمير المؤمنين فيك ؛ فلم يشك في أنه قاتله ؛ فودَّعَ أباه وقال له : ألسنتُ راضياً عني؟ قال : بلى ، فرضى الله عنك ، وفرق بينهما ثلاثة أيام ؛ فلما لم يجد عندهما من ذلك شيئاً جمعهما كما كانا .

(١) يقال : أخذت فلاناً ، أى رضيت مذهبه .

## ١٧٨ — هارون الرشيد ومسلم بن الوليد \*

كان هارون الرشيد يقتل أولاد فاطمة وشيعتهم ، وكان مسلم بن الوليد - صريح الفوائى - قد رُمى عنده بالتشيع ؛ فأمر بطلبه ، فهرب منه ، ثم أمر بطلب أنس بن أبى شيخ كاتب البرامكة ، فهرب منه .

ثم وُجد هو ومسلم بن الوليد عند قينة ببغداد ؛ فلما أتى بهما ، قيل له : يا أمير المؤمنين ؛ قد أتى بالرجلين ، قال : أى الرجلين ؟ قيل : أنس بن أبى شيخ ، ومسلم بن الوليد . فقال : الحمد لله الذى أظفرنى بهما . يا غلام ؛ أحضِرهما .

فلما دخلَا عليه نظر إلى مُسلم وقد تغير لونه ، فرق له ، وقال : إيه يا مسلم ! أنت القائل :

أَنَسَ الهوى بنى علىّ فى الحشا وأراه يَطْمَحُ عَنْ بنى العباس

قال : بل أنا الذى أقول - يا أمير المؤمنين :

أَنَسَ الهوى بنى العمومة فى الحشا مستوحشًا من سائر الأناس <sup>(١)</sup>

وإذا تكاملت الفضائل كنتم أولى بذلك يا بنى العباس

فعجب هارون الرشيد من سرعة بديته ، وقال له بعض جلسائه : استنبقه

يا أمير المؤمنين ، فإنه من أشعر الناس ، وامتنحه فسترى منه عجباً ! فقال له : قل

شيئاً فى أنس . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أفرخ <sup>(٢)</sup> روعى أفرخ الله روعك

\* العقد الفريد : ١ - ٤٢٩ ، ديوان مسلم ٣٠١ ( طبعة أوربا )

(١) الأناس : الناس (٢) أذهب روعى وفرعى .

يَوْمَ الحاجة إلى ذلك ؛ فإني لم أَدْخُلْ على خليفة قط ، ثم أنشأ يقول :

تَلَمَّظُ <sup>(١)</sup> السيف من شوقٍ إلى أنس فالموتُ يلحظُ والأقدارُ تنتظرُ  
فليس يبلغُ منه ما يؤملهُ حتى يُؤامِرَ فيه رأيك القدرُ  
أمضى من الموت ؛ يَمْفُو عند قدرته وليس للموت عفوٌ حين يقتدر  
فأجلسه هارون وراء ظهره ، لئلا يرى مام به ، حتى إذا فرغ من قتل أنس  
قال له : أنشدني أشعر شعرك ، فسكها فرغ من قصيدة قال : التي تقول فيها «الوحل»  
فإني رويتها وأنا صغير ، فأنشده شعره الذي أوله :

أَدِيرَا عَلَى الرَّاحِ لَا تَشْرَبَا قَبْلِي وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلَتِي ذَحْلِي <sup>(٢)</sup>  
حتى انتهى إلى قوله :

إِذَا مَا عَلَتْ مِنْهَا ذُوَابُهُ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِنَا مَشَى الْمَقِيدِ فِي الْوَحْلِ  
فضحك هارون ، وقال : عليك ! أما رضيت أن قيدته حتى يمشى في الوحل !  
ثم أمر له بمجازة وخلي سبيله .

(١) أصل التلمظ تحريك اللسان في الفم بعد الأكل ، كأنه يتبع بقية الطعام بين أسنانه ، ويقال تلمظت الحية : إذا أخرجت لسانها لتلمظ الأكل (٢) الذحل : الثأر .

## ١٧٩ — شاعر باهلي في حضرة الرشيد\*

أوفد سعيد بن سالم على الرشيد شاعراً باهلياً ؛ فأنشده قصيدة حسنة ؛  
 فاستتراب به<sup>(١)</sup> الرشيد ؛ وقال : أسمعك مستحسناً ، وأكرمك متهما ! فإن كنت  
 صاحب هذا الشعر ؛ فقل في هذين — وأشار إلى الأمين والمأمون ، وكانا جالسين .  
 فقال : يا أمير المؤمنين ؛ حمّنى على غير الجدد<sup>(٢)</sup> هيبة الخلافة ، ووحشة  
 الغربة ، وروعة المفاجأة ، وجلالة المقام ، وصعوبة البديهة ، وشروء القوافي على  
 غير الروية ، فليمهلى أمير المؤمنين حتى يتألف نافر القول !  
 فقال الرشيد : لا عليك ألا تقول ، قد جعلت اعتذارك عوض امتحانك !  
 فقال : يا أمير المؤمنين ، نفست<sup>(٣)</sup> الخناق ، وسهّلت مئذنان السباق ، ثم قال :  
 بنيت لعبد الله بعد محمد ذراً قبة الإسلام فاخضر عودها  
 هما طنباها<sup>(٤)</sup> بارك الله فيهما وأنت أمير المؤمنين عمودها  
 فقال الرشيد : بارك الله فيك — سل ، ولا تكن مسألتك دون إحسانك .  
 فقال : الهيدة<sup>(٥)</sup> يا أمير المؤمنين ! فأمر له بها وبخلع نفيسة ، وصلة جزيلة !

\* زهر الآداب : ٤ — ١٥٣ .

(١) استراب به : رأى منه ما يريبه (٢) الجدد : ما استوى من الأرض وأصح ، والمراد هنا  
 الأمر السهل (٣) نفست : فرجت (٤) الطنب : حبل الحباء (٥) الهيدة : اسم المائة  
 من الإبل .



## ١٨٠ — أَبَان بن عبد الحميد يمدح نفسه\*

قال العتّابي : كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكى أربعة آلاف ؛ ما بين شاعر  
وزائر ، وفينا فتى<sup>(١)</sup> يحدّثنا ونجتمع إليه ؛ فبينما هو ذات يوم قاعد إذ أقبل إليه  
غلام له ! فقال له : يا مولاي ؛ أخرجتنى من بين أبوى ، وزعمت أن لك صلة  
بالمملك ! فقد صرنا إلى أسوأ ما يكون من الحال . فإن رأيت أن تأذن لى فأنصرف  
إلى أبوى فعلت !

فاغرورقت عينا الفتى ، ثم قال : اثنتى بدواة وقرطاس ، فأتاه بهما فقعد ؛  
فكتب رقعة ، ثم عاد إلى مجلسه ، ثم قال للغلام : انصرف إلى وقت رجوعى  
إليك .

فبينما نحن كذلك إذ جاء رجل يستأذن على الفضل ، فقام إليه الفتى ، فقال :  
توصّل رقتى هذه إلى الأمير ؟ قال : وما فى رقتك ؟ قال : أمدح نفسى ، وأحث  
الأمير على قبولى ، قال : هذه حاجة لك دون الأمير ، فإن رأيت أن تعفينى فعلت !  
قال : قد فعلت .

فعاد إلى مجلسه ، فخرج الحاجب فقام إليه ، فقال له مثل مقالته الأولى .

---

\* الأوراق للصولى : ٤

(١) هو أبان بن عبد الحميد اللاحق الذى نظم كليبلة ودمنة شعراً . وقد أعطاه يحيى بن خالد  
عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار .

فاستظرفه الحاجب وقال : إن رجلاً يمدح نفسه ، ولا يمدح الفضل عجيب !

فأخذ منه الرقعة ، ثم دخل فلوحها للفضل ، فقرأ منها سطرين وهو مستلق على فراشه ، ثم استوى قاعدا ، وتناول الرقعة فقرأها ، فلما فرغ قال للحاجب : أين صاحب الرقعة ؟ قال : أعز الله الأمير ؛ والله لا أعرفه لكثرة من بالباب ؛ فقال الفضل : أنا أعرفه لك الساعة ؛ يا غلام ! اصعد القصر فناد أين ممدح نفسه ؟ فقام الغلام فصاح ؛ فقام الفتى من بيننا بغير رداء ولا حذاء !

فلما مثل بين يدي الفضل ، قال له : أنت القائل ما فيها ؟ قال : نعم ! قال : أنشدني ، فأنشأ الفتى يقول :

أنا من بُغْيَةٍ<sup>(١)</sup> الأمير وكنز من كنوز الأمير ذو أرباح  
كاتب حاسب خطيب أديب ناصح زائد على النصاح  
شاعر مقلق أخف من الريشة مما يكون تحت الجناح<sup>(٢)</sup>  
لى فى النحو فطنة وانقاد أنا فيه قلادة بوشاح  
ثم أروى من ابن سيرين للعالم بقول منور الإفصاح  
ثم أروى من ابن سيرين للشعر وقول النسيب والأمداح  
وطريف الحديث فى كل فن وبصير بترهات الملاح  
كم وكم قد خبأت عندى حديثا هو عند الملوك كالتفاح

(١) من بغيته : من مطالبه ، يريد أن الأمير لو اصططعه واصطفاه لرأى فيه خيراً كثيراً ، وقد عدد مزايا نفسه فى البيتين بعده (٢) الشاعر المقلق : المبدع ، وأخف الريش وأدقه : ما يكون تحت الجناح ، وأراد بالحفة خفة الروح .

فَبِمِثْلِي تَجْلُو الْمُلُوكُ وَتَلْهُو وَتَنَاجِي فِي الْمَشْكِ الْفَدَاحِ  
 أَيْمَنُ النَّاسِ طَائِرًا يَوْمَ صَيْدٍ لَفِدَوْ دُعَيْتُ أَوْ لِرَوَّاحِ  
 أَبْصَرَ النَّاسَ بِالْجَوَاهِرِ وَالْخَيْلِ وَبِالْخِرَدِ الْحَسَانَ الصُّبَّاحِ  
 كُلِّ ذَا قَدْ جَمَعْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْتَى ظَرْيفِ الْمَزَاحِ  
 لَسْتُ بِالنَّاسِكِ الْمُشْرِئِ ثَوْبِيهِ وَلَا الْمَاجِنِ الْخَلِيعِ الْوَقَّاحِ  
 إِنْ رَمَى بِي الْأَمِيرُ أَصْلَحَهُ اللَّهُ رِمَاحًا ثَلُتُ حَدَّ الرِّمَّاحِ  
 مَا أَنَا وَاهِنٌ وَلَا مُسْتَكِينٌ لِسَوَى أَمْرِ سَيِّدِي ذِي السَّمَاحِ  
 حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا .

فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ :

كَاتِبٌ، حَاسِبٌ، خَطِيبٌ، أَدِيبٌ، نَاصِحٌ زَائِدٌ عَلَى النَّصَاحِ ؟ !

قَالَ : نَعَمْ ! أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ ؟ فَقَالَ الْفَضْلُ : يَا غَلَامُ ! الْكِتَابَ الَّتِي وَرَدَتْ  
 مِنْ فَارِسٍ ! فَأَتَى بِهَا ، فَقَالَ لِلْفَتَى : خِذْهَا فَاقْرَأْهَا وَأَجِبْ عَنْهَا ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيِ  
 الْفَضْلِ يَكْتُبُ ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : اعْتَزِلْ يَكُنْ خَيْرًا لَكَ ؟ فَقَالَ : هَهُنَا الرَّأْيُ  
 أَجْمَعُ ، بِحَيْثُ الرِّغْبَةُ وَالرَّهْبَةُ .

فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْكِتَابِ عَرْضَهَا عَلَى الْفَضْلِ ، فَكَأَنَّهَا شَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ! فَقَالَ  
 الْفَضْلُ : يَا غَلَامُ : بَدْرَةٌ ، بَدْرَةٌ ، بَدْرَةٌ <sup>(١)</sup> . فَقَالَ الْفَتَى لِلْغَلَامِ : أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِيرُ !  
 دَنَانِيرٌ أَوْ دَرَاهِمٌ ؟ قَالَ : دَرَاهِمٌ . قَالَ : دَنَانِيرٌ يَا غَلَامُ !

فَلَمَّا وَضَعَتْ الْبَدْرَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ الْفَضْلُ : أَهْلَهَا بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا . قَالَ  
 الْفَتَى : وَاللَّهِ - أَيُّهَا الْأَمِيرُ : مَا أَنَا بِحَمَّالٍ ، وَمَا لِلْحَمْلِ خَلَقْتُ . فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنَّ

(١) الْبَدْرَةُ : كَبِيرٌ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافٍ .

يأمر بعضَ غلمانه بِحَمْلِها على أن الغلام لى ! فأشار الفضل إلى بعض الغلمان ، فأشار  
الفتى إليه : مكانك ! ثم قال : إن رأى الأمير - أيده الله أن يجعل الخيار إلىَّ في  
الغلمان كما فعل بين البدرتين فعل . فقال : اختر . فاختار من أحسنهم غلاما ، فقال :  
احمل ، فلما صارت البدرّة على منكب الغلام بكى الفتى ؟ فاستفزع الفضل ذلك ،  
وقال : ويلك . أستقللا ؟ قال : لا - والله - أيذك الله ، ولقد أكرت ،  
ولكن أصفأ أن الأرض توارى مثلك . قال الفضل : هذا أجود من الأول ،  
يا غلام زده كسوة .

## ١٨١ — العتّابي عند المأمون \*

كان كلثوم العتّابي<sup>(١)</sup> واقفاً بباب المأمون ، فجاءه يحيى بن أكرم ، فقال له العتّابي : إن رأيتَ أن تُعلِّمَ أميرَ المؤمنين بمكانى ! قال : لستُ بحاجة ! قال : قد علمتُ ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوّان ! قال : سلكتُ بى غيرَ طريقى ! قال : إن الله قد ألحقك بجاهٍ ونعمة منه ، فهما مُقيمان عليك بالزيادة إن شكرتَ ، وبالتقتير إن كفرتَ ! وأنا لك اليوم خيرٌ منك لنفسك ؛ أَدْعُوكَ لما فيه زيادةُ نعمتكِ وأنتَ تأبى ذلك ، ولكلِّ شىءٍ زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين .

فدخل يحيى فأخبر المأمون بالخبر ؛ فأدخل عليه العتّابي ، وفى المجلس إسحاق ابن إبراهيم الموصلى ، فأمره بالجلوس ، وأقبلَ يسأله عن أحواله وشأنه ؛ فيجيبه بلسان ناطق ، فاستظرفه المأمون ، وأخذ فى مُدَاعَبَتِهِ .

فطن الشيخ أنه قد استخفَّ به ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ الإيناس<sup>(٢)</sup> قبل الإبسّاس ، فاشتبه عليه قوله ، فنظر إلى إسحاق ، ثم قال : ألف دينار ، فأتى بها فوضعت بين يدي العتّابي .

\* المسعودى : ٢ - ٣٢٣ .

(١) كان العتّابي من أرض جند قنسرين ، وسكن الرقة ، وكان من العلم والقراءة والأدب والمعرفة والترسل ، وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان ، وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة الفريضة على ما لم يكن لكثير من الناس فى عصر مثله .  
(٢) الإيناس : ضد الإيمّاش . والإبسّاس : الرفق بالناقة عند الحلب ، وهو أن يقال : بس بس ، وهو مثل يضرب فى المدارة عند الطلب .

ثم دعا إلى المعارضة ، وأغرى المأمونُ إسحاقَ بالبحث به ، فأقبل إسحاق يعارضه في كل باب يذكره ويزيد عليه ؛ فمجب منه ، وهو لا يعلم أنه إسحاق ، ثم قال العتابي : أياذنُ أميرُ المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه ؟ فأذن له . فقال العتابي : من أنت ؟ وما اسمُك ! قال : أنا من الناس ، واسمى : « كل بصل » ! فقال له العتابي : أمّا النسبةُ فقد عُرِفَتْ ، وأما الاسمُ فنكر ! وما « كل بصل » من الأسماء ! فقال له إسحاق : ما أقلُّ إنصافك ! وما « كلثوم » ؟ والبصل أطيب من الثوم !

قال العتابي : قاتلكَ الله ! ما رأيتُ كالرجل حلاوةً ، أفيأذنُ أمير المؤمنين في صلته بما وصلني به . فقد - والله - غلبني !

فقال له المأمون : بل ذلك مُوفَّرٌ عليك ، ونأمرُ له بمثله ؛ فأنصرف إسحاق إلى منزله ، ونادَمَه بقيةَ يومِهِ .



## ١٨٢ — أبو تمام والأعرابي\*

قال أبو تمام الطائي : خرجتُ يوماً إلى سُرٍّ من رأى ، حين ولى الواثقُ ،  
فلقيني أعرابي وقد قربتُ منها ، فأردت أن أسأله عن شيء من أخبار الناس بها ،  
فخاطبته ، فإذا أفصحُ الناسِ وأفطنهم .

قلتُ : ممن الرجلُ ؟ قال : من بنى عامر ، قلت : كيف علمك بأمر المؤمنين ؟  
قال : قتلَ <sup>(١)</sup> أرضاً عالمها ؟ قلت : فما تقول فيه ؟ قال : وثق بالله فكفاه ،  
أشجى <sup>(٢)</sup> العاصية ، وقمع العادية ، وعدل في الرعية .

قلت : فما تقول في أحمد بن أبي دؤاد <sup>(٣)</sup> ؟ قال : هضبةٌ لا تُرام ، وجندلة <sup>(٤)</sup>  
لا تُضام ، تُشحذُ له المدي ، وتُحبَل <sup>(٥)</sup> له الأشرار ، وتُبغى له الفوائل ، حتى إذا  
قيل : كأن قد ، وثب وثبة الذئب ، وختل <sup>(٦)</sup> ختل الضب .

قلت : فما تقول في محمد بن عبد الملك ؟ قال : وسع الداني شره ، وقتل البعيد

\* أخبار أبي تمام للصولي : ٨٩

(١) أصل القتل التذليل ، وهذا مثل معناه : أن الرجل العالم بالأرض عند سلوكها يذلها ويغلبها  
بعلمه ؛ يضرب في مدح العلم . (٢) أشجيتُه : أوقعته في حزن ، وقهرته . (٣) أحمد بن أبي  
دؤاد : كان فصيحاً مفوهاً ، شاعراً جواداً ممدحاً ، رأساً في التجهم ، وهو الذي شغب على الإمام  
أحمد بن حنبل وأفتى بقتله ، وكان معتزلياً ، له القبول التام عند المأمون والمعتصم ، وهو أول من  
بدأ الخلفاء بالكلام ؛ وكان بينه وبين ابن الزيات شحنة ومهاجرة . توفي بالبصرة سنة ٢٤٠ هـ .

(٤) الجندل : ما يقل الرجل من الحجارة . وقيل : الحجر كله ؛ الواحدة جندلة .

(٥) حبَل الصيد حبلاً : أخذه وصاده بالحبال أو نصنها له ، (٦) ختل : خدع .

ضره ، له كل يوم صريع لا يرى فيه أثر ناب ، ولا ندب مخلص (١) .

قلت : فما تقول في عمرو (٢) بن فرج ؟ قال : ضخم لهم (٣) ، مستعذب للدم .

قلت : فما تقول في الفضل بن مروان - واستعذبت خطابه - قال : ذاك رجل فسر بعد ما قبر ، فعليه حياة الأحياء وخفّة الموتى .

قلت : فما تقول في أبي الوزير ؟ قال : كبش الزنادقة ؛ ألا ترى أن الخليفة إذا أهمله سنع ورتع ، فإذا هزه أمطر فأصرع .

قلت : فابن الحصيب ؟ قال : أكل أكلة نهم ، فذرق ذرقة بيشم (٤) .

قلت : فما تقول في إبراهيم أخيه ؟ قال : أموات غير أحياء وما يشعرون أيمان يبعثون .

قلت : فما تقول في ابن إسرائيل ؟ قال : لله دره ! أى قلقل (٥) هوا غرس في منابت الكرم ، حتى إذا اهتز لهم حصوده .

قلت : فما تقول في إبراهيم بن رباح ؟ قال : أوبقه (٦) كرمه ، وأسلمه حسبه ، وله معروف لا يسلمه ، ورب لا يخذله ، وخليفة لا يظلمه .

قلت : فما تقول في نجاح بن سلمة ؟ قال : لله دره ! أى طالب وتر ومدرك نار ! يتلهب كأنه شعلة نار ، له من الخليفة جلسة تزيل نعمًا ، وتحل نقمًا .

---

(١) الندب : جمع ندبة ، وهى أثر الجرح الباقى على الجلد (٢) عمرو بن فرج : كان من على الكتاب ، وسخط عليه المتوكل سنة ٢٣٣ هـ (٣) اللهم : الرغيب الرأى ، الجواد ، العظيم الكفاية (٤) البشم : التخمّة (٥) القلقل : المعوان السريع التقلقل وهو التحرك (٦) أوبقه : ذلله وأهلكه .

قلت : يا أعرابي ؛ أين منزلك ؟ قال : اللهم غفراً ، إذا اشتمل الظلام فحيما  
أدركنى الرقادُ رقدتُ !

قلت : فكيف رضاك عن أهل السكر ؟ قال : لا أُخْلِيق وجهي بمسألتهم ،  
أو ما سمعتَ قول هذا الفتى الطائى ، الذى قد ملأ الدنيا شعره :

وما أبالى - وخيرُ القولِ أَصْدَقُهُ - حَقَنْتَ لى ماء وجهي أَوْ حَقَنْتَ دَمِي

قلت : فأنى الطائى قاتل هذا الشعر ! فدنا مبادراً فعانقنى ، وقال : لله أبوك !  
أأست الذى يقول :

ما جود كَفُّكَ إن جادتْ وإن بَخِلْتُ من ماء وجهي إذا أخلَقْتَهُ عِوَضَ

قلت : نعم ، قال : أنت والله أشعر أهل الزمان .

فرجمتُ بالأعرابي معي إلى ابن أبي دواد ، وحدثتهُ بحديثه ، فأدخله إلى  
الوائق ، فسأله عن خبره معي ، فأخبره به ؛ فأمر له بمال ، وأحسن إليه ، ووهب له  
أحمد بن أبي دواد ، فكان يقول : قد عظم الله بركتك على !

# ١٨٣ — امتحان شاعر\*

كان صاعد<sup>(١)</sup> بين يدي المنصور بن أبي عامر ، فأحضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستم فتح ورقها ، فقال صاعد مرتجلاً :

أتتك أبا عامر وردة      يذكرك المسك أنفاسها  
كغذراء أبصرها مبصر      فغطت بأكامها رأسها

فسر بذلك المنصور ، وكان ابن العريف حاضراً فحسده ، وقال لابن أبي عامر : هذان البيتان لغيره ، وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه !

فقال له المنصور : أرنيه . فخرج ابن العريف ، وركب ، وحرك دابته ، حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة ، فوصف له ماجرى ، فقال هسهه الأبيات ودس فيها بيتي صاعد :

غدوت إلى قصر عباسه      وقد جدل<sup>(٢)</sup> النوم حرأسها  
فألقيتها وهي في خدرها      وقد صرع<sup>(٣)</sup> السكر أناسها  
فقلت : أسار على هجمة<sup>(٤)</sup>      فقلت : بلى فرمت كاسها  
ومدت يديها إلى وردة      يحاكى لك الطيب أنفاسها

\* فتح الطيب : ٢ - ٨٩

(١) هو أبو التلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادى اللغوى ، وأصله من الموصل ، وهو من الوافدين إلى الأندلس ، وكان شديد البديهة في ادعاء الباطل ، وكان مع ذلك عالماً . توفي سنة ٤١٧ هـ .  
(٢) جدله : صرعه (٣) صرع فلاناً : ضربه شديداً (٤) الهجمة : طائفة من الليل .

كَمَذْرَاءَ أَبْصَرَهَا مَبْصَرًا فَفَطَّتْ بِأَكَامِهَا رَأْسَهَا

فسار ابنُ العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخطٍ مصريٍّ ، ومِدَادٍ أَشْقَرٍ ؛  
ودخل بها على المنصور .

فلما رآها اشتدَّ غيظه على صاعد ، وقال للحاضرين : غداً أمتحنه ، فإن فضحه  
الامتحانُ أخرجته من البلاد ، ولم يبق في موضع لي عليه سلطان .

فلما أصبح وجهه إليه ، فأحضر وأحضر جميع الندماء ، فدخل بهم إلى مجلس ،  
قد أعدَّ فيه طبقاً عظيماً ، فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير . ووُضع على السقائف  
لص من ياسمين في شكل الجوارى ، وتحت السقائف بركة ماء ، قد أُلقي فيها اللآلئُ  
مثل الحصباء ، وفي البركة حية تسبح .

فلما دخل صاعد ورأى الطبق ، قال له المنصور : إن هذا يوم إما أن تسعد فيه  
معنا ، وإما أن تشقى به عندنا ، لأنه قد زعم أن كلَّ ما تأتي به دعوى ، وقد وقتُ  
من ذلك على حقيقة ؛ وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملكٍ قبل شكلة ؛  
فصنِّفه بجميع ما فيه ، فقال صاعد بديهة :

أبا عامر هل غيرُ جدواك واكف<sup>(١)</sup> وهل غيرُ مَنْ عاداك في الأرض خائف  
يسوق إليك الدهرُ كلَّ غريبةٍ وأعجبُ ما يلقاه عنْدك واصف  
وشائع<sup>(٢)</sup> نورُ صاغها هامرُ الحيا<sup>(٣)</sup> على حافتيها عبَّهرُ<sup>(٤)</sup> ورقارف<sup>(٥)</sup>  
ولما تنهى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع الملاحى الوصائف

(١) وكف : قطر (٢) الوشيعة : كل لفيفة وجمها وشائع (٣) الحيا : الطر  
(٤) الصهر : الياصمين (٥) الرفرف : الرف يوضع عليه طرائف البيت وجمه رقارف .

كَيْتَلُ الظُّبَاءِ الْمُسْكَنَةِ كُنَّا تَظَلُّهَا بِالْيَاسْمِينِ السَّقَائِفِ  
وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنْهَنْ نَوَاطِرُ إِلَى بَرَكَةِ ضُمَّتْ إِلَيْهَا الطَّرَائِفِ  
حَصَاهَا اللَّالَى ، سَابِحٌ فِي عُبَابِهَا مِنْ الرِّقْشِ مَسْمُومُ الثَّعَابِينَ زَاخِفِ  
تَرَى مَا تَأْتِيهِ الْعَيْنُ فِي جَنَابِهَا مِنْ الْوَحْشِ حَتَّى يَنْهَنَ السَّلَاحِفِ

فَاسْتَفْرِبْتُ لَهُ يَوْمَئِذٍ تِلْكَ الْبَدِيهَةَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَكَتَبْتُهَا الْمَنْصُورَ  
بِمَخْطِهِ . وَكَانَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ تِلْكَ السَّقَائِفِ سَفِينَةٌ ، فِيهَا جَارِيَةٌ مِنَ النُّوَارِ ، بِمَجَازِيفَ  
مِنْ ذَهَبٍ لَمْ يَرَهَا صَاعِدٌ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَحْسَنْتَ إِلَّا أَنَّكَ أَغْفَلْتَ ذِكْرَ الْمَرْكَبِ  
وَالْجَارِيَةِ ، فَقَالَ لِلْوَقْتِ :

وَأَعْجَبُ مِنْهَا غَادَةٌ فِي سَفِينَةٍ مَكَلَّةٌ تَصْبُو إِلَيْهَا الْمَهَانِفُ <sup>(١)</sup>  
إِذَا رَاعَهَا مَوْجٌ مِنَ الْمَاءِ تَتَّقِي بِسَكَّانِهَا مَا أَنْذَرَتْهُ الْعَوَاصِفُ  
مَتَى كَانَتْ الْحُسْنَاءُ رُبَّانَ مَرْكَبٍ تُصَرِّفُ فِي يَمْنَى يَدَيْهِ الْجَمَازِفُ  
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي فِي الْبِلَادِ حَدِيقَةٍ تَنْقُلُهَا فِي الرَّاحَتَيْنِ الْوَصَائِفُ  
وَلَا غُرُوًّا أَنْ سَاقَتْ مَعَالِيكَ رَوْضَةً وَشَتَا أَزَاهِيرَ الرِّبَا وَالزَّخَارِفُ  
إِذَا قُلْتَ قَوْلًا أَوْ بَدَهْتَ بَدِيهَةً فَكِلْنِي لَهُ ، إِنِّي لِمَجْدِكَ وَاصِفُ  
فَأَمَرَ لَهُ الْمَنْصُورُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِائَةِ ثَوْبٍ ، وَرَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثِينَ دِينَارًا  
وَأَلْحَقَهُ بِالْأَنْدَمَاءِ .

.....

(١) فَلَانَةٌ يَهْتَفُ بِهَا : يَذْكُرُ جَاهَهَا .



# فهرس القصص

## الباب الأول

فى القصص التى تشرح ما أثر عنهم من عادات وشمائل فى الأسباب الدائرة  
منهم ، وتبين ما اتجهوه فى مواسمهم وأعيادهم ، وأفراحهم وأعراسهم ؛ مما يمثل حياتهم  
الاجتماعية أصدق تمثيل :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١	٨	شب عمرو عن الطوق
٢	١٠	الحديث ذو شجون
٣	١١	جوع كلبك يتبعك
٤	١٢	عند جهينة الخبر اليقين
٥	١٤	يحمى الصحاب إذا تكون كريمة
٦	١٧	تأبط شراً وابن براق
٧	١٩	أنتك بمحاث رجلاه
٨	٢٢	السليك بن السلكة ورفيقاه
٩	٢٤	السليك يقتل وينهب
١٠	٢٥	السخى العداء
١١	٢٨	زيد الخيل
١٢	٣١	وأد البنات
١٣	٣٢	أعجب السرقات
١٤	٣٦	أعرابى فى عرس
١٥	٤٠	أطيب الطعام
١٦	٤٣	جحدر

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١٧	٤٥	صديقا ابن مُريج على قبره
١٨	٤٨	قوة و بطش
١٩	٥٠	لا تعرضوا لهذا الشيطان
٢٠	٥٢	هلال يُصارع عبداً جباراً
٢١	٥٤	حديث عن الفرَّيين
٢٢	٥٧	العصا
٢٣	٦٠	ضرار بن القمقاع

### الباب الثانى

القصص التى تصف أحوال المرأة العربية ، وما تجرى عليه فى تربية أطفالها ، ومعاشرتها زوجها ، ومعاونتها له فى الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسعى فى سبيل الرزق ، والاشتراك فى خوض معامع الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة فى ذلك العهد :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٢٤	٦٢	مصرع الزبّاء
٢٥	٦٨	قبح الله جمالا لا نفع فيه
٢٦	٧١	أفضل النساء وأفضل الرجال
٢٧	٧٣	نكبة جليلة
٢٨	٧٥	كأنما تزوجت بنت قيس بن خالد
٢٩	٧٨	ماوراءك يا عصام ؟
٣٠	٨١	لا أنزوج إلا من كريم
٣١	٨٤	سبّية عروة بن الورد
٣٢	٨٦	لو كان النساء كمثل هذى !
٣٣	٨٩	بلت حاتم الطائى

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٣٤	٩٠	أينهما أعظم العرب مصيبة ؟
٣٥	٩٢	شجاعة صفية بنت عبد المطلب
٣٦	٩٣	الخنساء عند عائشة
٣٧	٩٤	إله عمر يعلم !
٣٨	٩٥	كذلك لدهر !
٣٩	٩٦	لا تذهبي بنفسك عن الحق
٤٠	٩٨	المغيرة يخطب بنت النعمان
٤١	٩٩	ولقد أيدت على الطوى
٤٢	١٠٤	أبو الأسود الدؤلى وزوجا
٤٣	١٠٦	إن قر يشأ تحدث أنك من أحلمها
٤٤	١١١	سودة بنت عمارة عند معاوية
٤٥	١١٤	مثلك من قدر فقفا
٤٦	١١٧	نبهكم على !
٤٧	١١٩	وهل أحل عندك محل على ؟
٤٨	١٢١	نبحتنى كلابك !
٤٩	١٢٣	أروى بنت الحارث
٥٠	١٢٦	أم سنان تشكو مروان
٥١	١٢٩	ليلي الأخيلية عند مروان
٥٢	١٣٢	أم
٥٣	١٣٤	القلطف في السؤال
٥٤	١٣٥	نساء بني تميم
٥٥	١٣٨	ليلي الأخيلية عند الحجاج
٥٦	١٤٤	الحجاج يخالف سجاياه

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٥٧	١٤٥	أسد على وفي الحروب نعامه
٥٨	١٤٧	الشعراء عند سكينه بنت الحسين
٥٩	١٥٢	الفرزدق وسكينه بنت الحسين
٦٠	١٥٤	يوم عند امرأة من بني أمية
٦١	١٥٨	حديث عائشة بنت طلحة مع النخعي
٦٢	١٦١	أتريد أن تقتلني !
٦٣	١٦٥	بعد أن ذهب الملك
٦٤	١٦٨	أم أمير المؤمنين بالباب
٦٥	١٧٢	كريم يجمع بين زوجين
٦٦	١٧٤	أعرابية على قبر زوجها
٦٧	١٧٥	على قبور الذاهبين
٦٨	١٧٦	الحق أنطقها وأخرسه
٦٩	١٧٩	أجارها ثم تزوجها
٧٠	١٨٤	كيف ربت ابنها
٧١	١٨٥	خائف وجد مأمناً
٧٢	١٨٧	تمحن إلى وطنها
٧٣	١٨٨	سئمت حياتي حين فارقت قبره
٧٤	١٩٠	المتكلمة بالقرآن

### الباب الثالث

القصص التي تمثل ذلاقة ألسنتهم ، وحكمة منطقهم ، وما ينضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ ، وبلاغة المعنى ، وجمال الأسلوب ، وحسن التصرف في الإبانة والتعبير :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٧٥	١٩٤	بنو أسد وامروء القيس

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٧٦	١٩٧	خاتمة الأعشى
٧٧	١٩٩	رثاء فوق قبر
٧٨	٢٠٠	بمثل هذا فليثن على الملوك
٧٩	٢٠٤	عُتْبَة وأعرابي
٨٠	٢٠٥	إن من البيان لسحراً
٨١	٢٠٦	عبد الله بن عباس والخطيئة
٨٢	٢٠٨	طريد لسانه
٨٣	٢١٦	عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب
٨٤	٢١٨	عمر بن أبي ربيعة وجميل
٨٥	٢٢٠	لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة بالقلب
٨٦	٢٢٢	ابن السيد يفخر بصاحبه
٨٧	٢٢٣	أعشى همدان يهجو ويمدح
٨٨	٢٢٥	أشجع الناس شعراً
٨٩	٢٢٧	الحجاج على قبر ابنه
٩٠	٢٢٨	إن صدقناك أغضبك
٩١	٢٢٩	الحجاج يخطب
٩٢	٢٣١	جميل أشعر الناس
٩٣	٢٣٢	من أشعر الناس
٩٤	٢٣٦	الشعبي عند عبد الملك بن مروان
٩٥	٢٣٨	تلطف عبد الله بن الحجاج
٩٦	٢٤١	نُصَيْب عند عبد العزيز بن مروان
٩٧	٢٤٥	سليمان بن عبد الملك وسميه
٩٨	٢٤٦	عقيد الندي

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
٩٩	٢٤٨	خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء
١٠٠	٢٥٢	الشعراء عند عمر بن عبد العزيز
١٠١	٢٥٧	إنجاز في المقال وبلاغة في البيان
١٠٢	٢٥٩	سعت فأكدت ، ورجعت فرزقت
١٠٣	٢٦٠	هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
١٠٤	٢٦٢	واعظ الملوك
١٠٥	٢٦٦	إن خالداً أدل فأمل
١٠٦	٢٦٧	أبو النجم عند هشام بن عبد الملك
١٠٧	٢٧١	لا يُعرف الكلام إلا بشره
١٠٨	٢٧٣	أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك
١٠٩	٢٧٤	شاعر بني هاشم
١١٠	٢٧٨	إن يُمنى يغلب شؤمك
١١١	٢٨٠	قتلهم الشعر
١١٢	٢٨٢	المنصور أحق بشعر طريف
١١٣	٢٨٤	الحبة مفتاح كل خير
١١٤	٢٩٥	المنصور والشعراء
١١٥	٢٩٧	المؤمل يمدح المهدي
١١٦	٢٩٠	مدائح وعطايا
١١٧	٢٩٦	فصاحة نصيب المباسي
١١٨	٢٩٨	أنته الخلافة منقادة
١١٩	٣٠٠	صريع الفواني
١٢٠	٣٠٣	الرشيد وابن مناذر
١٢١	٣٠٥	ربيعة الرقي يمدح فلا يثاب



العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
شاعران بين يدى الرشيد	٣٠٨	١٢٢
ببائك أزلت حاجتى	٣١٠	١٢٣
النكث فى البيع خير من خيانة الشريك	٣١٢	١٢٤
باتت تعيرنى الإفتار والعدما	٣١٣	١٢٥
سكنت عنى والله الحمى !	٣١٥	١٢٦
عجوز تنشد الأصمى	٣١٦	١٢٧
الأصمى وبعض الأعراب	٣١٨	١٢٨
شعر مرتجل	٣٢١	١٢٩
هوّنت على العزل	٣٢٣	١٣٠
أرى الأيام لا تُدنى الذى أرتجى	٣٢٥	١٣١
حديث عن دعبل	٣٢٧	١٣٢
دعبل عند والى مصر	٣٢٩	١٣٣
دعبل وعلى الرضا	٣٣٢	١٣٤
سجدوا لشعره	٣٣٤	١٣٥
إنما الدنيا أبو دلف	٣٣٦	١٣٦
مدحة شاعر وعطية أمير	٣٣٩	١٣٧
بين أنى تمام وعبد الله بن طاهر	٣٤١	١٣٨
لا يمجبنك من يصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبدول	٣٤٣	١٣٩
سماية	٣٤٧	١٤٠
أشعر من بالشام والعراق	٣٤٩	١٤١
ابن جاح ينشد المعتضد شعره	٣٥١	١٤٢

## الباب الرابع

في القصص التي تسرد بارع ملحم ، ورائع طرفهم ، في جواباتهم المسكتة ،  
وتصرفاتهم الحكيمة ، وتخلصاتهم البقية ، مما يدل على حضور الذهن ، وسرعة البديهة ،  
وشدة العارضة :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١٤٣	٣٥٤	حسان بن ثابت والناصفة
١٤٤	٣٥٦	آية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية !
١٤٥	٣٦٠	مسلم يحتال على قريش
١٤٦	٣٦٢	إذا أنا كم كريم قوم فأكرموه
١٤٧	٣٦٣	ما رأيته لاحي أحدا إلا غلبه
١٤٨	٣٦٦	المغيرة بن شعبة وأحد الأعراب
١٤٩	٣٦٨	دهاء عمرو بن العاص
١٥٠	٣٧٢	بين معاوية وهاني بن عروة
١٥١	٣٧٣	إن هذا العبد غلبني وغلبك
١٥٢	٣٧٤	ما عليه لو عرض
١٥٣	٣٧٦	لا يأتينا غير طالب فقه أو طالب فضل
١٥٤	٣٧٨	ابن أبي محجن عند معاوية
١٥٥	٣٨٩	ذكرتني يوم النفخ في الصور
١٥٦	٣٨٢	أعرابي عند الحجاج
١٥٧	٣٨٣	دعاني من هو خير منك
١٥٨	٣٨٤	أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو
١٥٩	٣٨٥	ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب
١٦٠	٣٨٦	الحجاج وأنس بن مالك
١٦١	٣٨٧	الحجاج والفضبان بن القيصري

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١٦٢	٣٩٧	حسن تخلص
١٦٣	٣٩٨	بثينة وعزة عند عبد الملك
١٦٤	٣٩٩	من أشعر الناس ؟
١٦٥	٤٠٠	سليمان بن عبد الملك وأبو حازم
١٦٦	٤٠٤	ضمه من النار حيث شئت
١٦٧	٤٠٥	مناظرة مع الخوارج
١٦٨	٤٠٦	ليس الأمر بالسن
١٦٩	٤٠٩	بنو أمية وعمر بن عبد العزيز
١٧٠	٤١٢	في وفاة عمر بن عبد العزيز
١٧١	٤١٣	رأى خالد بن صفوان في الشعراء
١٧٢	٤١٥	المنصور وابن طاوس
١٧٣	٤١٦	بديهة معن
١٧٤	٤١٧	رسول معن
١٧٥	٤٢٠	كبير !
١٧٦	٤٢١	قناعة
١٧٧	٤٢٢	الرشيد وعبد الملك بن صالح
١٧٨	٤٢٦	هارون الرشيد ومسلم بن الوليد
١٧٩	٤٢٨	شاعر باهلي في حضرة الرشيد
١٨٠	٤٢٩	أبان بن عبد الحميد يمدح نفسه
١٨١	٤٣٣	العتابي عند المأمون
١٨٢	٤٣٥	أبو تمام يستعذب خطاب أعرابي
١٨٣	٤٣٨	امتحان شاعر

## فهرس الأعلام

أبو بكر بن أبي تحافة (الصديق) :

٣٥٦

أبو تمام : ٣٣١ ، ٤٣٥

أبو حازم : ٤٠٠

أبو حردبة : ٣٢

أبو دلف العجلي : ٣٢٧ ، ٣٣٦ ،

٤٢١ ، ٣٣٩

أبو دلالة : ٢٧٨

أبو سفيان بن حرب : ١٩٧

أبو الشيص : ٣٣٤

أبو العباس السفاح ( الخليفة القاسمي ) :

٢٨٠ ، ١٦١

أبو الصاهية : ٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٣

أبو العلاء المعري : ٣٤٩

أبو العميثل : ٣٤١

أبو كبير الهذلي : ٤١

أبو النجم العجلي : ٢٦٧

أبو نصر المنذري : ٣٤٩

(١)

إبراهيم بن رباح : ٤٣٦

إبراهيم بن محمد الإمام : ١٦٦

إبراهيم بن المدبر : ١٧٨

إبراهيم بن المهدي : ٣٢٥

إبراهيم بن ميمون : ١٧٢

إبراهيم بن هرمة : ٢٧٥

أبان بن الحجاج : ٢٢٧

ابن أبي دبا كل : ٤٥

ابن أبي فحجن : ٣٧٦

ابن جاح : ٣٥١

ابن سريج المغني : ٤٥

ابن طالوت : ٣٤٣

ابن طاوس : ٤١٥

ابن العريف : ٤٣٨

أبو الأسود الدؤلي : ١٠٣

أبو أيوب الخازن : ٢٧٨

أبو نواس : ٣٠٤ ، ٣٣٤

أحمد بن أبي خالد : ١٧٨

أحمد بن أبي داود : ٤٣٥

أحمد بن السراج : ٣٢٩

الأحنف بن قيس : ٢١٢

الأحوص : ١٥٤ ، ٢٤٩

الأخطل : ٢٣٢ ، ٢٥٠

الأخنس بن كعب : ١٤

الأراكة ( قينة ابن مفرغ ) : ٢١٠

أروى بنت الحارث : ١٢٣

إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ٤٣٣

أسماء بنت أبي بكر : ١٣٤ ، ١٤٦

إسماعيل بن عبد الله : ٣٨٦

الأسود بن قنان : ١٨٥

أشجع السلمي : ٢٩٨ ، ٣٠٨ ،

٣٢١ ، ٣٢٣

الأصمعي : ٦٠ ، ١٧٥ ، ٣١٣ ،

٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٨

أعشى قيس : ١٩٧

أعشى همدان : ٢٢٣

أمامة بنت الحارث : ٧٩

أمامة بنت خزرج : ١٨٥

امروء القيس بن حجر : ١٩٤

أم البنين بنت عبد الملك بن

سروان : ١٤٥

أم الخير بنت الجريش : ١٠٦

أم سلمة بنت يعقوب : ١٦١

أم سنان بنت خيثمة المذحجية :

١٢٦

أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن

الخطاب : ٩٤

أنس بن أبي شيخ : ٤٢٦

أنس بن مالك : ٣٨٦

أنمار ( قبيلة ) : ١٣

أوش بن حارثة : ٨١ ، ٨٦

أيمن بن خزيم الأسدي : ٢٤٣

أيوب بن القرية : ٣٨٤

( ب )

بثينة ( صاحبة جميل ) : ٣٩٨

بجيلة ( قبيلة ) : ١٧

برد ( غلام ابن مفرغ ) : ٢٠٨

بسر بن أوطاه : ١١٣

(ث)

ثابت بن جابر = تأبط شرا

(ج)

جامع المحاربي : ٢٢٨

جحدر بن ربيعة : ٤٣ ، ٤٤

جذيمة بن الأبرش : ٨ ، ٦٢

جرير بن عطية الخطني : ٤١ ، ٤٢

١٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٩٩

جضر بن يحيى البرمكي : ٣٠٠ ، ٣٢١

جليلة بنت صرة : ٧٣

جميل بن ممر : ١٤٧ ، ٢١٨ ،

٢٣١

(ح)

هاشم بن عبد الله : ٨١

الحارث بن خالد : ١٥٩ ، ٢٢٠

الحارث بن عمرو : ٨٨

الحارث بن عوف : ٨٦

الحارث بن كعب : ١٠

الحجاج بن علاط السلمي : ٣٦٠

الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٣ ، ٣٤

١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨

بشار بن برد : ٢٩٨

بشر بن المنذر : ٢٩٠

بكارة الهلالية : ١٢١

بكر بن وائل ( قبيلة ) : ٣٦٦

بنو أسد : ١٩٤

بنو أمية : ٢٨٠ ، ٤٠٩

بنو تميم الله : ٣٦٦

بنو ثعلبة : ١٧٩

بنو ذهل : ٣٦٦

بنو شيبان : ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٦٦

بنو مالك بن غفيلة : ٦٨

بنو النضير : ٨٤

بنو نمير : ٣٠

بنو هاشم : ٣٦٤ ، ٤٨٠

بنو يشكر : ٣٦٦

بهيسة بنت أوس بن حارثة : ٨٧

(ت)

تأبط شراً : ١٤

تميم بن عدي اليربوعي : ٩٩

تميم ( قبيلة ) : ٩٩

توبة بن الحخير : ١٢٩



٢٩٢ ، ٣٤٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ،

٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧

حرقة بنت النعمان : ٩٥

حسان بن ثابت : ٢٠٠ ، ٣٥٤

الحصين بن عمرو الكلابي :

١٢ ، ١٣

الخطيئة : ٢٠٦

حدونة بنت عيسى : ١٧٩

حنيفة ( قبيلة ) : ٣٦٦

حيان بن سلمى : ١٩٩

( خ )

خارجة بن سنان : ٨٦

خالد بن صفوان : ١٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٦ ، ٤١٣

خالد بن عبدالله القسري : ٢٦٦ ، ٣٩٧

خالد بن عتاب : ٣٢٢

خالد بن المضلل : ١٧

خالد بن يزيد : ٣٠٦ ، ٣٩٠

خزاعة : ٤٤٢

الخنساء : ٩٠ ، ٩٣

الخيزران ( أم الهادي والرشد ) : ١٦٥

( د )

دارمية الحجونية : ١١٩

داود بن علي : ٢٨١

درواس بن حبيب : ٢٧١

دعبل الخزاعي : ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،

٣٣١ ، ٣٣٤

( ذ )

ذبيان بن ذبيان : ٤١٠

الذلقاء بنت الأبيض : ١٧٨

ذهل : ٤٤٣

( ر )

الريبع بن يونس : ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،

٢٩٠

ربيعة الرقي : ٣٠٥

رزين الخزاعي : ٣٢٩

رقاش ( أخت جذيمة بن الأبرش ) : ٨

( ز )

الزباء : ٦٢

الزبرقان بن بدر : ١٠٥

الزبير بن العوام : ١٠٩

زرارة بن عدس : ٧٥

زيد الخيل : ٢٨ ، ٨١

زينب بنت حدير : ١٣٥

زينب بنت سليمان : ١٦٦

زينب بنت يوسف (أخت الحجاج) :

١٥٨

(س)

سديف (مولى أبي العباس) : ٢٨٠

سعد بن أبي وقاص : ٩٥

سعد بن ضبة : ١٠

سعد بن مرة بن جبير : ٢٧٣

سعيد بن جبير : ٣٧٩

سعيد بن خالد : ٢٤٦

سعيد بن سالم : ٤٢٨

سعيد بن ضبة : ١٠

سعيد بن عثمان : ٢٠٨

سعيد بن المسيب : ٢٢٢

سكينة بنت الحسين : ١٥٢ ، ١٤٧

سليم بن كيسان الكلبي : ٢٦٧

سليمان بن عبد الملك (الخليفة) :

٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ،

٤١٠ ، ٤٠٤

سليمان بن عبد الملك (فتى من بنى

عبس) : ٢٤٥

سليمان بن مجالد : ٢٧٩

السليك بن السلكة : ٢٢

سودة بنت عمارة : ١١٢

(ش)

شبة بنت عقال : ٤١٣

شريح بن الحارث : ١٣٥

شرقي بن القطامي : ٥٧ ، ٥٤

شظاظ (اللس) : ٣٣

الشعبي : ١٣٥ ، ٢٧٢

شوذب الحروري : ٣٤٥

شيبة بن ربيعة : ٩٠

(ص)

صاعد بن الحسن : ٤٣٨

صخر بن عمرو : ٣١

صخرة (أخت الحصين بن عمرو

الكلابي) : ١٢

صعصعة بن ناجية : ١٢

صفية بنت عبد المطلب : ٩٢

(ض)

ضبة بن أد : ١٠

ضرار بن القعقاع : ٦٠

( ط )

طلحة بن عبيد الله : ١٠٩

( ع )

عائشة بنت أبي بكر : ٩٣

عائشة بنت طلحة : ١٥٨

عاصم بن عمر بن الخطاب : ٩٤

عاصم بن جذيمة : ١١

عاصم بن الطفيل : ١٩٩

عاصم بن وائلة : ٣٧٦

العباس بن عبد المطلب : ٣٦٠

العباس بن المأمون : ١٧٨

العباس بن محمد بن علي : ٣٠٥

عبد الرحمن بن الأشعث : ١٩٩ ، ٣٨٤

٣٨٥

عبد الرحمن بن سيجان المحاربي : ٢٠٦

عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح :

٤٢٢

عبد الرحمن بن عتيق المزني : ٤١٦

عبد العزيز بن عمرو بن مروان : ٢٨١

عبد العزيز بن مروان : ٢٤٠

عبد الله بن أبي بكرة : ١٣٤

عبد الله بن الحجاج : ٢٧٨

عبد الله بن الحسن بن علي : ٢٧٦

عبد الله بن الزبير : ١٣٢ ، ١٤٥ ،

٢٧٦ ، ٢١٦

عبد الله بن زياد : ٢٠٨

عبد الله بن سعيد بن عبد الملك : ٤٥

عبد الله بن صفوان : ٣٧٠

عبد الله بن العباس : ٩٩ ، ٢٠٦ ،

٣٧٦ ، ٣٦٣

عبد الله بن عمرو بن العاص : ٣٦٨

عبد الله بن قيس الرقيات : ٢٢٢

عبد الله بن المنتشر : ٤٦

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن

جعفر : ٢٧٦

عبد الملك بن صالح : ٤٢٢

عبد الملك بن الفضل : ١٦٨

عبد الملك بن مروان : ٤٠ ، ٤١ ،

٤٢ ، ١٤٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦

٢٩٨

عبيد بن الأبرص : ١٩ ، ٢٠ ، ١٩٤

عبيد الله بن زياد : ٢٠٨

فتية بن أبي سفيان : ٢٠٤ ، ٩٠

٣٦٨

عثمان بن عفان : ١١٩

عثمة بنت مطرود : ٦٨

المجفاء بنت علقمة السعدي : ٧١

عدى بن أرطاة : ٢٤٨

عدى بن الزبير : ٩٥

عدى بن نصر : ٨

عروة بن أذينة : ٢٥٩

عروة بن الورد : ٨٤

عزة (صاحبة كثير) : ٣٩٨

عصام بن شهر : ٣٥٤

علقمة بن عبدة : ٢٠٠

علي بن أبي طالب : ٣٥٦ ، ٩٦ ، ٨٩

٣٦٨ ، ٣٦٢

علي بن جبلة : ٣٣٦ ، ٣٣٩

علي بن الحسين (زين العابدين) :

٢٦٠

علي بن رافع : ٩٦

علي بن محمد العلوي : ٣٤٧

علي بن موسى الرضا : ٣٣٢

عكرشة بنت الأطرش : ١١٧

عمارة بن حمزة : ٤٢٠

عمر بن أبي ريعة : ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢

٢٣٩ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٢

عمر بن الخطاب : ٩٤ ، ٣٦٣

عمر بن عبد العزيز : ٢٤٨ ، ٢٥٢ ،

٣٤٥

عمر بن الوليد بن عبد الملك : ٤٠٩

عمر بن الأهتم : ٢٠٥

عمر بن براق : ١٧

عمر بن بسطام : ٢٦٨

عمر بن الحارث : ٢٠٠

عمر بن الشريد : ٩٠

عمر بن العاص : ١٢٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ،

٣٧٤

عمر بن عبيد الله : ٣٢

عمر بن عدى : ٨ ، ٦٣

عمر بن فرج : ٤٣٦

عمر بن مسعدة : ٣٢٧

عنيسة بن سميد : ١٣٨

(غ)

الغضبان بن القبصري : ٣٦٤

( ف )

فاطمة بنت محمد بن الحسين : ١٦٨

الفرزدق : ١٤٧ ، ١٥٢ ، ٢٤١ ، ٢٦٠

٢٧٤

الفضل بن الربيع : ٢٦٣

الفضل بن يحيى : ٤٢٥ ، ٤٢٩

الفضل بن يزيد : ١٨٢

( ق )

القاسم بن عيسى : أبودلف

قبيصة بن نعيم : ١٩٤

قراد بن إهاب : ٧٥

قريش ( قبيلة ) : ١٩٧ ، ٣٦٠ ،

٣٦٤

قصير بن سعد : ٦٢

قمامة (خادم عبد الملك بن صالح) : ٥٢

قنبر ( مولى على بن أبي طالب ) :

٣٦٢

قيس بن ثعلبة ( قبيلة ) : ٣٦٦

قيس بن خالد : ٧٦

( ك )

كثير بن عبد الرحمن : ١٤٧ ، ١٥٤ ،

٢٣١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢

كلثوم العتابي : ٤٣٣

الكيت الأسدي : ٢٧٤

( ل )

لقيط بن زرارة : ٧٥

ليلي الأخيلية : ١٢٩ ، ١٣٨

( م )

المأمون ( الخليفة ) : ١٧٧ ، ٣٢٧ ،

٤٢٧ ، ٣٣٦

المؤمل بن أميل : ٢٨٧

مؤنسة ( مفضية ) : ٣٤٤

مالك بن أنس : ٤١٥

مالك بن الربيع : ٣٢

مالك بن طوق : ٣١٠ ، ٣١٢

مانى الموسوس : ٣٤٣

المتوكل ( الخليفة العباسي ) : ١٤٧

المثنى بن حارثة : ٣٥٦

مجاعة بن الأزهر : ٤١٧

محسن الفقعي : ١٤٢

محمد بن أبي الجهم : ٢٥٧

محمد بن أمية : ٣٢٥

محمد بن صالح : ١٧٩

المعتضد بن عباد : ٣٥١  
 معقل بن عيسى : ٣٣٩  
 معن بن زائدة : ٤١٧  
 المغيرة بن شعبه : ٣٦٦ ، ٩٨  
 مفروق بن عمرو : ٣٥٦  
 المنذر العبدي : ٢١٢  
 المنذر بن ماء السماء : ١٩ ، ٢٠ ،  
 ٧٦ ، ٢١  
 المنصور بن أبي عامر : ٤٣٨  
 المنصور العباسي ( الخليفة ) : ٢٧٨ ،  
 ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ،  
 ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧  
 منصور النمرى : ٣٠٨  
 المهاجر بن خدّاش : ١٩٤  
 المهاجر بن عبد الله : ٢٥  
 المهدي العباسي ( الخليفة ) : ١٦٦ ، ٥٤  
 ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٤٢٠  
 موسى شهوات : ٢٤٦  
 ( ن )  
 النابغة الجعدي : ١٤٣  
 النابغة الذبياني : ٢٠٠  
 ناهض بن ثومة : ٣٦

محمد بن عبد الله بن طاهر : ٣٤٣  
 محمد بن عبد الله بن عبد المطلب  
 ( الرسول ﷺ ) : ٣١ ، ٨٩ ،  
 ٢٠٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠  
 محمد بن عبد الملك : ٤٣٥  
 محمد بن علي بن الحسين : ٢٧٥  
 محمد بن عمرو بن العاص : ٣٦٨  
 محمد بن كعب القرظي : ٤٠٩  
 محمد بن منذر : ٣٦٣  
 مروان بن أبي حفصة : ٢٩٠ ، ٤١٦  
 مروان بن الحكم : ١٢١ ، ١٢٦  
 مزاحم ( مولى عمر بن عبد العزيز ) :  
 ٤١٦ ، ٤١٧  
 مزنة ( زوج مروان بن محمد ) : ١٦٥  
 مسلم بن الوليد : ٣٠٠ ، ٣٣٤ ، ٤٢٦  
 مسلمة بن عبد الملك : ٢٧٠ ، ٤١٢ ، ٤١٤  
 مصعب بن الزبير : ٢١٦  
 مطلب بن عبد الله : ٣٢٩  
 معاوية بن أبي سفيان : ١٠٣ ، ١٠٦ ،  
 ١١١ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣  
 ١٢٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢  
 ٣٧٤ ، ٣٩٣



بجاح بن سلمة ٤٣٦

نجدة بن الأسود ١٨٢

نصيب بن رباح ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٤١

٢٥٢

نصيب ( العباسي الشاعر ) ٢٩٦

النعمان بن شريك ٣٥٦

النعمان بن المنذر ٣٥٤

النميري ١٥٨

( هـ )

هارون الرشيد ( الخليفة ) ١٦٨ ، ٢٠٠

٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤

هاني بن عروة المرادي ٣٧٢

هاني بن مسعود ٣٥٠

هشام بن عبد الملك ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٤١٣ ،

٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨

هلال بن الأسعر ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢

هند بنت عتبة ٩٠

هند بنت النعمان : ٩٨

( و )

وردان ( غلام عمرو بن العاص ) :

٣٦٩ ، ٣٧٣

الوليد بن عبد الملك ٤٣ ، ١٤٤

الوليد بن عتبة ٦٠

الوليد بن يزيد ٢٧٢

وهب بن ناجية الرصافي ١٨٥

( ي )

يحيى بن أكرم ٤٣٣

يحيى بن خالد ٤٢٤

يزيد بن أبي مسلم ٣٨٥ ، ٤٠٤

يزيد الشيباني ٢٤ ، ١٤٤

يزيد بن مزيد ٢٩١

يزيد بن مفرغ ٢٠٨

يعقوب بن داود ٢٩٠

يوسف بن عمرو الثقفي ٢٦٢

## فهرس الأماكن

(ق)	(ر)	(ا)
قوس : ١٤٣ ، ٣٣٢	الرصافة : ١٨٥	أسوان : ٣٢٠
(م)	(س)	(ب)
محلة بني فزارة : ٤٥	السراة : ١٧	البحرين : ٤٨
المحصب : ١٥٨	سرّ من رأى : ٤٣٥	بدر : ٩٠
المدينة المنورة : ٨٤	السفد : ١٥٥	البصرة : ٤٩
المربد : ٤٩	السماعة : ٩	بطن نمان : ١٥٨
مصر : ٣٢٩	(ص)	بقّة : ٦٢
مكة : ٨٤	الصالحية : ٣٢١	(ج)
ملحوب : ٢٠	الصعاب : ٤٨	الجوف : ٢٣
منى : ١٥٨	صفين : ١١٧	(ح)
منفوحة : ١٩٨	(ط)	الحجون : ١١٩ ، ٤٦
(هـ)	الطائف : ١٥٨	الحصاب : ٤٦
هجر : ٤٠	(ع)	حلب : ٣٦
(و)	العذيب : ١٨٧	الحيرة : ٥٤ ، ٣٠ ، ٢٨
الوهط : ١٧	العقيق : ١٥٤	(خ)
(ى)	عكاظ : ٩٠ ، ١٠	خراسان : ٣٢٣
اليامة : ٢٥	(ف)	خيبر : ٣٦٠
	فارع : ٩٢	(ذ)
	فخ : ١٥٨	ذنوب : ٢٠

## مراجع هذا الجزء

أخبار أبي تمام	: للصولي
الأغاني	: لأبي الفرج الأصفهاني
الأمالى	: لأبي على القالى
الأمالى	: للزجاجى
الأمالى	: للشريف المرتضى
الأوراق	: للصولي
البداية والنهاية	: لابن كثير
بلاغات النساء	: لأبي الفضل أحمد بن أبى طاهر
بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب	: للأوسى
البيان والتبيين	: للجاحظ
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبرى
التنبيهات	: للبكرى
ثمرات الأوراق	: للحموى
جمهرة أشعار العرب	: لأبى زيد الخطابى
جمهرة أمثال العرب	: لأبى هلال العسكرى
خزانة الأدب	: للبغدادى
ذيل الأمالى والنوادر	: لأبى على القالى
ذيل زهرة الأداب	: للحصرى

ذيل ثمرات الأوراق	: للحموى
الروض الأنف	: للسهيلى
زهر الآداب	: للحضهرى
سرح العيون	: لابن نباتة المصرى
السيرة النبوية	: لابن هشام
سيرة عمر بن عبد العزيز	: لابن عبد الحكم
شرح ديوان الحماسة	: للمرصفى
شرح نهج البلاغة	: لابن أبى الحديد
الشعر والشعراء	: لابن قتيبة
صبح الأعشى	: للقلقشندي
عصر المأمون	: للدكتور فريد رفاعى
العقد الفريد	: لابن عبد ربه
العقد الفريد للملك السعيد	: لأبى سالم محمد بن أبى طلحة
عين الأدب والسياسة	: لأبى حسن على بن هذيل
عيون الأخبار	: لابن قتيبة
غرر الخصاص الواضحة	: لأبى إسحاق الوطواط
الفرج بعد الشدة	: للتنوخى
فوات الوافيات	: لابن شاكر الكتبي
الكامل فى التاريخ	: لابن الأثير
الكامل فى الأدب	: للمبرد
مجمع الأمثال	: للميدانى
الحاسن والأضداد	: للجاحظ

المحاسن والمساوى :	للبيهقي :
محاضرات الأبرار :	لابن عربي :
لباب الآداب :	لابن منقذ :
مروج الذهب :	للمسعودي :
المستطرف في كل فن مستظرف :	للأبشيهي :
مصارع العشاق :	لأبي جعفر بن أحمد السراج :
معجم الأدباء :	لياقوت الحموي :
معجم البلدان :	لياقوت الحموي :
معاهد التنصيص :	لبدر الدين العباسي :
مهذب الأغاني :	للشيخ الخصري :
الموشح :	للمرزباني :
نفع الضيب :	للمقري :
نهاية الأرب :	للتويري :
وفيات الأعيان :	لابن خلكان :

---

## مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

أساس البلاغة	: للزمخشري
أشعار النساء	: للمرزباني
الأعلام	: لخير الدين الزركلي
تاج العروس	: للزبيدي
تاريخ آداب اللغة العربية	: لجورجي زيدان
تاريخ الأمم الإسلامية	: للنخري
تبصير المنتبه	: لابن حجر
دواوين الشعراء	
رغبة الآمل من كتاب الكامل	: للمرصفي
شرح ديوان الحماسة	: للمرصفي
شرح الأمالي	: للبكري
طبقات الشعراء	: لابن سلام
طبقات الشعراء	: لابن قتيبة
الفاخر في الأمثال	: للضيبي
فهرس خريطة المالك الإسلامية	: لأمين واصف
القاموس المحيط	: للفيروز أبادي
لسان العرب	: لابن منظور
مراصد الاطلاع	: لابن عبد الحق البغدادي
المشتبه	: الذهبي
المعارف	: لابن قتيبة
معجم البلدان	: لياقوت
وفيات الأعيان	: لابن خلكان